تفسير القرآن الكريم

الجزء السادس والعشرون

تأليف

محمود محمد حمزة
المفتش بالتعليم الثانوى والفنى (سابقاً)
والأستاذ بدار العلوم (سابقاً)

حسن علوان
المراقب بوزارة التربية والتعليم

محمد أحمد برانق
المفتش العام بالتعليم الإعدادى



ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

تراجع الخطبة التى فى صدر تفسير الجزء الأول ، ونرجو أن يراعى فى هذا الجزء والأجزاء التى تليه ، أن الأرقام التى فى صدر مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها فى المصاحف ، وأن الأرقام التى تخللت مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها فى مجمل المعنى .

سورة الأحقاف

نزلت بمكة ، ماعدا الآيات ١٠ ، ١٥ ، ٢٥ فإنها نزلت بالمدينة ،
وآياتها ٣٥ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

حمٓ ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ -١- .
مَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ،
وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ -٢- . قُلْ : أَرَأَيْتُمْ
مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ؟
أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوَاتِ ؟ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ
أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ -٣- . وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ
يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟
وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ -٤- . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ
أَعْدَاءً ، وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ -٥- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حم	تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول .
وما بينهما	وما بين السموات والأرض من كل العوالم : من الإنس والجن والملائكة ، ومن الأشياء الأخرى التى نعرفها ، والتى لا نعرفها .
إلا بالحق	إلا خلقاً مقروناً بالحق والعدل .
وأجل مسمى	وإلا بتقدير أجل معلوم ينتهى عنده وجود كل منهما ، وهو يوم القيامة .
والذين كفروا عما أنذروا معرضون	والكافرون منصرفون عن الإنذار الذى يُنذَرونه ، حيث يلقون فى هذا اليوم المصير الذى يستحقونه .
أرأيتم	أخبرونى .
ما تدعون من دون الله	ما تعبدون من دون الله ، وهو الأصنام .
ماذا خلقوا من الأرض	ما هى قدرتهم التى تجعلهم يخلقون شيئاً مما على الأرض ؟
أم لهم شرك فى السموات	أم شاركوا الله فى خلقه السموات ؟
ائتونى بكتاب من قبل هذا	هاتوا لى كتاباً قبل القرآن يدعو إلى الشرك .
أو أثارة من علم	أو بقية وصلت إليكم من علم السابقين ، تدل على صدق ما تذهبون إليه .
ومن أضل	ولا أحد أشد ضلالاً .

الألفاظ	شرحها
وهم عن دعائهم غافلون	وآلهتهم لا يستجيبون لهم دعاءهم، لأنهم لا يسمعونه.
وإذا حشر الناس	وإذا جُمع الناس وسيقوا للحساب يوم القيامة .
كانوا لهم أعداء	كانت الأصنام التى يعبدونها فى الدنيا أعداء لهم يوم القيامة .
وكانوا بعبادتهم كافرين	وكانت الأصنام متبرئة ممن عبدوهم ومن عبادتهم .

مجمل المعنى

١ — هذا القرآن المكوّن من الحاء والميم ونظائرها من حروف الهجاء، منزل من عند الله العزيز الذى لا يقهر ، الحكيم الذى يعمل كل شىء بتقدير وتدبير ، فلا سبيل إلى تكذيبه

٢ — الله الذى نزل هذا القرآن ، هو الذى خلق السموات والأرض ، وجميع العوالم والأشياء التى بين السموات والأرض ، وأنشأ ذلك كله إنشاء ، وأبدعه إبداعاً ، على نظام بديع دقيق ، فيه حق وعدل ؛ وسيظل هذا النظام قائماً إلى أجل محدود ، وهو يوم القيامة ، اليوم الذى تتبدل الأرض فيه غير الأرض ، والسموات غير السموات ، اليوم الذى سيحاسب فيه كلٌّ بما عمل ، اليوم الذى يخوف الله به الكافرين ، ومع ذلك فإنهم مع تخويفهم وإنذارهم عذاب ذلك اليوم، لا يؤمنون بوقوعه، ويعرضون عن الاستماع منك ، والاستجابة لك ، والإيمان بك .

٣ — يوجه الله نظر هؤلاء الكافرين الذين يعبدون الأصنام ، ويسجدون لها من دونه ، إلى أنهم يعبدون آلهة عاجزة عن كل شىء، ويقول لهم موبخاً :

أخبرونى أى شىء خلقوه فى هذه المخلوقات التى تشمل الأرض وما عليها ؟ ! إنها عاجزة عن أن تخلق حيواناً كبر أو صغر ، وعاجزة عن أن تخلق نباتاً طال أو قصر ؛ وإنها كذلك لم يكن لها شرك فى خلق السموات ، فإن لم تصدقوا أيها الكافرون أنها عاجزة فأتونى بكتاب جاء به نبى قبل هذا القرآن ، يدعو إلى عبادة هذه الأصنام، أو يدعو إلى غير التوحيد الذى يدعو إليه القرآن وينادى به ؛ فإن لم تستطيعوا ذلك، فهاتوا أى أثر علمى من علوم السابقين الصحيحة المأثورة ، تؤيدعبادة أصنامكم ، أو تدعو إليها ، إن كان ما تدعونه صحيحاً ، ولقد قامت على بطلان عبادتها الأدلة العقلية والنقلية .

٤ — ولا أحد أشد ضلالا من الذين يعبدون من دون الله آلهة عاجزة ضعيفة ، لا تستجيب لهم إذا دعوها ، وتظل هكذا ضعيفة عاجزة غير قادرة على الاستجابة ، فى الحال فى الاستقبال إلى يوم القيامة ؛ إذ كيف يسمع ، أو يعقل ، أو يقدر ، أو يدفع ، أو يمنع ، أو يمنح ، أو يحرم ، — هذا الصنم الذي صنعه الإنسان الغافل من طين أو خشب ، أو نحته من حجر ؛ فهى فى غفلة دائمة ، لأنها جمادات لا تسمع دعاء الداعين ، ولا تعلم حاجات المحتاجين .

٥ — يوم القيامة يبعث الله الناس ، ويساقون للحشر والحساب ، فتبرأ هذه من عبدتها ، وتنكر عليهم سجودهم لها ، وتعظيمهم إياها .

(٢)

من الآية ٧ إلى الآية ١٤ من سورة الأحقاف

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ : هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ —١— . أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ؟ قُلْ :
إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
تُفِيضُونَ فِيهِ ، كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ —٢— . قُلْ : مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ، وَمَا أَدْرِي
مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ، وَمَا أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ —٣— . قُلْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ
وَكَفَرْتُمْ بِهِ ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ، فَآمَنَ
وَاسْتَكْبَرْتُمْ ، إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ —٤— . وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا : لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ،
وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ : هٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ —٥— . وَمِنْ قَبْلِهِ
كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ، وَهٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا ،
لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ، وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ —٦— . إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا :

رَبُّنَا اللهُ ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ —٧— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات	وإذا تقرأ عليهم أدلتنا واضحات فى القرآن .
لما جاءهم	ساعة مجيئه لهم من غير تفكير .
هذا سحر مبين	هذا القرآن سحر بيِّن ، يخدع من يسمعه أو يقرؤه ، كما يخدع السحر المسحور .
افتراه	اختلقه .
فلا تملكون لى من الله شيئاً	فلا تدفعون عنى عقاب الله إن وقع بى .
هو أعلم بما تفيضون فيه	الله أعلم بما تندفعون فيه من التكذيب ، وتخوضون فيه من وصف القرآن بالسحر والكهانة وغير ذلك .
وهو الغفور الرحيم	والله كثير الغفران والرحمة للتائبين .
ما كنت بدعاً من الرسل	ما كنت أول رسول أرسله الله لدعوة الناس إلى التوحيد ، وما كنت مبتدعاً شريعة .
وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم	ولست أعرف المخبَّأ لى ، ولا المخبأ لكم فى مستقبل الأيام ، ولكن الله هو الذى يعرف هذا .

الألفاظ	شرحها
وشهد شاهد من بنى إسرائيل	وشهد عبد الله بن سلاَم .
على مثله	على مثل ما فى القرآن من الدعوة إلى التوحيد ، وهو ما جئتكم به .
هذا إفك قديم	هذا القرآن كذب وأساطير قديمة .
كتاب موسى	التوراة .
إماماً	قدوة يؤتم به ، كما يؤتم بالإمام .
وهذا كتاب مصدق	وهذا القرآن كتاب مصدق لما سبقه من الكتب السماوية .
لينذر الذين ظلموا	ليهدد الكافرين ويتوعدهم .
وبشرى للمحسنين	ويبشر المؤمنين ويطمئنهم .
ثم استقاموا	ثم استمروا على توحيدهم وتدينهم .

مجمل المعنى

١ — هؤلاء الكافرون المشركون من قريش ، حينما يقرأ عليهم القرآن مبينة فيه الأدلة الواضحة على أن الله واحد لا شريك له ، يقولون بمجرد سماعها من غير تفكير ولا تدبر : هذا سحر ساحر ماهر ، جاء به محمد ليخدعنا ويصرفنا عن عبادة الأصنام .

٢ — ولا يكتفون بأن يصفوا القرآن بأنه سحر ساحر ، بل يقولون : إن محمداً صنع هذا القرآن ، ونسبه إلى الله كذباً وبهتاناً ؛ ويأمر الله محمداً أن يقول

لهم : إن كنت صانعه من عندى ونسبته إلى الله ، فإن الله لا بد مؤاخذى على ذلك ، وإذ ذاك لا تغنون عنى من عذاب الله شيئاً ، ولا تدفعون عنى عقابه ؛ فليس معقولا أن أختلق على الله ما ليس لله ، والله هو الذى يعلم مبادرتكم إلى تكذيبى ، ومبادهتكم إياى بالإنكار ؛ وحسبى أنه يعلم ما أعمل ، ويعلم ما تعملون ، وهو الذى يشهد لى بالصدق ، ويعلم ما تخوضون فيه من تكذيبى ، ومع ذلك فإن الله يقبل توبة التائبين ، ويرحمهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ؛ فإن تبتم وأنبتم وآمنتم غفر لكم ورحمكم .

٣ — يأمر الله نبيه أن يقول لمشركى مكة : لست أول رسول أرسل إلى قومه ، فقد أرسل قبلى كثير من الرسل إلى أقوامهم ، ولست إلا واحداً منهم ، ولست مبتدعاً أتقوّل على الله ، وأنا إذ أبلغكم الآن ما أمرنى الله أن أبلغكم إياه ، لا أدرى ما يجرى علىّ ولا ما يجرى عليكم غداً ، وعلم ذلك كله عند الله الذى لا يعلم الغيب إلا هو ، وكل ما أعلمه أن الله يوحى إلىّ ، وأتبع ما أوَمرُ به ، وأنا أنذركم وأخوفكم المصير الذى تصيرون إليه إن بقيتم على كفركم ، ومهمتى تنتهى عند تنفيذ ما يأمر الله به .

شاهد بنى إسرائيل

لما أراد عبد الله بن سلام أن يسلم قال : يا رسول الله ، قد علمت اليهود أنى من علمائهم ، وأن أبى كان من علمائهم ؛ وإنى أشهد أنك رسول الله ، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم فى التوراة ، فأرسل إلى فلان وفلان ، ومن سماه من اليهود ، وأخبئنى فى بيتك ، وسلهم عنى وعن أبى ، فإنهم سيحدثونك أنى أعلمهم ، وأن أبى من أعلمهم ؛ وإنى سأخرج إليهم ، فأشهد أنك رسول الله ، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم فى التوراة ، وأنك بعثت بالهدى ودين الحق ،

ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فخبأه فى بيته ، وأرسل إلى اليهود فدخلوا عليه ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيتم إن أسلم تسلموا ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك ، فدعاه النبى فخرج ، ثم قال : أشهد أنك رسول الله ، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم فى التوراة ، وأنك تبعث بالهدى ودين الحق ، فقالت اليهود : إنه شرّنا وابن شرنا ، وأخذوا يتنقصونه ، وخرجوا كفاراً ، فأنزل الله فى ذلك : « قل أرأيتم إن كان من عند الله . . . » إلى آخر الآية ؛ وقد ذكرنا أن هذه الآية نزلت بالمدينة .

٤ — يأمر الله محمداً أن يقول : إن القرآن إذا ثبت عندكم أنه من عند الله ، ثم كفرتم به بعد هذا ، فأنتم ظالمون لأنفسكم ، وهذا شاهد بنى إسرائيل يشهد أنه من عند الله ، وأن ذكره جاء فى التوراة ، وهو يؤمن به ؛ ويستكبر غيره من اليهود ولا يؤمنون ؛ هؤلاء الذين لم يؤمنوا ظلموا أنفسهم ، فلا يوفقهم الله للطريق المستقيم .

٥ — الذين كفروا يقولون للمؤمنين : لو أن ما جاء فى القرآن ، وما جاء به محمد من الدعوة إلى الإسلام — فيه خير — لكنا أسبق إلى التصديق والإيمان من الذين أسرعوا وأسلموا ، وحيث إنهم لم يهتدوا بما جاء به محمد ، ولم يشرح الله صدرهم للإسلام — فسيقولون : ليس هذا القرآن إلا أساطير قديمة كتبها المتقدمون ، وليس من عند الله كما يزعم محمد ، ولم يعجبهم أن تسلم قبيلة غِفار التى منها أبو ذَرّ الغفارى ، ولم يعجبهم أن تسلم زِنّيرة الجارية الرومية ، وكانت بعد إسلامها أصيب بصرها ، فقالوا لها : أصابك اللات والعُزّى ، فرد الله عليها بصرها ، وقالوا : لو كان خيراً ما سبقتنا إليه

زنيرة؛ ولم يُعجب بنى عامر وَغطفان وتميم وأسد وحنظلة وأشجع، أن تسلم غفار وأسلم وجهينة وُخزاعة ومُزَينة، وسموهم رعاة البُهم، ولم يعجب اليهود أن يسلم عبد الله بن سلام، ولم يعجب مشركى قريش أن يسبقهم إلى الإسلام بلال وصُهَيب وعمار وأمثالهم من عامة الشعب وَعبيده؛ فرأى هؤلاء جميعاً أنه لو كان الإسلام خيراً ما سبقهم إليه هؤلاء الذين هم أقل منهم منزلة .

٦ — ومن قبل هذا القرآن توراة موسى ، نزلت عليه إماماً لبنى إسرائيل يأتمون بها ، ورحمة لهم خصهم الله بها ، وجاء القرآن بعد التوراة ، ونزل بلسان عربى مبين ، مصدقاً لما جاء فى توراة موسى من أن محمداً رسول الله ، وهذا الكتاب ينذر الذين ظلموا أنفسهم بالاستمرار على الكفر والإشراك بالله ، ويبشر المؤمنين الذين آمنوا بمحمد وبما جاء به .

٧ — يؤكد الله سبحانه وتعالى أن الذين يؤمنون به ، ويوحدونه ، ويظلون باقين على إيمانهم وتوحيدهم — لا يخافون عقاب الله فى الآخرة ، لأنهم أمنوا أنه لا عقاب لهم ؛ ولا يحزنون على شىء فاتهم فى الدنيا ، لأنهم سيلقون ما هو خير منه ، وهؤلاء يخلدون يوم القيامة فى الجنة جزاء لهم على إيمانهم ، وعلى تمسكهم بهذا الإيمان ، واستمرارهم عليه .

(٣)

من الآية ١٥ إلى الآية ٢٠ من سورة الأحقاف

وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ، وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا ، وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ
وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قَالَ : رَبِّ ، أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ
الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ، وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ، وَأَصْلِحْ
لِي فِي ذُرِّيَّتِي ، إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ، وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ -١- .
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ، وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ
فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ، وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ -٢- .
وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ : أُفٍّ لَكُمَا ، أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ
خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ؟ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ : وَيْلَكَ ! آمِنْ ،
إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، فَيَقُولُ : مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ -٣- .
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ -٤- . وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ
مِمَّا عَمِلُوا ، وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ -٥- . وَيَوْمَ

يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ، أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ، فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ —٦— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حملته أمه كرهاً	حملته أمه حملا ذا كُره ، لما فيه من مشقة وجهد .
وفصاله	وفطامه .
بلغ أشده	استوى ونضج ، فاستحكمت قوته ، وحصف عقله .
أوزعنى	ألهمنى وهيئنى ووفقنى .
وأصلح لى فى ذريتى	واجعل ذريتى صالحة فى صلتهم بربهم ووالديهم والناس جميعاً .
وإنى من المسلمين	وإنى من الخاضعين لك بالطاعة .
ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة	ونصفح عن سيئات أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، كما نصفح عن أصحاب الجنة .
وعد الصدق الذى كانوا يوعدون	وعد الله المؤمنين أن يقبل إحسانهم ، ويغفر إساءتهم وعداً صادقاً فى الدنيا على ألسنة الرسل ، ولا بد من الوفاء به .
أف لكما	التأفف : صوت يعمله الإنسان لإظهار أشد الضيق والضجر والألم .

الألفاظ	شرحها
أن أخرج	أن أبعث بعد موتى ، وأخرج من قبرى بعد فنائى .
وقد خلت القرون من قبلى	وقد مضت أمم كثيرة قبلى ، ولم يبعث أحد منها .
وهما يستغيثان بالله	وهما يستعيذان بالله من كفره ، ويستصرخانه عليه ، ويدعوان له بالهداية .
ويلك	ويلك : كلمة يقولها أبواه له تعجباً من سوء موقفه منهما ، فكأنهما يقولان له : شرًّا لك ، وبعداً لك ، وهذا أسلوب يستعمله الناس ، ويستعملون أمثاله كثيراً فى الحديث .
آمن	استجب لما ندعوك له .
ما هذا إلا أساطير الأولين	ليس الذى يقوله له والداه إلا أحاديث وخرافات كتبها السابقون .
حق عليهم القول	وجب عليهم العذاب .
فى أمم قد خلت	مع أمم قد سبقت ولم تؤمن ، ومات أهلها على الكفر .
ولكل درجات	ولكل واحد من المؤمنين والكافرين ، ومن الإنس والجن ، منزلة خاصة عند الله يوم القيامة ، يحددها عمله فى الدنيا .
وليوفيهم أعمالهم	وليعطيهم أجور أعمالهم التى عملوها .
وهم لا يظلمون	وكلٌّ يلقى جزاءه حسب عمله : إساءة أو إحساناً .
ويوم يعرض الذين كفروا على النار	ويوم يقرَّب الكافرون من النار ، وينظرون إليها .
أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا	استنفدتم فى الدنيا ألوان التمتع حلاله وحرامه ، فلم تتركوا للآخرة شيئاً .

الألفاظ	شرحها
عذاب الهون	عذاب الخزى والفضيحة والإذلال .
بما كنتم تستكبرون	بسبب استكباركم واستعظامكم على الله ، وعلى عباد الله .
وبما كنتم تفسقون	وبسبب عصيانكم وتمردكم ، وخروجكم عن الطاعة .

مجمل المعنى

١ — يأمر الله — سبحانه وتعالى — الولد أن يَبَرّ أباه ، وأن يبر أمه ، وأن يحسن إليهما بالطاعة فى غير معصية الله ، وبالاحترام ، والإنفاق عليهما ، وإعانتهما على أعباء الحياة ، ومواساتهما فى الشدة ، وقضاء كل ما يحتاجان إليه ، ما دام قادراً عليه ؛ فالأم هى التى تحملت المشقات فى حمله ، وفى وضعه ، وفى إرضاعه ؛ والأب هو الذى يكد ويسعى ليحصل على الرزق ، لينفق عليه وعلى أمه ؛ وهما اللذان حاطاه بعنايتهما ورعايتهما ، وكفلاه ورbياه حتى صار رجلا ؛ وكم سهرا بجانبه الليالى حين مرضه ، وكم حرما أنفسهما ليعطياه ، وكم فضلاه وقدما له طيب الطعام ، وجديد الثياب ، وكم تعرضا للبرد وأدفآه ، . . . وكم ، وكم ، مما لا يمكن حصره ؛ فلا أقل من أن يبرهما فى حدود ما أمر الله ؛ ووصى الله الولد بوالديه ، لأن العقوق أقرب إلى قلبه من الإحسان ، ولم يوص الوالدين بولدهما ، اكتفاء بما ركب فى قلبهما من عاطفة الحنان نحو الابن ، فإنها عاطفة متدفقة لا يعوقها عقوق ، ولا يحد منها كفران ، وتدل الآية على أن فضل الأم أعظم ، (تراجع الفقرة السابعة من الصفحة ١٠٥ من تفسير الجزء العشرين ،

والفقرتين الثانية والثالثة من الصفحتين ٧٢ و ٧٣ من تفسير الجزء الحادى والعشرين)، والولد البرّ إذا نضج عقله ، واستوى جسمه ، وتكامل فى سن الأربعين ، حين يكون له فى الغالب ذرية ، يذكره عطفه وحنوه عليها ، عطف والديه وحنوهما عليه ، فيسأل الله أن يلهمه الشكر على ما أنعم عليه من الهداية والتوفيق ، وعلى ما أنعم عليه من غرس عاطفة الحنان فى قلب أبويه ، حتى تحملا فى سبيله كل ما تحملا من المشاق ؛ ويسأله كذلك أن يوفقه إلى عمل صالح يرضى الله عنه ، ويثيبه عليه ؛ وأن يجعل من صُلْبه ذرية صالحة تَقر بها عينه ، كما أقر هو عين والديه ، ويجعلهم له خلف صدق ، كما كان هو لوالديه خلف صدق ، وهو إذ يسأل الله هذا ، يؤكد له أنه تائب من كل ذنب فرط منه ، كما يؤكد إخلاصه له ، وطاعته وتوحيده .

٢ — هؤلاء الذين يبرون آباءهم ، ويدعون الله لهم — هم الذين يقبل الله منهم الحسنات التى عملوها ، ويغفر لهم ما عسى أن يكون وقع منهم من سيئات تابوا عنها ، ويكونون فى الجنة مع من يتجاوز الله لهم عن سيئاتهم ، وهذا هو وعد الله الحق الذى وعدهم إياه فى الدنيا ، والله إذا وعد وفّى .

٣ — وصّى الله الإنسان بوالديه ، ووعد من يبر والديه الجنة ؛ وهذا هو الفريق الصالح من الأبناء ؛ والفريق الثانى هو الذى يعقُّهما ، ولا يبرهما ، ولا يستمع لنصيحتهما ، ويظهر الألم والضجر مما يقدمان له من النصائح ، ويعجب من أنهما يدعوانه إلى الإيمان ، ويتوعدانه بسوء المصير إن لم يؤمن ، وينكر أنه يبعث يوم القيامة ، ويحاسب على ما عمل فى الدنيا ، ويستشهد على ذلك بأن الأمم السابقة كثيرة ، قد تطاولت فى القدم ، ولم يجر عليها

بعث ولا حساب ، يسمع منه والداه ذلك فيتحسران على ضلال ابنهما ، ويتألمان له، ويلجأان إلى الله يدعوانه أن يهديه ، ويعيدان عليه الأمر بالإيمان ، ويؤكدان له أن وعد الله حق ، وأنه واقع من غير شك ، فلا يزيده ذلك إلا نفوراً واستكباراً ، ويقول لهما : إن هذا الذى تدعواننى إليه ليس إلا خرافات السابقين وصلت إليكم ، فآمنتم بها ، ودعوتم إليها ؛ قيل : إن هذه الآية نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل إسلامه ، فقال لأبويه — وكانا قد أسلما، وأبى هو أن يسلم — فكانا يدعوانه إلى الإسلام فيرد عليهما ويكذبهما ، وقيل : نزلت فى غيره .

٤ — هذا الصنف العاق من الناس، هو الذى وجب عليه عذاب الله فى جهنم يوم القيامة ، مع من سبقه من الأمم السابقة التى لم تهتد ، وكفرت بالله ، سواء أكانت هذه الأمم إنساً أم جنًّا ، فإنهم قد ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وخسروا الجنة فى الآخرة .

٥ — للمؤمنين من الجن والإنس الجنة ، وهم عند الله درجات ، وللكافرين من الجن والإنس النار ، وهم عند الله درجات : كل بحسب عمله ، ينال جزاءه بمقداره : المسىء على قدر إساءته ، والمحسن على قدر إحسانه ، وإن زاد الله للمحسن جزاء إحسانه ، فهذا فضل منه ، ولكنه لا ينقص منه شيئاً .

٦ — فى الآخرة يقرَّب الكافرون من النار ، ويعرضون عليها ، فتنخلع قلوبهم ، فيقال لهم : أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ، واستنفدتم فيها ألوان التمتع : حرامه وحلاله ، فلم تتركوا للآخرة شيئاً ، وأفنيتم شبابكم فى المعاصى ، واستهلكتم قوتكم فيما يغضب الله ، ولأنكم لم تدخروا للآخرة شيئاً ، فإنكم تجزون بما فعلتم عذاباً فيه إذلال لكم ، وإهانة وتحقير ، وفيه خزى وفضيحة ، فقد استكبرتم ولا حقَّ لكم فى الاستكبار ، وتعاظمتم على الله فلم تؤمنوا به ، وتعاليتم على عباد الله فاستحقرتموهم ، وعصيتم وتمردتم ، وخرجتم عن طاعة الله .

(٤)

من الآية ٢١ إلى الآية ٢٨ من سورة الأحقاف

وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ، وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ : أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ ، إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ –١– . قَالُوا : أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ
آلِهَتِنَا ؟ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ –٢– . قَالَ :
إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ، وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ، وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ
قَوْماً تَجْهَلُونَ –٣– . فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ، قَالُوا :
هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ، بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ، رِيحٌ فِيهَا
عَذَابٌ أَلِيمٌ –٤– . تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ، فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى
إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ، كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ –٥– . وَلَقَدْ
مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً
وَأَفْئِدَةً ، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ
مِنْ شَيْءٍ ، إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ ، وَحَاقَ بِهِمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ –٦– . وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ
الْقُرَى ، وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ –٧– . فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ

الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ! ! بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ، وَذٰلِكَ إِفْكُهُمْ ، وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ -٨- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
واذكر أخا عاد	واذكر هوداً النبى المرسل إلى قبيلة عاد ، وهو أخوهم نسباً .
بالأحقاف	بديارهم التى كانوا يسكنونها ، وتسمى الأحقاف ، وهى بلاد واقعة جنوبى جزيرة العرب .
وقد خلت النذر	وقد مضت الرسل الذين ينذرون أقوامهم .
من بين يديه	من قبله .
ومن خلفه	ومن بعده .
لتأفكنا عن آلهتنا	لتصرفنا عن آلهتنا ، وتمنعنا من عبادتها .
فأتنا بما تعدنا	فعجل لنا العذاب الذى تهددنا به .
إنما العلم عند الله	إنما الذى يعلم وقت نزول العذاب عليكم هو الله .
أراكم قوماً تجهلون	أراكم جاهلين لسببين : الأول : استعجالكم العذاب ولست أملكه ؛ والثانى : عدم معرفتكم عمل الرسل .
فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم	فلما رأوا السحاب معترضاً الأفق ، متجهاً نحو أرضهم .
هذا عارض ممطرنا	هذا سحاب يمطر وادينا .

شرحها	الألفاظ
بل هذا الذى ترونه ليس سحاباً كما ظننتم ، وإنما هو العذاب الذى استعجلتموه .	بل هو ما استعجلتم به
تهلك بإذن الله كل ما تمر به من رجال ونساء ، وحيوان ومال وزروع .	تدمر كل شىء بأمر ربها
هلكوا جميعاً ، ولم يبق إلا أطلال ديارهم أثراً للعظة والاعتبار .	لا يرى إلا مساكنهم
بمثل هذا العقاب نعاقب الكافرين الذين لا يؤمنون .	كذلك نجزى القوم المجرمين
مكنا قوم هود فى الذى لم نمكنكم فى مثله ، فهم أكثر منكم ، وأشد قوة وآثاراً فى الأرض ، وإن هنا : نافية ، بمعنى ما .	مكناهم فيما إن مكناكم فيه
وخلقنا لهم وسائل الإدراك والمعرفة .	وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة
فما أفادهم ، وما دفع عنهم .	فما أغنى عنهم
إذ كانوا ينكرون آيات الله ويكفرون بها .	إذ كانوا يجحدون بآيات الله
وأحاط بهم عذاب الله بسبب استهزائهم بنبيه ، وعدم إيمانهم به .	وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون
أهلكنا البلاد المجاورة لكم ، كقوم ثمود وقوم لوط ، بسبب تكذيبهم .	أهلكنا ما حولكم من القرى
وأقمنا عليهم الحجج ، ونوّعناها .	وصرّفنا الآيات

الألفاظ	شرحها
فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة	فهلا دفع عنهم العذاب آلهتهم التى عبدوها ، وظنوا أنها تشفع لهم عند الله .
بل ضلوا عنهم	بل غابوا عنهم فلم ينصروهم .
وذلك افكهم	وامتناع آلهتهم عن نصرتهم ، أثر إفكهم ، وثمرة شركهم ، وانصرافهم عن الحق ، وافتراؤهم الكذب على الله

قصة هود

سبق الحديث عن هود مع قومه عاد ، فى أكثر من موضع من الأجزاء السابقة ، ولذلك نكتفى هنا بشرح النص .

مجمل المعنى

١ — واذكر يا محمد هوداً رسول قبيلة عاد ، وتأس بما جرى له مع قومه ، واذكر كذلك حديث قومه لمشركى مكة ، لعله أن يكون لهم فيه عبرة ، فإنه أرسل إلى قومه فى بلادهم بالأحقاف ، ودعاهم إلى الإيمان بالله ، وإفراده دون غيره بالعبادة ، وحذرهم غضب الله عليهم ، وإنزال عقابه بهم ؛ واستمر يدعوهم إلى ما يدعو إليه الرسل الذين سبقوه ، والذين جاءوا من بعده ؛ وتقدير الآية : واذكر هوداً يا محمد ، إذ أنذر قومه : ألا تعبدوا إلا الله ، ، إنى أخاف عليكم عذابه فى الآخرة ، وقد مضت الرسل قبل هود وبعده ، وفعلوا كما فعل .

٢ — استعجب هؤلاء الناس من دعوة هود إياهم إلى الإيمان والتوحيد ، وقالوا له : أجئتنا لتصرفنا عن آلهتنا ، وتمنعنا من عبادتها ؟ إن كنت صادقاً فيما تتوعدنا به من العذاب ، فعجل لنا به .

٣ — قال هود لهم : ليس من شأنى أن أقترح على الله ، أو أن أستعجله ، فهو وحده الذى يعرف الوقت الذى يعذبكم فيه ، وعملى أنا — باعتبارى رسولا — لا يتجاوز أن أبلغكم الرسالة التى أمرنى الله أن أبلغها ، فاستعجالكم العذاب ليس إلا جهلا منكم .

٤ — أصيب هؤلاء القوم بقحط بعض الوقت ، لإنقطاع المطر عنهم ، ثم رأوا سحاباً يعترض الأفق مقبلا عليهم ، ففرحوا ، وظنوا أن هذا سحاب ممطر سيجيئهم بالماء ، ويطفىء غُلتهم ، ويُرْوِى زرعهم ، ولكن الله خيب ظنهم ، فإن هذا الذى رأوه سحاباً ليس إلا ريحاً تحمل العذاب الأليم الذى استعجلوه .

٥ — هبت هذه الريح عليهم فأهلكتهم ، ولم تترك شيئاً سليما : لا إنساناً ولا حيواناً ولا نباتاً ؛ وقد قيل : إن هذه الريح كانت تحمل الرجال والمواشى كما تحمل الريشة ، فتطير بين السماء والأرض ؛ والذين اعتصموا ببيوتهم ، وأغلقوا عليهم الأبواب ، اقتلعت الريح هذه الأبواب ، وهالت الرمال عليهم حتى ردمتهم ، ولم يسلم من هذا العذاب إلا هود ومن آمن به ، وإلا أطلال بيوتهم ، لتكون عبرة لمن بعدهم ؛ وهكذا يعذب الله الكافرين الذين لا يؤمنون به .

٦ — يؤكد الله لقريش أنه مكن لقوم هود فى الأرض أكثر مما مكن لهم ، من حيث القوةُ الجسمية ، ومن حيث العلم والمعرفة ، ومع ذلك فإن الله

حينما أراد أن يعذبهم، لم يفدهم ذلك كله شيئاً ، فكفرهم بالله وآياته، كان سبباً فى أن عذابه نزل بهم ، وأحاط بهم ما سخروا منه ، وذاقوا وبال أمرهم ؛ ودلالة « إنْ » هنا على النفى أظهر ، ليناسب قوله تعالى فى سورة فاطر : « أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ، وكانوا أشد منهم قوة » ، (راجع الصفحة ١٣٠ من تفسير الجزء الثانى والعشرين) .

٧ — ولم يضرب الله لمشركى قريش المثل بقبيلة عاد فقط ، بل وجه نظرهم إلى البلاد التى حولهم، القريبة منهم ، كحِجر ثمود ، وقُرى لوط ؛ وذكّرهم أخبار أهلها ، مع أنهم كانوا يعرفونها ، وكانوا يمرون على هذه الديار فى رحلاتهم التجارية وغيرها ، ومع ذلك لم يتعظوا بما جرى لأهلها ، ولم ينتفعوا ويتأثروا بالآيات الكثيرة التى وردت فى القرآن العظيم ، وبما فيها من وعد ووعيد ، وإغراء وتهديد، وقصص وأمثال ، وغير ذلك ؛ ولو أنهم وطّنوا أنفسهم على التأمل فيها ، لكان هناك رجاء فى إقلاعهم عن غيهم ، وخروجهم من كفرهم إلى الإيمان بالله ، وتوحيده .

٨ — وهذه الآلهة التى يعبدونها من دون الله ، هلا تنصرهم ، وتأخذ بيدهم ، وتنجيهم من العذاب الأليم ! لن يكون هذا ، فإنهم ضلوا عنهم ، وعجزوا عن نصرهم، لأنها جمادات لا تفقه شيئاً مما حدث لعابديها، والعذاب الذى يقعون فيه جلبه عليهم إفكهم ، وكذبهم ، وافتراؤهم ، وادعاؤهم أن لله شريكاً .

(٥)

من الآية ٢٩ من سورة الأحقاف إلى آخر السورة

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ ، فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوا : أَنْصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ —١— .
قَالُوا : يَا قَوْمَنَا ، إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ، مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ —٢— .
يَا قَوْمَنَا ، أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ
ذُنُوبِكُمْ ، وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ —٣— . وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ
ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ،
أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ —٤— . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ
السَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ، بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ
ٱلْمَوْتَى ؟ بَلَى ! إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ —٥— . وَيَوْمَ يُعْرَضُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ، أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا : بَلَى
وَرَبِّنَا ! قَالَ : فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ —٦— .
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ، وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ،

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، بَلَاغٌ ، فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَاسِقُونَ ؟ -٧- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وإذ صرفنا إليك	واذكر إذ وجهنا إليك وأملـنا .
نفراً من الجن	جماعة من الجن ، والنفر : دون العشرة .
فلما حضروه قالوا : أنصتوا	فلما حضروا قراءة القرآن ، قال بعضهم لبعض : اسكتوا ، ليتمكنوا من السماع .
فلما قضى	فلما فرغ النبي من القراءة .
ولّوْا إلى قومهم منذرين	انصرفوا عائدين إلى أهلهم من الجن ، يخوفونهم أن يخالفوا القرآن ، ويدعونهم إلى الإيمان بمحمد .
كتاباً	هو القرآن .
لما بين يديه	لما قبله من الكتب .
إلى الحق	إلى دين الحق ، وإلى الله .
أجيبوا داعى الله	أجيبوا محمداً .
ويُجركم من عذاب أليم	ويحفظكم من عذاب شديد .
فليس بمعجز فى الأرض	فليس بمفلت من عذاب الله .
وليس له من دونه أولياء	وليس له من غير الله نصراء يحمونه من ذلك العذاب .
أولئك فى ضلال مبين	الذين لا يؤمنون فى ضلال واضح .
أوَلم يروا	أوَلم يعلموا ؟

الألفاظ	شرحها
ولم يَعيَ بخلقهن	ولم يعجز عن خلقهن .
بلى	جواب يفيد تقرير القدرة على البعث .
بما كنتم تكفرون	بسبب كفركم .
أولو العزم من الرسل	ذوو الحزم والصبر والثبات والجد ، والمراد : اصبر كما صبر مَن قبلك من الرسل .
ولا تستعجل لهم	ولا تستعجل العذاب لهم ، ولا تدعُ عليهم بسرعة وقوعه .
لم يلبثوا إلا ساعة من نهار	لم يقيموا فى الدنيا إلا وقتاً قصيراً ، كأنه بعض يوم .
بلاغ	هذا القرآن بلاغ ، وفيه ما يكفى لموعظة من يتعظ .

مجمل المعنى

١ — إن مشركى قريش قوم ملأهم الكبر والغرور ، فلم يعرفوا قدر رسالتك ، فأنت رسول إلى الناس كافة ؛ وقد استمع جماعة من الجن إليك ، وهيأناهم للاستماع وأنت تتلو القرآن — وكانوا تسعة — فاستعجبوا لما سمعوا ، وأمر بعضهم بعضاً أن ينصتوا ، فلما انتهى النبى — صلى الله عليه وسلم — من التلاوة ، تأثروا بما سمعوا ، وعرفوا أن محمداً نبى ، فآمنوا به ، وعادوا إلى قومهم ، ووقفوهم على ما سمعوا ، وعلى ما آمنوا ، ودعوهم إلى الإيمان ، وحذروهم وأنذروهم ؛ ونظير هذا ما جاء فى الصفحة ٨٠ وما بعدها من تفسير جزء تبارك ، الطبعة الأولى ، لواضعى هذا التفسير .

٢ — قالوا لقومهم : يا قومنا ، إنا سمعنا كتاباً ، هذا الكتاب أنزل بعد توراة

موسى ، — ولعلهم كانوا يهوداً ، أو لم يسمعوا بعيسى — وهذا الكتاب فيه مثل ما فى الكتب المنزلة التى سبقته ، من حيث الدعوةُ إلى الإيمان والتوحيد ، ومن حيث ما فيه من المبادئ التى تكفل للخلق سعادة الدنيا والآخرة ، فهو يهدى إلى الله ، ويهدى إلى الدين القويم .

٣ — لذلك ندعوكم إلى الإيمان بهذا النبى الذي يدعو إلى الله ، يغفر لكم الله ذنوبكم ، ويحفظكم من عذاب أليم موجع ، تذوقونه إذا لم تؤمنوا .

٤ — ثم قال الجنىّ : والذي لا يستجيب لداعى الإيمان ولا يؤمن به ، فإنه لا يجد له من العذاب مهرباً ، ولا يستطيع أن يُفلت من عذاب الله ، ولا يجد أحداً ينصره ، ويأخذ بيده ، ويدفع عنه العذاب ، فلا هو ناج بنفسه ، ولا هو ناج بغيره ؛ والذين يمتنعون عن الإيمان ، ولا يجيبون الداعى إلى سواء السبيل ، هم فى ضلال بيّن واضح ، لأنهم أعرضوا عن الاستجابة لمن يدعو إلى الحق .

٥ — هؤلاء الذين ينصرفون عن الإيمان ، لو أنهم فكروا قليلا ، لعرفوا أن الذى قدر على خلق السموات والأرض ، ولم يعجزه أن ينشئهن إنشاء ، وأن يبتدعهن على غير مثال — لعرفوا أنه لا يعجز عن إحياء الموتى يوم القيامة ؛ ومفهوم العقل أن الإنشاء من غير شيء أعسر وأشق من إحياء شيء موجود ، فهو قادر على كل شيء : إنشاء أو إعادة ، وتغييراً أو تبديلا ، ونحو ذلك .

٦ — وحين يقرّب الكافرون الذين ماتوا على كفرهم من نار جهنم ، ويرون أنفسهم على حافتها ، يقال لهم على سبيل التبكيت والسخرية : أليس هذا هو العذاب الذى كنتم تخوّفونه فى الدنيا فتسخروا منه؟ فيجيبون إذ ذاك ، مقررين أنه هو ، ويؤكدون كلامهم بالقسم بالله الذى كانوا ينكرونه فى الدنيا ، فيقال لهم فى شماتة : ذوقوا الآن عذاب النار بسبب كفركم وإنكاركم .

٧ — يقول الله تعالى لنبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — : اصبر كما صبر من سبقك من الأنبياء ذوى الثبات والحزم، والجد والصبر ؛ فنوح صبر على أذى قومه الذين كانوا يضربونه حتى يُغشى عليه ، وإبراهيم صبر على النار وذبح ولده ، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ، وأيوب صبر على ما مسه من الضر ، ولا تجزع فى مواطن الشدة والكرب ، فكل غمة إلى زوال ، وكل كرب إلى فرج ، ولا تستعجل لقومك العذاب ، فهو لا بد آتيهم ، وأقصى أجله معهم يوم القيامة ، وحينما يقع عليهم العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة ، يخيَّل إليهم أنهم لم يعيشوا فى نعيم ورخاء إلا وقتاً قصيراً ، كأنه جزء من نهار ، وذلك لأن أوقات السرور والرخاء تمر مهما طالت وكأنها لحظات ، وأن أىّ نوع من أنواع الشدة يُنسى كل ما كان فيه المرء من نعيم أيام الرخاء ، وقد قالوا : إن وخزة شوكة واحدة ، تُنسى رائحة مائة وردة نشمها ؛ فما بالك بعذاب من عند الله ؟ ! وأيًّا كان أمر هؤلاء الكافرين فقد بلغتَ ، وقد أسمعتهم القرآن ، فإما أن يتعظوا ، وإما أن يبقوا على عصيانهم وفسوقهم فيهلكوا .

سورة مُحمّد

نزلت بالمدينة ، ماعدا الآية ١٣ فإنها نزلت فى الطريق فى أثناء الهجرة
وآياتها ٣٨ آية

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ —١— .
وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ — وَهُوَ
ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ — كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ —٢— .
ذٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْبَاطِلَ ، وَأَنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّبَعُوا
ٱلْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَذٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ —٣— .
فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ، حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ
فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ ، فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ، حَتَّى تَضَعَ ٱلْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ، ذٰلِكَ ، وَلَوْ يَشَاءُ ٱللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ، وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَ
بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ، وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَلَنْ يُضِلَّ

أَعْمَالَهُمْ ، سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ، وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وصدوا عن سبيل الله	وأعرضوا عن الإسلام ، وصرفوا غيرهم عن الدخول فيه .
أضل أعمالهم	أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ، ولم يقبل صالح أعمالهم .
بما نُزِّل على محمد	بالقرآن ، وبما جاء به .
وهو الحق من ربهم	وهو الحق الصادر من ربهم .
كفَّر عنهم سيئاتهم	ستر ذنوبهم بصالح أعمالهم ، وغفر لهم .
وأصلح بالهم	وأصلح حالهم وأمورهم فى دنياهم ودينهم .
ذلك بأن . . .	الإضلال والهدى بسبب أن . . .
الباطل	الشيطان الذى دعاهم إلى الكفر والضلال .
الحق	القرآن الذى دعاهم إلى التوحيد والإيمان .
كذلك يضرب الله للناس أمثالهم	مثل الذى ذكر ، يبين الله للناس الأمور ، فيضرب الأمثال ، لأن ذلك أبلغ فى التأثير والاعتبار .
فضرب الرقاب	فاقتلوهم ، وعبّر عن القتل بضرب الرقاب ، لأن القتل يكثر بحز العنق ، ولأن فى هذا التعبير غلظة وشدة .

الألفاظ	شرحها
أثخنتموهم	أكثرتم فيهم القتل .
فشُدُّوا الوَثاق	فأسروهم وشدوا وثاقهم ، حتى لا يُفلتوا منكم ، والوثاق : ما يوثق به الأسير .
فإما مَنًّا بعدُ وإمافداء	فإما أن تمنوا عليهم بعد الأسر بالإطلاق ، وإما أن تقبلوا منهم الفدية
حتى تضع الحرب أوزارها	حتى تنتهى الحرب ، والأوزار : الأحمال ، والآلات التى لا تقوم الحرب إلا بها .
لانْتَصر منهم	لانتقم منهم ، وأهلكهم بدون قتال .
ليبلو بعضكم ببعض	ليختبر المؤمنين بالكافرين ، فيعلم المجاهدين والصابرين ، ويمتحن الكافرين بالمؤمنين ، فيمحق الكافرين .
عرّفها لهم	يعرف كل منهم مرتبته ومُقامه ومكانه من غير دليل يدله عليه ، ويجدونها كما عرفوها فى الدنيا موصوفة فى القرآن .

المطعِمُون ببدر

خرجت قريش لاستخلاص تجارتهم من المسلمين ، بعد أن علموا أن محمداً يعترض طريقها ، وكانوا ينحرون الجزُر ، وكان يتبرع بالإبل لنحرها نفر من قريش ، ثم من بنى هاشم ، منهم : أبو جهل ، وأمية بن خلف ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ؛ وكانوا كلما حطوا فى مكان نحر لهم واحد من جزائره عشراً أو تسعاً ، وأطعمهم ، ولذلك سمى الذين

نحروا إبلهم للذين خرجوا من قريش : « المطعمين » ، ولما شغلتهم الحرب أكلوا من أزوادهم ، ثم تطورت الأحداث التى انتهت بوقعة بدر ، على نحو ما مرّ فى الأجزاء السابقة ، ونزل فى هؤلاء المطعمين قوله تعالى : « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم » .

مجمل المعنى

١ — الكفار الذين يعرضون عن دين الله ، ويعملون على صرف غيرهم عن الإيمان به ، ويحاولون أن يفتنوا مَن آمنوا — لا ينجحون فى محاولاتهم ، ويبطل الله كيدهم للإسلام والمسلمين ، ولا يقبل عملهم ولو كان صالحاً .

٢ — أما الذين يؤمنون بمحمد ، وبما أنزل عليه من قرآن وتشريع وتوحيد — وهو الحق المنزل من عند ربهم — فإن الله يقبل منهم إيمانهم ، ويغفر لهم ماسبق من سيئاتهم ، ويصلح حالهم وأمورهم فى الدنيا .

٣ — سبب إضلال أعمال الكافرين ، وتكفير سيئات المؤمنين وإصلاح بالهم ، هو أن الكافرين اتبعوا الشيطان وأطاعوه ، فكفروا وضلوا ، وأن المؤمنين اتبعوا القرآن ، ودعوة محمد ، فآمنوا بالله ووحدوه ؛ وهكذا يبين الله الأمثال للناس بأحوال الفريقين ، ويوضح لهم الأمور بقياسها على أشباهها ، والموازنة بين حسناتها وسيئاتها ، والتمييز بين المؤمن الذى اتبع الحق ، ، والكافر الذى اتبع الباطل .

٤ — يأمر الله المسلمين أنهم عند ما يلتقى جيشهم وجيش الكافرين ، لا يترددون فى أنهم يهجمون على أعدائهم ويقتلونهم ، حتى إذا أكثروا فيهم القتل وهزموهم ، وانتهت الحرب ، وأسروا منهم ، جاءوا بالأسرى ، وأوثقوا كتافهم

وشددوا فى التحفظ عليهم ومراقبتهم ، حتى لا يفلتوا منهم ، وبعد ذلك للمسلمين الخيار بالنسبة للأسرى : فإما أن يمنوا عليهم بالإطلاق بتبادل الأسرى ، وإما أن يُفادوهم ؛ وفى بعض الحالات يكون القتل أوالاسترقاق ، بحسب ما يرى المحاربون صلاحهم وصلاح دينهم ، فقد قتل النبى صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبى مُعيط والنّضْر بن الحارث صبراً يوم بدر ، وفادى سائر الأسرى بعد هذين يوم بدر ، ومَنّ على سبى هوازن ؛ وإذا لم يقتل ولم يُطلق ولم يُفدِ . فهو الاسترقاق ؛ هذا هو الذى أراده الله ، ولو أنه أراد أن ينتقم من الكافرين بإهلاكهم من غير قتال لفعل ؛ ولكن حكمته السامية ، تقتضى أن يختبر بعض الناس ببعض ، ويبتلى بعضهم ببعض ؛ فالمؤمنون يُبتلون بالكافرين ، ليعلم الله المجاهدين منهم والصابرين ، والكافرون يُبتلون بالمؤمنين ، لمحقهم وإذلالهم ؛ والذين يُستشهدون فى سبيل الله من المؤمنين — كمن قتلوا يوم أحد — يغفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم ، ولا يُضيع عملهم فى الجهاد ، ويهديهم الله إلى الجنة ، ويرفع درجاتهم فيها ، وحين يدخلونها يهتدون إلى أماكنهم ، بحيث يعرف كل واحد منزله ويهتدى إليه ، ويرون الجنة مطابقة لما عرفوا من وصفها فى الدنيا ؛ أو عرّفها : طيّبها من العَرف ، وهو طيب الرائحة .

(٢)

من الآية ٧ إلى الآية ١٤ من سورة محمد

يـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ، إِنْ تَنْصُرُوا ٱللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ
أَقْدَامَكُمْ —١— . وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ ، وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ،
ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ ٱللهُ ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ —٢— .
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ ؟ دَمَّرَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ ، وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ، ذٰلِكَ
بِأَنَّ ٱللهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا ، وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ —٣— .
إِنَّ ٱللهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ، وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
ٱلْأَنْعَامُ ، وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ —٤— . وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ
قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ ، فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ —٥— .
أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ، وَٱتَّبَعُوا
أَهْوَاءَهُمْ ؟ —٦— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إن تنصروا الله ينصركم	إن تنصروا دين الله ينصركم الله على الكافرين .
ويثبت أقدامكم	ويثبت قلوبكم على الإيمان والخير ، فى السلم والحرب ، وعند القتال .
فتعساً لهم	فشقاءً لهم وخيبة .
وأضل أعمالهم	وأبطل أعمالهم : شرها يقع عليهم ، وخيرها لا ينفعهم .
كرهوا ما أنزل الله	كرهوا ما أنزل الله على نبيه من القرآن .
فأحبط أعمالهم	فلا يجدون لما يؤدون من صالحات أثراً ولا نفعاً لهم .
دمّر الله عليهم	أهلكهم واستأصلهم .
وللكافرين أمثالها	وللكافرين من مشركى قريش أمثال ما حدث للسابقين من التدمير المستأصل .
مولى الذين آمنوا	كافل الذين آمنوا وناصرهم .
يتمتعون	يتمتعون فى الدنيا تمتع الحيوانات .
والنار مثوًى لهم	والنار مستقر لهم ، ومُقام يوم القيامة .
وكأيّن من قرية	وكثير من القرى .
التى أخرجتك	التى أخرجك أهلها منها ، وهى مكة .
على بينة من ربه	على ثبات ويقين وتأييد .
كمن زين له سوء عمله	كالذى يرى عمله القبيح حسناً .
واتبعوا أهواءهم	واتبعوا ما سوّل لهم شيطانهم ، ومالت إليه نفوسهم .

مجمل المعنى

١ — يخبر الله الذين آمنوا بالله ورسوله — أنهم إن عملوا على نصرة دين الله : بالجهاد فى سبيله وبنشره بالدعوة إليه ، وبتحمل الأذى من أجله ، وبعدم المبالاة بأعدائه — يؤيدهم الله بالنصر والتوفيق ، وتثبيت قلوبهم على الإيمان والخير فى السلم والحرب ، ثم يحسن لهم الجزاء فى الآخرة .

٢ — والكافرون الذين لا يستجيبون للرسول ، ولا يؤمنون به ، مَقضِيٌّ عليهم بالخيبة والفشل ، وسوء الحال وقبح المآل ، وبأن أعمالهم التى يعملونها إن تكن شرًّا فشرها واقع عليهم ، ولاحق بهم ، وإن تكن خيراً فإنها لا تنفعهم ، فلا ثواب لكافر يبنى مسجداً أو مستشفى أو مدرسة ، ولا فائدة له من صدقته إن تصدق ، وهكذا كل عمل صالح يؤديه لا ثواب له عليه عند الله ، لأن الكفر يمحق كل حسنة ، ويبطل ثواب كل عمل .

٣ — وكان عليهم أن يعتبروا حين يسيرون فى الأرض ، ويرتحلون ، ويمرون ببلاد من سبقوهم ، ويقفون على آثار ديارهم ، وما أصابهم من عذاب بسبب كفرهم ، فإن الله أهلكهم ، واستأصلهم ؛ وهؤلاء إذا أصَرّوا على كفرهم ولم يؤمنوا ، فإن لهم مثل ما لأمثالهم من السابقين من العذاب والاستئصال ، وذلك لأن الله ينصر المؤمنين ، ويأخذ بيدهم ، أما الكافرون فإنهم لا ينصرهم أحد ، ولا يخلصهم من عقاب الله ، وآلهتهم التى عبدوها لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعاً ولا ضرًّا .

الله أعلى وأجل

تحاجز جيش المسلمين وجيش الكافرين بعد وقعة أحد ، وأراد أبو سفيان الانصراف ، ولكنه قبل أن ينصرف أقبل على فرس ، حتى أشرف على المسلمين فى عُرض الجبل وهم فى الشِّعب ، فنادى بأعلى صوته : أفى القوم محمد ؟ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجيبوه » ، حتى قالها ثلاثاً ؛ ثم قال : أفى القوم ابن أبى قحافة — ثلاثاً — ؟ فقال رسول الله : «لاتجيبوه» ، ثم قال : أفى القوم عمر — ثلاثاً ؟ — فقال الرسول : « لاتجيبوه » ، فقال أبو سفيان : أما هؤلاء فقد قتلوا ، فلم يملك عمر أن قال : كذبت ياعدو الله ، أبقى الله لك من يخزيك بهم ، وإن من زعمتهم من قتلاك يسمعون كلامك ، فقال أبو سفيان : « اُعلُ هبَل ، فقال رسول الله : « أجيبوه » ، قالوا : ماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجلّ » ، فقال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عُزّى لكم ؛ فقال رسول الله : « أجيبوه » ، قالوا : ماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : «الله مولانا ولا مولى لكم » ، قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، أما إنكم ستجدون فى القوم مُثلة لم آمر بها ولم تسؤنى ، والأيام دول ، فقال عمر : لا سَواء ، قتلانا فى الجنة أحياء ، عند ربهم يرزقون ، وقتلاكم فى النار يعذبون .

٤ — يؤكد الله — سبحانه وتعالى ، أن الذين يؤمنون به ، ويوحدونه ، ويؤدون الأعمال الصالحة على وجهها الصحيح ، يبتغون بها وجه الله ، بلا رياء ولا ابتغاء شهرة — هؤلاء يدخلهم الله جنات يتمتعون فيها بأرقى أنواع

الترف ، وأجمل ألوان النعيم : ماء وظل وأنهار وأشجار ! أما الكافرون فيتمتعون فى الدنيا كما تتمتع الأنعام ، غافلين عن عواقبهم ، ولا همّ لهم إلا إشباع بطونهم ، ومتاع الدنيا إلى زوال ، ومهما طال فأجله قصير ، ينتهى بانتهاء الأعمار ، ولا يساوى ما يتمتعون به شيئاً بجانب نعيم الآخرة ، من حيث إن نعيم الآخرة خالد ، ومن حيث إن المتعة به أرقى أنواع المتع ، والكافرون الذين آثروا نعيم الدنيا نهايتهم إلى النار التى يخلدون فيها .

٥ — حب الوطن من الإيمان

خرج النبى — صلى الله عليه وسلم — من مكة مهاجراً ، وكان عزيزاً عليه أن يترك وطنه الذى نشأ فيه ، فلما بلغ الغار نظر إلى مكة وقال : اللهم أنتِ أحب البلاد إلى الله ، وأنت أحب البلاد إلىّ ، ولولا المشركون أهلك أخرجونى لما خرجت منك ، فنزل قوله تعالى : « وكأيّن من قرية هى أشد قوة من قريتك .. » إلى آخر الآية ، والمعنى : أن كثيراً من المدن كان أهلها أشد قوة من أهل مكة الذين ضايقوك وآذوك ، وألجئوك إلى الخروج منها لتتم رسالتك ، عذبهم الله وأهلكهم ، فلم ينصرهم منه ناصر ، ولم يدفع عنهم العذاب دافع ، فلا تحزن لخروجك ، ولا تأسَ على عدم إيمانهم ؛ وفى هذا إشارة إلى أن الله سينتقم له منهم .

٦ — والفرق بينك وبين أهل مكة كبير ، فإنك نبى تبشرهم وتنذرهم ، وتقيم لهم الحجج قوية واضحة على صدق ما تدعو إليه ، أما هم فهم مشركون ، زين لهم الشيطان شركهم ، وأغراهم بمعاداتك ، واتبعوا أهواء أنفسهم ، ولم يرجعوا إلى عقولهم ، ولم يفكروا فى مصيرهم ، فأنتما فريقان لا يستويان : فضريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

(٣)

من الآية ١٥ إلى الآية ١٩ من سورة محمد

مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ –١– . وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ : مَاذَا قَالَ آنِفاً ؟ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ، وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ، وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ –٢– . فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ؟ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ، فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ؟ –٣– . فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ، وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ، وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ –٤– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
غير آسن	غير متغير طعماً ولا لوناً ولا رائحة .
لم يتغير طعمه	لم يجر عليه ما يجرى على لبن الدنيا ، فلم يختر ولم يحمَّض بطول المكث .
من عسل مُصفّى	من عسل لم يكدر بأى شائبة مهما صغرت ، كفضلات النمل .
كمن هو خالد فى النار	أفمن يخلد فى هذا النعيم ، كمن هو خالد فى النار؟
ماء حميما	ماء حارًّا ، متناهى الشدة فى الحرارة .
ومنهم	ومن المنافقين .
للذين أوتوا العلم	للذين وعوا حديثك .
ماذا قال آنفاً ؟	ماذا قال الساعة ؟
طبع الله على قلوبهم	ختم الله على قلوبهم ، فلم ينتفعوا بما سمعوا .
واتبعو أهواءهم	واتبعوا ما دعتهم إليه نفوسهم وشياطينهم .
زادهم هدى	زادهم الله هداية وتوفيقاً .
وآتاهم تقواهم	بيَّن لهم سبيل التقوى ، ويسّر لهم أسبابها ، فاتقوا ، فأثابهم عليها .
ينظرون	ينتظرون .
بغتة	فجأة .
أشراطها	علاماتها وأماراتها ، مفردها : شَرطَ ، وهو العلامة .

الألفاظ	شرحها
فأنّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم	فمن أين لهم التذكر والاعتبار والاتعاظ ، إذا فجأتهم الساعة ؟
والله يعلم متقلبكم ومثواكم	والله يعلم تصرفاتكم فى حياتكم ، ومستقركم بعد وفاتكم .

مجمل المعنى

١ — أعلى ما يتصوره الإنسان لنفسه من نعيم ، أن تتوافر له ألوان الترف فى مأكله ومشربه ومسكنه ، فيكون له منزل أنيق فى وسط الحدائق ذات الأشجار المختلفة ، تجرى بينها المياه رقراقة سلسة ؛ وأن يتوافر له من طعامه أنواع الفواكه كلها ، وأن يتوافر له من شرابه ماء صاف ، ولبن طيب ، وعسل رائق ؛ إذا توافر للإنسان هذا كله فى حياته الدنيا ، عدّ نفسه سعيداً ؛ فما بالك إذا كان المنزل تجرى أنهار الماء من تحته ، وإذا كان اللبن الطيب يجرى عنده أنهاراً ، وإذا كانت الخمر اللذيذة التى لا تسكر تجرى عنده أنهاراً ، وإذا كان العسل المصفى يجرى عنده أنهاراً ، وإذا كانت جميع الثمرات فى متناول يده ؟!!! إنها السعادة التى يتخيلها الإنسان مثلا أعلى للسعادة ، إنها السعادة التى صوّرها الله للإنسان فى الجنة فى أسمى صورة يسمو إليها شعوره ، ويمكن أن يدركها حسه ؛ أما حقيقة السعادة فى الجنة ، ووسيلة التمتع فيها ، فهى عند الله ، وحسب الإنسان سعادةً فى الآخرة ، أن تتهيأ له ألوان من الترف والنعيم فوق ما يتصوره إدراكه ، مصحوبة بمغفرة من الله ورضوان ، وأى بَوْن شاسع بين مَن هذه حالته ،

وبين حالة المخلد فى النار ، الذى لا يجد ما يطعمه ، ولا يجد ما يشربه إلا ماء حارا ، متناهياً فى الحرارة ، يشرب به فتتمزق به أمعاؤه ؟ !

٢ — يحضر فى مجلسك أيها الرسول صنفان من الناس : صنف يسمع منك ، ويفهم ويعى ، وهم أصحابك ، والمؤمنون إيماناً صحيحاً ، وصنف يسمع ولا يفهم ولا يعى ، وهم المنافقون ؛ فإذا انصرفوا جميعاً من مجلسك ، سأل المنافقون أولى العلم من أصحاب محمد ، على سبيل الاستهزاء : ماذا كان يقول محمد الآن فى مجلسه ؟ ! لأنهم لم يلتفتوا إليه بالا ، ولم يهتموا بما سمعوا ؛ وهؤلاء المنافقون قلوبهم مغلقة ، فلم يتأثروا بما قاله النبى ، ولم يكن إيمانهم صحيحاً ، ولم يتبعوا إلا أهواءهم ، وما سولته لهم نفوسهم ، وما قادهم إليه شيطانهم ، أما الذين آمنوا بمحمد ، فإنهم يستمعون ويفقهون ، فيزدادون هدى على هداهم ، ويقوى يقينهم بالله ، فيعلمون ويعملون ، ويخشون الله ويتقونه ، فيجزيهم الله أحسن الجزاء على تقواهم .

٣ — والكفار والمنافقون لا ينتظرون إلا أن تفاجئهم القيامة ؛ على أنهم إذا كانوا لا يؤمنون إلا عند قيام الساعة ، فقد ظهرت علاماتها ، وهى بعث محمد الذى تدل الكتب السماوية على أنه خاتم الأنبياء ، فكان ينبغى أن يؤمنوا ، إذ لا مجال للهداية من بعد قيام الساعة ، ولن تنفعهم الذكرى أو يفيدهم الاتعاظ والاعتبار بعد قيام الساعة ، وكيف ينفعهم الإيمان وقد فات حينه ، وانقضى إبانه ؟ وفى هذا إشعار بخطئهم ، وفساد رأيهم بتأخير التذكر ، واستحالة نفع التذكر حينئذ ، ونظير هذا قوله تعالى : « أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول كريم ؟ (تراجع الفقرة الثالثة من الصفحة ٩٤ من تفسير الجزء الخامس والعشرين) .

٤ — يأمر الله محمداً أن يثبت على ما هو عليه من الإيمان الذى يقتضى التوحيد بالله ، والاستغفار مما قد يفرط منه من الذنب ، والله وحده هو الذى يعلم تصرفات الناس فى الحياة ، وتقلباتهم فى معايشهم ، وما يلحقهم من خير وشر ، ويسر وعسر ! ويعلم كذلك مستقرهم فى آخرتهم : جنة أو ناراً ؛ ومن كان هذا شأنه ، فهو حقيق بأن يوحَّد ويُستغفر .

(٤)

من الآية ٢٠ إلى الآية ٣١ من سورة محمد

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا : لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ! فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ، رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ، فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ، فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ، فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ —١— . فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ —٢— . أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ، فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ —٣— . أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ —٤— . إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ، الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ —٥— . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ : سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ، وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ —٦— . فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ؟ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ، فَأَحْبَطَ

أَعْمَالَهُمْ -٧- . أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ ٱللهُ أَضْغَانَهُمْ ؟ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ ، فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ؛ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ، وَٱللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ -٨- . وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ، وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ -٩- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لولا نزلت سورة	هلا نزلت على محمد سورة فيها ذكر الجهاد !
سورة محكمة	سورة ليس بها متشابه يقبل تأويلاً .
وذكر فيها القتال	وفرض فيها الجهاد .
فى قلوبهم مرض	فى قلوبهم نفاق .
نظر المغشى عليه من الموت	نظرا فيه تحديق كتحديق من تصيبه غشية الموت .
فأولى لهم	فقد قاربوا أن ينزل بهم ما يهلكهم ويتلفهم .
طاعة وقول معروف	طاعة وقول معروف أليق بهم ، وأفضل لهم ، وكانوا يصطنعونهما قبل آيات الجهاد .
فإذا عزم الأمر	فإذا جد الجد فى الحرب .
فلو صدقوا الله	فلو ثبتوا على نية الصدق .
لكان خيراً لهم	لكان صدقهم خيراً لهم من المخالفة .
فهل عسيتم إن توليتم	فلعلكم إن أعرضتم عن الإسلام وأحكامه .

الألفاظ	شرحها
وتقطعوا أرحامكم	وتعودوا إلى ما كنتم عليه فى الجاهلية ، من التنابذ وقطع الرحم .
لعنهم الله	طردهم الله من رحمته .
فأصمهم وأعمى أبصارهم	فصرفهم عن الحق ، فكأنهم لم يسمعوا ولم يروا .
أفلا يتدبرون القرآن	أفلا يتفهمون القرآن ، ويتدبرون معانيه ، ويقفون على مراميه ؟
أم على قلوب أقفالها	بل قلوبهم مغلقة فلا تفهمه ، كأن عليها أقفالا تحول دون وصول القرآن إليها .
ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى	ارتدوا عن الإسلام بعد ما ثبت لهم بالدليل القاطع أنه الحق .
الشيطان سول لهم	الشيطان زين لهم خطاياهم .
وأملى لهم	ومد لهم فى الأمانىّ الكاذبة ، والآمال الزائفة .
بأنهم	بأن المنافقين .
قالوا للذين كرهوا ما نزل الله	قالوا للمشركين واليهود .
فى بعض الأمر	فى مخالفة محمد باطنا ، مع موافقته ظاهراً ، وفى الإعانة على معاداته ، وفى القعود عن الجهاد معه ، والفت فى عضد أتباعه .
فكيف إذا توفتهم الملائكة	فكيف يكون حالهم عند ما يجيئهم الموت .
ما أسخط الله	ما أغضب الله عليهم .
وكرهوا رضوانه	وكرهوا ما يجلب رضاه فلم يعملوه ، وهو الإيمان .
فأحبط أعمالهم	فأبطل أثر كل عمل صالح عملوه ، لأنه لا فائدة فيه من غير إيمان .

الألفاظ	شرحها
فى قلوبهم مرض	فى قلوبهم شك ونفاق .
أضغانهم	أحقادهم ، وما تحمله قلوبهم من بغض وكره وحسد .
لأريناكهم	لعرفناك إياهم ، ودللناك عليهم .
بسيماهم	بعلاماتهم التى تميزهم .
فى لحن القول	فى معنى الكلام وأسلوبه .
ولنبلونكم	ولنختبرنكم بالقتال والجهاد .
ونبلو أخباركم	ونقف على أسراركم .

مجمل المعنى

١ — المؤمنون بالله ورسوله يقولون : هلا نزلت سورة من عند الله يأمرنا فيها بالجهاد ، لنقاتل أعداءنا من الكفار ! فإذا أنزلت سورة صريحة فى الأمر بالجهاد لا تقبل تأويلا ، انخلعت قلوب المنافقين ، لأن القتال هو المحكّ الذى يكشف عن نفاقهم ، فإما أن يقاتلوا ويعرّضوا أنفسهم للموت ، وإما أن يتخلفوا وينكشف أمرهم ، ولذلك تراهم حين نزول هذه الآيات الآمرة بالقتال ، ينظرون إلى محمد نظراً كله جبن وهلع ، وغيظ وحنق ، وتحديق واستغراب ، فكأنه نظر المغشى عليه من الموت ، لشدة ما يتملكهم من الخوف والفزع ؛ هؤلاء المنافقون قد قاربوا أن ينزل بهم ما يهلكهم ، لانكشاف سرهم ، فإنهم كانوا إذا ندبوا لأمر من أمور الإسلام غير القتال ، قالوا : سمعاً وطاعة ، وكانوا إذا تحدثوا جاء حديثهم رطباً عذباً ، لا يبيّن

منهم شيئا مما يكنونه فى صدورهم من حقد وموجدة على المسلمين ، فلما جد الجد ، ونزلت آيات القتال — كرهوا القتال ، وشق عليهم ؛ فلو أنهم صدقوا الله فيما طلبوا ، وفيما وعدوا قبل نزول آيات القتال — لكان ذلك خيراً لهم فى دنياهم ، بانضوائهم تحت لواء المسلمين ، وفى آخرتهم بدخول الجنة .

٢ — فلعلكم إن أعرضتم عن الإسلام ، وعما جاء به القرآن ، أن تفسدوا فى الأرض بعصيان الله ، وسفك الدماء ، وقطع الأرحام ، والرجوع إلى ما كنتم عليه فى الجاهلية من فساد وإفساد .

٣ — هؤلاء الذين يفسدون الأرض ، ويقطِّعون الأرحام ، هم الذين يلعنهم الله ، ويطردهم من رحمته ، لأنهم لم يستجيبوا إلى دعوة ، ولم ينتفعوا بموعظة ، فكأن آذانهم لم تسمع ، فهى صماء ، وكأن قلوبهم لم تعقل ، فهى مقفلة ؛ وكأن عيونهم لم تبصر ، فهى عمياء .

٤ — أفلا يفكر هؤلاء المنافقون فى القرآن ، ويتدبرون معانيه وأغراضه ، فلا يقعوا فيما هم فيه من إفساد فى الأرض ، وقطع للرحم ، وانصراف عن الإيمان ؟ إنهم لو تدبروا لوجدوا فيه زاجراً عن معصية الله ، وعاصماً من مخالفة دين الله ، لكن قلوبهم مغلقة فلا تفكر ولا تفهم ، ولا تعقل فلا تعمل ، كأن لها أبواباً أغلقت عليها ، وأحكم الإغلاق بالأقفال ، فلم تصل إليها مواعظ القرآن وغيره .

٥ — إن الذين آمنوا بالله ، ثم ارتدوا عن الإيمان ، وعادوا إلى الكفر ، من بعد أن تبين لهم أنهم كانوا على الحق ، فآثروا الضلال على الهدى ، والكفر على الإيمان ، والغىّ على الرشاد ، وخالفوا ونافقوا ، ولم يعترفوا بما جاء فى كتبهم من وصف محمد — هؤلاء سوّل لهم الشيطان ارتدادهم ، وزين لهم كفرهم ، ومد لهم فى الأمانىّ الكاذبة ، والآمال الزائفة .

٦ — ذلك لأن هؤلاء المرتدين قالوا للذين كرهوا ما أمر الله به من قتال الكافرين : سنطيعكم فى بعض الأمر الذى فيه مخالفة لمحمد ، فنبطن عداوته ، ونظهر مسالمته ، فإذا جد الجد ، ووقعت الحرب ، خذلناه ولم نخرج معه ، فيضعف من معه ؛ والله — سبحانه وتعالى — لا يخفى عليه ما يتآمر به هؤلاء الناس : منافقوهم ومشركوهم ، مهما بالغوا فى المسارّة والإخفاء .

٧ — وكيف لا يعلم الله حالهم ، أو يخفى عليه شيء من أمرهم ؟ وهم حينما تتوفاهم الملائكة يضربونهم على وجوههم ، ويضربونهم على أقفيتهم وأعجازهم ، وذلك لأنهم حين ارتدادهم أغضبوا الله عليهم ، وكرهوا ما يرضيه عنهم ، من قتال مفروض عليهم وعلى المؤمنين ، فأبطل ثواب ما عملوا فى الدنيا من الصالحات أيًّا كان نوعها ، وأيًّا كانت النية فى عملها ، لأن أساس القبول غير موجود ، وهو الإيمان بالله .

٨ — أظنّ هؤلاء المنافقون الذين ارتدوا عن دينهم ، أن الله لا يظهر حقدهم ، وما تحمله قلوبهم من بغض وكره للمؤمنين ؟ ولو أراد الله أن يرى رسوله هؤلاء المنافقين لأراه إياهم ، فعرفهم من لهجتهم فى الكلام ، فإن كلامهم يدل على عدم إخلاص للدعوة المحمدية ، ويمكن استشفاف ما فى قلوبهم من غل وحقد على المؤمنين ؛ والله لا يخفى عليه إخلاص المخلص ، وطاعة المطيع ، ونفاق المنافق ، وشرك المشرك ، ويجازى كلاًّ بعمله .

٩ — يقول الله سبحانه وتعالى للمؤمنين المخلصين فى إيمانهم : لنختبرنكم بفرض الجهاد عليكم ، فإن فى الجهاد مخاطرة ، وفيه يجود الإنسان بروحه ، وليس ذلك هيناً عليه إلا إذا كان الدافع قويًّا ، والإيمان الصحيح أقوى الدوافع على إرخاص النفس وبذلها ، والتضحية بها فى سبيل العقيدة ، فالقتال هو المحك الذى يظهر فيه صدق اليقين ، وخلوص النية ؛ والصبر على شدته دليل على صفاء الروح ، والاتصال بالله .

(٥)

من الآية ٣٢ من سورة محمد إلى آخر السورة

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ ، وَشَاقُّوا الرَّسُولَ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ، لَنْ يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْئًا ، وَسَيُحْبِطُ
أَعْمَالَهُمْ —١— . يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ، أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ ،
وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ —٢— . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ
سَبِيلِ ٱللَّهِ ، ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ، فَلَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ —٣— .
فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ، وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ،
وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ —٤— . إِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ، وَإِنْ
تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ، وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ، إِنْ
يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ —٥— . هَاأَنْتُمْ
هٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ،
وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ
ٱلْفُقَرَاءُ ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا
أَمْثَالَكُمْ —٦— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وشاقّوا الرسول	وخالفوا الرسول وعادَوْه .
من بعد ما تبين لهم الهدى	من بعد ما وضح لهم أن محمداً نبى .
وسيُحبط أعمالهم	وسيبطل فى الآخرة ثواب ما عملوا من حسَن فى الدنيا .
أطيعوا الله	استمروا على طاعة الله .
ولا تبطلوا أعمالكم	ولا تبطلوا ثواب حسناتكم بارتكاب المعاصى .
فلا تهنوا	فلا تضعفوا عن القتال .
وتدعوا إلى السَّلم	وتدعوا إلى السلام والصلح .
وأنتم الأعلون	وأنتم الفائزون الغالبون .
ولن يتِرَكم أعمالكم	ولن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم
ولا يسألكم أموالكم	ولا يأمركم بإخراج جميع ما تملكون للزكاة .
فيحفكم	فيُلح عليكم .
ويخرج أضغانكم	ويظهر البخل أحقادكم .
يبخل عن نفسه	يبخل على نفسه بحرمانها الثواب .
يستبدل قوماً غيركم	يأت بقوم آخرين أحب للخير منكم .
ثم لا يكونوا أمثالكم	ثم لا يكونوا مثلكم فى البخل وترك الإنفاق فى سبيل الله .

مجمل المعنى

١ — يؤكد الله — سبحانه وتعالى — أن الذين يستمرون على كفرهم بالله ، وعلى صد غيرهم عن الدخول فى دين الله ، وعلى فتنة الذين آمنوا ، وإغرائهم

بالتخلف عن الجهاد ، ومعاداة محمد ، ووضع العراقيل فى سبيل الدعوة — الذين يستمرون على هذا كله ، بعد أن يتضح لهم تمام الوضوح أن محمداً على حق ، وأن دعوته صحيحة ، وأنه رسول من عند الله، لن يضروا الله شيئاً ، فإن الدعوة مستمرة ، وإن محمداً ناجح فيها ، وإن الإسلام مكتوب له الانتشار ؛ وهؤلاء المقاومون للدعوة ، يبطل الله أعمالهم التى يحاولون بها تعويقها ، والحد من انتشار الإسلام ، كما يبطل كل خير يفعلونه ، ما دام الأساس الذى يقبل عليه فعل الخير غير موجود ، وهو الإسلام .

٢ — يأمر الله المؤمنين أن يستمروا على إطاعتهم لله ، ولرسول الله ، فيما يأمران به ، وفيما ينهيان عنه ، وينهاهم أن يرتكبوا المعاصى التى تبطل ثواب الطاعات ، وألا يعودوا إلى الكفر ، لأن الارتداد عن دين الله ، يبطل كل عمل صالح سابق ، وإن الخير والشر يتناسخان ، أيهما تأخر ينسخ المتقدم .

٣ — يؤكد الله — سبحانه وتعالى — أن الذين يستمرون على كفرهم ، وعلى صد غيرهم عن الدخول فى دين الله ، ويظلون كذلك حتى يموتوا — لا يغفر لهم ذنوبهم التى ارتكبوها فى الدنيا .

٤ — ينهى الله المؤمنين أن يضعفوا عند محاربة المشركين ، أو يجبنوا ، أو يدعوا أعداءهم للصلح ، ما دامت كفتهم فى الحرب راجحة ، والله كافل لكم النصر عليهم ! وما دام الله مع المؤمنين ، فلا يليق بهم أن يكونوا أولى الطائفتين دعوة إلى الموادعة ؛ والله لا ينقص المؤمنين ثوابهم ، وعلى قدر جهادهم وثباتهم ، يكون أجرهم وثوابهم ، من غير أن ينقص شيئاً .

٥ — يحض الله المسلمين على الجهاد ، وبذل النفس والمال فى سبيل الله ، فأكد لهم أن الحياة الدنيا ليست ذات قيمة كبيرة ، تجعل الإنسان يحرص عليها ، ويستمسك بها ، فهى ليست إلا لعباً ولهواً ، وأياماً تمر ، وآمالا

تسر ، وأعماراً تنقضى ؛ ولا ينتفع بها إلا من عرفها على حقيقتها ، فلم يغتر بها واستصغرها ، فبذل فى سبيل الله ماله ، وأنفقه فى أوجه النفقة التى أوجبها الله ، وبذل نفسه فأرخصها فى الجهاد والذب عن دين الله ، واتقى الله فى كل تصرف يتصرفه ، ونهى النفس عن هواها ! ومثل هؤلاء يعطيهم الله ثواب ما عملوا فى الدنيا من خير ؛ والله إذ يأمر الناس أن يؤمنوا به ويوحدوه ، لا يسألهم أن يعطوه مالهم ، فإنه لو سألهم كل مالهم ، وألحّ عليهم فى السؤال ، ضنُّوا بأموالهم ، وظهر عند امتناعهم حقدهم بسبب الأموال ، وشحّ الأنفس بها .

٦ — يخاطب الله المؤمنين ، يقول لهم : أنتم تُدعون للإنفاق فى سبيل الله ، فمنكم من يستجيب ويجود به ، ومنكم من لا يستجيب ويبخل ، وهؤلاء الذين يبخلون ، إنما بخلوا لأن البخل متأصل فى نفوسهم ، مستمكن من قلوبهم ، والذى يبخل بالإنفاق فى سبيل الله ، هو فى الوقت نفسه قد بخل على نفسه أيضاً ، فإنه حرمها الثواب ! والله إذ يدعو للإنفاق ، ليس فى حاجة إلى أن تنفقوا ، فهو غنىّ عن الناس جميعاً ، والناس هم المحتاجون إليه ، وإن يُصر الناس الذين جاء لهم محمد بدينه على عدم طاعته ، وعدم طاعة رسوله ، وعدم الإنفاق فى سبيل الله ، يهلكهم الله كما أهلك غيرهم ممن سبقوهم ، ويستبدل بهم شعباً آخر كالفرس أو الروم ، أو أهل الجنوب فى بلاد العرب ، يؤمنون به ويوحدونه ؛ ثم لا يكونون مثل هؤلاء الباخلين بما أمرهم به من النفقة والجهاد .

سورة الفتح

نزلت فى الطريق عند الانصراف من الحديبية
وآياتها ٢٩ آية

— الْحُدَيْبِيَة —

ا — انتشر الإسلام فى السنوات الست الأولى بعد الهجرة، وولى المسلمون وجههم نحو الكعبة فى أثناء صلاتهم ، وكان العرب على اختلاف قبائلهم يحجون إلى البيت ، وكان من تقاليد العرب أن من دخل مكة فى الأشهر الحرم دخلها آمناً على نفسه وماله .

ب — لم تسمح قريش للمسلمين أن يحجوا إلى الكعبة كما كان يحج غيرهم من قبائل العرب الأخرى ، ولكن النبى رأى فى منامه أنهم سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ، محلّقين رءوسهم ومقصّرين ، لا يخافون ، فاستنفر الصحابة للعمرة ، فأسرعوا وتهيئوا للخروج — وأبطأ عنه أكثر الأعراب الذين حول المدينة — وأعدوا هَدْيهم ، وخرجوا وسيوفهم مُغمدة فى قُرُبها فى شهر ذى القَعدة ، لا يريدون حرباً ، وَهديهم يَسوق معهم ، وكانوا نحو أربعمائة وألف ؛ ورأى بعض الصحابة أن يحملوا سلاحهم معهم ، ولكن النبىّ أبى ، وأعلن أنه لم يخرج من المدينة غازياً ، وإنما خرج زائراً للبيت الحرام ، مؤدياً فرض ربه .

ج — بلغ أهل مكة خروج محمد ، فخافوا وفزعوا ، وأرسلوا إليه فرقة من فرسانهم ، واستفزوا بعض الأحابيش — وهم فرق مجتمعة من قبائل شتى ، حلفاء لقريش — ورصدوا على الجبال عشرة أرصدة متباعدة ، يوحى بعضهم إلى بعض بالصوت عما يرونه من محمد وأصحابه ، ويتناقلون خبره وتحركاته ، وكان آخر رصد عند قريش .

د — علم محمد أن قريشاً استعدت لقتاله، فاستشار أصحابه فيما يفعل، فأشاروا عليه أن يقاتل، فقال: «إنا لم نخرج لقتال أحد»، وسار المسلمون حتى نزلوا بالحديبية، — وهى قرية بينها وبين مكة مرحلة واحدة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل، سميت باسم بئر هناك عند مسجد الشجرة، التى بايع الرسول تحتها — وقد وقفت فى وجهه قريش ومن معها، لا يخلُّون بينه وبين مكة أبداً، وتواصَوْا ألا يدخلها عليهم عامه هذا، ما بقى منهم رجل، ثم جرت السفارة بين محمد وقريش، وكان ممن بعث محمد إلى قريش عثمان بن عفان، فذهب إليهم، وقال لهم: إنا لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا زوَّاراً لهذا البيت، معظمين لحرمته، ومعنا الهدى ننحره وننصرف؛ فلم ترض قريش أن يدخل محمد مكة، وحدثت مناوشات، وتخلف عثمان بمكة ثلاثة أيام، وبلغ محمداً أن قريشاً قتلت عثمان، وقتلت عشرة رجال من المسلمين دخلوا مكة بإذن محمد، لزيارة أهلهم.

هـ — أعلن محمد — صلى الله عليه وسلم — فى المسلمين أن الله أمره بالبيعة، فأقبل الناس يبايعونه، وتزاحموا من حوله يمدون إليه أيديهم، تاركين وراءهم وتحت أرجلهم أمتعتهم، ولبسوا سلاحهم — وإن كان قليلا — وبايعوا على الموت، لا على الجهاد وحده، وهى بيعة الرضوان التى نزل فيها قوله تعالى: «لقد رَضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة . . .».

و — علمت قريش ذلك، فبعثت إلى محمد وفداً على رأسه سُهيل بن عَمرو لمفاوضته، فلما وصل الوفد، قال سهيل: يا محمد، إن هذا الذى كان: من حبس أصحابك، وما كان من قتال مَن قاتلك، لم يكن من رأى ذوى رأينا، بل كنا له كارهين حين بلغنا، ولم نعلم به، وكان من سفهائنا، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت، — وكانوا نحو خمسين رجلا، يخرجون ليلا، ويرمون جيش النبى بالحجارة — قال: إنى غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابى، قال سهيل: أنصفتنا، ثم بعث

إلى قريش ، واستحضر عثمانَ والعشرة الذين كانوا دخلوا مكة من المهاجرين ، وأرسل رسول الله أصحابهم الذين أُسروا .

ز — وكانت المبايعة تحت شجرة خضراء، وقد نادى عمر بن الخطاب : إن روح القدس قد نزل على رسول الله، وأمره بالبيعة، فاخرجوا على اسم الله فبايعوا ، فلما رأى سُهيل ومن معه ، ورأت عيون قريش مسارعة الناس إلى البيعة ، ونشيدهم للحرب — اشتد رعبهم وخوفهم ، واشتدت رغبتهم فى الصلح ؛ ولما جاء عثمان بايع تحت الشجرة .

ح — رجع وفد قريش وعلى رأسه سهيل إلى قريش، وأخبروا بما رأوا : من تحمس المسلمين للبيعة ، وميلهم إلى الحرب، وفرحهم ببيع نفوسهم وأرواحهم لله ولرسول الله ، فأشار أهل الرأى منهم بالصلح ، على أن يرجع محمد وأصحابه فى عامهم هذا ، ثم يعودوا من قابل ، ويُقيموا ثلاثاً ؛ وأعادوا وفد سهيل ليفاوض محمداً، ليوافق على هذا، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أراد القوم الصلح ، ودار الحديث بين محمد وسهيل ، وطال الكلام ، وحميت المناقشة ، وارتفعت الأصوات ، وكان النبى جالساً متربعاً ، وعلى رأسه حارسان مقنعان بالحديد . فلما رفع سهيل صوته قالا : اخفض من صوتك عند رسول الله .

ط — فلما اصطلحوا ولم يبق إلا أن يكتبوا المعاهدة، وثب عمر فقال : يا رسول الله؛ ألسنا بالمسلمين ؟ ! قال : بلى! قال عمر : فعلامَ نعطى الدَّنية فى ديننا ؟ ! قال : «أنا عبد الله ورسوله ، ولن أخالف أمره، ولن يضيعنى »، فهال ذلك عمر ، وناقش فيه أبا بكر ، وأعاد الكلام على النبى ، وكرره ، ورسول الله يكرر عليه : « أنا رسول الله، ولن يضيعنى » ، فعتب أبو عبيدة بن الجراح على عمر ، وقال له : ألا تسمع يا بن الخطاب رسول الله يقول ما يقول ؟ ! ! تعوَّذ بالله من الشيطان، واتهم رأيك، فجعل عمر يتعوَّذ بالله من الشيطان، وكان المسلمون يكرهون الصلح ،

لأنهم خرجوا لا يشكُّون فى دخول البيت الحرام، لرؤيا رسول الله أنه حلق رأسه، وأنه دخل البيت، وأخذ مفتاح الكعبة، وأنه وقف بعرفة، فلما رأوا الصلح داخلهم من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون، فجعل الله عاقبة الغضبة خيراً، فأسلم فى فترة الهدنة أكثر ممن أسلم من بدء الدعوة إلى يوم الحديبية، وما كان فى الإسلام فتح أعظم من الحديبية.

ى — ولما وقف رسول الله بعرفة فى حجة الوَداع، قال: أى عمر، هذا الذى قلت لكم، قال عمر: أى رسولَ الله! ما كان فتح فى الإسلام أعظم من فتح الحديبية، وكان أبو بكر يقول: ما كان فتح أعظم فى الإسلام من فتح الحديبية، لقد نظرت إلى سُهيل بن عمرو فى حجة الوداع قائماً عند النحر، يقرِّب إلى رسول الله بدنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده، ودعا الحلاّق فحلق رأسه! فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره، ويضعه على عينيه، وأنظر إباءه أن يقر يوم الحديبية، بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وإباءه أن يكتب أن محمداً رسول الله، فحمدت الله الذى هداه للإسلام، فصلوات الله وبركاته على نبى الله الذى هدانا به، وأنقذنا به من الهلكة.

ك — بعد أن اتفق النبى وسهيل على شروط الصلح، دعا رسول الله عليًّا، وقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل: لا أعرف الرحمن الرحيم، اكتب ما نكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اكتب: باسمك اللهم، هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله ما خالفتك، واتبعتك، أفترغب عن اسمك واسم أبيك: محمد ابن عبدالله؟!! فضج المسلمون من ذلك ضجة شديدة، حتى ارتفعت الأصوات، وقام رجال يقولون: لا نكتب إلا: محمد رسول الله، وأخذ بعضهم بيد علىّ وأمسكها، وقال: لا تكتب إلا محمد رسول الله، وإلا فالسيف بيننا، علام نعطى هذه الدنية فى ديننا؟! فجعل رسول الله يخفضهم، ويومىء إليهم بيده:

«أن اسكتوا» ، وجعل أعضاء وفد قريش يتعجبون مما يصنع هؤلاء ، وقال أحدهم : ما رأيت قوماً أحوط لدينهم من هؤلاء ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا محمد بن عبد الله ، فاكتب» ، وكتب العهد ، وكان من شروطه أن محمداً يرجع عامه هذا بأصحابه ، ويعود فى العام التالى ، ويدخل مكه معتمراً ، ويقيم ثلاثاً ، ولما انتهوا أمر النبى أصحابه أن ينحروا ويحلقوا ؛ وانصرف رسول الله من الحديبية ، ونزل عليه وهو فى طريقه إلى المدينة : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » ، إلى آخر سورة الفتح .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السابعة من سورة الفتح

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيماً ، وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا -١- . هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ، وَلِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، وَكَانَ ٱللهُ عَلِيماً حَكِيماً -٢- . لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذٰلِكَ عِنْدَ ٱللهِ فَوْزًا عَظِيماً -٣- . وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ ، وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ ، الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ، وَغَضِبَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا ! -٤- . وَلِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، وَكَانَ ٱللهُ عَزِيزًا حَكِيماً -٥- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فتحنا لك فتحاً مبيناً	قضينا لك بالظفر على أهل مكة ، بما حدث فى الحديبية ، وأظهرناك عليهم .
ماتقدم من ذنبك وماتأخر	جميع ما فرط أو يفرط منك .
ويتم نعمته عليك	ويجعل نعمته لك كاملة بالفتح والمغفرة .
ويهديك صراطاً مستقيماً	ويثبتك على دينك الصحيح .
نصراً عزيزاً	نصراً قوياً
أنزل السكينة	أنزل الهدوء والاطمئنان على المؤمنين ، وألهمهم الصبر .
ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم	ليزداد ثباتهم على دينهم ، ويقوى تمسكهم به .
جنود السموات والأرض	الملائكة والإنس والجنّ والشياطين فى قبضة الله .
ظن السوء	الظن السيئ : وهو أن الله لن يأخذ بيد نبيه ، فلا يفتح عليه ما وعده ، ولا يغفر له .
عليهم دائرة السوء	الظن السيئ واقع عليهم لا على غيرهم ، بالقتل والسبى والأسر .
وساءت مصيراً	وقبحت جهنم مرجعاً يرجع إليه الإنسان .

مجمل المعنى

١ — يؤكد الله لمحمد أنه فتح عليه بالحديبية فتحاً عظيما ، وقد خشى المشركون المسلمين ، وبادءوهم المفاوضة فى الصلح ، ورغبوا إليهم فى الأمان، واتفقوا

على أن يعودوا للاعتمار مسالمين فى قابل ، واعتذروا له عما حدث من سفهائهم ، ودخل فى الإسلام بسببها خلق كثير ، وكانت محكًّا للمسلمين : يختلفون فى الرأى ، ويتناقشون ، ويتحمسون إلى أعلى درجات الحماسة ، ثم يعودون إلى ما يراه محمد ، فيكون فيه خيرهم ! ووقعت فيها بيعة الرضوان ، وكانت مقدمة لفتح الفتوح ، وهو فتح مكة ، وجمع الله فيها لمحمد بين الفتح والمغفرة المطلقة ، فقرت عينه فى الدنيا والآخرة ، وهى مغفرة مطلقة غير مقيدة بزمن ولا ذنب بعينه ، وإنما ذكرت للتكريم ، لأن محمداً معصوم من الخطأ ، شأنه فى ذلك شأن جميع الأنبياء ؛ وإذا بدرت من واحد منهم صغيرة فهى مغفورة عند الله ؛ وجمع الله لمحمد مع الفتح المبين والمغفرة المطلقة ، إتمام النعمة بفتوح أخرى ، تحدث فى وقت قريب ، وقد بشره بها قبل أن تكون ، وذلك مثل فتح مكة والطائف ، وكذلك إتمام النعمة بدخول الناس فى دين الله أفواجاً ، طائعين مختارين ، لمجرد اقتناعهم بأنه هو الدين الصحيح ؛ وكذلك بلغ الله محمداً أنه ثابت على طريق الهدى لن يتزحزح عنه ، وأنه منصور نصراً قويًّا عزيزاً بنشر الدين ، وفتح الأمصار .

٢ — هيأ الله قلوب المسلمين ، وطمأنها ، وأعدها لقبول أحكام الدين يتلو بعضها بعضاً ، فبدءوا بالتوحيد ، ثم الصلاة ، ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج ؛ وكمل إيمانهم ، وازدادوا تصديقاً بشرائع الإيمان ، وقوى يقينهم بالله ؛ والله هو المتصرف فى جميع خلقه ، وكل من فى السموات والأرض من إنس وجن وملائكة ، ومن غيرهم من العوالم التى لم نعرفها — جنوده ، يصرفها كما يشاء على ما يشاء ، فهو العليم بأحوال خلقه جميعاً ، الحكيم فى تدبير شئون هذه العوالم والأكوان .

٣ — هيأ الله قلوب المسلمين وطمأنها ، وأعدها لقبول أحكام الدين ، ليدخلهم الجنة يوم القيامة، ويخلدهم فيها، ويغفر لهم ذنوبهم، ومن وصل إلى هذه الدرجة فإنه عند الله من المقربين ، الفائزين بالسعادة فى الدارين .

٤ — أما الذين لم ينزل الله السكينة فى قلوبهم ، فهم المنافقون والمنافقات ، والمشركون والمشركات ، الذين ظنوا أن محمدا وقد خرج إلى الحديبية سيهزم فيها هزيمة شديدة ، وستدور عليه الدائرة ، ولن يعود إلى المدينة هو ولا أحد من أصحابه ، فستهزمهم قريش ، وتقتلهم ، وتقضى عليهم وعلى دينهم الجديد ؛ هؤلاء الناس يخيب الله ظنهم ، وينجى محمداً وأصحابه ، ويعود إلى المدينة عزيزاً فى قومه وأصحابه ، وتدور الدائرة عليهم هم : فيقتلون فى الدنيا ، ويُسبَوْن ، ويُؤسرون، ويُستذلون ؛ وفى الآخرة يعذبون فى جهنم ، وهى بئس المُقام الذى ينتهون إليه .

٥ — وإذا كان المنافقون يهددون محمداً بعداوة فارس والروم ، إذا انتهى من عداوات العرب ، فإن الله فوق العرب ، وفوق فارس والروم ، وفوق غير هؤلاء وأولئك جميعا ، فإن كل من السموات والأرض جنوده ، وهو عزيز فى خلقه ، حكيم فى تدبيره ؛ ويرى بعضهم أن المراد بجنود الله فى الآية الأولى : جنود الرحمة ، وأن المراد بجنود الله هنا : جنود العذاب ، بدليل وصف الله هنا بالعزة.

(٢)

من الآية ٨ إلى الآية ١٤ من سورة الفتح

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ، وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا —١— . إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ، يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا —٢— . سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ : شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ، فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ، يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، قُلْ : فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا ، إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ؟ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ؛ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ، وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ ، وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا —٣— . وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا —٤— .

الألفاظ	شرحها
شاهداً	مبيِّناً لأمتك ما أرسلت به إليهم .
وتعزروه وتوقروه	وتقوّوه بتقوية دينه ونشره ، وتعظموه بتنزيهه عن الشريك والولد .
بكرة وأصيلاً	صباحاً ومساء ، والمراد : كل الأوقات .
يبايعونك	يعاهدونك كأن كل واحد باع حياته للرسول ، وأعطاه خالصة نفسه .
إنما يبايعون الله	مبايعة المؤمنين محمداً بالحديبية مبايعة لله ، لأنها لنصرة دين الله .
يد الله فوق أيديهم	فضل الله عليهم أعظم من طاعاتهم : فثوابه أكثر من عملهم ، وهدايته أثمن من طاعتهم ، ونعمه أعلى من عباداتهم .
فمن نكث فإنما ينكث على نفسه	فمن عدل عن تنفيذ ما بايع عليه ، فإنما ضرر ذلك واقع عليه .
ومن أوفى بما عاهد عليه الله	ومن استمسك بما قطع على نفسه من العهد فى تنفيذ المبايعة .
المخلفون من الأعراب	هم الذين تخلفوا من الأعراب المقيمين حول المدينة ، ولم يخرجوا مع محمد عام الفتح .
شغلتنا أموالنا وأهلونا	ليس عندنا من يرعى شئون أهلنا ، ويقوم على أموالنا فى أثناء غيبتنا
فمن يملك لكم من الله شيئاً	لا أحد يستطيع أن يغير ما يريده الله لكم من نفع أو ضر .

الألفاظ	شرحها
لن ينقلب الرسول والمؤمنون	لن يعود محمد ومن خرج معه إلى الحديبية .
وزُين ذلك فى قلوبكم	وحسَّن الشيطان ذلك لكم .
وكنتم قوماً بوراً	وكنتم جماعة هالكين فاسدين .
أعتدنا	أعددنا وهيأنا .
سعيراً	ناراً شديدة .

مجمل المعنى

١ — يؤكد الله — سبحانه وتعالى — لنبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — أنه إنما أرسله إلى الناس ليبين لهم ما أرسل به إليهم ، ويبلغهم إياه ، ويبشر من يؤمن به بالجنة ، ويخوف من لا يؤمن به ويحذره عذاب النار يوم القيامة ، وقد فعل الله ذلك ، وأرسل محمدا إلى الناس ليؤمنوا به وبمحمد ، وليقووا دين الله بالنصر ، وليعظموه بتنزيهه عن الشريك والولد ، ولينزهوه عما لا يليق به فى كل وقت .

٢ — ذهب رسول الله إلى منازل بنى مازن بن النجار — وكانت فى ناحية من الحديبية — وجلس فى رحالهم ، بعد أن شاع أن قريشاً قتلت عثمان ، ثم قال : إن الله أمرنى بالبيعة ، فأقبل الناس يبايعونه حتى تداكُّوا ، فما بقى لهم متاع إلا وطئوه ، ثم لبسوا السلاح — وهو معهم قليل — وقامت أم عمارة إلى عمود كانت تستظل به ، فأخذته بيدها ، وشدت سكيناً فى وسطها ، وكان رسول الله يبايع الناس ، وعمر بن الخطاب — رضى الله عنه — آخذ بيده ، فبايعهم على ألا يفرّوا ، أو بايعهم على الموت ، — بأن يبيعوا

أنفسهم فى سبيل الله — وكان رسول الله يبايع الناس تحت شجرة خضراء ، وكان عمر ينادى : إن روح القدس قد نزل على الرسول ، وأمره بالبيعة ، فلما رأى سُهيل بن عمرو ومن معه سرعة الناس إلى البيعة ، وتشميرهم إلى الحرب ، اشتد رعبهم وخوفهم ؛ وقد وصف الله هؤلاء الذين بايعوا محمداً على الجهاد أو على الموت ، بأن بيعتهم إنما كانت لله ، ولنصرة دين الله ، فالله معهم ، آخذ بيدهم ، وناصرهم ، وخاذل عدوهم ، وفضله عليهم أعظم من طاعتهم إياه ، ونصرتهم دينه : فثوابه أكثر من عملهم ، وهدايته لهم أثمن من طاعتهم ، ونعمه أعلى من جهادهم وعبادتهم ؛ والذين ينقضون العهد من هؤلاء ، ولا يفون بالبيعة ، ويعدلون عن تنفيذ ما بايعوا عليه ، إنما ضرر ذلك واقع عليهم ، أما الذين يوفون بالعهد ، فجزاؤهم عند الله يوم القيامة عظيم .

٣ — يخبر الله نبيه وهو راجع من الحديبية ، وقبل أن يصل إلى المدينة ، بما سيكون حين يصل إلى المدينة : يخبره أن الذين تخلفوا عن الخروج معه ، وهم أعراب بنى بكر ومُزينة وجهينة وغيرهم ، مر بهم رسول الله واستنفرهم ، فتشاغلوا بأموالهم وأولادهم ، وقالوا فيما بينهم : أيريد محمد أن يغزو بنا قوماً معدين فى الكراع : — الخيل — والسلاح ؟ ! ! وإنما محمد وأصحابه أكلة جَزور ، لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبداً ، لأنهم قوم لا سلاح معهم ولا عدد ؛ هؤلاء الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج مع محمد ، يَلقونه حين رجوعه من الحديبية ، ويقولون له : استغفر لنا الله ، فإنا لم نخرج معك لأننا ليس عندنا من يرعى شئون أهلنا ، ويقوم على أموالنا فى أثناء غيابنا ، وهم إذ يقولون هذا منافقون ، يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، لأن تخلفهم لم يكن إلا لشكهم فى نجاح محمد ،

وانتصاره على قريش ؛ ويأمر الله محمداً أن يقول لهم : لا يستطيع محمد أن يجلب لكم شيئاً أراد الله منعه عنكم ، ولا أن يدفع شيئاً أراد الله أن يقع عليكم ، وما كان فى نيتكم إذ لم تخرجوا معى إلى الحديبية يعلمه الله ، وسيحاسبكم عليه ، وهو أنكم رجحتم أنى لن أعود من سفرى هذا أنا ومن معى ، وزين لكم الشيطان ذلك ، واعتقدتم أن الدائرة دائرة علينا ، وأن الله متخلّ عنا ، ولسنا نحن الهالكين ، ولكنكم أنتم الهالكون بسوء ظنكم ، وسوء تقديركم .

٤ — وكل من لم يؤمن بالله ورسول الله ، فشرّ ذلك واقع عليه ، لأن الله أعد له فى جهنم عذاباً شديداً ، والله مالك السموات والأرض ، ومالك الشىء يملك التصرف فيه كما يشاء ؛ فهو يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ؛ ورحمته بعباده أسبق من غضبه عليهم .

(٣)

من الآية ١٥ إلى الآية ٢٣ من سورة الفتح

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا : ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ ٱللَّهِ قُلْ : لَنْ تَتَّبِعُونَا ، كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِنْ قَبْلُ ، فَسَيَقُولُونَ : بَلْ تَحْسُدُونَنَا ، بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا –١– . قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ : سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ، فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا –٢– . لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ، وَمَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا –٣– . لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ، وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ، وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا –٤– . وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ

كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ، فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ
عَنْكُمْ ، وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا —٥—.
وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ، وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرًا —٦— . وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا ٱلْأَدْبَارَ ، ثُمَّ
لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا —٧— . سُنَّةَ ٱللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا —٨— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المخلفون	الذين تخلفوا عن الحديبية .
إلى مغانم	إلى غنائم غنمتموها ، والمراد : غنائم خيبر .
ذرونا	دعونا ، اتركونا .
أن يبدلوا كلام الله	أن يغيروا وعد الله لأهل الحديبية ، بأن يعوضهم خيراً إذ رجعوا عن مكة موادعين .
لن تتّبعونا	لن تخرجوا معنا إلى خيبر .
كذلكم قال الله من قبل	أمر الله عند العودة من الحديبية إلى المدينة ، أن تكون غنائم خيبر لأهل الحديبية دون غيرهم .
بل تحسدوننا	لم تمنعونا غنائم خيبر بإذن الله ، ولكنكم تمنعوننا حسداً منكم .

الألفاظ	شرحها
بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا	بل كانوا لا يفهمون حقيقة كلام الله على وجهه الصحيح ، ويأخذون الكلام بظواهره ، ولا يعتقدون حدوث ما يدل عليه .
أولى بأس شديد	أصحاب قوة وجلد فى الحرب .
ليس على الأعمى حرج	ليس على الأعمى إثم فى التخلف عن الحرب والجهاد لعدم إمكانه .
يبايعونك تحت الشجرة	هى بيعة الرضوان ، وقد تقدم ذكرها .
فعلم ما فى قلوبهم	فعلم ما فى قلوب المبايعين من الإخلاص ، وصدق العزم على الجهاد .
فأنزل السكينة عليهم	فطمأن قلوبهم .
وأثابهم فتحاً قريباً	وجازاهم وعوّضهم بفتح خيبر .
وعدكم الله مغانم كثيرة	وعدكم الله أن يهيئ لكم مغانم تغنمونها فى الدنيا كثيرة ، وفى الآخرة تغنمون الجنة .
فعجّل لكم هذه	فعجّل لكم مغانم خيبر .
وكف أيدى الناس عنكم	وكف عنكم أيدى أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان ، بأن قذف الله الرعب فى قلوبهم ، فانصرفوا ولم يحاربوكم .
ولتكون آية للمؤمنين	وليكون هذا الكفّ عنكم دليلا للمؤمنين أمام المشركين على أن الله معهم ، وأنه كافل نصرهم ، وآخذ بيدهم .

الألفاظ	شرحها
ويهديكم صراطاً مستقيما	ويزيدكم هداية وتبصيراً بنور الإيمان ، وثباتاً على طريقه المستقيم .
وأخرى لم تقدروا عليها	ومغانم أخرى ما كانت لكم لولا قدرة الله .
قد أحاط الله بها	قد أعدها الله لكم ، وحبسها عليكم .
ولو قاتلكم الذين كفروا لولّوا الأدبار	ولو أنه وقع قتال بينكم وبين الكافرين فى الغزوات التى انتهت بصلح — كالحديبية ومكة — لهزموا وفرّوا .
ثم لا يجدون وليّاً ولا نصيراً	ثم لا يجدون من ينصرهم ويأخذ بيدهم .
سنة الله	هذه سنة سنها الله ، وهى أن يغلب أنبياؤه ، وينتصروا على أعدائهم .

غزوة خيبر

كانت غزوة خيبر فى صفر سنة سبع للهجرة ، خرج إليها رسول الله مع من كانوا معه فى الحديبية فى ألف وستمائة ، بعد عودته إلى المدينة بنحو شهر ، وأراد المخلفون عنه فى الذهاب إلى الحديبية أن يخرجوا معه إلى خيبر ، رجاء الغنيمة ، فقال لهم : لا تخرجوا معى إلا راغبين فى الجهاد ، أما الغنيمة فلا ، وبعث منادياً ينادى : لا يخرجن معنا إلا راغب فى الجهاد ؛ وكان يهود خيبر من أقوى اليهود بأساً ، وأكثرهم مالا وسلاحاً . وكانوا يظنون أن النبى لا يفكر فى غزوهم ، لمنعتهم وحصونهم وعُددهم ، ولكنهم لم يشعروا حتى كان

محمد وجيشه أمام حصونهم ليلا ، وفى الصباح غدوا إلى أعمالهم ، فلما رأوا المسلمين حول حصونهم ، قالوا : محمد والخميس ! ! وولوا هاربين إلى حصونهم ، ورسول الله يقول : « الله أكبر ! ! خربت خيبر ! ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

وأخذ المسلمون يحاربون ، ويفتحون حصونها حصناً حصناً ، وكان محمد يفرّق الرايات ، ولم يستعمل الرايات فى الحروب قبل خيبر ؛ وكان القتال أمام الحصون وحولها عنيفاً جداً ، انتهى بانتصار المسلمين ، وأخذ غنائم كثيرة ؛ وصالح اليهود محمداً على أن يحقن دماءهم ، ويبقيهم على أرضهم ، ويأخذ نصف ثمارها.

مجمل المعنى

١ — الذين تخلفوا من الأعراب عن الخروج معك إلى الحديبية ، سيطلبون منك يا محمد أن يخرجوا معك إلى خيبر ، طمعاً فى الحصول على المغانم ، يريدون بذلك أن ينقضوا ما وعد الله به أهل الحديبية من المسلمين من الغنائم وحدهم ، فإن طلبوا هذا فلا تسمح لهم بالخروج معك إلا غازين ، ولا يكون نصيب لهم فى المغانم ؛ وأبلغهم أن الله قد أمر بهذا ؛ ولن يقنعهم ذلك القول ، وسيقولون : إنكم تمنعونهم من المشاركة فى الغنائم حسداً لهم ، وحقداً عليهم ؛ والواقع أنه لا حقد ولا حسد ، ولكنهم كانوا لا يفهمون من كلام الله إلا ظاهره ، ولم يتأثروا به ، ولم يعتقدوا حدوث ما يدل عليه.

٢ — أمر الله نبيه أن يقول لهؤلاء المخلفين من الأعراب : ستدعون إلى حرب شديدة فى المستقبل ، تحتاج إلى بذل وتضحية — يريد بذلك أهل الردّة ، لأن المرتد هو الذى لا يُقبل منه إلا الإسلام ، وإلا فالحرب ؛ وأما مَن عدا المرتد فللإسلام معه أحكام أخرى — فإن يطع هؤلاء المخلفون من

الأعراب ، ويخرجوا إلى محاربة المرتدين ، ويصدقوا النية والعزم فى محاربتهم ، يكن لهم عند الله أجر عظيم ، وإن يتولوا ويعرضوا كما تولوا وأعرضوا يوم الحديبية ، يكن لهم عند الله يوم القيامة عذاب أليم .

٣ — نزلت الآية السابقة، فهُرِع أهل الزمانة — العاهة — إلى رسول الله ، وسألوه : كيف بنا يا رسول الله ؟ ! فنزلت الرّخصة لهم بالتخلف لعدم القدرة ، فالأعمى ، والأعرج ، والمريض ، لا إثم عليهم إذا تخلفوا عن المشاركة فى القتال ، حتى مَن كان من المخلفين منهم يوم الحديبية لا إثم عليه ، ما لم يكن مشيراً على غيره بالتخلف ؛ وكل من يطيع الله ويطيع رسول الله فى جميع ما يؤمر به ، يرضى الله عنه ، ويدخله الجنة ، ويخلده فيها ؛ ومن يعرض عن الله ، ويأبَ أن يطيع ، يغضب الله عليه ويدخله النار ، ويعذبه فيها عذاباً أليماً .

٤ — الذين بايعوا محمداً تحت الشجرة ، وهى بيعة الرضوان — وقد سبق الحديث عنها — الله جل شأنه راض عنهم ، وأخبر رسول الله أنهم لا يدخلون النار ، وقد علم ما فى قلوبهم من الوفاء بما عاهدوا عليه ، من الدفاع حتى الموت ، وقد أنزل الله فى قلوبهم طمأنينة وهدوءاً ، وجازاهم مجازاة عاجلة بفتح خيبر عليهم ، وبتخصيص غنائمها لهم ، وكانت كثيرة ؛ والله فى كل حال عزيز لا يُغلب ، حكيم فى تدبيره .

٥ — وعد الله المؤمنين غنائم كثيرة ، حصلوا على شىء منها عند فتح خيبر ، وعلى أشياء أخرى عند فتوحهم الكثيرة ، التى حصلت بعد خيبر إلى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم بعد وفاته بما فتح عليهم زمن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ثم ما كان وما يكون بعد ذلك إلى يوم القيامة، وكانت مغانم خيبر من المغانم التى عجلها لهم ، وجعلها بعد وعده إياهم بزمن قليل ،

ثم هى تتوالى إلى يوم القيامة، نتيجة لرضا الله عنهم ؛ ومن نعم الله على المؤمنين أنه لم تقع حرب بينهم وبين أهل مكة أيام الحديبية ، وتصالحوا صلحاً مشرفاً للمؤمنين، كان له ما بعده من نصر يتلوه نصر ؛ وكذلك لم يقع من اليهود اعتداء على المدينة زمن خروج المسلمين إلى الحديبية أولا ، وإلى خيبر ثانياً ، وكذلك أيضاً صرف عن المسلمين عُيينة بن حصن الفزارىّ ، وعَوْف بن مالك النضرى، ومن كان معهما من أسد وغَطفان ، حين جاءوا لمساعدة يهود خيبر ، والنبى محاصر لهم ، فألقى الله الرعب فى قلوبهم ، وصرفهم ، فعادوا من حيث أتوا ، فعل الله ذلك ليكون نصر المسلمين وهزيمة اليهود دليلا على أن المسلمين فى رعاية الله ، وعلامة على صدق رسوله فيما وعدهم به من المغانم ، فيشكروه ، ويزدادوا هدى ، وتمسكاً ببقائهم على ما هم عليه من إيمان ويقين .

٦ — ذكرنا أن الله عجّل للمسلمين مغانم خيبر ، ووعدهم مغانم أخرى غيرها لا يقدرون عليها ، وإنما يأخذها مَنْ بعدهم حين غزو فارس والروم ، قد أحاط علم الله بها، وقد حققتها الأيام ، ولولا عناية الله ورعايته وقدرته، لما غنمتم هذه المغانم ، فهو الذى أعدها وهيأها لكم ، فلم تفتكم ، والله قادر على كل شىء ، فمتى أراده كان .

٧ — ولو أنه وقع قتال بينكم وبين قريش فى الحديبية ، أو بينكم وبين غطفان وأسد ، حينما جاءوا لنصرة يهود خيبر ، لكان النصر لكم أيها المسلمون حتما، لأن الله قدّر لكم النصر ، فلا بد أن تنتصروا ، ولا بد أن يهزَم مقاتلوكم ، ويفروا أمامكم ؛ وبعد أن يهزموا ويفروا لا يجدون وليًّا يلى أمرهم، ولا ناصراً يأخذ بيدهم وينصرهم .

٨ — سنّ لكم الله فى النصر سنته فى انتصار أنبيائه ومن آمن بهم ،وهذا كله تدبيره وتقديره ؛ وكل شىء يقدره الله ويريده، لا يمكن أن يغير فيه شىء أو يبدل .

(٤)

من الآية ٢٤ إلى الآية ٢٧ من سورة الفتح

وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ، مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا —١— . هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْهَدْىَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ ، فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لِيُدْخِلَ اللهُ فِى رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ، إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ : حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً —٢— . لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ : لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ، مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ، لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيباً —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم	تحاجزتما فلم تقع بينكما حرب .
ببطن مكة	بالحديبية .
أظفركم عليهم	نصركم عليهم وسلطكم .
هم الذين كفروا	المراد : قريش .
وصدّوكم عن المسجد الحرام	ومنعوكم من دخول مكة معتمرين .
والهدىَ معكوفاً	والهدى محبوساً وموقوفاً ، والهدى : ما يهدى إلى الكعبة ، وكان سبعين بَدنة .
أن يبلغ محله	من أن يصل إلى مكان نحره .
لم تعلموهم	لم تعرفوهم .
أن تطئوهم	أن تقتلوهم وتوقعوا بهم .
فتصيبكم منهم معرّة	فيلحقكم بسببهم إثم وعيب وغُـرم .
بغير علم	عن غير قصد .
فى رحمته	فى جنته .
لو تزيلوا	لو تميزوا .
الحمية	الأنفة ، وكانت أنفة كاذبة مصطنعة .
سكينته	طمأنينته ووقاره .
بالحق	بالصدق ، فليست أضغاث أحلام .

الألفاظ	شرحها
محلقين رءوسكم ومقصرين	التحليق : يكون بحلق الشعر كله ، والتقصير يكون ببعض الشعر دون بعض .
فعلم ما لم تعلموا	فعلم أن الخير فى تأجيل فتح مكة إلى قابل ، وأنتم لا تعلمون هذا .
فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً	فجعل قبل فتح مكة فتحاً آخر عاجلا ، هو فتح خيبر .

مجمل المعنى

١ — الله — سبحانه وتعالى — هو الذى جعلكم تتحاجزون يوم الحديبية ، بعد أن جعل كلمتكم العليا عليهم فى السفارة والتصالح ؛ وهو الذى جعلكم تتنبهون لهؤلاء الذين هبطوا من جبل التنعيم عليكم ، يريدون أن يأخذوا محمداً على غرة ، فتنبه لهم وأخذهم ، ثم أعتقهم بعد أن كان متمكناً منهم .

٢ — كفار قريش هم الذين كفروا بالله ، وهم الذين صدوكم عن بيت الله ، ومنعوكم أن تدخلوا مكة عام الحديبية ، وصدوا الهدى ومنعوه أن يصل إلى المكان الذى يحل فيه ذبحه ، ولولا أن فى مكة من المستضعفين والمستضعفات الذين يؤمنون بقلوبهم ، ولا يستطيعون أن يجهروا بإسلامهم لضعفهم وخوفهم ، وأنتم لا تعرفونهم ، ولا تميزونهم من غيرهم ، فإذا دخلتم مكة محاربين لقى هؤلاء منكم كما يلقى غيرهم من الكفار من التعذيب والقتل والتشريد ، فيلحقكم العيب والمعرة ، وترتكبون الإثم معهم من غير أن تعرفوهم ، ولو قتلتموهم ارحمهم الله وأدخلهم الجنة — لولا هؤلاء المستضعفون ،

ولولا أن فى مكة من قدر الله لهم أنهم سيسلمون ، وسيحسن إسلامهم ، ولو تميز هؤلاء المؤمنون من الكفار فعرفتموهم ، لأذن الله لكم فى دخول مكة ، ومحاربة أهلها ، وعذبهم بكم عذاباً شديداً ، إذ كانوا يأنفون أنفة جاهلية حمقاء ، عند ما كان يكتب العقد الذى تصالحتم فيه على أن تعودوا وتعتمروا فى قابل ، فكان رئيس وفدهم سُهيل يغضب حينما أردت أن تبدأ المعاهدة باسم الله الرحمن الرحيم ، وكان يغضب حينما تملى : محمد رسول الله ، ويُصر على أن تملى : باسمك اللهم ، ومحمد بن عبد الله ، إذ ذاك غضب أصحاب محمد ، وضاقت قلوبهم ، ولكن الله أنزل السكينة عليهم جميعاً ، وظلوا ثابتين على إيمانهم وحلمهم ، وهم أحق عباد الله أن يكونوا مؤمنين متصفين بالحلم والرزانة والوقار ، وكانوا أجدر الناس باستحقاق هذه الصفات الحميدة ؛ والله عالم بكل شىء ، وبمصاير كل شىء .

٣ — رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام أنه يدخل مكة ، وشاع ذلك بين المسلمين ، وعرفه المنافقون ؛ فلما كان صلح الحديبية ، وعودة محمد إلى المدينة ، ارتاب المنافقون فى دخول محمد مكة ، فأنزل الله : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » ، وبذلك أكد الله أن رؤيا محمد صادقة ، وأنه سيدخل مكة حتما ، وإن تأخر ذلك بعض الوقت ، وحكى الله لمحمد ما يحدث ، مؤكداً أنه يدخل مكة فى قابل ، كما اتفق فى صلح الحديبية ، ويدخلها آمناً من أعدائه كفار قريش وغيرهم ، ويحلق ويقصّر كما يفعل المعتمر ، غير خائف ولا وجل ؛ وبذلك يكون محمد عرف ما لم يعرفه الناس ، من أن الخير فى تأخر دخول مكة عام الحديبية ، وفى تأجيله لقابل ، وجعل الله بين صلح الحديبية وبين الاعتمار بمكة فتحاً عاجلاً ، فيه خير وبركة على المسلمين ، وهو فتح خيبر .

(٥)

من الآية ٢٨ من سورة الفتح ، إلى آخر السورة

هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا —١—. مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ، رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ، فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا —٢—.

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بالهدى	بدين التوحيد والهداية .
ودين الحق	والدين الحق ، وهو دين الإسلام .
ليظهره على الدين كله	ليجعله فوق كل دين سبقه ، سماويًّا كان أو غير سماوى .

الألفاظ	شرحها
وكفى بالله شهيداً	ويكفى أن الله وحده هو الذى يشهد له بصحة دينه .
أشداء على الكفار	غلاظ شداد على الكافرين الذين لم يؤمنوا .
رُحماء بينهم	يتعاطفون ويتوادّون ويتراحمون .
تراهم ركعاً سجداً	يكثرون الصلاة والعبادة .
يبتغون فضلا من الله ورضواناً	يطلبون من الله الجنة ، ورضا الله عنهم .
سيماهم فى وجوههم	علامات الصلاح والتقوى ظاهرة فى وجوههم ، بما يبدو من الخشوع والتواضع والوقار
كزرع أخرج شطأه فآزره	هم كزرع أخرج فراخه وأولاده ، والمراد : نباته . فقوّاه وأعانه .
فاستوى على سوقه	فاستقام واعتدل على سيقانه .
مغفرة وأجراً عظيماً	غفراناً لذنوبهم ، وثواباً دائماً على حسناتهم .

مجمل المعنى

١ — الله — جل شأنه — هو الذى أرسل رسوله محمداً بدين التوحيد ، وهو دين الإسلام ، الدين الحق ، ليعليه على جميع ما سبقه من الأديان ، ويخصه بمنزلة عالية رفيعة ، فهو لم يكن لقوم دون قوم ، ولا لجنس دون جنس ، شأن جميع الأديان التى سبقته ، وإنما هو دين أرسل به محمد إلى الناس كافة ، بل آمن به الجن أيضاً ، ولذلك كان الإسلام أعلى من جميع الأديان : سماوية أو غير سماوية ؛ والله وحده هو الشاهد على أن دين

محمد خير الأديان وعلى أنه سيلقى كل ما وعده ربه حقًّا : من فتح مكة ، وانتشار الدين فى مشارق الأرض ومغاربها .

٢ — محمد رسول الله ، أرسل إلى الناس كافة ؛ والذين آمنوا به لهم صفات خاصة ، وُصفوا بشيء منها فى التوراة ، وبشيء منها فى الإنجيل ؛ فوصفوا فى التوراة بأنهم غلاظ شداد ، قساة على الكفار الذين لم يدخلوا فى الإسلام ، وبأنهم بين بعضهم وبعض متوادون متعاطفون متراحمون ، يكثرون العبادة ، لا يملونها فى ليل ولا نهار ، يطلبون من الله أن يرضى عنهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ، ويدخلهم الجنة فى الآخرة ؛ وهؤلاء المؤمنون لكثرة عبادتهم ، ترى علامات الإشراق والتقوى والصلاح ظاهرة فى وجوههم ، فهم أهل خشوع وتواضع ، ووقار وعزّة ؛ أما صفتهم فى الإنجيل فإن مثلهم مثل الزرع ينبت أولا ضعيفا ، ثم تتفرع منه وتنمو حوله فروع أخرى كثيرة ، فيتقوى بها ويظهر ، ويستقيم ، وتعتدل سوقه ، ويظهر ثمره ، فيفرح به زارعه ويُسر له ، ويضيق به عدوه ، ويكتئب إذا رآه ، أما الزرع الأول : فهو محمد ، بدأ رسالته وحيداً ضعيفا ، ولم يلبث أن آمن به الناس واحداً بعد واحد ، حتى كثروا ، فقوى بهم ، واعتز بكثرتهم ، وأعلن دعوته ، وصبر على أذى أعدائه ، وزاد نماؤه حتى ملأ الأسماع ، وعم البقاع ؛ والشطء : أصحابه الذين آمنوا تلبية لدعوته ، واستمروا على العمل الصالح ؛ كانوا قليلا فكثروا ، وكانوا ضعفاء فقوُوا ، فعل الله هذا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغيظ بهم الكفار ، وقد وعدهم الله أن يغفر لهم ذنوبهم ، ويدخلهم جناته يوم القيامة .

سورة الْحُجُرات

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٨ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الخامسة

يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ ،
وَٱتَّقُوا ٱللهَ ، إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ –١– . يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ،
لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ، أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ –٢– . إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللهِ ،
أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ –٣– . إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ –٤– . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ ، وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ –٥– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لا تقدّموا بين يدى الله ورسوله	لا تقترحوا على الله وعلى رسول الله أمراً قطع فيه برأى .
ولا تجهروا له بالقول	ولا تخاطبوه بما لا يليق أن يخاطب به .
أن تحبَط أعمالكم	خشية أن يبطل ثواب أعمالكم .
يغُضُّون أصواتهم	يَخفضون أصواتهم .
امتحن الله قلوبهم للتقوى	أخلص الله قلوبهم للتقوى ، واختصهم بها ، فطهرها من كل قبيح .
من وراء الحجرات	من خارج الحجرات التى اختليت بها بأهلك .
أكثرهم لا يعقلون	يغلب عليهم الجهل ، وجفوة الجاهلية .
ولو أنهم صبروا	ولو أنهم انتظروا .
لكان خيراً لهم	لكان أصلح لهم فى دينهم ودنياهم .

خبر وفد بنى تميم

قَدم وفد بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فى السنة التاسعة من الهجرة ، وهم سبعون رجلا أتوا شفعاء فى أسارى ، ودخلوا المسجد وقت القيلولة ، ورسول الله نائم فى بيت عائشة ، فنادوا من وراء حجرته : يا محمد ! اخرج إلينا ! ورفعوا أصواتهم ، فآذى رسول الله صياحهم ، فخرج عليه السلام ، فجلس ، وتقدم عُطارد بن حاجب خطيب الوفد ، وخطب ، فرد عليه ثابت

ابن قيس بإذن النبى ، ثم تقدم الزِّبرقانُ بنُ بدر شاعر الوفد وأنشد ، فرد عليه حسان بن ثابت بإذن الرسول ، ثم خلا الوفد فقالوا : إن هذا الرجل مؤيد مصنوع له ؛ والله لَخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولصوته أحلى من أصواتنا ، ولهو أحلم منا ! فأسلموا ، وجوَّزهم رسول الله ، فأحسن جوائزهم ، ثم قال لسَبْرة بن عمرو : هذا يحكم بيننا وبينكم ، فقالوا : عمُّه معنا ، وهو أفضل منه ، فأبى النبى صلى الله عيه وسلم ، فحكم سَبرة أن يَمن رسول الله على نصف الأسرى بإطلاق سراحهم ، وأن يفتدى بنو تميم النصف الآخر ، ففعل ، وكان عمرو بن الأهتم قد خلَّفه القوم على ظهورهم — إبلهم — ، فلما منحهم النبى الجوائز ، سألهم : هل بقى منكم من لم نُجزه ؟ فقال قيس بن عاصم — وكان يكره عمراً — : يا رسول الله ، إنه قد كان رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حَدث لا شرف له ، فقال النبى : أرسلوه نُجزه ، فأعطاه مثل ما أعطى القوم .

مجمل المعنى

١ — ينهى الله المؤمنين عن الاختلاف فى مجلس النبى ، وعن تقديم مقترحات مخالفة لما أمر به الله ونبيه ، ولا سيما إذا كان ذلك فى أمر من أمور الدين ؛ فإذا أراد أن يستخلف رجلاً على بلد ، فيستخلف من أراده ؛ ولا تقدم الطاعات عن أوقاتها التى حددها إلا فى الأمور التى يبيحها الدين ؛ وأمر بتقوى الله والخوف منه ، فى التقدم المنهىّ عنه ، فإنه يسمع كل ما يقال ، ويعلم كل ما يفعله كل إنسان .

٢ — وينهى الله المؤمنين عامة ألا يقعوا فى مثل ما وقع فيه وفد بنى تميم ، فلا يَسوغ لهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبى تأدباً معه ، فهو زعيم المسلمين ، وصاحب الرسالة فيهم ، وقد قالوا : إن عمر بعد أن نزلت هذه

الآية ، كان إذا تكلم فى حضرة النبى لا يُسمع كلامه حتى يُستفهمه ، وكان يذكر دائماً ما جرى بينه وبين أبى بكر من خلاف أمام النبى ، حين قدم عليه وفد بنى تميم ، فأشار أحدهما أن يستعمل النبى الأقرع بن حابس على قومه — وكان الأقرع أسلم قبل مجىء الوفد — وأشار الآخر بالقعقاع بن معبد ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردتَ إلا خلافى ؛ فقال عمر : ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتهما فى ذلك ، فلما نهى الله عن رفع الصوت ، كان عمر لا يفهم كلامه حتى يُستفهمه ؛ وكما نهى الله عن رفع الصوت فى حضرة محمد تأدباً ، نهى كذلك أنْ يخاطبه أحد إلا بأدب ! فلا يقول له : يا محمد ، يا أحمد ، ولكنه يناديه : يا نبى الله ، يا رسول الله ، توقيراً له ، أو أنْ يَجهرَ له بالقول حين حديثه معه ، كما يَجهر بعضهم لبعض ، كراهة أن يبطل ثواب ما عمله من خير .

٣ — يغرى الله المؤمنين أن يخفضوا أصواتهم عند الحديث أمام النبى ، ويصف من يخفضون أصواتهم بأنهم هم الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى ، واختصهم بها ، وطهرهم من كل قبيح ، ولهم من الله مغفرة وأجر عظيم .

٤ — ندد الله بأعراب بنى تميم الذين حضروا إلى المدينة ، ونادوا النبى من وراء حجراته ، بجفوة الأعراب وغلظتهم ، ووصفهم بأنهم يغلب عليهم الجهل ، وخشونة البداوة ، والتجرد من الذوق وآداب اللياقة .

٥ — ولو أن هؤلاء الناس لم يتعجلوا بإزعاجك ومناداتك على الصورة التى حدثت منهم ، وصبروا حتى تخرج إليهم فى موعد خروجك من غير استعجال — لكان ذلك التريث أصلح لهم ، وأجمل لدينهم ، وأكرم لدنياهم ، لأن تشددهم جعله لا يطلق إلا نصف السبى الذى جاءوا من أجله ، ولم يطلق النصف الآخر إلا بالفدية ، ولعله كان يطلق السبى كله لو رأى منهم أدباً واحتراماً .

(٢)

من الآية ٦ إلى الآية ٨ من سورة الحجرات

يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ، أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ –١– . وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ ، لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ، وَلٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُولٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ –٢– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فاسق	كاذب .
فتبينوا	فتثبتوا .
بجهالة	بخطأ .
لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم	لو تسرع مثل تسرعكم ، وتصرف قبل التثبُّت ، لأصابكم مشقة وإثم .
حبب إليكم الإيمان	جعل الإسلام أحب الأديان إليكم .

الألفاظ	شرحها
وزيّنه فى قلوبكم	وجعله فى قلوبكم حسناً فاخترتموه ، وفضلتموه على غيره .
وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان	وبغّض إليكم كل ما خرج عن حدود الطاعة .
أولئك هم الراشدون	أولئك هم المستقيمون الثابتون على طريق الحق ، الموفقون إلى الإيمان .

حديث الفاسق

أما الفاسق فهو الوليد بن عُقبة بن أبى مُعيط ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى المصطلق لأخذ الصدقات منهم ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، ولما سمع بركوبهم إليه خافهم ، لإحنة كانت بينه وبينهم ، فرجع إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — وأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام ، وأنهم قد هموا بقتله ، ومنعوا صدقاتهم ، فبعث النبى إليهم خالد بن الوليد ، وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا ، فبعث عيونه ، فلما جاءوا أخبروا خالداً أنهم متمسكون بالإسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد ، ورأى صحة ما ذكروه ، فعاد إلى النبى فأخبره ، فنزل : « يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ . . . » .

مجمل المعنى

١ — يأمر الله المسلمين أنهم إذا نقل إليهم خبر من الأخبار ، لا يسارعون إلى تصديقه ، وترتيب ما ينشأ من التصديق من أعمال قد تكون خطيرة ، ولكن الواجب التمهل والتريث ، حتى يتأكدوا من صدق الخبر أو كذبه ، لأنه يترتب على الاستعجال القيام بعمل خطير خطأ ، وإذا تبين الخطأ بعد ذلك ندمنا على ما فعلنا .

٢ — والذين ينقلون إلى رسول الله أخباراً كاذبة ، يرتكبون بذلك خطأين : خطأ الكذب ، وخطأ الغفلة عن أنه يكذب على رسول الله ، والله يُعلمه كل شيء ، فلن يخفى عنه كذب الكاذب ، ولا خطأ المخطئ ، عامداً أو غير عامد ، ولو أن الرسول يسارع إلى ما يريد الكاذبون ، لأصابهم وأصاب غيرهم كثير من العنت والمشقة ، ولركبهم إثم يعاقبون عليه ، وخاطب الله المؤمنين المخلصين فى إيمانهم ، الذين لا يكذبون على رسولهم — أنه جعل الإيمان أحب الأديان إليهم ، وأدناها من قلوبهم ، فاختاروه وفضلوه على سائر الأديان ، وبغّض إليهم الكذب ، ونفّرهم من العصيان ، والخروج على الطاعة ؛ وهذا الصنف من المؤمنين هم الذين ثبتهم الله على الإيمان ، ووفقهم إليه فاستمسكوا به ، وتشددوا فيه ، ولم يتهاونوا فى صغيرة أو كبيرة بشأنه ؛ وقد فعل الله لهم ذلك فضلا منه ، ونعمة عليهم ؛ والله عليم بما يصلح أحوال الناس ، حكيم فى تصرفه وتدبيره .

(٣)

من الآية ٩ إلى الآيه ١٠ من سورة الحجرات

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي ، حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ –١– . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللهَ ، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ –٢– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
طائفتان	جماعتان ، وتطلق الطائفة على الواحد وما فوقه ، ولذا عاد الضمير جمعاً .
فإن بغت إحداهما على الأخرى	فإن اعتدت إحدى الطائفتين على الطائفة الأخرى ، وتطاولت .
حتى تفيء إلى أمر الله	حتى ترجع إلى كتاب الله وأحكامه .
فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل	فإن رجعت فاحكموا بينهما بما يأمر الله.
وأقسطوا	واعدلوا .

أم زيد

أم زيد : امرأة من الأنصار ، تزوجت من رجل غير أنصارى ، ثم حدث أن تخاصمت مع زوجها ، وأرادت أن تزور أهلها ، فحبسها زوجها ، وجعلها فى عُلِيَّة — غرفة — لا يدخل إليها أحد من أهلها ، ولا يصلون إليها ؛ فبعثت أم زيد إلى قومها تخبرهم خبرها ؛ فجاءها أهلها ، وأنزلوها من العلية ليحملوها معهم إلى منازلهم ، فخرج زوجها ، واستغاث أهله ، فجاء إليه بنو عمه ، وساعدوه على أصهاره ، وعملوا على أن يحولوا بينهم وبين أم زيد ، فتشاجر الفريقان وتدافعا وتضاربا بالنعال والجريد والأيدى ، فنزل قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين . . . » .

مجمل المعنى

١ — إذا وقع خصام بين طائفتين من المسلمين لأى سبب من الأسباب — فإن الواجب يقضى بأن يتدخلوا بينهما بالصلح ، بما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله ، فإن رفضت إحدى الطائفتين الصلح ، واستمرت فى المخاصمة بغير حق — وجب على المسلمين أن ينضموا إلى الطائفة التى قبلت التحكيم ، والرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وأن يقاتلوا الطائفة الباغية المعتدية ، حتى تثوب إلى رشدها ، وترجع إلى ما يحكم به الكتاب والسنة ، ولا يكون بغى الفئة المعتدية بعد رجوعها سبباً فى التشدد عليها ، بل يجب الإصلاح بالعدل ، من غير تحيز إلى طائفة دون أخرى ؛ ويؤكد الله — سبحانه — أنه يحب العادلين ، ويرضى عنهم ، ويجزيهم أحسن الجزاء .

٢ — يؤكد الله أن المؤمنين جميعاً إخوة فى الدين والحرمة ، وهى أقوى من أخُوَّة النسب ؛ فالمسلم أخو المسلم ، ويجب على الإخوة ألا يسكتوا على خصام وقع بين المسلمين ، بل يجب عليهم أن يسارعوا إلى المتنازعين ، ويصلحوا بينهم ، مراعين فى ذلك العدل والحق ، واتقاء الله ، رجاء أن يجزيهم على توسطهم فى الله ، ويبسط عليهم بسببه رحمته .

(٤)

من الآية ١١ إلى الآية ١٣ من سورة الحجرات

يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ، عَسَى أَنْ
يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ ، عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا
مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ، بِئْسَ
ٱلِاسْمُ : ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ! وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ —١—. يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ ،
إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ،
أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ؟ فَكَرِهْتُمُوهُ ،
وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ، إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ —٢—. يَٰأَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا
خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ،
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ —٣—.

الألفاظ	شرحها
لا يسخر قوم من قوم	لا يستهزئ قوم بقوم ، ويطلق القوم لغة على الرجال فقط .
ولا تلمزوا أنفسكم	ولا يعب بعضكم بعضاً ، فتعابوا.
ولا تنابزوا بالألقاب	ولا يناد أحدكم الآخر بلقب يكرهه .
بئس الاسم : الفسوق بعد الإيمان	بئس الخروج عن طاعة الله ، وهو : أن يسمَّى الرجل باسم يكرهه بعد أن أسلم .
ولا تجسسوا	ولا يبحث أحدكم عما يُكتم عنه .
ولا يغتب بعضكم بعضاً	ولا يذكر بعضكم إخوانه فى غيبتهم بما يكرهون.
من ذكر وأنثى	من آدم وحواء .
شعوباً وقبائل	الشعوب : رءوس القبائل ، فالشعب ينقسم إلى قبائل .

مجمل المعنى

١ — فى أذنه وقر

ثابت بن قيس بن شماس — خطيب الرسول فى وفد بنى تميم —كان صحابياً ، وكان فى أذنه وقر ، وكان إذا ذهب إلى مجلس النبى — صلى الله عليه وسلم — أوسع له الناس ، حتى يجلس إلى جنب النبى ، ليستطيع أن يسمع ما يقول ، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبى ، وأدرك ركعة ؛ وبعد أن أتم النبى صلاته أخذ مجلسه ، وأخذ أصحابه مجالسهم منه ، وحرَص كلٌّ منهم على مكانه ، حتى يستطيع أن يسمع ، وازدحم المجلس ، حتى كان كثير منهم لم يجدوا لهم مكاناً ، فوقفوا فى حواشى

المجلس؛ ولما أتم ثابت صلاته ، تخطى رقاب الناس ، ليجلس بجانب النبي ،وهو يقول: تفسحوا؛ تفسحوا، ففسحوا له حتى انتهى إلى النبي ،وبينه وبينه رجل واحد، فقال له : تفسَّح ، فقال له الرجل: قد وجدت مجلساً فاجلس ، فجلس ثابت من خلفه مُغضباً ، ثم قال : مَن هذا ؟ قالوا : فلان ، فقال ثابت: ابن فلانة ؟ ! ! يعيره بها — يعنى أمًّا له فى الجاهلية — فاستحيا الرجل ، فنزل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم، عسى أن يكونوا خيراً منهم »، فلا يجوز أن يعير رجلا رجلا بأمه ولا بأبيه ، ولا بفقره ولا بدينه السابق ، ولا بعاهة فيه ، فقد يكون المستهزأ به خيراً عند الله من المستهزئ ، لتقواه أو علمه ، وكان السابقون يتصونون ويبالغون فى التصوّن، حتى لقد قال أحدهم : لو رأيت رجلا يرضع عنزاً فضحكت منه ، لخشيت أن أصنع مثل الذى صنع ؛

ويطلق العرب القوم على الرجال خاصة ، قال زهير بن أبى سلمى :

وما أدرى ولست إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء

ب — لسان كلب

ربطت أم سلمة إحدى زوجات النبى —صلى الله عليه وسلم — خَصْرَيها بسبيبة — والسبيبة : ثوب أبيض— وسدلت طرفيها خلفها ، فكانت تجرهما وراءها إذا مشت ، رأتها عائشة فقالت لحفصة — رضى الله عنهما — : انظرى ما تجر خلفها ! كأنه لسان كلب، وسخرتا منها، فنهى الله عن سخرية النساء بالنساء ، كما نهى عن سخرية الرجال بالرجال ، فلا يجوز أن تعير المرأة المرأة بالقصر أو الغلط الكثير ، أو الهزال ، أو بالدين ؛ فقد كانت أم سلمة تشكو إلى رسول الله أنها تعير بالقصر ؛ وكانت صفية بنت

حُيَيّ بن أخطبَ تشكو إلى رسول الله أنها تعير بيهودية أبويها ؛ فنهى النبي عن ذلك ، وقال : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ؛ ومن يدرى !؟ لعل من تسخر منه هو عند الله أعلى منزلة ، وأرفع شأناً ! وينهى الله المسلمين أن يعيب بعضهم بعضاً باليد أو بالعين أو اللسان أو الإشارة ، أو يطعن بعضهم على بعض ، أو يكون من الذين يصدق فيهم قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « يُبصر أحدكم القذاة فى عين أخيه ، ويَدعُ الجذع فى عينه » ، والقذاة : ما يقع فى العين من تراب ؛ فمن عاب غيره استحق الكشف عن عيوبه ، ونشر سيئاته ، فيكون هو الذى تسبب فى عيب نفسه .

ح — مَهْ يا رسول الله

قدم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على بنى سلمة ، وليس منهم رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة ، فجعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : يا فلان ، فيقولون : مَه يا رسول الله ، إنه يغضب من هذا الاسم ، فنزل قوله تعالى : ولا تنابزوا بالألقاب . والمعنى : لا يدعُ أحدكم أخاه باسم يكرهه ، فلا يناده إلا بأحب أسمائه إليه ، ولا يصح أن يعير الرجل باسم كان يُعرف به قبل أن يُسلم ، فكرهه بعد إسلامه ؛ فلا يقال له : يا يهودى ، ولا يا نصرانى ، فإن هذا اسم بئس الاسم ، بعد أن خلع الرجل ما كان فيه ، ودخل فى الإسلام ؛ ومن يفعل شيئاً مما مضى من السخرية والهمز والنبز ، فإنه فاسق عاص ، خارج عن طاعة الله ، ومن لم يتب عن هذه الألقاب التى يتأذى بها المسلمون ، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم ، لارتكابهم ما نهى الله عنه .

٢ — خضرة اللحم

كان النبى — صلى الله عليه وسلم — إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما ، فضم سلمانَ إلى رجلين ، فتقدم سلمان إلى المنزل ، فغلبته عيناه ، فنام ، ولم يهيئ لهما شيئاً ، فجاءا فلم يجدا طعاماً وإداماً ، فقالا له : انطلق فاطلب لنا من النبى — صلى الله عليه وسلم — طعاماً وإداماً ، فذهب فقال له النبى : اذهب إلى أسامة بن زيد فقل له : إن كان عندك فضل من طعام فليعطك — وكان أسامة خازن النبى — فذهب إليه ، فقال له أسامة : ما عندى شىء ، فرجع إليهما فأخبرهما ، فقالا : قد كان عنده ، ولكنه بَخل ؛ ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة ، فلم يجد عندهم شيئاً ، فقالا : لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة — وهى بئر بالمدينة غزيرة بالماء — لغار ماؤها ، ثم انطلقا يتجسسان : هل عند أسامة شىء ؟ فرآهما النبى فقال : مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما ؟ ! ! فقالا : يا نبى الله ، والله ما أكلنا فى يومنا هذا لحماً ولا غيره ، فقال : ولكنكما ظَـلَـلْتما تأكلان لحم سلمان وأسامة ، فنزل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ... » ؛ وفى هذه الآية ينهى الله — سبحانه وتعالى — عن إساءة الظن بالناس ، فإن الظن قد يأثم به صاحبه ، وليس معنى هذا أننا نحسن الظن إلى درجة الغفلة ، ولكن الغرض أن نحمل الأمور على المحمل الحسن ، مع التنبه إلى المحمل السيئ إن كان ، وألا نتهم بدون سبب موجب للتهمة ، فعلى الإنسان إذا سمع ما يدعو إلى سوء الظن ألا يسرع إليه ؛ ولكن عليه أن يبحث ويفحص من غير تحسس ولا تجسس ، وألا يتتبع عورات الناس ، فإذا ثبت لديه ثبوتاً

يقينيا ما يوجب سوء الظن ، فعل ما يجب عليه ، ونهى الله عن تتبع عورات الناس ، ومحاولة كشف المستور ، لمجرد الكشف والفضيحة ، وإشاعة القالة فى الناس ، ونهى عن الغـيبة ، فلا يجوز أن يُذْكَر إنسان فى غيبته بشىء يكرهه إن هو سمعه ، فالغيبة : ذكر العيب فى الغيب ؛ وقد مثل الله الغيبة بأكل الميتة ، فكلا الميت والمغتاب فى وضع واحد ، لا يحس أحدهما ما يجرى له ولا يدريه ، فالميت يؤكل لحمه ولا يُحس ، والمغتاب يُنْهش عرضه ولا يحس ؛ وأكل لحم الميت حرام ، والغيبة حرام ، وهى كما قالوا : إدام كلاب الناس ، ويجب على المسلمين أن يتقوا الله ويخافوه ، فإذا تابوا عما فرط منهم من غيبة أو تجسس أو ظن سيئ ، فإن الله يتوب عليهم ويرحمهم .

٣ — الغراب الأسود

لما كان يوم فتح مكة ، أمر النبى — صلى الله عليه وسلم — بلالا أن يعلو على ظهر الكعبة ، ويؤذن فى الناس ، فصعد بلال على ظهر الكعبة وأذّن ، فساء ذلك بعض سادة قريش ، فتكلموا ؛ وكان ممن تكلم عتّاب ابن أَسيد ، قال : الحمد لله الذى قبض أبى حتى لا يرى هذا اليوم ، والحارث بن هشام ، قال : ما وجد غير هذا الغراب الأسود مؤذِّناً ؟! ! وسُهيل بن عمرو ، قال : إن يُرد الله شيئاً يغيِّره . وأبو سفيان ، قال : إنى لا أقول شيئاً أخاف أن يُخبر به ربُّ السماء . فأتى جبريل النبى وأخبره بما قالوا ، فدعاهم وسألهم عما قالوا ، فأقروا ، فأنزل الله : « يأيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ... » ، وزجرهم الرسول عن التفاخر بالأنساب ، والتكاثر بالأموال ، والإزدراء بالفقراء ؛ وفيها يؤكد الله للناس أنهم جميعاً

عند الله سواء ، لا فرق بين أبيضهم وأحمرهم وأسودهم ، ولا فرق بين الساميّ والآريّ والحاميّ ، فكلهم من أب واحد وأم واحدة ، ثم تناسلوا وتكاثروا ، فصاروا على الأجيال أمماً كبيرة ؛ والأمم الكبيرة تنقسم إلى فروع صغيرة ، ليعرف بعض الناس بعضاً ، ويأنس بعضهم إلى بعض ، ولا فضل لعربيّ على عجميّ إلا بالتقوى ؛ فلا تفاخر بالأحساب والأنساب ، ولا تكاثر بالأموال ، ويوم القيامة يقول الله تعالى : « إني جعلت نسباً ، وجعلتم نسباً ، فجعلت أكرمكم أتقاكم ، وأبيتم إلا أن تقولوا : فلان ابن فلان ، وأنا اليوم أرفع نسبي ، وأضع أنسابكم ، أين المتقون ؟! أين المتقون ؟! »

(٥)

من الآية ١٤ من سورة الحجرات إلى آخر السورة

قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ : آمَنَّا ، قُلْ : لَمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَٰكِنْ قُولُوا : أَسْلَمْنَا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَإِنْ تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ، إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ –١– . إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، قُلْ : أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ؟ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ، وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ –٢– . يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ، قُلْ : لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ، بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ –٣– . إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ –٤– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الأعراب	المراد : أعراب بنى أسد .
آمنا	آمنا بمحمد إيماناً صادقاً باللسان وبالقلب .
أسلمنا	استسلمنا خوف القتل والسبى .

الألفاظ	شرحها
لا يلتكم من أعمالكم شيئاً	لا ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم .
إن الله غفور رحيم	إن الله يستر ذنوب المذنب إذا تاب ، ويرحمه بهدايته إلى التوبة .
لم يرتابوا	لم يشكّوا .
أتعلّمون الله بدينكم	أتخبرون الله بتصديق قلوبكم ؟
يمُنون عليك أن أسلموا	يظهرون تفضلهم عليك بدخولهم فى الإسلام .
الله يمن عليكم	الله صاحب الفضل عليكم .

الأعراب

قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أعراب من بنى أسد ، فى سنة مجدبة ، وأظهروا الشهادتين أمام النبى ، وادّعوا أنهم آمنوا — وكانوا فى الحقيقة غير مؤمنين — وأقاموا بالمدينة ، وكانوا أعراباً جفاة غلاظاً : أفسدوا جوّ المدينة بغائطهم ، وأغلوا الأسعار فيها ؛ وكانوا يقولون للنبى : أتيناك بالأثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ، فأعطنا من الصدقات ؛ وجعلوا يمنون عليه ، فأنزل الله فيهم : « قالت الأعراب آمنا . . . » .

مجمل المعنى

١ — إن هؤلاء الأعراب يدّعون أنهم دخلوا فى الإيمان طواعية واختياراً ، ولم يحاربوه كما حاربه غيرهم من قبائل العرب ، ولذلك يجب عليه أن يفضلهم على غيرهم ، ويقدمهم فى توزيع الصدقات ، فكشف الله أمرهم ، وأبان حقيقتهم ، وأظهر لنبيه أنهم لم يؤمنوا بقلوبهم ، ولكنهم هبطوا من البادية

وآثروا السلام على الحرب ، فنطقوا بالشهادتين ، وأظهروا الإسلام ، ولكن إسلامهم لم يتجاوز ألسنتهم ، وكانوا إلى حين إخبار النبى بحقيقتهم على هذا الوضع ، لم يكن منهم إلا إيمان باللسان ، ولم يتجاوزه إلى القلب ؛ على أنهم إن يخلصوا فى إيمانهم ، لا ينقص الله من أجورهم شيئاً فى الدنيا ولا فى الآخرة ، والله يستر على التائب ذنبه ، ويرحمه ويغفر له .

٢ — يؤكد الله أن المؤمنين إيماناً صادقاً خالصاً لوجه الله ، هم الذين يؤمنون بقلوبهم ، ولا يتطرق إليها شك ، ويجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ؛ هؤلاء هم الصادقون فى إيمانهم ، لا الذين يُسلمون طمعاً فى صدقة ، أو فرارا من قتل ؛ وحينما أنزل الله هذا على نبيه ، وكشف به سر الأعراب ، أرادوا أن يداروا أنفسهم ، فأقسموا أنهم مؤمنون بقلوبهم ، فبيَّن الله لهم أنه ليس فى حاجة إلى أن يُخبروه بحقيقة أمرهم ، فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، فهو عالم علم إحاطة بما تظنون وبما لا تظنون .

٣ — عجباً لهؤلاء الأعراب ! يمنون على النبى أنهم دخلوا فى الإسلام ، كأنهم أسلموا له ومن أجله ولمنفعته ، فأمر الله النبى أن ينهاهم عن إظهار التفضل عليه ، وأن يبين لهم ألا يعدّوا إسلامهم منة عليه ، وأن الله هو الجدير بأن يمن عليهم بسبب هدايتهم إلى الإيمان ، إن كانوا صادقين فيما يدعونه من إسلام باللسان ، وإيمان بالقلب .

٤ — والله يعلم كل شىء عظم أو صغر ، ظهر أو خفى ، فى هذا العالم وفى جميع العوالم الأخرى ، وما يعمله هؤلاء الأعراب فى المدينة ، وما يمنون به على محمد ، وحقيقة إيمانهم يعلمه الله كله ، ويحاسب عليه يوم القيامة

سورة قٓ

نزلت بمكة ، ماعدا الآية ٣٨ فإنها نزلت بالمدينة ، وآياتها ٤٥ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١١

قٓ ، وَٱلقُرآنِ ٱلْمَجِيدِ —١— . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ
مِنْهُمْ ، فَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ : هٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ —٢— . أَئِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا ؟ ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ —٣— . قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ
ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ، وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ —٤— . بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جاءَهُمْ ، فَهُمْ فِى أَمْرٍ مَرِيجٍ —٥— . أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ
فَوْقَهُمْ : كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ، وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ —٦— .
وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجٍ بَهِيجٍ ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ —٧— . وَنَزَّلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا ، فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ،
وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ، رِزْقًا لِلْعِبَادِ ، وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً
مَيْتًا ؟ كَذٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ —٨— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ق	تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول .
المجيد	صاحب المجد والشرف ، والمنزلة الأولى على غيره من الكتب السماوية وغير السماوية .
منذر منهم	رسول من جنسهم ، يخوفهم عواقب أعمالهم .
ذلك رجع بعيد	إعادتنا بعد الموت أمر مستبعد ، يستحيل وقوعه .
ما تنقص الأرض منهم	ما تأكل الأرض من أجسادهم بعد الموت .
كتاب حفيظ	علم شامل ، محيط بكل أجزائهم ، بحيث لا يغيب عنا شيء منها .
كذبوا بالحق لما جاءهم	كذبوا بالنبوة وببعث محمد وبالقرآن ، مع إقامة الدليل على أن هذا كله صدق ؟ .
فهم فى أمر مريج	فهم فى حالة اضطراب واختلاف ، لا يميزون بين الحق والباطل .
كيف بنيناها	كيف رفعناها بغير عمد ، وسويناها سقفاً محفوظاً ، على نظام خاص ؟ .
وزيناها	وجعلناها فى زينة عجيبة ، بما فيها من نجوم وكواكب .
وما لها من فروج	وليس فيها خلل ولا اضطراب ، فلا تفتق ولا تشقق ولا تصدع .
والأرض مددناها	والأرض بسطناها لتكون صالحة للسير عليها .

الألفاظ	شرحها
وألقينا فيها رواسى	وجعلنا فيها جبالا ثوابت ، تحفظها أن تميد وتضطرب .
من كل زوج بهيج	من كل صنف من النبات يُبهج ، ويَسر بحسنه وجمال منظره .
تبصرة وذكرى	لنبصر به قدرة الله ، ونتذكر عظمته .
لكل عبد منيب	لكل إنسان يفكر فى خلق الله وبديع صنعه ، ويرجع إليه بقلبه .
ماء مباركاً	ماء كثير النفع .
جنات	بساتين من أشجار وثمار .
وحب الحصيد	وحب الزرع الذى يحصد ، كالقمح والفول والشعير وغيرها .
والنخل باسقات	وأنبت الله بالماء النخل طويلات ضاربات فى الجو .
لها طلع نضيد	لها نتاج منظم على ترتيب بديع .
رزقاً للعباد	قوتاً للعباد .
وأحيينا به بلدة ميتاً	وأحيا الله بالماء بلدة كانت أرضها جدبة ، فصارت خصبة .
كذلك الخروج	كإحياء الله البلدة الميتة بالماء ، يكون إحياء الموتى يوم القيامة .

مجمل المعنى

١ — هذا الحرف الذى بدأنا به هذه السورة — وهو القاف — قد ركبت منه ومما يماثله من حروف الهجاء ألفاظ القرآن ، وأنتم أيها الكفار المعاندون ، قادرون على أن تصوغوا من هذه الحروف ما شئتم من الأساليب ، ولكنكم عاجزون عن مجاراة أساليب القرآن فى فصاحتها وبلاغتها ، والجرى فى مضمارها ؛ أقسم بالقرآن ذى الشرف العظيم ، والقدر العالى الرفيع ، إنه لكلام معجز ، فإن كنتم فى ريب من هذا فأتوا بسورة من مثله ، واستعينوا بمن شئتم ، إن كنتم صادقين فيما زعمتم ، من أن القرآن صنعه محمد .

٢ — ينكر الله على كفار قريش عجبهم من أن الله يرسل إليهم واحداً منهم ، ينذرهم ويخوفهم هذه الأمور العظيمة التى يجدونها يوم القيامة إن ماتوا على الكفر ، ومن أن الله يرسل إليهم قرشيًّا منهم ، وآدميًّا مثلهم ، ليس مَلكاً ولا جنِّيًّا ؟

٣ — ولم يكتفوا بإظهار العجب من أنهم يبعثون ويحاسبون ، ولم يقتنعوا بهذا ، ولم يصدقوا أن الذى يموت ويصير تراباً يبعثه الله يوم القيامة ، واستبعدوا ذلك واستنكروه .

٤ — رد الله عليهم ، مؤكداً أنه ليس ذلك بعيداً عليه ، فهو يعلم ما تأكل الأرض من أجساد الناس بعد موتهم ؛ وذلك أن الإنسان إذا مات تحلل جسمه ، وصار عناصر مختلفة ، ودخلت هذه العناصر فى أشياء أخرى ، تكون حيوانية أو نباتية أو جمادية ؛ والله يعلم ما يصيب الأجسام من التحلل ، وما يجرى على عناصرها بعد ذلك فى تكوين أجسام أخرى ، فعلمه شامل ، محيط بكل ذرة من أجزاء أجسامهم ، وما تأكل الأرض من لحومهم

وعظامهم ، إنه يعلمه ، فإنه محفوظ عنده ، يجرى على نظام إلهى ثابت مرسوم ؛ والذى يعرف كل هذا ، ويحيط به تلك الإحاطة ، لا يعجز عن بعث الموتى ، وإعادتهم يوم القيامة لمحاسبتهم .

٥ — هؤلاء الكافرون أنكروا الحق الذى جاءهم به محمد وكذبوه ، فلم يعترفوا بنبوته ، ولا برسالته ، ولم يصدقوا القرآن الذى نزل عليه ؛ وهم مضطربون فى كلامهم ، والتبس عليهم أمرهم ، فوصفوا محمداً مرة بأنه شاعر ، ومرة بأنه كاهن ، ومرة بأنه ساحر ؛ ورموه بالجنون .

٦ — وجه الله نظرهم إلى الدليل الحى القائم ، الناطق بأن الله واحد ، وهو أنهم ينظرون فى آثار قدرة الله سبحانه وتعالى ، ينظرون إلى هذه السماء القائمة فوقهم ، كيف قامت على غير عَمد ، وُسويت على نظام خاص ؟ والنجوم فى السماء منتشرة هنا وهناك ، لامعة متلألئة ، فيها رونق ، وفيها جمال ، وكيف أن هذه السماء قامت على هذا الوضع منذ خلقت ، ولم يطرأ عليها تصدع ولا تشقق ، ولا تفتق ، ولا اضطراب ؟ الحق أن الإنسان يرى سقفاً مرفوعاً فيسميه سماء ، ويرى نجوماً مضيئة هى زينة السماء ، وذلك نظام بديع لا يستطيع أن ينشئه ويقوم عليه ويحفظه إلا الله وحده ، وهو قائم على قانون يسمى قانون الجذب العام ، وهذا القانون يقضى بأن جميع الأجسام بينها تجاذب ، وبأن جميع الكواكب بينها تجاذب ، هذا التجاذب جعلها تبقى فى وضعها وعلى نظامها إلى أن يريد الله تغييره ؛ وقد وصل الإنسان بعقله وعلمه إلى أن هناك جاذبية ، وإلى أن هذه الجاذبية لها أثرها فى نظام هذا الكون ، ووصل إلى أنه لولا الجاذبية لما تماسكت أجزاء الأرض على سطحها ، ولما كان للأجسام على الأرض ثقل ولا وزن ولا بقاء ، ولما بقى ماء فى محيط ولا بحر ولا نهر ، ولما بقى هواء حول الأرض

تعيش عليه الكائنات الحية كلها ، ولما سقط مطر على سطح الأرض ؛ وعلى الجملة لولا الجاذبية لانعدمت الحياة على سطح الأرض ؛ وليست الجاذبية بين الأرض وما عليها ، بل هى أيضاً بين الأرض وغيرها من الكواكب الأخرى ، وبين الكواكب نفسها ؛ فجميع الكواكب فى ملكوت الله بينها جميعها تجاذب على نظام خاص ، ونتيجة هذا التجاذب أن كل كوكب متخذ له وضعاً خاصًّا بين غيره من الكواكب ؛ وهذه الجاذبية التى وصل الإنسان بعقله إلى نتيجتها وأثرها ، لم يعرفها الإنسان قبل قرنين ونصف قرن ، أى قبل أواخر القرن السابع عشر الميلادى ، وقد دل القرآن على وجودها منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، فما هى حقيقة الجاذبية ؟ وما سرها ؟ هذا شىء انفرد الله بعلمه ، لا يعرفه إلا هو .

٧ — ومن الأدلة على قدرة الله أيضاً ، أنه خلق هذه الأرض وبسطها ، وأعدها إعداداً يجعلها صالحة للسير عليها ، والانتفاع بها ، وجعل هذه الأرض ثابتة لاتضطرب ولاتميد ، بما خلق لها من جبال وزعها عليها توزيعاً منتظماً ، جعلها كأنها أعمدة فقرية للأرض ، متلازمة متماسكة ؛ فجبال الدنيا القديمة : آسيا وإفريقية وأوربا ، متصلة بجبال الدنيا الجديدة : الأمريكتين واستراليا ، وهذا الاتصال ناشىء عن أن المحاور الجبلية تسير أصولها فى أعماق المحيطات ، ويتصل بعضها ببعض ، فهى إطارات طوقت الأرض من كل جانب ، وحفظتها من الاضطراب والميدان ، وزين الله الأرض وجعلها جميلة ، بما أنبت فيها من زرع نضير ، مختلف الأشكال والألوان والثمار ؛ جعل الله ذلك كله ليتبصر فيه الإنسان ، ويتعظ به ، ويعتبر ؛ وإنما يتعظ ويعتبر الإنسان الذى يرجع إلى الله ، ويفكر دائماً فى بديع صنعه .

٨ — ومن الأدلة على قدرة الله أيضاً ، أنه أنزل من السماء ماء فيه منافع كثيرة ، لولاه لما كانت حياة على وجه الأرض ؛ ومن أثر وجود الماء الحدائق الناضرة ، والزروع الكثيرة المختلفة ، الذى يزرعها الإنسان ، ويتعهدها ؛ فإذا نضجت حصدها ، وأخذ حبها ، وعاش عليها هو وحيوانه : كالقمح والشعير والفول وغيرها ؛ وكذلك نزرع النخل ، ونرويه بالماء ، فيطول ويمتد فى السماء ، ويخرج ثمراً حسن النظام والترتيب ، قد تراكم بعضه فوق بعض ؛ وهذا كله رزقنا الله به لنتغذى منه ، ونعيش عليه ؛ والماء إذا نزل فى بلدة أرضها قحلة ميتة ، فإنه يحييها ، ويخرج منها زرعاً نأكله وتأكل منه أنعامنا ؛ والذى قدر على إحياء الأرض بعد موتها ، قادر على إحياء الإنسان بعد موته ، والأمران متشابهان ، فليس عجيباً إذن أن يحيينا الله يوم القيامة ، ليحاسبنا على أعمالنا فى الدنيا .

(٢)

من الآية ١٢ إلى الآية ٢٢ من سورة ق

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ، وَعَادٌ
وفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ، وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ، كُلٌّ
كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ، فَحَقَّ وَعِيدِ —١— . أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ؟
بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ —٢— . وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ ،
وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ،
إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ
مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ —٣— . وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ
بِالْحَقِّ ، ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ —٤— . وَنُفِخَ فِى الصُّورِ ،
ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ —٥— .
لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا ، فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ، فَبَصَرُكَ
ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ —٦— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
قبلهم	قبل قريش .
وأصحاب الرّسّ	أصحاب البئر ، رنبيهم شعيب .
وأصحاب الأيكة	قوم شعيب أيضا .
وقوم تبّع	تبّع : ملك فى اليمن آمن بالله، ودعا قومه إلى الإيمان بما آمن به ، واسمه : أسعد ، وكنيته : أبو كَرِب .
كلّ كذب الرسل	هؤلاء جميعاً كذبوا رسل الله .
فحقّ وعيد	فوجب عليهم عقابى .
أفعيينا بالخلق الأول	أفعجزنا عن أن نخلق الناس فى المرة الأولى ؟
فى لبس من خلق جديد	فى حيرة من البعث بعد الموت ؛ فبعضهم يصدق ، و بعضهم يكذب .
ما توسوس به نفسه	ما يدور فى ضميره ، ولا يمكن أن يعرفه أحد .
من حبل الوريد	الحبل : العرق ، والوريدان : عرقان يكتنفان صفحتى العنق ، وحبل الوريد أقرب شىء إلى موضع الحس من الإنسان .
إذ يتلقى المتلقيان	إذ يسجل الملكان الموكلان بالإنسان كل ما يعمل
قعيد	قاعدان ، والمراد : قعيد عن يمين الإنسان ، وقعيد عن شماله .
ما يلفظ من قول	ما يخرج من فمه من حديث .
رقيب عتيد	ملك مراقب أعماله ، حاضر أقواله وأفعاله .
سكرة الموت	شدة الموت التى تذهب العقل .

الألفاظ	شرحها
بالحق	بما يفهم منه الإنسان أنه مقبل على حق ، كان يبلغ به فيشك فيه .
ذلك ما كنت منه تحيد	ذلك ما كنت تهرب منه ، وتروغ عنه .
ونفخ فى الصور	وأعلم الناس بيوم البعث ، والصور : البوق .
ذلك يوم الوعيد	هذا هو اليوم الذى وعد الله الكافرين أن يعذبهم فيه .
سائق وشهيد	ملك يسوقها إلى الحساب . وملك يشهد لها أو عليها بما عملت .
لقد كنت فى غفلة من هذا	لقد كنت أيها الإنسان غافلا لاهياً عما تلقاه فى هذا اليوم ، من الأهوال والشدائد .
فكشفنا عنك غطاءك	فأوضحنا لك ما كان مخفيًّا عنك ، وأزلنا غفلتك .
فبصرك اليوم حديد	فأنت اليوم نافذ البصر ، عالم بما كنت غافلا عنه فى الدنيا .

مجمل المعنى

١ — هال محمداً — عليه الصلاة والسلام — أن قريشاً لا تؤمن به ، فأراد الله أن يسرّى عنه ، فأخبره أنه لم يكن بدعاً بين الرسل ، فإن من سبقه منهم كذبهم قومهم ، فوجب تعذيب الله لهم ؛ ومثل له بقوم نوح ، وأصحاب الرسّ وثمود قوم صالح ، وعاد قوم هود ، وقوم فرعون أصحاب موسى ، وقوم لوط ، وقوم شعيب ، وقوم تُبَّع ، وقد ذكرنا قصة أصحاب الرس فى الفقرة ٣ من الصفحة ١٤ من تفسير الجزء ١٩ ؛ وذكرنا قصة قوم تبّع فى الفقرة ١١ من الصفحة ١٠١ من تفسير الجزء ٢٥ ؛ فإنه إذا ذكر هؤلاء ، وما

جرى بينهم وبين أقوامهم ، وما أصاب الأقوام نتيجة تكذيبهم ، هان عليه أمر قومه ، وتكذيبهم إياه .

٢ — ينكر الله على الكفار شكهم فى بعثهم بعد الموت ، فبيّن أن من لم يعجز عن إيجاد العوالم ابتداء ، ومن قدر على الإنشاء والابتداع ، لا يعجز عن الإعادة ، فإذا كان المعاندون لا ينكرون أن الله هو الذى أنشأ وابتدع فى الإيجاد أول مرة ، فكيف ينكرون أنه قادر على البعث والإعادة ، ويقولون : أئذا متنا وكنا تراباً نعود إلى الحياة ؟ ! ! ذلك رجع بعيد ؛ إنهم فى اعترافهم أولا ، وإنكارهم ثانياً — يخلطون ، ولا يحسنون التفكير والتمييز ؛ استولى عليهم الشيطان وحيّرهم وأربكهم .

٣ — الله — سبحانه وتعالى — هو الذى خلق الإنسان ، ويعلم كل ما يأتى وما يدع ، لا تخفى عليه خافية ، حتى طرفة العين ، وحديث النفس ، وخلجة الضمير ، فالله أقرب إلى قلب الإنسان وعقله من مجارى الدم فى جسمه ، ويحصى كل ما يجرى منه : له أو عليه ، حسًّا أو معنى ، ظاهراً أو خفيًّا ، نية أو فعلا ؛ وصور الله لنا ذلك بأقوى ما يمكن أن يتصوره إدراك الإنسان ، من التحفظ والتمكن والإحصاء ، بحيث لا تفوته واردة ولا شاردة ، وما ظنك بإنسان عن يمينه وعن شماله ملكان ملازمان له ، لا يتركانه فى يقظة ولا فى نوم ، يعدان عليه كل ما يأتى من خير أو شر ، فعلا أو قولا ؟ ! ! هذان الملكان يقيدان فى صحائفه جميع ما يتلقيانه عنه ، فلا يلفظ من قول ، ولا يأتى بعمل ، إلا قيد مَن على يمينه حسناته ، ومَن على شماله سيئاته ، وهما رقيبان لا يغيبان ، وأمينان لا يخونان ؛ وإذا كان الإنسان يعلم علم اليقين أنه مُحصى عليه كل شىء : صغر أو كبر ، عظم أو حقر ، فى خير أو شر — فإنه ينأى عن الشر ، ويقبل على الخير ، مطمئن النفس ، مرتاح الضمير .

٤ — نبه الله الناس إلى أنهم مبعوثون يوم القيامة ، وإلى أنه يُحصى عليهم كل ما يفعلون ؛ فإن ينكروا فسيأتيهم الموت قريباً ، ويلقون شدة الموت وسكراته ، وقسوة نزع الروح ، فينتبهون لما كانوا عنه غافلين ، ويعرفون أن ما دُعوا إليه من الإيمان كان لمنفعتهم ، فحادوا عنه ، ونفروا منه .

٥ — وفى يوم القيامة يأذن الله ببعث الناس فيبعثون ، ويعرفون أن هذا هو اليوم الذى وعدهم الله أن يبعثوا فيه ، ليحاسبوا على ما قدموا فى الدنيا من خير وشر ، ويساق الناس للحساب ، لا مفر لهم منه ، ويأتى كل إنسان — سواء أكان مطيعاً أم عاصياً — ومعه الملكان اللذان كانا موكلين به فى الدنيا ، وصحيفة أعماله التى قيدت فيها حسناته وسيئاته ، فيسوقانه إلى موقف الحساب ، ويشهدان على ما فعله فى الدنيا من خير أو شرّ ، فلا يستطيع إنكارها ، ولا يحاول ذلك ، لقيام الحجة القوية التى لا تقبل جدلا ولا نقاشاً .

٦ — يرى العاصون ما ينتظرهم من حساب ، ويرون أعمالهم حاضرة أمامهم ، فيقال لهم على سبيل التبكيت : هذا هو الذى كنتم غافلين عنه ، وكنتم تنبهون له فلا تنتبهون ، ألهتكم زخارف الدنيا وشهواتها ، وأعماكم ما كنتم فيه من مال وولد ، وجاه وسلطان ، فاتبعتم هواكم ، وخالفتم مولاكم ، أما الآن فقد وضحت الحقيقة أمامكم ، وانكشف الغطاء عن أعينكم ، ورأيتم أن ما أنكرتموه بالأمس هو حقيقة واقعة اليوم .

(٣)

من الآية ٢٣ إلى الآية ٣٥ من سورة ق

وَقَالَ قَرِينُهُ : هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ، أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ –١– الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ ، فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ –٢– قَالَ قَرِينُهُ : رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ، وَلٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ، قَالَ : لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ، وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ –٣– . يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ : هَلِ امْتَلَأْتِ ؟ وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ –٤– . وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، هٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ، مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ ، وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ –٥– ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ، ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا ، وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ –٦– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وقال قرينه	وقال الملك الموكل بسيئات العاصى .
هذا ما لدىّ عتيد	هذا الذى عندى من عمله حاضر معدّ .
ألقيا	أمر من الله للسائق والشهيد .
كل كفار عنيد	كل مصر على العصيان فى الدنيا ، جحود لنعم الله عليه ، معاند للحق .
مناع للخير	لا يعمل الخير ، ولا يترك غيره يعمله .
معتد مريب	ظالم لغيره ، شاكّ فيما يعده الله للعصاة من العذاب .
قرينه	قرين السوء الذى حرضه على العصيان .
ما أطغيته	ما حملته أنا على الطغيان والمعصية .
كان فى ضلال بعيد	طغى اختياراً ، لأنه كان غارقاً فى الضلال ، فما كان فى حاجة إلى غواية مغو .
لا تختصموا لدىّ	لا تختصموا أمامى يوم القيامة ، فليس هذا وقت الاختصام
وقد قدمت إليكم بالوعيد	وقد سبق أن أنذرتكم فى الدنيا بالعذاب ، إن استمررتم على عصيانكم .
ما يبدل القول لدىّ	لا يغير ما بينته لكم فى الدنيا ، من مكافأة المطيعين ، وعقاب العاصين .
هل من مزيد	هل من عصاة لم أستوعبهم بعد؟ إن كانوا موجودين ، فأنا مستعدة لاستقبالهم .

الألفاظ	شرحها
وأزلفت الجنة للمتقين	وقربت الجنة من المتقين ، فهى فى متناولهم .
هذا ما توعدون	هذا هو الذى وعدكم الله إياه فى الدنيا
لكل أواب حفيظ	لكل كثير الرجوع عن المعاصى ، كثير التسبيح لله ، كثير التذكر لذنوبه ، حتى لا يعود إليها .
بالغيب	مع أنه لا يراه .
منيب	مقبل على الطاعة ، راجع إلى الله .
ادخلوها بسلام	ادخلوا الجنة سالمين آمنين .
ذلك يوم الخلود	هذا هو اليوم الذى وعدتم أن تخلدوا فيه فى الجنة.
ولدينا مزيد	وعند الله لهم أكثر مما يشاءون ويطلبون .

مجمل المعنى

١ — وإذ يقدم العاصى للعذاب يجد عمله كله : خيره وشره ، نافعه وضره — حاضراً أمامه ، يراه رأى العين ، ويقول الملك الذى يسجل عليه سيئاته : هذا كتابه ينطق عليه بالحق ، وهو حاضر مهيأ ، قد استقصى كل أقواله وأعماله ، وليس له إلا قدر ضئيل من الحسنات ، فيأمر الله السائق والشهيد أن يلقيا فى النار كل عاص جحود لنعم الله ، معاند للحق ، حائد عن طريق الصواب ؛ مناع للخير عن الناس ، أيًّا كان ذلك الخير ، سواء أكان فى زكاة يؤديها ، أم صدقة يتصدق بها ، أم كلمة طيبة ، أم عمل نافع ؛ أم كان قد صد غيره عن خير كان يريد أداءه ، فإن مانع غيره كمانع نفسه ، وكان يعتدى على الناس ويؤذيهم بيده أو لسانه ، ويشك فيما يعده الله للعصاة من النار فى الآخرة .

٢ — ويأمر الله كذلك أن يلقى فى أشد أماكن جهنم وأقساها — الذى يجعل مع

الله إلهاً آخر ؛ وذلك أن جهنم دركات ، وأسفل هذه الدركات للمشركين الذين يعبدون آلهة أخرى من دون الله .

٣ — الإنسان الذى اتصف بهذه الصفات المتقدمة : العصيان ، والإشراك ، والعناد ، ومنع الخير ، والاعتداء ، والشك — يتهم قرين السوء بأنه هو الذى أطغاه ، وحاد به عن الطريق المستقيم ، وأنه لولاه ما عصى الله ، فيتبرأ منه قرينه ، ويقول لله سبحانه وتعالى : ربنا ، لست أنا الذى أضللته ، ولكنه هو الذى كان قلبه مغلقاً عن الإيمان ، نافراً من دعوة الداعى ، فلا تسمع لها أذنه ، ولا ينفتح لها قلبه ، ولا يتأثر عقله ، هو الذى كان فى ضلال بعيد عن الحق ، وكان ميالا إلى المعاصى ، فيجيبهم الله : لا فائدة من الجدال والخصام فى موقف الحساب ، فقد أرسلت إليكم رسلى فى الدنيا ، وحذرتكم عواقب أعمالكم السيئة ، ولا يغير ما بينته لكم فى الدنيا ، من مكافأة المطيعين ، وعقاب العاصين ، فلا تطمعوا فى تغيير ما بينته لكم ، فمن عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما أنا بظلام للعبيد .

٤ — فى يوم القيامة ، تكون جهنم فاتحة أفواهها تستقبل العصاة فوجاً بعد فوج ، وتلتهمهم التهاماً ؛ وقد صور الله ذلك فى صورة سؤال وجواب ، لتهويل أمر النار ، وفى الحديث عن رسول الله : « لا تزال جهنم يُلقى فيها ، وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها ، فينزوى بعضها على بعض ، وتقول : قط قط ، بعزتك وكرمك » ؛ ومعنى تنزوى : تنقبض على من فيها وتشتغل بعذابهم ، وتكف عن طلب المزيد ؛ وقط : حسبى .

٥ — أما الجنة فإنها تكون قريبة جداً من المتقين الذين خافوا الله فى الدنيا ، وأطاعوا رسله ، وآمنوا به وعبدوه ، ويقال لهم : هذا هو الذى وعدكم الله إياه فى الدنيا ، وجعله جزاء لكل من غالب شيطانه ، ورجع عن قبح المعصية

إلى جمال الطاعة ، كما رجع عن شر الذنب إلى خير التوبة ، وحافظ على ما ائتمنه الله عليه من نعمة ، فعرف فضله ، فأدى له حقه من الطاعة والعبادة ، وخاف الله فى الدنيا قبل أن يلقاه فى الآخرة ، فلما لقيه لقيه بقاب تائب من الذنب ، راجع عما كان يدفع إلى المعصية ، معتصم برضا الله ورحمته .

٦ — يقال للمؤمنين يوم القيامة فى حنان ورفق : ادخلوا الجنة سالمين آمنين ، فالله راض عنكم ، وملائكته يحفون بكم ، فلا يصيبكم عذاب ، ولا يدنو منكم شرّ ، وهذا هو اليوم الذى تخلدون فيه ، وتظلون فى الجنة ، تعيشون أنعم عيش ، وتتقلبون فى أرغد نعيم ، كل ما تشتهونه تجدونه ، وعند الله أكثر مما تطلبون .

(٤)

من الآية ٣٦ من سورة ق ، إلى آخر السورة

وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا ، فَنَقَّبُوا فِى الْبِلَادِ ، هَلْ مِنْ مَحِيص ؟ —١— . إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلبٌ ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ —٢— . وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ، وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ، فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ، وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ، وَأَدْبَارَ السُّجُودِ —٣— . وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ : يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ : ذٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ —٤— . إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ، وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ، يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ، ذٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ —٥— . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ، فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ —٦— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
من قرن	من أمة تأتى بعد أخرى .
بطشاً	قوة .
فنقبوا فى البلاد	فساروا فى البلاد ، وطوفوا بها ، وتصرفوا فيها .
هل من محيص	هل من الموت مفر ومهرب ؟
إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب	إن فيما تقدم ذكره لموعظة يتعظ بها العقلاء الذين يفكرون و يتدبرون .
أو ألقى السمع وهو شهيد	أو أحسن الاستماع للقرآن ، ولما يقدم له من مواعظ ، وكان عقله حاضرا يحسن استقبال ما يسمعه وتلقـّيه ، ثم يعيه .
فى ستة أيام	فى ست فترات .
وما مسنا من لغوب	وما أصابنا تعب ولا إعياء .
على ما يقولون	على ما يقوله المشركون وغير المشركين ، مما لا يليق أن ينسب إلى الله و إليك .
سبح بحمد ربك	اذكر ربك واشكره على نعمه .
قبل طلوع الشمس	عند صلاة الصبح .
وقبل الغروب	وعند صلاة الظهر والعصر .
ومن الليل فسبحه	وسبحه بعض الليل ، وذلك عند صلاة المغرب والعشاء .
وأدبار السجود	وأعقاب السجود ، وآخر الصلوات .

الألفاظ	شرحها
واستمع	واستمع لما أخبرك يا محمد من أحوال يوم القيامة وأهواله .
يوم يناد المناد	يوم إعلان الناس بيوم البعث .
من مكان قريب	بحيث يسمعون صوت المنادى كأنه فى آذانهم .
ذلك يوم الخروج	ذلك يوم الخروج من القبور ، والبعث للحساب والجزاء .
الصيحة .	النفخة الثانية .
يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً	يوم تتصدع الأرض، ويخرج الموتى من صدوعها مسرعين .
حشر علينا يسير	جمع للخلائق سهل علينا . .
وما أنت عليهم بجبار	لست مسلطاً عليهم ، ترغمهم على اتباعك .
من يخاف وعيد	من يخاف عذابى ، وما أعددته من العذاب لمن عصانى .

مجمل المعنى

١ — لقد أهلكنا كثيراً من الأمم التى كذبت أنبياءها ؛ وكانت هذه الأمم أقوى من قريش قوة ، وأعظم بأساً ، وأشد بطشاً ؛ فطوفوا فى البلاد ما شاءوا أن يطوفوا ، وترددوا فى أرجائها ما استطاعوا أن يترددوا ، وتصرفوا فيها ما أرادوا أن يتصرفوا ، فهل استطاعوا مع قوتهم وتجوالهم وثرائهم ، أن يفروا من عذاب الله ، وأن يجدوا لهم مهرباً من وعيد الله ، ومنجى من قضاء الله ؟

٢ – إن فيما ذكره الله من إهلاك أمم كثيرة قبل قريش، لأنها كذبت رسلها ، لموعظة لكل إنسان له عقل سليم يتلقى الدعوة ، يتفكر فيها ، فيؤمن بها ؛ وكل إنسان له أذن تسمع ، وله قلب حاضر ، ينحدر إليه ما يتلقاه سمعه فيستقبله استقبال المفكر المتبصر ، فينتفع ويعتبر ، فعليه أن يتأمل ما أصاب هذه الأمم ، ويتعظ به .

٣ – زعمت اليهود أن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، واستراح فى اليوم السابع ، وهو يوم السبت ، وواجهوا بذلك محمداً ، فغضب غضباً شديداً ، فأنزل الله عليه مؤكداً أنه خلق السموات وما فيها من كواكب ، وخلق الأرض وما فيها من مياه وجبال ، ونجاد ووهاد ، وما بينهما من هواء ، فى ستة أزمنة ، ولم يلحقه تعب حتى يحتاج إلى الراحة ، وأمر النبى أن يصبر على افتيات اليهود على الله ، وكذبهم عليه أنه يلحقه تعب ، وأنه يحتاج إلى الراحة ، فإن هذا لا يجوز عليه – سبحانه – ، وأمر الله نبيه أن يؤدى الصلاة له فى أوقاتها ، وأن يسبح ربه فى أعقابها ، فإن ذلك خير ما يلجأ إليه الإنسان إذا غضب أو استُغضب ، فضاق صدره ، فإن فى تسبيح الله فرجاً من كل كرب ، ومتسعاً من كل ضيق ؛ وهذه الآية نزلت بالمدينة .

٤ – واستمع يا محمد يوم ينادى المنادى فتسمعه الخلائق جميعها ، كأنما هو يلقى صوته فى آذانها ، فيسمعون صيحة البعث الذى لا ريب فيه ، فيخرج الناس من قبورهم ، كأنهم جراد منتشر .

٥ – يؤكد الله أنه هو الذى يحيى الخلائق ، وأنه هو الذى يميتها ، ولا يقدر على الإحياء والإماتة أحد غيره ، ومرجع الخلق كلهم إليه فى يوم القيامة ، وهو اليوم الذى تتشقق فيه الأرض وتتصدع ، فيخرجون من بين شقوقها

مسرعين ؛ وجمعُ هؤلاء الخلق جميعاً ، وسوقهم إلى الموقف للحساب والثواب والعقاب ، أمر هين على الله ، فإن الله لا يعجزه شیء فی الأرض ولا فی السماء ، ولا تأبه يامحمد لقول الكفار : أئذا متنا وكنا تراباً ، ذلك رجع بعيد؟.

٦ — يخبر الله نبيه محمداً بأنه هو الذى يعلم ما يقوله هؤلاء الكافرون ، من مثل إنكارهم البعث والحساب ، ومن تكذيبه فی الدعوة إلى التوحيد ، ومن إصرارهم على عبادة الأصنام ، وغير ذلك ، ويذكر له أنه ليس مسلطاً عليهم ، وليس مكلفاً أن يرغمهم على طاعته والإيمان به ، وإنما هو مذكر ، يدعو إلى الإيمان ، ويُقيم الدليل على صحة ما يدعو إليه ، وأن يُذكر بالقرآن من يخاف الوعيد الذى هدد الله به من كذب وعصى ؛ فمن أصر على المخالفة عذب عذاباً شديداً ؛ ومن استجاب وآمن رضى الله عنه ، وأدخله الجنة يتمتع بنعيمها ، ويخلد فيها ، وحسبه رضا الله .

سورة الذاريات

نزلت بمكة ، وآياتها ستون آية

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ٢٣

وَٱلذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ، فَٱلْحَامِلَاتِ وِقْرًا ، فَٱلْجَارِيَاتِ يُسْرًا ،
فَٱلْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ، إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ، وَإِنَّ ٱلدِّينَ
لَوَاقِعٌ -١- . وَالسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ، إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ،
يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ، قُتِلَ ٱلْخَرَّاصُونَ ، ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ
سَاهُونَ ، يَسْأَلُونَ : أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ : يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ
يُفْتَنُونَ ؟ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ، هٰذَا ٱلَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ -٢- .
إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ، إِنَّهُمْ
كَانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُحْسِنِينَ ، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ،
وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ، وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ -٣- .
وَفِى ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ -٤- . وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ -٥-.

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ —٦— . فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ —٧— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والذّاريات ذروا	أقسم بالرياح التى تفرق الأشياء تفريقاً .
فالحاملات وِقْراً	فالسحاب الحاملات ثِقلا من الماء .
فالجاريات يُسراً	فالسفن التى تجرى ميسرة فى الماء جرياً سهلا .
فالمقسِّمات أمراً	فالملائكة التى تقسم أمر الله بين خلقه كما أمرت به .
إنّ ماتوعدون لَصادق	إن ما وعدكم الله من قيام الساعة لحقّ لا مرية فيه ، ووعد صدق لا شك فيه .
وإن الدين لواقع	وإن الحساب والجزاء لكائن وحاصل لا محالة .
ذات الحبك	ذات الزينة بما فيها من الكواكب ، مفردها : حبيكة .
قول مُختلف	قول باطل متناقض ، ومذاهب مختلفة يكذب بعضها بعضاً فى حق محمد .
يؤفك عنه	يصرف بسبب هذا القول المختلف من صُرف عن القرآن .
قُتل الخراصون	لُعن الكذابون الذين يقولون ما لا يعلمون .
فى غمرة ساهون	فى غفلة وجهالة ساهون لاهون عن أمر يوم القيامة .
أيان يوم الدين	متى يوم الحساب ؟

الألفاظ	شرحها
يُفتنون	يحرقون و يعذبون .
ذوقوا فتنتكم	يقال لهم : ذوقوا عذابكم ، جزاء تكذيبكم .
كنتم به تستعجلون	كنتم تستعجلونه فى الدنيا .
ما يَهجعون	ينامون ، وما : زائدة .
و بالأسحار هم يستغفرون	يصلون و يستغفرون ربهم وقت السحر — والسحر : قبل الصبح .
حق للسائل والمحروم	زكاة ونصيب للمحتاج الذى يسأل الناس لفاقته ، وللمحتاج المحروم الذى لا يسأل تعففاً .
وفى السماء رزقكم وما توعدون	أسباب رزقكم بالمطر فى الدنيا ، وسعادتكم وشقاؤكم فى الآخرة .
لحق مثل ما أنكم تنطقون	لحق ثابت مثل نطقكم .

مجمل المعنى

١ — أقسم الله سبحانه وتعالى بالرياح التى تفرق الأشياء من تراب وغيره ، وتنشرها نشراً ، وتذروها ذرواً ، وتسوقها سوقاً ، وأقسم بما فوقها من السحب الحاملات حملا ثقيلا من الماء ، تُزجيها الرياح إلى حيث تسقط أمطاراً على الأرض ، وأقسم بالسفن التى تجرى على الماء جرياً ذا يسر وسهولة ، وأقسم بالملائكة التى تقسم أمر الله فى تصريف الكون على حسب إرادته وتدبيره ، كما تقضى مشيئته ؛ وقد أقسم سبحانه وتعالى بهذه الأمور الأربعة لعظمها وشرفها ، وجليل منافعها ، ومكان العبرة فيها ، ولدلالتها على قدرة خالقها ،

وربوبيته ووحدانيته ، ففى الرياح عبرة لمن يعتبر ، وذكرى لمن يتذكر : فى هبوبها وسكونها ، ولينها وشدتها ، واختلاف طبائعها وصفاتها ، ومهابها وتصريفها ، وتنوع منافعها ؛ فالرياح تنشر السحاب وتؤلفه وتسوقه ، وتلقح النبات ، وتسوق السفن ، وهى تارة رُخاء ، وتارة عاصفة ، وتارة رحمة ، وتارة عذاباً ، وتحيي الزرع تارة ، وتميته تارة أخرى ، وتنجى السفن تارة ، وتهلكها تارة أخرى ؛ والسحاب آية من آيات الله ، مسخر بين السماء والأرض ، يحمل أرزاق العباد إلى حيث يشاء الله ، فينزل ومنه حياة الأرض وخصبها ، والسفن موضع تفكير وتأمل ، وبرهان ظاهر على قدرة الله ، أمسكها على ظهر الماء ، وسخر لها البحر ، وجعل الرياح تسوقها على الماء سوق السحاب فى السماء ، وحفظها فى مجراها ومُرساها من طغيان الماء ، وعلَّم الإنسان الضعيف صنعة هذا الفلك العظيم ، يمشى على الماء ، ويقطع المسافات إلى بلاد لولاه ما بلغها ، فترتبط جوانب الأرض بالمعرفة والتعاون ؛ وجعل الملائكة تصرِّف كما يشاء أمره ، وتنفذ كما يريد حكمه ، وتدبر ما يُرى وما لا يُرى من أمر هذا العالم : أعلاه وأدناه ؛ وقد أقسم سبحانه وتعالى بهذه الأربعة الجليلة العظيمة ، على أن ما وعد به العباد من أمر الساعة والحساب ، والثواب والعقاب ، لهو وعد صدق وحقّ ، لا ريب فيه ، وأن جزاء الناس على ما عملوا فى الدنيا بالخير خيراً ، وبالشر شرًّا ، لأمر واقع لا محالة ، وكائن لا مفر منه .

٢ — وأقسم بالسماء التى بناها ، ورفع سَمْكها وسوّاها ، وحبك بناءها ، وأحسن خلقها ، وأحكم نسجها ، وأبدع نظامها ، وزينها بالكواكب ، وبيَّن طرائق النجوم فيها ، على أن المشركين يخوضون فى حديث باطل ، ويقولون قولا متناقضاً مختلفاً ، فضلوا عن الحق بطرائق متناقضة ، ومذاهب

متعددة ، فقالوا فى محمد : إنه ساحر ، بل شاعر ، وقالوا : إنه افترى القرآن ، وقالوا : إنه أساطير الأولين ، وقالوا : إنه كاهن ، بل مجنون ، فضلوا وأضلوا عن سبيل الله ، وصُرف بسبب هذا القول المختلف من صُرف عن الدين والقرآن ، وإن هم إلا يخرصون ويكذبون فيما يقولون ؛ لُعن الخرّاصون الكذابون الذين يفترون على الله وعلى نبيه ما لا يعلمون ، الذين انغمروا فى الغفلة والجهالة ، وغرقوا فى الكفر والضلالة ، فسهوْا وتاهوا عن الحق ، وعن أمر يوم القيامة ، وصاروا يسألون : متى يوم الجزاء ؟ متى نقوم من قبورنا ، ونبعث للحساب ، ونساق إلى العذاب ؟ ختم الله على قلوبهم فقالوا ذلك إمعاناً فى الجحود ، واستهزاء بما وعد الله ، فقل لهم : إن يوم الساعة هو اليوم الذى تُحرقون فيه بنار جهنم ، وتلاقون فيه العذاب الأليم ، ويقال فيه لكم : قاسوا العذاب ، وذوقوا العقاب الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا ، وتستعجلون وقوعه استخفافاً واستهزاء .

٣ — وبعد أن ذكر الله الكفار وأحوالهم وعذابهم ، ذكر حال المتقين الذين آمنوا بربهم فى الدنيا ، وزادهم هدى ، فبيّن أنهم فى الآخرة سينعمون بحياة طيبة ، ويقيمون فى بساتين وحدائق ، فيها عيون جارية ، استتماماً لنعمتهم ، واستكمالا لراحتهم وهناءتهم ، متقبلين ما أعطاهم الله من الخير والكرامة ، راضين به ، لأنهم كانوا فى الدنيا لا يصدر عنهم إلا الإحسان فى أعمالهم ، وأقوالهم وإيمانهم ، وكانوا يعبدون الله حق عبادته ، ويُخلصون كل الإخلاص فى أداء الحقوق والفرائض والمعاملات ، وكانوا يقضون الليل إلا أقله فى العبادة ، ولا ينامون إلا قليلا منه ، وكانوا يستغفرون الله آخر الليل عند السحر ، فباتوا لربهم سجّداً وقياماً ، ثم تابوا إليه واستغفروه عند انقضاء الليل ؛ ومع إحسانهم بالإخلاص فى عبادتهم لربهم ، فقد كانوا محسنين

إلى الخلق ، فأنفقوا على الناس من أموالهم ، وجعلوا منها نصيباً وحقا للمحتاجين ، من السائل الذى يسأل الناس أن يعطوه ما يمسك رمقه ، والمحروم الذى حرم الرزق ، ولا يسأل الناس شيئاً ، ولا يطلعهم على حاجته ، فيحسبه الجاهل غنيًّا من تعففه .

٤ — وقد حث الله الإنسان على النظر والتفكير فى ملكوت السموات والأرض ، وأن تكون آثار قدرة الله فيهما التى يراها بالمشاهدة والتأمل ، هى طريق إيمانه واعتقاده ، فى الأرض آيات وعلامات تدل على قدرة الله ، وتهدى إلى الاعتقاد بأن من قدر على خلقها وخلق الإنسان فيها ، قادر على أن يحييه بعد الموت ، وأن يبعثه للحساب يوم القيامة ؛ كما أن الأرض تنبت الزرع الذى يخرج حبًّا متراكباً ، والشجر الذى يثمر ثمراً جنيًّا ، وقد قدر الله فيها أقوات الحيوان ، وذللها للإنسان ، يمشى فى مناكبها ويأكل من رزق الله ؛ إن فى ذلك كله لآيات لمن يؤمنون بالله إيماناً مبعثه اليقين ، ويعترفون بوحدانية الله ، وصدق نبوة محمد ، بما انتفعوا من تدبر آيات الله ، ومطالعة عظمته وقدرته فيها ؛ تعالت قدرته ، وتجلت حكمته ، جعلها فراشاً وقراراً ومهاداً ، لتكون مقر الإنسان وسكنه ، وذللها لعبيده ، فأثاروها وعمروها ، واستخرجوا ماءها ، وجواهرها وزينتها ، وجعلها موئل الأحياء ، تحملهم على ظهرها ، وملجأ الأموات ، تضمهم فى بطنها ، ونوَّع فى معادنها ، فجعل منها التراب والحجر ، والذهب والفضة ، والياقوت والزمرد ، والحديد والنحاس والرصاص ، والألمنيوم والأورانيوم ، والراديوم ، واقتضت حكمته أن يكون التراب أو الحجر — وهما أقلها قيمة — أعظم نفعاً للناس ، ولو كانت الأرض كلها من الجواهر الكريمة ، والمعادن النفيسة ، لتعطلت المنافع المقصودة منها .

٥ — وقد حض الله على أن يفكر الإنسان فى نفسه ، فإنه يرى فيها آيات وعبراً ، وتستنير له فيها دلائل القدرة ، ويسطع له منها نور اليقين ، وتنقشع ظلمة الجهل والشك ، إذ يجد أنه كوّنه من عظام مركبة ، يكسوها لحم وعضلات منضدة ، وأوصال متعددة ، مشدودة بعروق وأعصاب ، وقد جعل له منافذ للسمع والبصر والشم والطعام والشراب والتنفس ، ولخروج الفضلات التى يؤذى الجسمَ احتباسها ، وجعل إفراز الأذن مُرًّا ، وإفراز العين مِلحاً ، لصيانة كل منهما بما يناسبه ، كما جعل الإفراز فى الفم حلوا ، ليستسيغ به ما يأكل وما يشرب ، ولكيلا يتقزّز منه إن كان مُرًّا أو ملحاً ، كما جعل فى وجهه مصباحين يُضيئان له ، وغشاهما بطبقات ورطوبات حماية لهما وصيانة ، وجعل على كل منهما بابين أعلى وأسفل ، وركب لهما أهداباً من الشعر وقاية لهما وجمالا ، وجعل فوقهما حاجبين من الشعر يحجبان عنهما العرق النازل ، وينبهانهما إلى ما ينصب من فوقهما ، فينطبقان ويتقيان الأذى ، كما جعل الجفنين ينطبقان وينفتحان ، لتبقى مرآة العين نقية صافية ، وقد خلقت العينان بغطاء ، والأذنان بغير غطاء ، لحكمة عظيمة ، إذ لو كان للأذنين غطاء ، لمنع الغطاء إدراك الصوت ، فلا يحصل إلا بعد ارتفاع الغطاء ؛ والهواء الصالح يدخل إلى الرئتين ، ثم يصير فاسداً ، فيخرج كما تخرج الفضلات الفاسدة ، . ثم إنه سبحانه جعل الحناجر مختلفة لتختلف الأصوات ، فلا يتشابه صوتان ، كما لا تتشابه صورتان ، وأودع اللسان منفعة الكلام ومنفعة الذوق ، وجعله دليلا على الصحة والاعتلال ، بما يبدو عليه من إفراز وألوان ، وفوق هذا فإن الحواس تؤدى ما ترى وما تحس ، وما تلمس وما تذوق إلى العقل ، فيتصرف على حسب ما يؤدى إليه أعوانه من الحواس من الصور والمحسوسات ؛

هذا نزر قليل من عجائب قدرة الله فى نفس الإنسان ، وفى تكوينه وخلقه ، ولولا التزامنا القصد لأفضنا فى بيان قدرة الله فى خلق الإنسان .

٦ — وكما أن الأرض مستقركم ، ومسعاكم إلى كسب رزقكم ، فإن الله قد جعل لكم فى السماء أسباب الرزق فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا ففى المطر ، الذى لا شك أنه رحمة للعباد ، وسبب الأقوات ، وأما فى الآخرة فلأن فى السماء أسباب دخول الجنة والنار ، وانقسام الناس إلى شقىّ وسعيد ، وذلك بقضاء الله المثبت فى صحف الملائكة فى اللوح المحفوظ ، وفى السماء كتب الله ما وعد عباده من الثواب والعقاب ، وأمر الساعة ، أى كل ما يرزَق الناس فى الدنيا ، وما يوعدونه فى الآخرة ، من جنة ونار ، فى السماء .

٧ — قسما برب السماء والأرض ، وخالق الكون ومدبر أمره ، إن تقدير أرزاقكم ، وما وعدكم ربكم من الثواب والعقاب وأمر الساعة ، والخير والشر ، لحق ثابت لا مرية فيه ، ثبوت نطقكم وكلامكم الذى تلقونه بألسنتكم ، وتسمعونه بآذانكم ، وتفهمونه بعقولكم .

قصة للأصمعى مع أعرابىّ

قال الأصمَعى : أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة ، إذ طلع أعرابىّ جلف جافٍ على قعود له ، متقلداً سيفه ، وبيده قوسه ، فدنا وسلم ، وقال : ممن الرجل؟ قلت : من بنى أصمع ، قال : أنت الأصمعى ؟ قلت : نعم . قال : ومنْ أين أقبلت ؟ قلت : من موضع يُتلى فيه كلامُ الرحمن ، قال : وللرحمن كلام يتلوه الآدميون ؟ قلت : نعم ؛ قال : فاتل علىّ شيئاً منه ؛ فقرأت : « والذاريات ذرْواً » ، إلى قوله : « وفى السماء رزقكم » ، فقال : يا أصمعى ، حسبك ، ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطّعها ، وقال : أعنِّى على توزيعها ، ففرقناها على من

أقبل وأدبر ، ثم عمد إلى قوسه وسيفه فكسرهما ، ووضعهما تحت الرحل ، وولى نحو البادية وهو يقول : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » ، فمقتُّ نفسى ولمتها ، ثم حججت مع الرشيد ، فبينما أنا أطوف بالبيت ، إذا أنا بصوت رقيق ، فالتفت فإذا أنا بالأعرابى ، وهو ناحل مُصفرّ ، فسلم علىّ ، وأخذ بيدى ، وقال : اتلُ علىّ كلام الرحمن ، وأجلسنى من وراء المقام ، فقرأت : « والذرايات » ، حتى وصلت إلى قوله تعالى : « وفى السماء رزقكم وَما توعدون » ، فقال الأعرابى : لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقًّا ، وهل غيرُ هذا ؟ قلت : نعم ، يقول الله تبارك وتعالى : « فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » ، قال : فصاح الأعرابىّ : يا سبحان الله ! ! مَن الذى أغضب الجليل حتى حلف ؟ ألم يصدقوه فى قوله ، حتى ألجئوه إلى اليمين ، قالها ثلاثاً ، وخرجت بها نفسه ، وذهب فى رحمة الله .

(٢)

من الآية ٢٤ إلى الآية ٣٠ من سورة الذاريات

هلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إبْرَاهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ؟ إذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَقالُوا : سَلاماً ، قَالَ : سَلَامٌ ، قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ؛ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ؛ فَقَرَّبَه إِلَيْهِمْ ، قَالَ : أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا : لَا تَخَفْ ، وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ . فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فِى صَرَّةٍ ، فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ : عَجُوزٌ عَقِيمٌ . قَالُوا : كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ، إنّه هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حديث ضيف إبراهيم	قصة الملائكة الذين نزلوا ضيوفاً على إبراهيم ، وتطلق « ضيف » على المفرد والجمع
قوم منكرون	قوم غرباء لا نعرفكم .
فراغ إلى أهله	فذهب إلى أهله فى خفية من ضيوفه .
فقربه إليهم	فوضعه بين أيديهم .
فأوجس منهم خيفة	فلما امتنعوا عن الأكل من طعامه ، أحس منهم فى نفسه خوفاً .

الألفاظ	شرحها
فى صرة	فى صيحة وضجة واستغراب .
فصكتْ وجهها	فضربت وجهها بيدها متعجبة من قولهم .
عجوز َعقيم	أألد وأنا عجوز عاقر ؟

مجمل المعنى

١ — بعد أن بيَّن الله آيات قدرته فى خلق السموات والأرض ، التى تدل على وحدانيته ، وأقسم على أن وعده بقيام الساعة وثواب الناس وعقابهم حق ، ذكر قصة إهلاك قوم لوط الذين كذبوه ، وارتكبوا أقبح أنواع المعاصى والفجور ، لينبه المشركين على أن الله قادر على أن يهلكهم ، كما أهلك قوم لوط من قبلهم ، فسأل رسوله : ألم يأتك يا محمد نبأ الرسل ، وقصة الملائكة المكرمين عند الله تعالى ، وعند إبراهيم ؟ حيث قام على خدمتهم هو وزوجه . حين دخلوا على إبراهيم ، وقالوا له : سلام عليك ، فرد عليهم السلام بأحسن منه ، وتفرس فى وجوههم فلم يعرفهم ، وقال لهم : مَن القوم ؟ أنا لا أعرفكم من قبل ، فعرفونى بأنفسكم ، ثم أجلسهم وحياهم ، وانسلّ خفية منهم إلى زوجه ، حتى لا يعرفوا أنه ذاهب لإحضار طعامهم فيمتنعوا ، وذلك من آداب الضيافة التى كان يتحلى بها إبراهيم الكريم المضياف ، فأخبرها بنبئهم ، وأحضر عجلا سميناً لهم ، وقامت زوجه فشوته لهم ، وأعدت لهم مائدة شهية ، ورحب بهم إبراهيم ، ودعاهم إلى تناول الطعام فلم يلبوا ، وكان من العادات المألوفة أن من أكل طعامك أمنت شره ، ومن امتنع من تناول طعامك توقعت الشر منه ، لذلك أحس

إبراهيم الخوف ، وتوقع الشر من القوم الذين نزلوا به ، ولم يأكلوا طعامه ، فلما رأوا ما ظهر على إبراهيم من الخوف ، أرادوا أن يخففوا من رَوعه ويطمئنوه ، فقالوا له : لا تخف منا ، ولا تتوقع شرًّا من جانبنا ، فإنا ملائكة الله ورسله ، إلى أنبيائه ورسله ، وبشروه بأن الله سيرزقه بولد يؤتيه العلم صبيًّا ، من زوجه سارة ، فلما سمعت امرأته سارة هذا النبأ ، وقد بلغت حد الكبر ، وجاوزت سن الحمل ، وانقطع حيضها ، وقد كانت فى صباها عاقراً لا تلد ، عجبت من أمرهم ، وبَدت منها ضجة وصيحة احتجاج واستبعاد لما قالوا ، وضربت وجهها على عادة النساء عند التعجب ، مبدية تعجبها واستغرابها ، وقالت : أألد وأنا عجوز فى سن اليأس ، عقيم عاقر فى صباى؟ وإذا كنت لم ألد فى سن الصبا ، فكيف ألد فى سن الكبر ؟ قالت لها الملائكة : مثلُ ما قلنا لك قال ربك ، وإذا قال الله قولاً وأبلغته الملائكة ، وجب أن يكون ، ووجب أن تؤمنى به وتصدقى ؛ وقد نفذ ما أراد الله ، فولدت غلامها إسحاق ، وهى بنت تسع وتسعين كما قيل ؛ إن الله هو الحكيم فيما يفعله ، العليم بمصالح عباده .

وستأتى بقية قصة إبراهيم مع الملائكة ،
فى أول تفسير الجزء السابع والعشرين

فهرس الجزء السادس والعشرين من تفسير القرآن الكريم

الرقم	أسماء السور	أرقام الآيات فى المصاحف	أرقام الصفحات
١	الأحقاف	من ١ — ٦	من ٣ — ٦
٢	«	« ٧ — ١٤	« ٧ — ١٢
٣	«	« ١٥ — ٢٠	« ١٣ — ١٨
٤	«	« ٢١ — ٢٨	« ١٩ — ٢٤
٥	«	« ٢٩ إلى آخر السورة	« ٢٥ — ٢٩
١	محمد	« ١ — ٦	« ٣٠ — ٣٤
٢	«	« ٧ — ١٤	« ٣٥ — ٣٩
٣	«	« ١٥ — ١٩	« ٤٠ — ٤٤
٤	«	« ٢٠ — ٣١	« ٤٥ — ٥٠
٥	«	« ٣٢ إلى آخر السورة	« ٥١ — ٥٤
١	الفتح	« ١ — ٧	« ٦٠ — ٦٣
٢	«	« ٨ — ١٤	« ٦٤ — ٦٨
٣	«	« ١٥ — ٢٣	« ٦٩ — ٧٥
٤	«	« ٤٢ — ٢٧	« ٧٦ — ٧٩
٥	«	« ٢٨ إلى آخر السورة	« ٨٠ — ٨٢
١	الحجرات	« ١ — ٥	« ٨٢ — ٨٦
٢	«	« ٦ — ٨	« ٨٧ — ٨٩
٣	«	« ٩ — ١٠	« ٩٠ — ٩١
٤	«	« ١١ — ١٣	« ٩٢ — ٩٨
٥	«	« ١٤ إلى آخر السورة	« ٩٩ — ١٠١
١	ق	« ١ — ١١	« ١٠٢ — ١٠٨
٢	«	« ١٢ — ٢٣	« ١٠٩ — ١١٣
٣	«	« ٢٣ — ٣٥	« ١١٤ — ١١٨
٤	«	« ٣٦ إلى آخر السورة	« ١١٩ — ١٢٣
١	الذاريات	« ١ — ٢٣	« ١٢٤ — ١٣٢
٢	«	« ٢٤ — ٣٠	« ١٣٣ — ١٣٥

تفسير القرآن الكريم

الجزء السابع والعشرون

تأليف

محمود محمد حمزة
المفتش بالتعليم الثانوى والفنى (سابقاً)
والأستاذ بدار العلوم (سابقاً)

حسن علوان
المراقب بوزارة التربية والتعليم

محمد أحمد برانق
المفتش العام بالتعليم الإعدادى



ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

سورة الذّاريات

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية ٣١ إلى الآية ٣٧

قَالَ : فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ؟ -١- . قَالُوا : إِنَّا
أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ، لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ،
مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ -٢- . فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ -٣- .
وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فما خطبكم أيها المرسلون	فما حقيقة الأمر الذى جئتم من أجله ، أيها الملائكة المرسلون من عند الله ؟ .
قوم مجرمين	قوم لوط الذين أجرموا بارتكاب أشنع الآثام .

الألفاظ	شرحها
لنرسل عليهم حجارة	لنرجمهم ونهلكهم بحجارة .
مسوَّمة عند ربك	معلمة عند الله ، معدة لإهلاك هؤلاء القوم .
للمسرفين	للمجاوزين الحد فى الفجور والفسق .
من المؤمنين	ممّن آمن بلوط .
المسلمين	المنقادين المستسلمين .
آية	علامة وعبرة لمن يأتى بعدهم .

ملاحظة : فيما سيأتى بقية قصة إبراهيم مع الملائكة التى ذكرنا شيئاً منها فى آخر تفسير الجزء السادس والعشرين .

مجمل المعنى

١ — لما تحقق إبراهيم من مر الملائكة ، وعلم أنهم رسل الله إليه ، قال لهم : فما قصتكم ؟ وما شأنكم ؟ وما الأمر الذى جئتم من أجله إلينا ، أيها الملائكة المرسلون ؟.

٢ — قال له الملائكة : لقد أرسلنا الله لإهلاك قوم أجرموا بارتكاب أشنع الآثام ، وهو اللواط ، وجاوزوا الحد فى الكفر والعصيان ، واقترفوا أقبح أنواع الفجور ، وهم قوم ابن أخيك لوط فى قرية سدوم ، جئنا لنهلكم بحجارة صنعت من طين ، وأحرقت حتى صارت آجُرًّا ، وقد أعدت لهؤلاء القوم خاصة ، وعلّمها الله بعلامات لإهلاك هؤلاء الذين أسرفوا فى الكفر والفسوق والعصيان.

٣ — ولما أردنا إهلاك قوم لوط ، أخبرنا لوطاً أن يخرج من هذه القرية الظالم أهلها

هو ومن آمن به من قومه، قبل أن يقع العذاب على هؤلاء المجرمين ، فما وجدنا فيها غير أهل بيت واحد من المسلمين ، وهم لوط وابنتاه وأهل بيته — ما عدا امرأته — وكانوا جميعاً ثلاثة عشر ، والمؤمنون والمسلمون هنا سواء وغيِّر اللفظ لئلا يتكرر .

٤ — وخرج لوط ومن آمن به ، فأسقط الله على القرية صاعقة من السماء ، جعلت عاليها سافلها ، ورماها بحجارة من سجيل ، فهلك أهلها ، ودمرت دورها ومصانعها ، وصارت أثراً بعد عين ، وتركنا ما حصل لهذه القرية عظة وعبرة لمن يأتي بعدهم ، ممن يخافون أن يحل بهم ما حل بقوم لوط ، من العذاب الأليم ؛ فهل تعتبر قريش وتتعظ ، حينما تمر بهذه القرية ، وترى آثار من كذبوا رسلهم ؟

(٢)

من الآية ٣٨ إلى الآية ٤٦ من سورة الذاريات

وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ، فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ ، وَقَالَ : سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ -١- . وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ، مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ -٢- . وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ : تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ ، وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ -٣- . وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بسلطان مُبين	بحجة بينة ، وهى العصا وغيرها .
فتولى بركنه	فأعرض عن الإيمان ، واغتر بقوته من قومه وجنوده .
فنبذناهم فى اليمّ	فتركناهم فى البحر ينطبق عليهم فغرقوا .

الألفاظ	شرحها
وهو مُليمٌ	وقد أتى ما يلام عليه ، من الكفر والطغيان .
الريح العقيمَ	التى لا تسوق سحاباً ، ولا تلقح شجراً .
ما تذر من شىء أتت عليه	ما تترك شيئاً تمر عليه .
جعلته كالرميم	جعلته جافا متفتتاً ، كالنبات الهشيم .
تمتعوا حتى حين	عيشوا متمتعين فى دياركم إلى وقت هلاككم .
فعتوا عن أمر ربهم	فخالفوا أمر الله ، واستكبروا عن امتثاله .
فأخذتهم الصاعقة	فوقعت بهم صيحة العذاب ، وفاجأهم الهلاك .
وهم ينظرون	وهم ينظرون مبهوتين نظر المغشىّ عليه من الموت .
فما استطاعوا من قيام	فما استطاعوا نُهوضاً ، بأن يفروا ويهرُبوا من العذاب .
وما كانوا منتصرين	وما كان لهم ناصر من العذاب .
فاسقين	كافرين .

مجمل المعنى

١ — وتركنا فى قصة موسى عبرة لمن يعتبر ، وذكرى لمن يتدبر ، حين أرسلناه إلى فرعون وقومه ، وأيدناه بالبراهين والآيات البينة ، والحجج والمعجزات الظاهرة ، فقدأبى فرعون واستكبر أن يؤمن بموسى، وأعرض عنه مع جموعه وجنوده الذين يركن إليهم ، ويتقوى بهم ، وقال عنه : إنه ساحر وليس رسولا ، ومجنون يقول ما لا يعقل ، فأخذناه وجنوده الذين كان يعتز بهم ، لكفرهم وعتوهم ، فطرحناهم فى البحر ، وأطبقناه عليهم ، وأهلكناهم بالغرق ،

وذهب فرعون لإصراره على ما يلام عليه من الكفر والطغيان .

٢ — وفى قصة عاد عبرة لمن تأمل ، فقد أرسلنا إليهم هوداً ، فجحدوا بآيات الله وعصوا نبيهم ، فأرسل الله عليهم ريحاً عقيماً لا منفعة فيها ، فلا تسوق سحاباً ولا تُلقح شجراً ، لكنها حارة عاصفة ، لا تمر على شىء إلا أتلفته وأفسدته ، وجعلته باليا هشيما متفتتا ، لا نفع منه ، ولا خير فيه .

٣ — وفى قصة ثمود آية للمكذبين المشركين ، كذبوا صالحاً ، وأصروا على عبادة الأصنام ، واستكبروا عن الامتثال لصالح ، وعقروا الناقة ، فأنذرهم بأنهم سيتركون ثلاثة أيام يتمتعون فيها ، ثم أرسل الله عليهم صاعقة أهلكتهم ، وهم ينظرون إليها مبهوتين ، لا يستطيعون منها فراراً أو هرباً ، ولم يمتنعوا على العذاب الذى حل بهم .

٤ — وفى قوم نوح من قبلهم عبرة للمشركين من قريش ، لأنهم كانوا قوماً كافرين خارجين عن طاعة الله .

(٣)

من الآية ٤٧ من سورة الذاريات ، إلى آخر السورة

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ، وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ –١– . وَٱلْأَرْضَ
فَرَشْنَاهَا ، فَنِعْمَ ٱلْمَاهِدُونَ ! –٢– . وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا
زَوْجَيْنِ ، لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون –٣– . فَفِرُّوا إِلَى ٱللَّهِ ، إِنِّى لَكُمْ
مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ ٱللَّهِ إِلٰهاً آخَرَ ، إِنِّى لَكُمْ
مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ –٤– . كَذٰلِكَ مَا أَتَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ
رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا : سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، أَتَوَاصَوْا بِهِ ؟ بَلْ هُمْ
قَوْمٌ طَاغُونَ –٥– . فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ، فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ، وَذَكِّرْ ،
فَإِنَّ ٱلذِّكْرَى تَنْفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ –٦– . وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ
وَٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ، وَمَا أُرِيدُ
أَنْ يُطْعِمُونِ . إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ، ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ –٧– .
فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ، فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ –٨– .
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ –٩– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بنيناها بأيْدٍ	أنشأناها بقوة .
وإنا لموسعون	وإنا لقادرون ، من الوُسع ، وهو الطاقة ، ومنه : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » .
والأرضَ فرشناها	والأرض مهدناها لتستقروا عليها .
فنعم الماهدون	فنعم الماهدون المصلحون نحن ! .
زوجين	صنفين ونوعين مختلفين .
لعلكم تذكرون	لتتذكروا وتتعظوا بما خلق الله .
ففِروا إلى الله	ففروا من معصية الله إلى طاعته والتوبة إليه .
منه نذير مبين	من عذابه المعد لمن أشرك به منذر بالمعجزات ، مبين ما يجب أن تحذروه .
أتواصوا به	هل أوصى المتقدمون المتأخرين بالتكذيب ، وتواطئوا عليه ؟
بل هم قوم طاغون	بل لم يتواصوا على التكذيب ، لكنهم مشتركون فى الطغيان .
فتول عنهم	فأعرض عنهم .
فما أنت بملوم	فلست ملوماً على كفرهم ، لأنك أديت ما يجب عليك من تبليغهم .
المتين	شديد القوة .
ذَنُوباً	حظا ونصيباً من العذاب .

الألفاظ	شرحها
فويلٌ	فعذاب وهلاك لهم .
من يومهم الذى يوعدون	من يوم القيامة الذى أوعدهم الله به .

مجمل المعنى

١ — ولقد خلقنا السماء وأنشأناها بتركيب ونظام، يدل على قوتنا وقدرتنا ، وإنا لقادرون على أن نخلقها ونخلق غيرها ، وقد جعلنا الأرض التى تعيشون فيها ، وتعصون الذى خلقها ، كنقطة صغيرة وسط آلاف الآلاف من كواكب أكبر منها حجماً ، وأعظم منها خلقاً .

٢ — وقد بسطنا الأرض كالفِراش ، ومهدناها ، وذللناها لكم ، لتحيوا فيها ، وتستقروا على ظهرها ، وتمشوا فى مناكبها ، وتأكلوا من رزق الله فيها ، وإنا لنعم الماهدون ، الموجدون لها على أحسن حال ، وأعظم إنشاء !.

٣ — ومن كل جنس وكل شىء خلقنا صنفين ، ونوعين مختلفين ، حتى تتم الفائدة منهما ، أو يتأتى النمو بوجودهما ، فخلقنا الذكر والأنثى ، والسماء والأرض ، والليل والنهار ، والنور والظلام ، والجن والإنس ، والموجب والسالب ، وجعلنا هذا الخلق المختلف ، دليلا على قدرتنا التى ليس كمثلها شىء ، ودليل على وحدانيتنا ، ومن قدر على خلق هذا الكون من عدم ، فهو قادر على أن يعيد خلقه — فعلنا ذلك لتتعظوا وتتذكروا أن بانى السماء ، وباسط الأرض ، وخالق الزوجين ، لا يعجزه حشر الأجساد ، وجمع الأرواح .

٤ — قل لهم يا محمد : إن الله يأمركم — وقد بيَّن لكم براهين قدرته — أن

تؤمنوا وتلزموا الطاعة ، وإنه ليحذركم عذابه ، ويطلب إليكم أن تنجُّوا أنفسكم من عقابه ، وتبادروا إلى الهرب إلى ساحته الكريمة ، وأن تفروا من وبال المعصية ، وأدران الشرك ، إلى طاعته وثوابه ، وإنى أحذركم عاقبة المعصية ، إنى لكم من قِبَلِه منذركم إنذاراً بيناً ، ومخوف لكم تخويف مشفق عليكم من شديد عقابه ، وأليم عذابه ؛ وقل لهم : إن الله ينهاكم أن تعبدوا غيره ، وأن تشركوا به شيئاً ، وأن تجعلوا معه إلهاً آخر ، وإنى أحذركم أن تظلوا فى الشرك ، وأنذركم إنذاراً بيناً أن الله سيعذبكم عليه أشد العذاب.

٥ — لست يا محمد أول من كذبه قومه ، وقالوا عنه : إنه ساحر أو مجنون ، فلا تأس لذلك ، فمثل هذا القول قالته الأمم السابقة لأنبيائهم ، لقد قيل مثل هذا القول لنوح وهود وصالح وموسى وغيرهم ، فما أعجب أمر هذه الأمم ! أوصَّى بعضهم بعضاً بأن يرموا أنبياءهم بالسحر والجنون ، وأن يملى السابق على اللاحق هذا الذى كله كذب وافتراء ؟ كلا ! إنهم لم يتواصوا بذلك ، بل اتصفوا جميعاً بصفة واحدة ، هى صفة الطغيان ، ومجاوزة الحد فى الكفر ، فافتتنوا فى الضلال والبهتان .

٦ — فأعرض عنهم ، ولا تشغل بالك بهم ، فلست مكلفاً أن يكونوا مؤمنين ، ولن يكونوا — ولو حرصت — بمؤمنين ، ولست ملوماً على كفرهم وضلالهم ، لأنك أديت ما عليك من تبليغ الرسالة ، وليس عليك إلا البلاغ ، وعليك أن تذكِّر ، وأن تعظ ، وليس الوعظ والتذكير بنافع غير الذين شرح الله صدورهم للإسلام ، وهداهم للإيمان. أما من اقتضت إرادة الله لهم أن يموتوا كفاراً مشركين ، فلن يؤمنوا مهما ذكَّرت ووعظت .

٧ — وما خلقت الجن والإنس إلا وقد هيأتهم لعبادتى ، وبينت لهم من آيات قدرتى وألوهيتى ما يجعلهم يؤمنون بى ويعبدوننى ، وقد برهنت مظاهر هذا

الكون ودلت عظمته، على أنه قد خلقه رب واحد، وأنه هو وجميع من فيه من إنس وجن، عبيد لهذا الرب الواحد؛ فهذه الدلائل الواضحة فى هذا الكون، تأمرهم بعبادتى، «وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحد لا إله إلا هو»، وليس شأن هذا الرب مع عباده كشأن السادة مع عبيدهم، فهؤلاء يملكون عبيدهم ليستعينوا بهم فى أمورهم، وتهيئة أرزاقهم، لكن الله غنى عن العالمين، لا يريد أن يصرّف عبيده فى تحصيل الأرزاق، وجلب الأقوات، لأنه هو رازقهم، والمتفضل عليهم بما يقوم بمعيشتهم، وهو القوى الشديد القوة، فعليهم أن يقبلوا على عبادة من هذا شأنه، ويلتزموا طاعته.

٨ — إن للذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب، بسبب تكذيبك يا محمد، والشرك بالله، نصيباً من عذاب الله يوم القيامة، مثل نصيب الذين كذبوا أنبياءهم، وأشركوا بالله من قبلهم، فلا يستعجلونى فى نزول العذاب بهم، بقولهم: إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فإنه سيأتى قريباً، وإنهم يرونه بعيداً، ونراه قريباً.

٩ — فالويل والعذاب الشديد فى نار جهنم للذين كفروا بالله، وكذبوا الأنبياء! الويل لهم فى اليوم الذى توعدهم الله أن يعذبهم فيه، ويحاسبهم على ما كانوا يعملون.

سورة والطُّور

نزلت بمكة ، وآياتها ٤٩ آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٦

وَالطورِ ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ، وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ، وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ، وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ، مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ —١— . يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ، وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا —٢— . فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ : ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ، يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا : هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ، أَفَسِحْرٌ هَٰذَا ، أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ؟ —٣— . اُصْلَوْهَا ، فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ —٤— .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
والجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام .	والطور
والقرآن المسطور المكتوب الذى أنزله الله على محمد .	وكتاب مسطور
فى رقوق منشورة ، وأصل الرق : الجلد الذى يكتب فيه ، استعير للصحيفة التى يكتب فيها الكتاب .	فى رَق منشور
والبيت الحرام .	والبيت المعمور
والسماء المرفوعة بلا عمد	والسقف المرفوع
المملوء ، المحبوس من أن يفيض على الأرض فيغرقها .	المسجور
تتحرك فى اضطراب ، جيئة وذهاباً .	تمور
تنتقل من مكان إلى مكان ، لتشقق الأرض وتتصدعها .	تسير الجبال
فالعذاب والويل لهم يوم يقع ذلك ! .	فويل يومئذ
فى باطل يتشاغلون .	فى خوض يلعبون
يوم يدفعون إلى نار جهنم بعنف وشدة .	يوم يدعُّون إلى نار جهنم دعًّا
يقال لهم : هذه النار .	هذه النار
كنتم تنكرون حقيقتها ، وتكذبون من أخبر بها .	كنتم بها تكذبون
كنتم تقولون عن الوحى : إنه سحر ، أفهذا العذاب أيضاً سحر ؟ .	أفسحر هذا

الألفاظ	شرحها
اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا	قاسوا عذاب النار ، فلن يخفف عنكم منه شيء ، صبرتم أو جزعتم

مجمل المعنى

١ — تضمن هذا القسَم خمسة أشياء ، هى من أعظم الدلالات على قدرة الله تعالى ، وربوبيته ووحدانيته :

ا — فأقسم بالطور ، وهو الجبل الذى كلم الله عليه نبيه موسى عليه السلام ، تشريفاً له وتكريماً .

ب — وأقسم بالقرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم آيات بينات ، وهدى للمتقين ، المكتوب فى صحف منشورة ؛ وعلى هذا فيكون القسم بخير الجبال ، وخير الكتب المنزلة .

ج — وأقسم بالبيت المعمور ، الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً ، تحج اليه الناس من كل فجّ عميق ، يتعارفون ويتعاونون ، ويولون وجوههم شطره مصلين ملبين ، متجهين إليه بقلوب خالصة أن يرشدهم إلى سعادة الدارين ، فى بيته المعمور بالطائفين والقائمين والركع والسجود .

د ، ه — ثم أقسم بمخلوقين عظيمين من بعض مخلوقاته ، ومن أظهر آياته ، وأعجب صنعه ، وهما السقف المرفوع بقدرته وعظمته ، الممسَك بقوته أن يزول ، والبحر المملوء المحبوس من أن يفيض على الأرض فيغرقها ، فموجه الذى يعلو كالجبال يأتى إلى الشاطىء فيتكسر ويتراجع ، ولا ريب أن السماء والبحر آيتان من أعظم آيات الله ، فالسماء فى سعتها وسمكها ، وحركة كواكبها

وشروقها وغروبها ، وفى تعاقب الليل والنهار ، والنور والظلام ، والسنون والشهور والأيام ، والصيف والشتاء ، والربيع والخريف ، والبحر فى عظمه وبعد أقطاره ، وارتفاع أمواجه تارة ، واستواء صفحته تارة أخرى ، يحمل على ظهره المواخر والفلك ، وتعيش فى جوفه الأحياء المائية المختلفة ، والأصداف والمعادن ، واللؤلؤ والمرجان — يتحدثان فى صمت عميق عن قدرة الله ، وإبداع صنعته جل شأنه ؛ أقسم الله — سبحانه — بهذه الأشياء الخمسة العظيمة ، على أن المعاد والجزاء والحساب ، والعذاب الذى أنذر به الخلق ، لواقع لا محالة ، لا دافع لوقوعه ، ولا مانع من مجيئه ووجوده ، وأنه إذا وقع بالفعل فلا راد له ولا دافع .

٢ — ويكون الحساب والجزاء ، والعذاب التى توعد الله به الكفار ، يوم يأمر الساعة أن تقوم ، فتضطرب الكواكب اضطراباً ، وتتحرك من غير انتظام ، ويذهب التجاذب بينها ، ويختل نظام دورانها ، فتتصادم وتتساقط ، وترى الجبال تتشقق وتقع ، وتتنتقل من هنا إلى هناك ، وتفقد ثباتها ورسوخها واتزانها ؛ والويل والعذاب ، والفزع الأكبر والشقاء فى هذا اليوم ، للمشركين الذين كانوا به يكذبون ، ويقولون : ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر ، وما نحن بمبعوثين ، وكانوا يخوضون فى هذا الباطل خوضاً ، وليس لهم حجة أو برهان عليه ، بل كانوا يلعبون ويتشاغلون عن النظر والتأمل لمعرفة الله تعالى بآثار صنعته ، وإبداع خلقه .

٣ — الويل لهؤلاء الأشقياء فى هذا اليوم ، إذ يساقون إلى جهنم سوقاً ، ويدفعون إليها دفعاً ، مقيدة أرجلهم ، مغلولة أيديهم ، فيقومون ويقعون ، ويؤخذون أخذاً لا هوادة فيه ولا رحمة ، ويقال لهم : هذه هى النار التى كنتم تخبرون بها فى الدنيا فتكذبونها وتسخرون من محمد ، انظروا إليها بأعينكم ، وأنضجوا بلهبها جلودكم ، وقطعوا بحميمها بطونكم ؛ هذه هى النار التى أخبركم بها

محمد فى القرآن ، فقلتم : إن القرآن الذى جاء به محمد سحر ساحر ، أفحق ما جاءكم به محمد ، وصدق ما وعدكم به فى الكتاب الذى أنزله الله عليه ، أم هو سحر كما كنتم تفترون ؟ وهل ما ترونه من هذه النار الموقدة ، وهذا السعير الملتهب سحر أيضاً ؟ أو أنكم قد عميت أبصاركم ، كما عميت فى الدنيا على زعمكم ، حين كنتم تقولون : إنما سُكِّرت أبصارنا ، بل نحن قوم مسحورون .

٤ — ذوقوا عذاب هذه النار ، وقاسوا لظاها صابرين أو جزعين ، راجين أو قانطين ، كل هذا سواء ، ولن يخفف عنكم من عذاب الله شيئاً ، ولن تُزَحزحوا قِيد أنملة عن النار ، لأن عدل الله قائم ، وأمره مبرم ، وهذه النار هى جزاء حق لكم ، وقضاء عدل لما كنتم تعملون فى الدنيا من أعمال سيئة ، طالما حذرناكم وخيم عاقبتها ، وسوء مصيرها ؛ واعلموا أن الله تعالى لم يظلمكم بذلك ، وإنما هى نفوسكم القبيحة ، وعقائدكم الفاسدة ، هى التى صيّرتكم هذا المصير .

(٢)

من الآية ١٧ إلى الآية ٢١ من سورة الطور

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ، فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ،
وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ —١— . كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ —٢— . مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ، وَزَوَّجْنَاهُمْ
بِحُورٍ عِينٍ —٣— . وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، كُلُّ ٱمْرِئٍ
بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ —٤— . وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا
يَشْتَهُونَ —٥— . يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ —٦— .
وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ ، كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ —٧— . وَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ : قَالُوا : إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ ، فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ، وَوَقَانَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ، إِنَّا كُنَّا
مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ، إِنَّهُ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ —٨— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فاكهين	ناعمين متلذذين .
بما آتاهم ربهم	بما أعطاهم ربهم .
وزوجناهم بحور عين	وقرناهم بنساء ملاح العيون، بيض البشرة ، حسان الوجوه ؛ وعين : جمع عيناء ، وهى النجلاء ، الواسعة العين .
ألتناهم	نقصناهم .
رهين	مقيد بعمله ، مأخوذ به ، لا ينقص شيئاً من ثواب عمله .
يتنازعون	يتناولها بعضهم من بعض .
لا لغو فيها ولا تأثيم	لا يجرى بينهم وهم يشربونها باطل من القول ، وما فيه إثم .
مشفقين	خائفين من لقاء الله .
السموم	الريح الحارة التى تخترق المسام ، ويراد بها : العذاب الشديد .
البر الرحيم	اللطيف العميم الخير ، الواسع الرحمة بعباده المؤمنين .

مجمل المعنى

١ — ثم ذكر سبحانه وتعالى أرباب الاعتقادات الصحيحة ، والأعمال الصالحة ، وهم المتقون ، وما أعد لهم فى الآخرة من مساكن طيبة ، وما أفاض عليهم

من طمأنينة النفس ، وراحة القلب فى الدار الآخرة ، ووصفهم بأنهم يعيشون فيها فى جنات وحدائق ، ينعمون فيها بما يشاءون من طعام وشراب ، ومناظر حسنة ، وفرح وسرور ، واغتباط وحبور ، متمتعين متلذذين بما أعطاهم ربهم من نعيم مقيم ، راضين به ، شاكرين عليه ، طيبة نفوسهم بما جمع الله لهم من نعيم البدن بالطعام والشراب وجمال المكان ، ومن نعيم القلب بالرضا والاطمئنان ، وقد وقفهم ربهم فوقاهم عذاب الجحيم ، لأنهم تركوا ما يكره ، وأتوا ما يحب ، فكان جزاؤهم مطابقاً لأعمالهم ، فوقاهم مما يكرهون ، وأعطاهم ما يحبون ، جزاء وفاقاً .

٢ — وقد شاء ربك أن يجمع لعباده المتقين كل أطراف النعيم ، فأراد أن يلذذ أسماعهم ، ويؤمنهم على نعيمهم ، فأمر أن يقال لهم وهم فى الجنة : كلوا أكلا هنيئاً ، واشربوا شراباً مريئاً ، لا انقطاع فيه ولا تنغيص ، ولا خوف من زواله .

٣ — ولم يجعل سبحانه وتعالى نعيم الجنة مقصوراً على الطعام والشراب ، والغبطة والاطمئنان ، بل أتمه بالأنس والسرور للمتقين بمن يحبون ، فوصف مجالسهم بأنهم يجلسون مصطفين متقابلين ، جلوساً فيه راحة واستقرار ، يطالع كل منهم فى وجه أخيه نضرة النعيم ، وبهجة القلب ، وبشاشة الوجه ، وقرة العين ، ويجاذبه حسن الحديث ، وأطيب الذكريات ؛ وإن من تمام اللذة والنعيم ، أن يكون مع الإنسان فى بستانه ومنزله ومجلسه من يحب معاشرته ، ويؤثر قربه ، ولا يكون بعيداً منه ، وقد قرن الله إليهم الحور العين من نساء الجنة يؤنسنهم ، ويسررن قلوبهم ، بما أتم الله عليهن من الحسن والجمال : من بياض البشرة ، ورشاقة القوام ، ووضاءة الوجه ، وحلاوة العينين ، وعذوبة النفس .

٤ — ومن تمام نعمة الله على المتقين المؤمنين فى الجنة ، أنه يجمع بهم فى النعيم ذريتهم المؤمنين إكراماً لهم ، وتحقيقاً لفضل الله عليهم ، وإن كانوا دونهم فى العمل فى الدنيا ، فإن الله سبحانه وتعالى يُلحق بهم ذريتهم فى الجنة ، ويمتعهم جميعاً بنعيم تام، فلا ينقص من نعيم الآباء شيئاً مما تفضل به على الأبناء ، بل يرفع الأبناء إلى درجة الآباء، تفضلا منه على عباده ، وبراً بأوليائه ، قال صلى الله عليه وسلم : « يرفع الله ذرية المؤمن فى درجته فى الجنة لتقرَّبهم عينه ، وإن كانوا دونه » ، لأن الله يعطى من فضله ، ولا ينقص شيئاً من ثواب عبده ؛ كل امرئ مرتهن بعمله ، مأخوذ به وحده، فلا ينقص من ثواب عمله شيئاً ، فأما الزيادة على ثواب العمل ، فتفضل من الله .

٥ — ولم نجعل طعام أهل الجنة وشرابهم ثابتاً فى ألوانه ومقاديره ومذاقه ، وإنما نزيدهم وقتاً بعد وقت، بما تشتهيه نفوسهم من أنواع اللحم والفاكهة، وإن لم يقترحوه ويطلبوه ، وإنما نحيط برغباتهم، وما تشتهيه نفوسهم، فنمدهم به .

٦ — وجعلناهم يتناولون كئوس الشراب ، ويتعاطونها بينهم ، فيشرب أحدهم ويناول صاحبه ، ليتم بذلك فرحهم وسرورهم ، بالشراب الخالص المنزه عن آفات اللغو والإثم ، فلا يكون منه ما يكون من شراب الدنيا من هراء القول والسباب والتخاصم ، والهجْر والفحش والعربدة ، والإثم بالبغى والكذب والضلال والباطل ، لأنها خمر لا تذهب بالعقول ، فهُم مع تعاطيها يتكلمون بأحسن الكلام ، ويفعلون الفعل الحميد .

٧ — ثم وصف سبحانه وتعالى القائمين على خدمة المتقين فى الجنة ، بأنهم غلمان صغار السن ، صباح الوجوه ، كاللؤلؤ الصافى المصون فى أصدافه ، لم تلمسه يد ، ولم يقع عليه غبار ، ولم تذهب الخدمة بمحاسنهم ، ولم تؤثر فى رونقهم وصفائهم وبهجتهم .

٨ — وذكر سبحانه وتعالى مايكون بين أهل الجنة من حديث وهم هانئون وادعون ، فيسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله ، وما استحق به نعيم الله ورضوانه ، فتكون إجابتهم : أننا كنا فى الدنيا بين أهلنا وأولادنا خائفين مشفقين من عذاب الله فى الآخرة ، قائمين بطاعته ، متقين معصيته ، فأوصلنا ذلك الخوف والإشفاق إلى أن منّ الله علينا بالرحمة والتوفيق للهدى والحق ، فوقانا عذاب النار التى تنفذ فى المسام نفوذ الريح والسموم ؛ وهذا غير حال الشقى الذى كان فى أهله مسروراً ، إنه ظن أن لن يحور ويرجع إلى الحياة والحساب بعد الموت ، فهذا كان مسروراً مع الإساءة ، وكنا مشفقين وخائفين مع الطاعة والإحسان ، فبدّلنا الله بالإشفاق أمناً ، وبدل الأشقياء بسرورهم عذاباً وخوفاً ، إننا كنا من قبل أن نبعث للحساب ، ونحن نعيش على ظهر الأرض ، نعبد الله حق العبادة ، ونسأله السلامة والوقاية من عذاب النار ، فشملنا إحسانه ولطفه ، وعمنا كرمه ورحمته ، لأنه هو البرّ المحسن المتفضل ، الكثير الرحمة ، الذى إذا عبد أثاب ، وإذا سُئل أجاب .

(٣)

من الآية ٢٩ من سورة الطور ، إلى آخر السورة

فَذَكِّرْ ، فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ —١—.
أَمْ يَقُولُونَ : شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ؟ —٢— . قُلْ :
تَرَبَّصُوا ، فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ —٣— . أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا ؟ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ —٤— . أَمْ يَقُولُونَ :
تَقَوَّلَهُ ؟ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا
صَادِقِينَ —٥— . أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ؟ —٦— .
أَمْ خَلَقُوا السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ بَلْ لَا يُوقِنُونَ —٧— . أَمْ عِنْدَهُمْ
خَزَائِنُ رَبِّكَ ، أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ؟ —٨— . أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ
يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ؟ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ —٩— . أَمْ لَهُ
الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ —١٠— . أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ، فَهُمْ مِنْ
مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ؟ —١١— . أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ؟ —١٢— .
أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ؟ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ —١٣— .
أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ؟ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ! —١٤— . وَإِنْ
يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا ، يَقُولُوا : سَحَابٌ مَرْكُومٌ ،

فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ : يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ
كَيْدُهُمْ شَيْئًا ، وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ —١٥— . وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ —١٦— .
وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
حِينَ تَقُومُ ، وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ، وَإِدْبَارَ ٱلنُّجُومِ —١٧— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فذكّر	فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم .
بنعمة ربك	بإنعامه عليك بالنبوة .
شاعر نتربص به ريب المنون	هو شاعر ننتظر حوادث الدهر تقع به فيهلك ، كما هلك مَنْ قبله من الشعراء ؛ والريب هنا : الحوادث ، والمنون : الدهر .
قل تربصوا	قل لهم : انتظروا ما تتمنون من هلاكى .
فإنى معكم من المتربصين	فإنى معكم من المنتظرين هلاككم ، وسنرى من يحقق الله تربصه بغيره .
أم تأمرهم أحلامهم بهذا	هل تصدق عقولهم ما يقولون عنه : إنه ساحر وكاهن وشاعر ومجنون ؟
طاغون	مجاوزون الحد فى العناد ، مع ظهور الحق لهم .

الألفاظ	شرحها
تقوّله	افتراه واختلقه من تلقاء نفسه .
فليأتوا بحديث مثله	فليقولوا كلاماً مختلقاً مثل القرآن .
من غير شىء	من غير خالق .
الخالقون	الموجدون لأنفسهم من غير خالق .
لا يوقنون	لا يتدبرون فى هذا الكون ، فيؤمنوا إيمان إيقان بأن له خالقاً يخلقه .
خزائن ربك	النبوة والأرزاق وغيرهما .
المصيطرون	المهيمنون الغالبون على هذا الكون ، حتى يدبروا أمره على حسب مشيئتهم .
يستمعون فيه	يستمعون عليه ما يُوحَى ، ويصلون بها إلى علم الغيب .
بسلطان مبين	بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم .
من مغرم مثقلون	من الغرامة الفادحة مبهظون مثقلون .
يريدون كيداً	يريدون الكيد وتدبير السوء لك ليهلكوك به .
المكيدون	الذين يحيق بهم كيدهم .
كسفاً	قطعة من عذاب .
سحاب مركوم	سحاب تراكم بعضه فوق بعض ، ليسقط علينا مطراً يسقينا .
يُصعقون	يُهلكون ويموتون به .
دون ذلك	غير عذاب الآخرة .
واصبر لحكم ربك	واصبر لحكم ربك ، بإمهالهم وتأخير عذابهم .
بأعيننا	محفوظ ومرعىّ بنا .

الألفاظ	شرحها
حين تقوم	وقت قيامك من منامك ومجلسك واصلاتك ، ومن أى مكان تقوم منه .
وإدبار النجوم	وقت اختفاء النجوم آخر الليل ، وغيبتها بضوء الصبح .

مجمل المعنى

١ ــ فاثبت يا محمد على تبليغ ما أنزل إليك ، وداوم على تذكير المشركين ووعظهم ، ولا تلق بالك إلى ما يرمونك به من الافتراءات والأباطيل ، فإن الله قد اصطفاك لرسالته ، واختصك بنبوته ، ولست بما أنعم الله عليك من النبوة ورجاحة العقل بكاهن، يقول ما يقول عن حَدْس وتخمين ، أو مجنون ينطق من غير عقل أو تدبر أو تفكير ، كما يفترون عليك .

٢ ــ أيقولون عنك : إنك شاعر من الشعراء الغاوين ، الذين هم فى كل واد يهيمون ، ويقولون ما لا يفعلون ، وإننا ننتظر أن تدور عليه دوائر الدهر ، وتأتى عليه حوادث الزمن ، فيموت ويهلك ، كما هلك غيره من الشعراء كالنابغة وامرئ القيس ؟ .

٣ ــ قل لهم : ترقبوا وانتظروا أن تحل بى حوادث الدهر، فأهلك كما تتمنَّوْن . فإنى مثلكم منتظر أن يحل بكم عذاب الله ، فتهلكوا على مرأى منى إن شاء الله ، وسنرى من يحقق الله له تربصه وانتظاره .

٤ ــ أتصدق عقولهم ما ينسبون إلى محمد من أباطيل مُختلَقة ، وأقوال باطلة ، وما يدَّعون عليه من أنه ساحر ، وأنه شاعر ، وأنه كاهن ، وأنه مجنون ؟

وهذه الصفات التى نعتُوه بها لا تصدقها عقولهم، لأن ما جربوا من أخلاق محمد وسلوكه ، قاطع بأنه بعيد كل البعد عن هذه الصفات ، لكنهم تجاوزوا الحد فى العناد والكفر ، فافتروا واختلقوا الباطل، مع ظهور الحق .

٥ – بل هم يُمعنون فى التخبط ، ويمضون فى الافتراء والكذب ، فيقولون ! : إن هذا القرآن لم ينزل على محمد من عند الله ، ولكنه افتراه واختلقه من تلقاء نفسه ، ونسبه إلى الله ؛ إن كانوا صادقين فيما يدّعون ، فإن هذا القرآن الذى جاء به محمد هو بلسان عربى مبين ، هو لسانهم الذى به يتكلمون ويخطبون وينظمون الشعر ، فليجربوا أن يقولوا كلاماً مثله ، ويأتوا بحديث مشابه له ، إن كانوا صادقين فيما يدعونه ؛ «قل : لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كانوا بعضهم لبعض ظهيراً » .

٦ – أينكرون وجود الإله الخالق؟ فهل خُلقوا هم من غير خالق ؟ ووُجدوا من غير صانع ؟ وكيف يصح فى العقل أن يوجد باب من غير نجار ، وحائط من غير بنّاء ؟ فكيف يوجد هذا الكون من غير خالق أو صانع ؟ أم يزعمون أنهم هم الخالقون لأنفسهم ، فلذلك لا يعترفون بخالق لهم ؟.

٧ – أم أنهم خلقوا السموات والأرض ؟ لكنك إذا سألتهم : من خلق السموات والأرض ؟ قالوا : خلقهن الله ؛ لكن هذا القول يصدر منهم وهم غير موقنين بوحدانيته ، مع اعترافهم بكمال قدرته .

٨ – هل عندهم مفاتح الغيب ، وخزائن الرحمة ، فيعطوا النبوةمن شاءوا ، أو يُمسكوها عمن شاءوا ، ويرزقوا هذا ويحرموا ذاك ؟ أم أنهم الغالبون على هذا الكون ، والمسيطرون على السموات والأرض ، فيصرفوهما بإرادتهم ، ويدبروهما بمشيئتهم ، وينصبوا آلهة ، وينشئوا معبودين ، كما شاءت لهم أهواؤهم ؟

٩ — أم لهم سلم يصعدون فيه إلى السماء ، فيستمعوا عليه أنباء الغيب ، فيعلموا ما هو كائن من الأمور التى يتقولونها ويفترونها؟ إن كان ذلك حقا، فليأت من صعد منهم إلى السماء ، واستمع فيها إلى أنباء الغيب، بحجة بينة واضحة تثبت ما يزعم ، وتحقق ما يدّعى .

١٠— أمْ يروْن أن البنات لله ، وأن البنين لهم ، مع أنهم يكرهون البنات اللاتى جعلوهن لله، ويحبون البنين الذين جعلوهم لأنفسهم؟ فهل خلق الله لهم عقولا، يترقون بها إلى عالم الملكوت ، ويطلعون بها على الغيب ؟

١١— بل أتسألهم أجراً على دعوتك إليهم للإيمان ، وتبليغك الرسالة يا محمد إليهم ، وقد بالغت فى تقدير هذا الأجر وأعليته ، حتى أثقلتهم فداحة هذا الغُـرْم، ومضاعفة هذا الأجر ، فهم لذلك لا يؤمنون بك ولا يتبعونك ؟

١٢— أم أن الله تعالى أطلعهم على الغيب ، وكشف لهم عن اللوح المحفوظ المثبت فيه كل الغيوب ، فهم يكتبون ما فيه ، ويخبرون الناس بما علموه ، ويتربصون بك ريب المنون ، ويقولون عما أخبرتهم به من أمر القيامة والجنة والنار : إنه باطل ؟ وإلا فمن أنبأهم بذلك حتى أذاعوه ؟

١٣— أيريدون أن يدبروا لك الكيد، ويأتمروا عليك فى دار الندوة ليقتلوك ؟ ألا فاعلم يا محمد أن الله حافظك ، وأن الذين مكروا بك ، ودبروا لك الكيد ، سيحبط الله كيدهم ، ويرد مكرهم فى نحورهم ، وسيكونون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ؟

١٤— أم لهم إله غير الله يخلق ويرزق ، ويعطى ويمنع فاستحق عبادتهم دون الله ؟ تنزه الله سبحانه وتعالى أن يكون له شريك فى الملك ، أو يكون معه إله غيره ! !

١٥— لقد جاوزوا الحد فى العناد والإصرار على الضلال ، فلو أنا أنزلنا عليهم

عذاباً من السماء ، أو أريناهم كِسَفاً ساقطاً عليهم ، لأنكروا ذلك ، وما صدقوا أن الله سينتقم منهم لكفرهم ، بل قالوا : إن هذا سحاب يجتمع بعضه فوق بعض ، ويركب بعضه فوق بعض ، حتى يتراكم ويتثاقل ، ويسقط مطراً يَسقينا ، وغيثاً يُروينا ؛ فدعهم حتى يأتى يوم القيامة ، ويروا بأعينهم ما كذبوه ، ويحل بهم العذاب الذى يهلكهم ويصعقهم ؛ وفى هذا اليوم لا ينفعهم الكيد الذى كادوه لك ، والتدبير الذى دبروه لك ، ولن يجدوا من ينصرهم من الله ، أو يمنعهم من عذابه .

١٦— وإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وظلموك بالتكذيب ، عذاباً فى الدنيا غير العذاب الذى سيلاقونه فى الآخرة ، فسيغلبون ويُقهرون ويقتلون ، ولكن أكثرهم َغلب عليهم العناد والإصرار على الكفر ، فلا يعلمون مصيرهم .

١٧— واصبر لحكم ربك بإرجاء عذابهم ، وتأخير عقابهم ، وإبقائك بينهم تقاسى الأذى والمعارضة والاضطهاد ، فإنك فى حفظنا ورعايتنا ، ونزه ربك حامداً له على نعمائه التى لا تعد ولا تحصى ، فى كل مكان تقوم منه ، وفى كل حركة تتحركها ، فقل : سبحانك اللهم وبحمدك حين تقوم من نومك ، وحين تقوم من مجلسك ، وحين تقوم إلى صلاتك ، وحين تنتقل من مكانك ، وفى كل حركة تتحركها ، أو عمل تعمله ؛ وسبِّحه واحمده فى بعض أوقات الليل ، حينما يهدأ الكون ، وتسكن النفس ، ويخشع القلب ، وينام الناس ؛ صلِّ لله وسبحه ، وتهجد له ؛ وحينما يوشك الليل أن ينقضى ، وتُدْبر النجوم وتختفى بضوء الصباح ، قم صلِّ لله وسبحه ، واجعل وقتك مشغولا ، وقلبك عامراً على الدوام ، بالتسبيح والذكر والصلاة ، فإن ذلك يقوى إيمانك ، ويذهب خوفك ، ويؤدى إلى نصرك على عدوك .

سورة النَّجْم

نزلت بمكة ، ماعدا الآية ٣٢ فإنها نزلت بالمدينة ، وآياتها ٦٢ آية

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٨

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَى ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ ٱلْأَعْلَى ، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى —١— . مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَى —٢— . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ؟ —٣— . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى —٤— . مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَى —٥— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والنجمِ إذا هَوى	أقسم بالنجوم إذا تهاوت وتساقطت على الشياطين .
ما ضل صاحبكم	ما ضل محمد عن الحق ، وما حاد عنه .
وما غَوى	وما صار غاوياً ، وما تكلم بالباطل ، وما جاوز الرشاد .
وما ينطق عن الهوى	وما ينطق بما يأتيكم به عن هوى نفسه .
إن هو إلا وحى يُوحى	ما الذى ينطق به من القرآن إلا وحى من الله يوحيه إليه .
شديد القوى	مَلك قواه شديدة ، وهو جبريل .
ذو مرّة	ذو منظر حسن ، وجلال عظيم ، وحصافة فى عقله ، ومتانة فى دينه .
فاستوى	فاستقام جبريل فى خلقه ، وظهر له فى صورته الحقيقية ، وهى غير الصورة التى كان يتمثل بها عند ما ينزل بالوحى .
وهو بالأفق الأعلى	وظهر جبريل فى مطلع الشمس .
دنا فتدلى	قرب جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى ، ثم نزل على النبى بالوحى .
فكان قاب قوسين أو أدنى	فكانت المسافة بين جبريل وبين النبى مقدار طول قوسين أو أقل .

الألفاظ	شرحها
فأوحى إلى عبده ما أوحى	فأوحى الله تعالى بوساطة جبريل ما أوحى من الأمور العظيمة إلى نبيه .
ما كذب الفؤاد ما رأى	ما كذب فؤاد النبى وقلبه ، ما رآه ببصره من صورة جبريل ؛ والمراد : أنه رآه بعينه ، وعرفه بقلبه .
أفتمارونه على ما يرى	أفتكذبونه فتجادلوه فى أمر رآه هو ببصره ، وعرفه بقلبه ؟
نزلة أخرى	مرة أخرى .
سدرة المنتهى	شجرة فى السماء ، ثمرها : السِّدر ، وهو النَّبِق ، لا يتجاوزها أحد من خلق الله .
عندها جنة المأوى	الجنة التى يأوى إليها المتقون ويصيرون إليها ، عند سدرة المنتهى .
إذ يغشى السدرة ما يغشى	إذ يأتى هذه الشجرة ما يأتى من الملائكة ، ويسطع فيها نور ذى العزة والملكوت .
ما زاغ البصر	ما مال البصر يميناً ولا شمالا ، بل كان متجهاً إلى المرئى .
وما طغى	وما جاوز المرئى إلى غيره ، بل وقع عليه وقوعاً لم يتحول عنه .
لقد رأى من آيات ربه الكبرى	لقد رأى حين رقى إلى السماء الآيات الكبرى ، وهى بعض آيات ربه .

مجمل المعنى

١ — أقسم الله سبحانه وتعالى بالنجوم إذا تهاوت وتساقطت فى إثر الشياطين ، إذا حاولت استراق السمع من السماء ، أو حين انقضاء العالم ، ليبين بهذه الآية الظاهرة المشاهدة ، أن الله قد حفظ الوحى من استراق الشياطين له ، وأن ما أتى به رسوله حق وصدق ، لا سبيل للشياطين إليه — أقسم الله أن محمداً صاحبكم الذى عاشرتموه منذ درج وشب ، وخبرتم صدقه ، ما ضل عن الحق ، وما حاد عنه ، وما تكلم بالباطل ، أو جاوز سبيل الهدى والرشاد فيما جاءكم به من الوحى ، وأنه لم ينطق به عن هوى نفسه ، ولم يقل لكم قولا من عنده هو ، وما نطقه إلا وحى أوحى الله به إليه ، نزل به عليه ، وعلمه إياه ، ملك قوى متين ، حصيف العقل ، سديد الرأى ، حسن الصورة ، ذو جلال وهيبة ؛ وقد رغب محمد إلى ربه أن يريه هذا الملك — وهو جبريل الذى ينزل إليه بالوحى من عنده — فى صورته الحقيقية ، حتى يملأ عينه برؤيته ، ويطمئن قلبه برسول الوحى ، وسفير التنزيل الحكيم ، فاستجاب إليه ربه ، ونزل جبريل بصورته الملائكية النورانية ، فبدا له فى هذه الصورة ، وظهر فى أعلى الأفق ، — وهو أفق الشمس — ثم أخذ يدنو منه شيئاً ، فشيئاً حتى صارت المسافة بينهما لا تزيد عن مقدار طول قوسين ، بل هى أدنى من ذلك وأقل ، فأوحى الله عن طريق هذا الملك العظيم ، إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه من القرآن ، وأنزل عليه ما أنزل من الآيات العظيمة ، والحدود والأحكام ، والبينات والنذر .

٢ — ولقد رأى محمد جبريل فى صورته الحقيقية بعينيه ، وعرفه بقلبه ، وصدق القلب ما شاهد النظر ، وتحقق من الصورة التى خلق الله عليها جبريل

الروح الأمين ، فلم يكذب فؤاده ، ولم يشكّ قلبه ، فيما رأت العين ، وشاهده البصر .

٣ — أفيبلغ بكم الجحود والكفران أيها المشركون ، أن تكذبوا محمداً فيما رآه بعينه ، وعرفه ببصيرته وبصره ؟ تجادلونه فيما حقّقه النظر ، واطمأن إليه القلب ، وتقولون : إن جبريل لم ينزل إليه ، وإن الوحى لم يأته .

٤ — وكما رأى محمد وهو على الأرض جبريل رؤية عين وقلب ، فكذلك رآه مرة أخرى فى السماء ليلة المعراج ، عند الشجرة التى ينتهى عندها جميع الخلائق ولا يتجاوزونها ، ولا يعلم ما وراءها من الغيب وأسرار الملكوت غير الله جل شأنه ، وعندها جنة المأوى التى يصير إليها المتقون ، وتأوى إليها أرواح المؤمنين ، يتنعمون بنعيمها ، ويتنسمون بطيب ريحها ؛ لقد رأى محمد جبريل عند هذه الشجرة ، وظهرت له عجائب يحار العقل فيها ، فأنوار رب العالمين ساطعة عندها ، والملائكة يرتقون إليها ، ويأتونها متبركين زائرين ، كما يزور الناس فى الأرض الكعبة ، فيغشاها الجمّ الغفير منهم ، ويجتمعون عندها .

٥ — لقد كان نظره ممتدًّا ، وقلبه متجهاً لرؤية جبريل فى السماء عند شجرة المنتهى ، ما زاغ بصره يميناً ولا شمالا ، ولا جاوز ما وقع من المرئيات أمام بصره ، بل اتجه إليه اتجاهاً قصداً ، ووقع عليه وقوعاً تامًّا ، ولم يتجاوز بصره ما بين يديه ، وقف أمام عظمة هذا الملكوت فى ذلك المقام بكل أدب ، ولم يمد بصره إلى غير ما أُرى من الآيات ، وما هناك من العجائب ، بل قام مقام العبد الذى أوجب عليه أدبه ، إطراقه وإقباله على من وقف فى حضرته ، دون التفات إلى غيره ، مع ثبات الجأش ، وسكون القلب وطمأنينته ؛ فى هذا الموقف الملىء بالعظمة والجلال ، والقوة والسلطان ، رأى محمد بعض الآيات الكبرى من آيات الرب وعظمة الخالق ، وصُنع الله الحكيم ، مما لا تستوعبه الأبصار ، ولا تحيط به الأفكار .

(٢)

من الآية ١٩ إلى الآية ٢٥ من سورة النجم

أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ؟ أَلَكُمُ
الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ؟ تِلْكَ إِذَنْ قِسْمَةٌ ضِيزَى -١- . إِنْ هِيَ
إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ
سُلْطَانٍ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ، وَلَقَدْ
جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى -٢- . أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ؟ فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَى -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اللات والعزى ومناة	اللات : صنم كان بالطائف لثقيف ، والعزى : لقريش وبنى كنانة ، ومناة : لهذيل وخزاعة ، وكانت أعظمها .
ألكم الذكر وله الأنثى	ألكم الذكور ؟ وله هذه الإناث من الأصنام ، التى تزعمون أنها بنات الله ؟
ضيزى	ظالمة جائرة عن العدل ، خارجة عن الصواب .

الألفاظ	شرحها
إن هى إلا أسماء سميتموها سلطان وما تهوى الأنفس أم للإنسان ما تمنى	ما هذه الأصنام إلا أحجار نحتموها وسميتموها آلهة. حجة و برهان. وما تميل إليه الأنفس. أللإنسان ما أحب واشتهى ؟.

مجمل المعنى

١ — أخبرونا عن الأصنام التى عبدتموها، والأحجار التى قدستموها ، كاللات والعزى ومناة ، هل أوحَيْنَ إليكم شيئاً كما أوحى الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وهل لها مثل هذا الملكوت ، ومثلُ الملائكة المكرمين الذين رآهم محمد بعينه وقلبه ؟ هذه الأصنام التى أنثتموها وجعلتموها بنات الله ، لماذا كانت إناثاً ؟ ومن الذى اختاركم لهذا الحكم ، فتجعلوا هذا ذكراً وذاك أنثى ؟ ومن الذى وكلكم فى القسمة ، فتجعلوا الذكور من نصيبكم ، والإناث من نصيب الله ، فتزعموا أيضاً أن الملائكة بنات الله ؟ وإذا كنتم تقولون : إن هناك إلهاً معبوداً وأنتم العبيد ، فكيف تختصون أنفسكم بأنفع الصنفين ، ما أظلمكم ! إن قسمتكم جائرة عن شِرعة العدل ، مائلة عن الحق ، إذ جعلتم لله ما تستنكفون منه .

٢ — ليس لهذه الأصنام التى تعبدونها من حقيقة ، وما هى إلا أوثان نحتموها وسميتموها آلهة ، فليس لها من معنى الألوهية شىء ، وليس لها من الدلالات التى تدل عليها الأسماء معنى ، وليس لكم من حجة أو برهان على اتخاذ هذه الأصنام آلهة ، ولا على تلك الأسماء التى أطلقتموها

عليها أنتم وآباؤكم ، — فلم يتبع المشركون فى عبادة الأصنام ، وجعلها بنات الله ، وتسميتها بأسماء الإناث ، غير الظن الفاسد، وتوهم أنهم على حق ، وإنما هم على الباطل ، وليس لهم فى هذا الزعم حجة أو دليل، وإنما هم يميلون مع هوى أنفسهم ، ويسيرون على حسب شهواتهم ، ولقد جاءتهم البينات والهدى من عند الله ، فى كتابه الذى أنزله على نبيه ، بأن هذه الأصنام ليست آلهة فكذبوه ، واتبعوا هواهم ، ومالوا مع ما سولت لهم به أنفسهم .

٣ — هل يتحقق للإنسان كل ما يتمناه ويشتهيه من الأمور المعيبة ؟ وهل يكون له ما يحب ويرضى مما زينت له نفسه الأمارة بالسوء ، ومما يخوض فيه من الأباطيل ، كاتخاذه الأصنام آلهة ،وقوله : إنها بنات الله ،واقتراحه النبوة فى شخص يختاره هو ، ومن شفاعة الأصنام له فى الآخرة ؟ كلا ! إن أمور الدنيا والآخرة جميعها من شأن الله وحده ، يدبر الأمر ، ويفعل ما يشاء ، لا كما يتمنى هذا أو ذاك .

(٣)

من الآية ٢٦ إلى الآية ٣٢ من سورة النجم

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ
بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ ٱللّٰهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى —١— . إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنْثَى ، وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ
عِلْمٍ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ
شَيْئًا —٢— . فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَاةَ
ٱلدُّنْيَا ، ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ
عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَى ، وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي
ٱلْأَرْضِ ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ
أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى —٣— . الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ
إِلَّا ٱللَّمَمَ ، إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ، هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
أَنْشَأَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ، وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ،
فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَى —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وكم من ملك	وكثير من الملائكة .
ليسمون الملائكة تسمية الأنثى	ليعتقدون أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله .
إن يتبعون إلا الظن	لا يتبعون فيما يقولون غير الظن ، ويتوهمون أنهم على الحق .
تولى عن ذكرنا	أعرض عمن انصرف عن القرآن .
ذلك مبلغهم من العلم	ذلك قدر عقولهم ، ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة .
ضل عن سبيله	حاد عن دينه .
كبائر الإثم	الذنوب الكبيرة ، كالشرك بالله ، وعقوق الدين .
والفواحش	الذنوب الشنيعة الفاحشة ، كالزنى والخمر .
اللمم	صغائر الذنوب .
أنشأكم من الأرض	خلق أباكم آدم من الطين .
أجنة	جمع جنين : وهو الولد ما دام فى بطن أمه .
فلا تزكوا أنفسكم	فلا تمدحوها ولا تثنوا عليها .
اتقى	أخلص العمل ، واجتنب ما يغضب الله .

مجمل المعنى

١ — الله سبحانه وتعالى مالك الملك ، لا شريك له ، واحد متصرف فيه وفق مشيئته وإرادته ، فلا تجرى الأمور حسب التمنى أو الهوى ، فهؤلاء الملائكة وهم أهل القربى والكرامة عند الله ، الذين يعبدونه ويسبحونه ، كثير منهم لا يقبل الله شفاعتهم ، ولا ينفع بها أحداً من خلقه ، وقليل منهم يأذن الله لهم فى الشفاعة ، لمن يشاء أن يشفعوا له من عبيده ، إذا كان يراهم أهلا للشفاعة ، ويرضاهم لها ؛ فهذا حال الملائكة فى الشفاعة ، فما ظنكم بالأصنام ؟ كيف يقبل الله أن يكونوا شفعاء يوم القيامة لمن يعبدونهم من دونه ؟

٢ — إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ، ولا يعتقدون بالبعث والحساب ، والجنة والنار ، ليقولون ما تشتهى نفوسهم من الضلال والباطل ، من غير حجة أو برهان ، فهم يقولون : إن الملائكة بنات الله ، ويزعمون أنه صاهر الجن ، وأن بينه وبينهم نسبا ، فوُلد له بنات ، هن الملائكة ، دون أن يكون لهم دليل على ما يقولون ، فلا الله أحضرهم يوم خلق الملائكة ، ولا أطلعهم على غيبه ، ولا أنزل فى كتابه ، ولا قال نبيه ، ما ينبىء أن الملائكة إناث ، وليس لهم علم أصلاً بما يقولون ، وإنما هم يجرون وراء الأوهام والظنون الفاسدة التى مصدرها هوى النفس ، وتقليد آبائهم من غير نظر أو تفكير ، وإن الإنسان لا يعرف الحق ، ولا يهتدى إلى حقيقة الأشياء ، بالظن والتوهم ، وإنما يعرفه بالعلم واليقين ، والتأمل والتفكير ، والظن لا يعتدّ به بجانب الحق.

٣ — فإذا كان هذا حال هؤلاء المشركين ، وأنهم لا يقولون ما يقولون عن علم ويقين ، ولا يبحثون عن الحق ، وإنما يتبعون الظن ويُقلدون آباءهم فى

الشرك تقليداً أعمى ، فلا تكترث بهم ، ولا تحرص على هداهم ، وأعرض عمن انصرف عن ذكرنا ، وتولى عن تفهم ما أنزلنا عليك من القرآن ، لأنهم يريدون أن تكون اعتقاداتهم على حسب ما يظنون ، ولا يريدون اتباع الحق الذى جاء به القرآن ، بل يريدون الحياة الدنيا ، والانهماك فى شهواتها ، ولا يعتقدون أن وراء هذه الحياة حياة أخرى ؛ هذا مبلغ علمهم ، لا يحاولون أن يتجاوزوه إلى تدبر القرآن وتفهمه ، والنظر فى ملكوت السموات والأرض وتأمله ؛ فلا تتوقع منهم أن يستمعوا إليك ، أو يؤمنوا بك ، أو يهتدوا بهدى ما أنزل الله عليك ، لأن الله هو أعلم منك بمن أصر على الكفر ، وضل عن الهدى لفساد فطرته ، فيبقيه على ضلاله ، وبمن هو مستعد للاهتداء وقبول الحق فيهديه ، فلا تتعب نفسك فيمن يعارضك ويجادلك ، ودع لله شأنهم ، فإنه خالق السموات والأرض ، وهو مالكهما ، وصاحب الأمر فيهما ، وهو الذى يجزى المسيئين بسبب ما عملوا من الضلال ، وما ارتكبوا من السيئات ، ويجزى الذين اهتدوا وآمنوا بالحسنى والمثوبة على أعمالهم الصالحة .

٤ — ولم يجعل الله — وسعت رحمته — الإيمان وحده غاية تستتبع استحقاق العبد لثواب الله ، لكنه بيّن أن الإيمان يستلزم العمل الصالح ، فالمؤمن إيماناً كاملا لا يسىء أبداً ، ولهذا إذا ذكر الذين آمنوا ، أتبع ذكرهم بالعمل الصالح ، وذكر سبحانه وتعالى صفة المؤمنين الذين يجزيهم بالجزاء الحسن ، بأنهم مع العمل الصالح يجتنبون الآثام الكثيرة ، كالشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، وعلى الأخص الذنوب الفاحشة منها ، كالزنى والقتل وشرب الخمر ، أما الذنوب الصغيرة ، فإن الله يغفرها لعباده المؤمنين الصالحين ، الذين يجتنبون الكبائر ، والله واسع المغفرة ، عظيم الصفح

عن المؤمنين ، يغفر لهم ما شاء من الذنوب ، لأنه هو أعلم بحال عباده ، والمطلع على أحوالهم ، فإنه هو الذى خلقهم من عناصر الأرض ، وهو الذى كوّنهم فى بطون أمهاتهم ، وأتم خلقهم ؛ وإذا كان الله تعالى هو الذى خلق العباد وأنشأهم ، من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، فهو أعلم بالمهتدين والضالين ، والمؤمنين والعاصين منهم ، فلا يصح أن تمدحوا أنفسكم ، بالإعلان عما تأتون من الأعمال الصالحة ، لأن هذا يدفعكم إلى الغرور ، ويحجب عنكم نور الحق ، هذا إلى أنكم لا تقدرون الأعمال وتضعونها فى موضعها من الصلاح والفساد ، لكن الله هو الذى يقدر ذلك ، وهو أعلم منكم بالتقىّ المؤمن الذى عمل صالحاً فاستحق الثواب ، وبالكافر والفاجر الذى عمل سيئاً فاستحق العقاب ، وأعلم بما تنطوى عليه نفوسكم من حب الخير لذاته ، ومن التظاهر به للشهرة والرياء .

(٤)

من الآية ٣٣ من سورة النجم ، إلى آخر السورة

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ، وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ؟ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ؟ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى : أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ؟ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ، وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى —٢— . وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ، وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ : الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ، مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى —٣— . وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ، وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ، وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى —٤—. وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ، وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ، وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ، وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ، فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى —٥— . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ؟ —٦—. هَٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى —٧— . أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ، لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ —٨— . أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ،

وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ، وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ؟ —٩— . فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا —١٠— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تولى	أعرض عن اتباع الحق والثبات عليه .
وأكدى	ومنع ما كان يعطيه .
صحف موسى	التوراة .
وفّى	أتم الوفاء بما عاهد الله عليه .
أن لا تزر وازرة وزر أخرى	أن لا تعاقب نفس آثمة على ذنب نفس أخرى ، وأنْ هنا : هى أنّ المخففة ، فلا تنصب المضارع .
ما سعى	سعيه وعمله .
يُجزاه	يجزى على عمله .
إلى ربك المنتهى	إليه ينتهى الخلق ، ويرجعون إليه .
أضحك وأبكى	خلق قوّتى الضحك والبكاء فى الإنسان .
أمات وأحيا	لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره .
نطفة	ماء الرجل — المنى .
تمنى	توجد فى الرحم .
النشأة الأخرى	إعادة الحياة فى الأجسام بعد الموت فى الآخرة .
أقنى	أعطاه ما يقتنى من نفائس الأشياء .
الشعرى	نجم كانت خزاعة تعبده .
والمؤتفكة أهوى	وخسف وأسقط مدائن قوم لوط ، التى ائتفكت وانقلبت بهم .

شرحها	الألفاظ
فغطى هذه المدائن بما غطاها من الأحجار الهائلة .	فغشاها ما غشى
فبأى نعم ربك تشك ؟ .	فبأى آلاء ربك تمارى
هذا الذى ذكرناه مما أهلكنا به الأمم السابقة ، نذير لكم من النذر التى حلت بمن كان قبلكم .	هذا نذير من النذر الأولى
قربت الساعة .	أزفت الآزفة
ليس لها غير الله مانع من عذابها ، ومنج من نارها .	ليس لها من دون الله كاشفة
لاهون معرضون ، شامخون متكبرون .	سامدون

الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى

هو الوليد بن المغيرة ، كان قد اتبع رسول الله وأسلم ، فجاء إليه بعض المشركين وَعيَّره ، وقال له : لم تركت دين الأشياخ من آبائك إلى دين محمد ، فأقررت بذلك أنهم فى الضلال ، ورضيت أن يكونوا فى النار ، كما يقول كتاب محمد ؟ قال : إنى اتبعت دين محمد خوفاً من عذاب الله ، فقال له : يابن المغيرة ، أنا أضمن لك أن أتحمل عنك عذاب النار الذى يخوفك به دين محمد ، إن رجعت عن الإسلام إلى دين آبائك ، وأعطيتنى شيئاً من مالك ، فأعطاه الوليد بعض المال ، ورجع إلى الشرك ، ثم منع ما كان يعطيه الرجل من المال بخلا وشحاً ، فنزل : « أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى » .

مجمل المعنى

١ — أوَ قد علمت يا محمد الذى أعرض عن الإسلام، ورجع إلى الكفر ، وأعطى قليلا من المال لمن ضمن له أن يتحمل عنه عذاب النار ، واشترى منه مكانه فى جهنم، ثم غلب عليه الشحّ فمنع القليل الذى كان يعطيه، وأمسك عن إعطاء الرجل ثمن العذاب الذى ضمن له أن يتحمله عنه ؟ أليس هذا منه غاية الجهل والحماقة ؟ ألا يعلم أن كُلاًّ محاسب على عمله ، وأنه لا تتحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى ؟ هل كان عند هذا الذى أعرض عن الإيمان ، ورجع إلى الشرك ، ثم منع ما كان يعطيه ، علمُ ما غاب عنه من أمر الآخرة ، التى من جملتها جوازأن يحمل صاحبه عنه العذاب يوم القيامة ، حتى يقبل ذلك ، ويسوغه له عقله وتفكيره ؟ فهو يرى أن العذاب فى الآخرة على الشرك والضلال فى الدنيا ، سلعة تباع وتشترى .

٢ — أولم تخبره صحف موسى — وهى التوراة — وإبراهيم الذى وفى بما عاهد الله عليه ، وصبر على ما امتحنه به ، وصدق فى قوله وعمله ، فصبر على النار التى ألقى فيها، ونجاه الله منها، وعلى ذبح ولده إسماعيل ، وعمل بما أمر به ، وبلغ رسالات ربه، واحتمل ما احتمل من الاضطهاد والشدائد والابتلاء، بألا تزر وازرة وزر أخرى، وألا يؤاخذ أحد بذنب غيره ، ليتخلص المذنب من العقاب ، ويعاقب غير المذنب ، وأن كل إنسان محاسب على عمله، وموفى جزاءه بمقدار ما عمل، فلا ينقص شيئاً من ثوابه، ولا يزاد عليه شىء من العقاب ، وأن مناط كل ثواب هو الإيمان والعمل الصالح ، ومناط كل عذاب هو الكفر والعمل السيىء ، وأن عمل كل

إنسان سيعرض فى صحيفته يوم القيامة ، فيلقى الثواب على الخير ، ويَلقى العقاب على الشر ، ويُجزى الجزاء الكامل على الخير وعلى الشر ، لا ظلم اليوم ، وأن منتهى الخلق ومصيرهم إلى الله يوم القيامة ، وأن إليه المرجع والمآب ، هذا كله ثابت فى صحف أبيهم إبراهيم ، وفى صحف موسى التى يقرؤها عليهم اليهود ، فكيف تباع الذنوب بالمال ؟ وكيف يشترى عذاب الآخرة بعرض الدنيا ؟ إن هذا لأمر عُجاب !

٣ — أو لم يقرءوا فى هذه الصحف المنزلة ، أن النفع والضرر ، والإضحاك والإبكاء ، والسرور والحزن ، وكل ما يصيب الإنسان من خير وشر ، هو من عند الله ، وأنه هو الذى يميت من انقضى أجله ، ويحيى من يولد ويعيش على ظهر الأرض ، وأنه خلق الصنفين : الذكر والأنثى ، اللذين كان منهما النسل والعمران ، من نطفة حقيرة ، وقطرة ماء صغيرة ، تصب فى الأرحام بإذنه ، وتتكون علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً يكسوها لحما ، ثم تنبعث فيها الحياة بقدرته وإرادته ؟ فكيف يشركون بعبادة من هذه قدرته ، الأصنام والأوثان ؟

٤ — أو لم يقرءوا ويعلموا من صحف إبراهيم وموسى ، أن إلى الله جل شأنه النشأة الأخرى ، وإحياء الناس بعد الموت ، فهو الذى يحيى ويميت ، ويميت ويحيى ؟ وأنه ضامن الأرزاق ، ومعطى الحقوق والحظوظ والأقوات ؟ وأنه هو الذى يعطى المال للأغنياء ، والنفائس الغالية لمن يحرزونها ويقتنونها ، ويكسبون بها عزًّا ووجاهة ؟ وأنه خالق هذا الكون كله ، وموجد كوكب الشعرى اللامع الوضاء ، الذى تعبده خُزاعة ، وتزعم أنه شريك لله ، مع أنه أحد مخلوقاته الضئيلة إلى جانب قدرته العظيمة ، وإن كان هؤلاء المفتونون يرون الشعرى فى نظرهم باهرة عجيبة ؟

٥ — أو لم يعلموا وينبّئوا بأن قوتهم التى يغالبونك ويخاصمونك بها ، واهنة ضعيفة أمام قوة الله ، الذى أهلك عاداً القديمة ، التى كانت تقول تحدياً وتجبراً : مَن أشد منا قوة ؟ وأنه أهلك ثمود الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ، ويزعمون أنهم فى مَنعة من قوة الله ، ولم يبق أحداً منهم ؟ وأنه أهلك من قبلهم قوم نوح ، لأنهم كانوا أكثر ظلماً ، وأشد طغياناً من ثمود ، فكانوا يؤذون نوحاً ، ويضربونه حتى لا يكون به حراك ، وينفرون الناس منه ، ويضعون أطراف أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوا دعوته ، ويغطون وجوههم بثيابهم حتى لا يروا وجهه ؟ كما أهلك قوم لوط بتدمير قريتهم ، فائتفكت قراهم عليهم ، وانقلبت بهم ، فأصبح عاليها سافلها ، وغطاها شىء عظيم من الصخور والأحجار المنضودة ؟

٦ — فبأى نعم الله أيها المفكر الجاحد لفضل الله عليك ، تمارى وتتشكك فيما أولاك من النعم ، وفيما منع عنك من النقم ؟ وفى أىِّ ألْوٍ من هذه الآلاء والنعم تتجادل وتتشكك ، حتى تشك فى ربوبيته ووحدانيته ؟

٧ — يا محمد ، هذا الذي بيناه وذكرناه من أنباء المشركين فى الأمم السابقة ، إنذار من بعض الإنذارات التى امتحنا بها السابقين من الأمم الأولى ، لعلها تكون عظة لمن عارضوك وكذبوك .

٨ — لقد اقتربت الساعة ، ودنا يوم القيامة ، وليس هناك قدرة تكشف عنها ، وتظهرها فى وقتها ، غير قدرة الله القادرة ، وسيحاسَب فيها كلٌّ على عمله ، ويلقى فيها جزاءه .

٩ — أفمن هذا القرآن الذى أنزلناه على محمد بشيراً ونذيراً ، تعجبون وتنكرون ، وتضحكون سخرية واستهزاء ، ولا تبكون ندماً وخوفاً ، وأنتم غافلون لاهون لاعبون ، تصرفون الناس عن الاستماع إليه ؟ قال أبو هريرة : لما نزلت

آيات : «أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون » ، بكى أهل الصُّفَّة ، حتى جرت دموعهم على خدودهم ، فلما سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم بكاءهم ، بكى معهم ، فبكينا لبكائه ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يلج النار مَن بكى من خشية الله ، ولا يدخل الجنة مصرٌّ على معصية الله » .

١٠ — فارجعوا إلى الحق أيها المشركون ، ودعوا ما أنتم فيه من الضلال ، واسجدوا لله لا للأصنام ، وآمنوا بكتابه ، واعبدوه وحده ، ولا تشركوا به شيئاً .

سُورَةُ ٱلقَمَر

. نزلت بمكة ماعدا الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ فإنها نزلت بالمدينة

وآياتها ٥٥ آية

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٧

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ،
وَيَقُولُوا : سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ، وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ، وَكُلُّ أَمْرٍ
مُسْتَقِرٌّ —١— . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ،
حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ، فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ، فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ
إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ، خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ ، يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ،
كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ؛ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ، يَقُولُ الْكَافِرُونَ :
هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ —٢— . كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا
عَبْدَنَا ، وَقَالُوا : مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ، فَدَعَا رَبَّهُ : أَنِّي مَغْلُوبٌ
فَانْتَصِرْ —٣— . فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا
الْأَرْضَ عُيُوناً ، فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ، وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ

أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ، تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ —٤— . وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً ، فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ؟ —٥— . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ، فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟ —٦— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اقتربت الساعة وانشق القمر	قد قرب قيام الساعة ، وانشقاق الكواكب واضطرابها ، ومنها القمر ، إيذاناً بانتهاء الدنيا .
آية	معجزة .
يعرضوا	يكذبوا بها .
سحر مستمر	سحر قوى شديد .
واتبعوا أهواءهم	واتبعوا ضلالاتهم وأباطيلهم ، وما تهوى أنفسهم .
وكل أمر مُستقر	وكل شىء إلى نهاية يستقر عندها ، ويثبت الخير بأهل الخير ، والشر بأهل الشر .
ولقد جاءهم من الأنباء	ولقد جاء هؤلاء الكفار من أنباء الأمم السابقة .
ما فيه مُزدجر	ما يزجرهم عن الكفر ، ويمنعهم من الضلال لو قبلوه .
حكمة بالغة	القرآن حكمة بالغة .
فما تغنى النذر	فما تنفع الآيات والأنباء والنذر لقوم لا يؤمنون بها ، وهم معرضون عنها .

الألفاظ	شرحها
فتول عنهم	فأعرض عنهم ، فإن الإنذار لا ينفع معهم .
يومَ يدع الداع	وانتظر يوم ينفخ إسرافيل فى الصُّور ، ليبعث الناس من القبور .
شىء نُكُر	عذاب شديد .
خشّعاً أبصارهم	فى حال كونهم قوماً أذلاء خاضعين ، يبدو ذلك فى نظراتهم المنخفضة المنكسرة .
الأجداث	القبور .
كأنهم جراد منتشر	كأنهم فى كثرتهم وعدم انتظام سيرهم واضطرابهم جراد منتشر .
مهطعين	مسرعين ، مادين أعناقهم فى ذلة .
يومٌ عسر	هذا يوم شديد ، لما يشاهدون فيه من أمارات الهول .
قبلهم	قبل قريش .
مجنون	هو مصاب بالجنون
وازدجر	وزجروه ونهروه بالسب والتخويف .
أنى مغلوب	غلبنى قومى على أمرى ، فلم يسمعوا منى ، ويئست من تلبيتهم دعوتى .
فانتصر	فانتقم لى منهم بعذاب ترسله إليهم .
ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر	فاستجبنا دعاءه ، وأمرناه باتخاذ السفينة ، وأمطرناهم مطراً كثيراً متدفقاً .
وفجرنا الأرض عيوناً	جعلنا من الأرض عيوناً متفجرة .

شرحها	الألفاظ
فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر إهلاكهم، بإغراقهم الذى قدره الله عليهم .	فالتقى الماء على أمر قد قدر
على سفينة ذات ألواح .	على ذات ألواح
مسامير وحبال مشدودة بها .	دسر
تجرى فى الماء فى حفظنا ورعايتنا .	تجرى بأعيننا
جزاء لنوح الذى كفر به قومه .	جزاء لمن كان كفر
عظة وعبرة .	آية
متذكر متعظ خائف .	مدكر
سهلناه للحفظ .	يسرنا القرآن للذكر

مجمل المعنى

١ — إن قيام الساعة قريب ، وإنها إذا قامت ، تضطرب السماء ، ويختل سير الكواكب ، وتختلف دورتها ، فيصدم بعضها بعضاً ، وتمور السماء مَوراً ، وتسير الجبال سيراً ، ويتصادم القمر بكوكب آخر وهو فى دورته حول الأرض ، فينشق ويتصدع ، والمشركون سادرون فى غيهم ، لاهون فى ضلالهم ، وكلما جاءتهم آية ، أو ظهرت لهم معجزة ، تدل على أن وحدانية الله حقّ ، وأن نبوة محمد حقّ ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، أعرضوا عنها ، وصموا آذانهم عن استماعها ، وقالوا : هذا الذى جاء به محمد من الآيات نوع من السحر المحكم المتقن ، يريد به أن يحوّلنا عما كان يعبد آباؤنا ، وأصروا على تكذيبه ، واتبعوا أهواءهم وضلالهم ، وما تميل إليه نفوسهم ، وكل أمر من أمور الناس ، وحال من أحوال

الدنيا ، له غاية ينتهى عندها ، ويستقر فيها ، وحقيقة يعرف بها ، فيظهر الخير لأهل الخير ، والشر لأهل الشر ، وتتكشف الأمور عن خذلان أو نصر فى الدنيا ، وشقاوة أو سعادة فى الآخرة ؛ وعبر الله بالماضى فى انشقاق القمر ، لتأكيد حدوثه ، على غرار ما جرت عليه الأساليب العربية .

٢ — ولقد جاء المشركين من أنباء الأمم الخالية فى القرآن ، ومن أنواع العذاب الذى وقع عليهم لتكذيبهم أنبياءهم ،ما فيه زجر وردع لهم عن تكذيبك ، والاستمرار فى الشرك ، لو أنهم قبلوه وتدبروه ؛ ولقد نزل إليهم القرآن يحوى الحكمة ، والموعظة الحسنة ، وفيه نهاية الصواب ، لكن العناد والضلال ركبهم ، فما وعته قلوبهم ، وما تدبرته عقولهم ، وما أصاخت إليه أسماعهم ، وما تنفع العظات ، ولا تغنى الإنذارات ، ولا يجدى التنبيه والوعيد ، فى قوم مصرين على الضلال ،متمسكين بالشرك ، لا يبغون به بديلا ؛ فأعرض عنهم ، ولا تكترث بكفرهم ، ولا تحاول أن تميلهم إلى جانب الحق ، بما تلقيه عليهم من البينات والنذر ، وانتظرهم يوم ينفخ إسرافيل فى الصور ، فينهضون من القبور ، ويدعوهم إلى أمر شديد ، وموقف رهيب تنكره النفوس ، لأنها لم تعهد مثله ، وهو يوم القيامة ، ويساقون إلى الموقف فيذهبون خاشعة أبصارهم ، خافضة نظراتهم من الذل والخوف ، ينظرون من طرف خفى ، لا يجرءون من شدة الهول على التحديق أو إدامة النظر ، وقد اضطربوا فى سيرهم ، وتخبطوا فى طريقهم ، ومضوا متكاثرين متزاحمين متخبطين كالجراد المنتشر ، مقبلين نحو الداعى ، مسرعين إليه فى ذلة وخضوع ، مادين أعناقهم تجاهه ؛ حينئذ يعرف كلٌّ مصيره ، ويتبين

عاقبة أمره : يتبين المشركون ما هم فيه من شدة وهول ، فيقولون : هذا يوم صعب شديد . أما المؤمنون فلا يتكلمون ، لأنهم غير خائفين من ربهم ، مطمئنون إلى حسن ثواب الآخرة .

٣ — ولقد سبقت قريشاً أمم كذبت رسلها ، وخذلت أنبياءها ، وكان من أقدم هذه الأمم المكذبة قوم نوح نبى الله وعبده ورسوله ، دعاهم إلى عبادة الله وطاعته ، فأعرضوا عنه ، بل جعلوا أصابعهم فى آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكباراً ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل رموه بالجنون ، وزجروه وكذبوه وسبوه ، وهددوه بالقتل . فدعا عليهم نوح ، وقال : يا رب ، إن قومى غلبونى على أمرى ، وليس لى طاقة بهم ، أو قدرة عليهم ، فانتصرلى عليهم ، وانتقم لى منهم بقوتك وسلطانك ، يا أكرم الأكرمين

٤ — فاستجاب الله دعاءه ، وأمره باتخاذ السفينة ، وفتح عليهم ميازيب السماء ، فصبت ماء منهمراً متدفقاً ، وجعل من الأرض عيوناً متدفقة ، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على تحقيق أمر إغراقهم وإهلاكهم الذى قدره الله عليهم ، وأراده لهم فى الأزل ، ونجّى الله نوحاً والذين آمنوا معه ، فحمله على سفينة ذات ألواح مشدودة بحبال ، موثقة بمسامير ، وجرت وسط الطوفان المتلاطم المضطرب فى موج كالجبال ، محفوظة بعناية الله ، محروسة برعايته وقوته ، جزاء حسناً لنوح الذى كفر به قومه وآذوه .

٥ — ولقد تركنا السفينة وآثار الهلاك الذى أوقعناه بمن كذبوا نوحاً ، آية للأمم التى جاءت بعدهم ، وعظة وعبرة لهم ، فهل من متعظ ومتذكر لما فعلنا

بهم ، فلا يفعلوا فعلهم ؟ فكيف كان وقع عذابى عليهم شديداً ، وانتقامى منهم قاسياً . وإنذاراتى لهم هائلة قوية محققة ؟

٦ — ولقد يسرنا القرآن للحفظ والفهم بوضوح معانيه ، وسمّو أسلوبه ، حتى يتدبره الذين يريدون أن يهتدوا ، ويتعظوا بما فيه من آيات ، فهل من متعظ ومتذكر بها ؟ وهل من قارئ يقرؤه ، وحافظ يحفظه ؟ ليستفيد بهديه ، ويتبع ما فيه ؟ .

(٢)

من الآية ١٨ إلى الآية ٣٢ من سورة القمر

كَذَّبَتْ عادٌ ، فَكَيْفَ كَانَ عذَابِي وَنُذُرِ ؟ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ، تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ، فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ؟ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ، فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟ —١— . كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ، فَقَالُوا : أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ؟ إِنَّا إِذَنْ لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ، أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ؟ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ، سَيَعْلَمُونَ غَدًا : مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ؟ —٢— . إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ ، فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ، وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ، كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ —٣— . فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ ، فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ، فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ؟ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً ، فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ —٤— . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ، فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟ —٥— .

الألفاظ	شرحها
فكيف كان عذابي ونذر	فكيف كان وقعُ عذابي عليهم وإنذاراتى لهم ؟.
ريحاً صرصراً	ريحاً شديدة البرد ، شديدة الصوت .
فى يوم نحس مستمر	فى يوم دائم الشؤم والشرّ .
تنزع الناس	تقلعهم من مواضعهم .
كأنهم أعجاز نخل منقعر	فتتركهم متمددين ، كأنهم أصول نخل منقلع ، ممتد على الأرض .
سعر	جنون.
أؤلقى عليه الذكر من بيننا	أؤنزل عليه الوحى دوننا ؟ .
أشرٌ	بَطر متكبر .
فتنة لهم	امتحاناً وابتلاء لهم .
فارتقبهم واصطبر	فراقبهم وانتظرهم ، وتبصر ما هم صانعون، واصبر على أذاهم .
قسمة بينهم	مقسوم بينهم .
كل شرب محتضر	كل نصيب من الماء يحضر لشربه صاَحبه ، فى اليوم الذى خصص له .
فتعاطى	فاجترأ على تعاطى الأمر الخطير ، وارتكابه من غير اكتراث .
صيحة واحدة	صاعقة واحدة .
فكانوا كهشيم المحتظر	فهلكوا وصاروا كالشجر اليابس المتهشم ، الذى يجمعه الغنام ليقيم منه حظيرة لغنمه .

مجمل المعنى

١ — كذبت قبيلة عاد نبيها هوداً عليه السلام، فهل سمعتم ما حصل لها؟ أو فاسمعوا كيف وقع عذابى عليهم شديداً ، وانتقامى منهم قاسياً وإنذاراتى قوية محققة هائلة؟ إنا سلطنا عليهم ريحاً قوية عاصفة شديدة البرودة، فى وقت كثير الشؤم شديد النحس ، وقد استمر العذاب ، ولم يستطيعوا أن يثبتوا أمامه ، أو يقفوا فى طريقه ، برغم قوتهم وتماسكهم، واعتصامهم بالكهوف والحفر ، فكانت تنزعهم من أماكنهم اللاصقين بها ، الثابتين فيها ، فترفعهم فى جو السماء، ثم تهوى بهم إلى الأرض، فتدق أعناقهم، وتدك أجسامهم ، وتلقيهم على الأرض طوالا متمددين ضخام الجثث ، كأنهم أصول نخل منقلع من مغرسه ، ذهبت فروعه ، وطاحت رءوسه ، وسقط على الأرض ممتداً ، فهل سمعتم كيف كان بطشى شديداً ، وانتقامى عظيما ، وإنذاراتى لهم واقعة محققة ؟ ولقد سهلنا القرآن للحفظ والفهم ، لتتعظوا به ، وتتذكروا ما فيه من الآيات ، فهل منكم من متعظ ومتذكر ، وراجع عن الضلال إلى الحق، قبل أن يحل بكم العذاب، كما حل بعاد ؟

٢ — ولقد أرسلنا صالحاً إلى قبيلة ثمود ، فأنذرهم عذاب الله، إن ظلوا على الشرك والضلال ، فكذبت بالآيات والإنذارات التى أنذرهم صالح إياها ، واستكبروا أن يطيعوه ، وأبوا أن يتبعوه ، وقالوا مستهزئين به : أنتبع فرداً واحداً من جنسنا ، وبشراً مثلنا ، يأكل مما نأكل ، ويعمل كما نعمل ، وليس من الجن أو الملائكة ؟ ولماذا نزل عليه الوحى دوننا، وهو ليس أفضل منا ؟ إننا لا نتبعه على دينه الذى جاءنا به ، ونترك ديننا الذى يقول عنه : إنه ضلال خارج عن الحق ، وإنه ليؤدى بنا إلى عذاب النيران المستعرة ،

بل لو اتبعنا صالحاً على دينه، لكنا إذن فى ضلال ، وبعد عن الصواب ، وتنكب عن الحق ، وجنون مطبق ، ومعزل عن مقتضى العقل ؟ هل اختصه الله بالوحى دوننا ، وأنزله عليه من بيننا ، وفينا من هو أكثر منه مالا ، وأحسن حالا ؟ ليس الأمر كما يدعى ، وليس هو نبيًّا أوحى إليه كما يزعم ، وإنما هو كذاب ، قد استغنى فأراد أن يتعاظم ، ويلتمس الرياسة علينا من غير استحقاق ، ويفرض علينا اتباعه ، سيرون العذاب الذى يحل بهم قريباً فى الدنيا ، والذى ينتظرهم فى الآخرة ، وحينئذ يعلمون : أى الفريقين هو الكذاب الأشر ؟ أصالح الذى يدعوهم إلى عبادة الله واتباع الحق ، ام ثمود التى تعبد الأصنام ، وتمعن فى الضلال ؟

٣ — إننا قد أرسلنا الناقة آية للدلالة على صدق صالح ، واختباراً وابتلاء لهم ، فإذا خالفوا ما أمرهم الله فى شأنها ، حل بهم عذابه ، وأمر ناصالحا أن ينظر ماذا يفعلون ، وأن يصبر على أذاهم واستهزائهم ، وألا يعجل حتى يأتى أمر الله فيهم ، فأخبرهم أن ماء البئر قسمة بين الناقة وبينهم ، فالناقة لها شرب يوم ، ولثمود شرب يوم ، ومقدار الماء فى يوم الناقة هو للناقة وحدها ، لا يجوز لثمود أن تَرِده ، وفى يوم ثمود هو لثمود ، لا تأتى الناقة إليه ، ولا تتجه نحوه ، فكل ماء البئر يحضر صاحبه ويشربه فى يومه دون غيره .

٤ — استمروا على ذلك من قسمة الماء بينهم وبين الناقة ، حتى ملوا طريقة القسمة ، ولم يصبروا عليها ، وعزموا على عقر الناقة وقتلها ، والتخلص منها ، فاستدعوا صاحبهم الذى جر عليهم الشؤم والشقاء ، وهو قُدار ابن سالف ، اتفقوا معه على أن يخلصهم منها ، فاجترأ على فَعلته الكبيرة ، وخالف أمر الله فيها ، وعقرها بيده ؛ أعرفت كيف كان عقابى لهم شديداً ، وإنذاراتى لهم قاسية عنيفة ؟ إنا أرسلنا عليهم صيحة عقاب ،

وصاعقة عذاب ، أهلكتهم ، وتركت أجسامهم خاوية جافة يابسة ؛ كالهشيم المتفتت من الشجر والشوك والعشب ، الذى يجمعه صاحب الغنم ، ليتخذ منه حظيرة لها ، تمنع عنها الوحوش الضارية وبرد الريح .

٥ — ولقد يسرنا القرآن للحفظ والفهم ، ليتعظ به من يتعظ ، ويتذكر من يتذكر ، ويعتبر من يعتبر ، بما أصاب المكذبين المتحدِّين لآيات الله ، فهل من متعظ ومعتبر من قريش ؟

(٣)

من الآيه ٣٣ إلى الآية ٤٢ من سورة القمر

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ، إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً ، إِلَّا
آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ، نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ، كَذٰلِكَ نَجْزِي
مَنْ شَكَرَ —١— . وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا ، فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ،
وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ، فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنُذُرِ ، وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ، فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنُذُرِ —٣— . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ، فَهَلْ مِنْ
مُدَّكِرٍ ؟ —٤— . وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ، كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
كُلِّهَا ، فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ —٥— .

الألفاظ	شرحها
حاصباً	ريحاً شديدة ، ترميهم بالحصى أو الحجارة .
إلا آل لوط	إلا من اتبع لوطا على دينه .
بسحر	السحَر : ما بين طلوع الفجر وآخر الليل ، حينما يختلط سواد الليل ببياض النهار .

الألفاظ	شرحها
نعمة من عندنا	إنعاماً منا على لوط ومن اتبعه من أهله .
شكر	آمن بالله وأطاعه ، وشكر له نعماءه .
بطشتنا	عذابنا الشديد .
فتماروا بالنذر	فشكّوا وجادلوا فيما أنذرهم إياه لوط ، ولم يصدقوه .
راودوه عن ضيفه	أرادوا منه أن يمكنهم من الملائكة الذين نزلوا عنده في هيئة الضيوف ، طلباً للفاحشة .
فطمسنا أعينهم	فأعميناهم عن رؤيتهم .
ولقد صبحهم بكرة	ولقد وقع بهم في الصباح .
عذاب مستقر	عذاب ثابت تستقر آثاره ، وتبقى إلى يوم القيامة .
النذر	موسى وهارون ، وما أرسل الله مع موسى من الآيات .
بآياتنا	بمعجزاتنا الدالة على توحيدنا ، ونبوة موسى .
عزيز مقتدر	غالب قادر على ما أراد .

مجمل المعنى

١ — وقوم لوط من الأمم التي كذبت برسولها ، واستهزأت به ، وبما هددهم به من إنذارات ، وما خوفهم به من عقاب الله ، فأرسل الله عليهم ريحاً عاصفة ترميهم بالحصباء ، وتلقي عليهم حجارة من سجيل ، فقلبت بيوتهم ، وجعلت عاليها سافلها ، فأهلكهم الله ، ولم ينج من هذا العذاب إلا من اتبعه من أهله ، فأمرهم الله أن يتركوا القرية ليلا قبل أن يسلط عليها العذاب ، فخرج بهم وقت السحر آخر الليل ، قبل انبلاج الصباح ،

لإنعامه عليهم بالنجاة ، ورضائه عنهم ، لأنهم آمنوا بربهم ، وأطاعوا نبيهم ، ومثل هذا الجزاء الحسن ، يجزى الله كل من آمن وعمل صالحاً ، وشكر الله على نعمه .

٢ — ولقد حذَّرهم لوط أخذنا لهم بالعذاب الشديد ، فتشككوا فى نذرنا ، وتجادلوا فى تحذيراتنا ، وكذبوا بها ، وأوغلوا فى الضلال ، وتمادوا فى الفجور ، وجاهروا بالفحش ، وطلبوا أن يفعلوا فعلتهم القبيحة بالملائكة الذين نزلوا ضيوفاً على لوط ، واقتحموا عليهم الباب ، فأعميناهم عنهم ، وطمسنا على أعينهم ، وحجبنا عنهم رؤيتهم ، فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً ، وقلنا لهم على ألسنة الملائكة : ذوقوا عذابى الشديد ، وإنذاراتى لكم بالهلاك ؛ وفى الصباح الباكر ، نزل بهم العذاب والهلاك المستقر الثابت فيهم ، ولن يفارقهم حتى يُفضى بهم إلى عذاب النار يوم القيامة ، فذوقوا أيها المجرمون عذابى الشديد ، وإنذاراتى لكم بالهلاك .

٣ — ولقد سهلنا القرآن يا محمد لقومك ، فأنزلناه بلغتهم ، وضمَّناه أنواع المواعظ والعبر ، وصرَّفنا فيه من الوعد والوعيد ، ويسرنا عليهم حفظه وفهمه ، ليتعظ به من يتعظ ، ويعتبر به من يعتبر ، فهل منهم من يتعظ أو يعتبر ؟

٤ — ولقد جاءت فرعون وقومه إنذارات وآيات ، وخوَّفناهم كثيراً عذاب الله ، فما آمنوا وما اتعظوا ، وكذبوا بكل الآيات والمعجزات التى جاءهم بها موسى : من العصا ، واليد ، والسنون ، والطمس ، والطوفان ، والجراد والقمَّل ، والضفادع ، والدم ، فبطشنا بهم بطشاً شديداً ، وأخذناهم بذنوبهم أخذاً عنيفاً ، وما ظنك بأخذ إله عزيز لا يغالَب ، مقتدر على فعل ما يريد ، لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ؟

(٤)

من الآية ٤٣ من سورة القمر إلى آخر السورة

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ ؟ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي
ٱلزُّبُرِ ؟ أَمْ يَقُولُونَ : نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ —١— . سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ —٢— . بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى
وَأَمَرُّ —٣— . إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ، يَوْمَ يُسْحَبُونَ
فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ : ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ —٤— . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ
خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ، وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ —٥— .
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ ، فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟ —٦— . وَكُلُّ
شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ —٧— . إِنَّ
ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ، عِنْدَ مَلِيكٍ
مُقْتَدِرٍ —٨— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أكفاركم خير من أولئكم	ليس كفار قريش خيراً من كفار الأمم الخالية ، الذين أُهلكوا بكفرهم .
أم لكم براءة فى الزبر	أم لكم فى الكتب المنزلة على أنبيائنا ما يدل على أنكم مُعفون من العذاب على كفركم .
نحن جميع منتصر	نحن قوم أقوياء لا ينتصر علينا منتصر ، ولا يغلبنا غالب .
سيهزم الجمع	ستتمزق قوة قريش ، ويتفرق جمعهم ، ويهزمون .
ويولون الدبر	ويفرون على أعقابهم منهزمين .
الساعة موعدهم	يوم القيامة موعد عذابهم الشديد .
أدهى وأمرّ	أشد هولا ، وأمر مذاقاً من عذاب الدنيا ،
فى ضلال وسُعُر	فى ضلال وكفر فى الدنيا ، وفى عذاب النيران المستعرة فى الآخرة .
مَس سَقر	عذاب جهنم .
بقدر	بتقدير لأحواله وزمنه .
واحدة	مرة واحدة .
كلمح بالبصر	ينفذ أمرى بها ، أسرع من لمح البصر .
أشياعكم	أشباهكم فى الكفر من الأمم الخالية .
فى الزبر	مكتوب فى الكتب المنزلة .
مستطر	مسطور مكتوب .

الألفاظ	شرحها
نهر	أنهار .
فى مقعد صدق	فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم .
عند مليك مقتدر	فى كرامة ونعيم إله مالك للدنيا والآخرة ، قادر ، لا شىء إلا وهو تحت ملكه وقدرته .

مجمل المعنى

١ — ليس الكفار من قومك يا محمد خيراً من كفار الأمم الخالية ، التى قصصنا عليك أنباءهم ، وأهلكناهم بكفرهم ، وأخذناهم بذنوبهم ، بل هم مثلهم أو شر منهم ، وقد علموا ما لحق بهم من العذاب المستأصل ، لمـَّا كذبوا رسلهم ، وسيحيق بهم من التنكيل والعقاب ما حاق بهذه الأمم ؛ أم لقريش فى الكتب الإلهية التى أنزلها الله على رسله براءة من عذاب الله ، فلهذا يكفرون ويعصون ، معتمدين على أنهم لا يسألون عما يفعلون ؛ لقد أجمعت كل الكتب السماوية على وبال الكفار ؛ أم هم معجبون بأنفسهم ، معتزون بقوتهم ، فيحسبون أن لا غالب يغلبهم ، ولا قوة فوق قوتهم ، فيقولون : نحن قوم أمرنا مجتمع ، وجماعتنا قوية ، ويدنا واحدة ، منتصرون بقوتنا ، ممتنعون على من يريد بنا شرًّا .

٢ — ثق يا محمد بأن جمعهم مهزوم لا محالة ، وأن قوتهم منحلة ، وشملهم متفرق ، وقد حقق الله وعد نبيه ، فهزمهم وبدد شملهم يوم بدر ، وارتدوا على أعقابهم ، وولوا الأدبار منهزمين .

٣ — بل يوم القيامة موعد عذابهم ، والعذاب الذى ينتظرهم فيها أشد عليهم من كل هزيمة وقتال ، فعذاب الساعة أشد وأفظع وأمرّ مذاقاً من عذاب الدنيا .

٤ — إن الكفار فى ضلال وتخبط وحيرة فى الدنيا ، ونيران ملتهبة متسعرة فى الآخرة ؛ يوم يسحبون فى النار على وجوههم ، يقال لهم توبيخاً وتشفياً : ذوقوا عذاب النار ، واكتووا بلهب جهنم ، وقاسوا حرها وألمها .

٥ — إننا خلقنا كل شىء مقدراً مُحكماً مرتباً ، على حسب ما اقتضته الحكمة ، فلم نخلق شيئاً عَبثاً ، وكل شىء يحدث فى هذا الكون بعلمنا وإرادتنا ، ومخلوق بأمرنا ، وما أمرنا إلا كلمة واحدة من حرفين ، هى قولنا للشىء : كن ، فلا بد أن يكون على الفور فى أسرع وقت ، كلمح البصر أو هو أقرب .

٦ — ولقد أهلكنا أمثالكم ، ومن كان على شاكلتكم فى الكفر والعصيان ، من الأمم الخالية ، وسنهلككم كما أهلكناهم ، فهل منكم من يتعظ ويتذكر ، ويرجع إلى الله فيؤمن به ، ويقلع عن الضلال والمعاصى ، قبل أن يفوت الوقت ، فيندم ولاتَ حينَ مندم ؟

٧ — وكل شىء فعله المشركون والعصاة ، ثابت مسجل عليهم إلى يوم القيامة ، مفصّل فى دواوين الحفظة الذين يحصون على الناس أعمالهم ، وكل صغير وكبير من هذه الأعمال ، مسطر عليهم فى اللوح المحفوظ .

٨ — إن المتقين للكفر والمعاصى ، المؤمنين بالله واليوم الآخر ، مَقامهم فى جنات عظيمة الشأن ، ونعيم لا يحيط به وصف ، يتمتعون بأنهار تجرى من تحتهم ، وحياة طيبة رغيدة ، وهم فى كرامة الله وضيافته فى جنته ، ينعمون بمكان مرضى ، ومجلس ماكثين فيه أبداً ، لا لغو فيه ولا تأثيم ، مقربين عند إله هو مالك الملك قادر ، ليس من شىء فى الدنيا والآخرة إلا وهو تحت تصرفه وسلطانه ، وخاضع لأمره وقدرته .

سورة الرحمن

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٧٨ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ٢٨

الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ —١— .
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ —٢— . وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ —٣—.
وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ، وَأَقِيمُوا
الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ —٤— . وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا
لِلْأَنَامِ ، فِيهَا فَاكِهَةٌ ، وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ، وَالْحَبُّ
ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —٥— .
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ
مِنْ نَارٍ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —٦— . رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ
وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —٧— . مَرَجَ
الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ؟ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ، فَبِأَىِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ؟ —٨— . وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنْشَئَاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ ،
فَبِأَىِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —٩— . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ،
وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ، فَبِأَىِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ؟ —١٠— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
علمه البيان	علمه أن يبين ويعبر عما فى ضميره ، وأن يفهم بيان غيره .
بحسبان	بجريان بحساب مقدر فى بروجهما ومنازلهما ، بحيث تنتظم بذلك أمور الكون ومنافع الناس .
والنجم والشجر	النجم : النبات الذى يطلع ولا ساق له ، والشجر : ما له ساق .
يسجدان	ينقادان بطبعهما لما يريد الله ، انقياد الساجدين من المكلفين إرادة وطوعاً .
والسماء رفعها	خلقها مرفوعة محلا ورتبة ، ودلالة على كبرياء شأنه ، وعظم ملكوته وسلطانه .
ووضع الميزان	شرع العدل ، وأمر به ، وبيّن الحلال والحرام .

الألفاظ	شرحها
ألاّ تطغوا فى الميزان	لئلا تجوروا وتتجاوزوا العدل وأحكام الشرع .
وأقيموا الوزن بالقسط	وقوّموا وزنكم بالعدل ، وزنوا بالقسطاس المستقيم.
ولا تخسروا الميزان	ولا تنقصوا الميزان .
وضعها للأنام	مهّدها وذللها لمنافع الخلق ، من إنس وجن وحيوان وطير .
الأكمام	جمع كِمّ ، وهى أوعية الطلع وغطاء النَّوْر والثمر ، وكل ما يغطِّى من ليفه وسعفه .
العصف	علف البهائم من التبن وورق الشجر .
والريحان	مَطعم الناس .
آلاء	نعم ، مفردها : أَلْو .
صلصال	طين يابس ، يسمع له صلصلة .
مارج	ساطع مختلف الألوان .
رب المشرقين ورب المغربين	رب مشرقى الشمس فى الصيف والشتاء ، ورب مغربيها ، ورب ما بينهما .
مرج البحرين	أرسل البحر الملح والماء العذب ، يلتقيان ويتماسان من أطرافهما ، حيث يصب أحدهما فى الآخر .
برزخ	حاجز .
لا يبغيان	لا يبغى أحدهما على الآخر .
اللؤلؤ والمرجان	اللؤلؤ : الدر ، والمرجان : حجر كريم أحمر اللون .
الجوار	السفن .
كالأعلام	كالجبال الشاهقة .

شرحها	الألفاظ
على الأرض التى سبق ذكرها فى قوله : « والأرض وضعها للأنام » .	عليها
ذاته .	وجه ربك
الذى عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده .	ذو الجلال والإكرام

شجاعة المؤمن

لما نزل القرآن ، كان المسلمون يتلونه سرًّا ، خشية أن يسمعهم كفار قريش فيؤذوهم ، فقال الصحابة : إن قريشاً ما سمعت هذا القرآن يُجهَر به قط ، وربما دخل الإيمان فى قلوبهم إذا سمعوه ، فمَن رجلٌ يجترئ على أن يُسمعهم إياه ؟ فقال ابن مسعود : أنا ، فقالوا : إنا نخشى عليك أن يضربوك إذا سمعوك ، وإنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه ، فأبى ، ثم قام عند مقام إبراهيم فى بيت الله الحرام ، فقرأ بصوت مرتفع : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الرحمن علم القرآن » ، ثم تمادى رافعاً صوته فى قراءة السورة ، وقريش فى أنديتها تسمع ، فتأملوا وقالوا : ما يقول ابن أم عبد ؟ ، قالوا : هو يقول الذى يزعم محمد أنه أنزل عليه ، فقاموا إليه وضربوه ، حتى أدموْا وجهه .

ما يقول هذا بشر

وجاء قيس بن عاصم المِنْقَرِى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا محمد، اتل على شيئاً مما أنزل عليك، فتلا عليه سورة «الرحمن»، فقال: أعِدْها، فأعادها ثلاثاً؛ فقال: والله إن له لطُلاوةً، وإن عليه لحلاوة، وأسفله مُغدِق، وأعلاه مُثمر، وما يقول هذا بشر، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله.

فبأى آلاء ربكما تكذبان

ذكرت هذه الآية الكريمة فى سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة، ثمان منها عقب آيات عَدّدت عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم، وسبع منها عقب آيات ذكرت فيها النار وشدائدها، وثمان فى وصف الجنتين وأهلهما من المتقين السابقين، وثمان أخرى بعدها فى وصف جنتين دونهما لأصحاب اليمين؛ والخطاب فى كل منها موجه إلى الثقلين من الجن والإنس؛ والمقصود منها: شدة الإنكار على الكفار، إذ أن المنعم بهذه الآلاء مستحق للشكر والإيمان، لا الكفر والطغيان؛ وفائدة تكرار هذه الآية: التجرد عند استماع كل طائفة من النعم للاتعاظ، واستئناف التيقظ، وتنبيه النفوس، لكيلا تستولى عليها الغفلة؛ وقد عدد الله فى هذه السورة نعماءه، وذكّر خلقه آلاءه، وهدد العصاة المذنبين، وبشر الطائعين المتقين، وأتبع كُلاً من هذا وذاك بهذه الآية، للتنبيه على النعم، والتخويف من النقم، كما تقول لمن تتابع عليه إحسانك وهو يكفره ويجحده: ألم تكن فقيراً فأغنيتك؟ أفتنكر هذا؟

ألم تكن خاملا فأشدت بذكرك ؟ أفتنكر هذا ؟ والتكرير فى مثل هذا حسن ، لأنه يطرد الغفلة ، ويؤكد الحجة ؛ وكأن الله تعالى يقول : نعم الله يحصيها لكم ، ويعددها عليكم ، فبأى نعمة من هذه النعم تكذبون بها ، وتكفرونها أيها الثقلان؟ وقد قدمنا ذلك عن هذه الآيات ، حتى لا نعود إلى ذكره عند تكرارها فى السورة .

مجمل المعنى

١ — لما بيَّن الله سبحانه وتعالى فى السورة السابقة ما نزل بالأمم السالفة من ضروب النعم ، وذكر بعد كل ضرب منها أن الله قد يسر للناس تذكر القرآن والاتعاظ به ، ونعى عليهم إعراضهم عن ذلك ، عدَّد فى هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الأنام من فنون النعم الدينية والدنيوية ، وأنكر عليهم إثر كل نعمة منها إخلالهم بواجب شكرها ، فذكر أن الله جل شأنه متصف بالرحمة الواسعة ، ومن آثار رحمته بعباده أنه أنزل لهم القرآن على نبيه محمد بلسانهم ، ليتيسر لهم حفظه وفهمه ، وعلمهم ما فيه من قصص وأحكام ، وآداب وعقائد ، وشرائع ونظم ، ورسم لهم به طريق السعادة فى الدنيا والآخرة ، وأنه أنشأ الإنسان وسوى خلقه فى أحسن تقويم ، ووهب له القدرة على الإدراك والتفكير ، فسخر لمنفعته الحيوان والنبات والجماد ، وأنه علمه كيف يُبين عما فى نفسه ، ويعبر عن ضميره بلغات مختلفة ، وألسنة متعددة ، وكيف يفهم ما يقول غيره ، وما يدور فى ضميره ؛ هذه نعم الله على الإنسان يحسها فى نفسه ، وقلبه وعقله ، ولسانه وبيانه ، ولا يستطيع أن ينكرها أو يرتاب فيها .

٢ — وهذه الشمس وهذا القمر ، خلقهما الله ، وهما من أجل نعمه على الإنسان ، فهما يجريان فى أفلاكهما ، جرياً مقدراً معلوماً ، ويدوران بحساب دقيق منتظم فى بروجهما ومنازلهما ، فيحدث الليل والنهار ، والصيف والشتاء ، والخريف والربيع ، ويعرف الناس حساب السنين والشهور والأيام ، فتنتظم بذلك أمورهم ، وتجرى أعمالهم وفق منافعهم ومطالبهم ؛ هاتان نعمتان عُلويتان ظاهرتان ، يراهما الإنسان بعينى رأسه كل يوم يمر ، ويحس منافعهما وآثارهما فى حياته ومعيشته ، لا سبيل إلى أن يجحدهما ، أو يتعامى عنهما .

٣ — وهذا النبات الذى ينجم من الأرض زرعاً أخضر لا ساق له ، وهذا الشجر الذى يقوم على ساقه ، وتمتد فروعه وأغصانه ، مَن الذى أخرج هذا وله ساق ، وأخرج ذاك ولا ساق له ؟ ومن الذى جعلهما ينقادان لأمر الله فيهما ، فيظهران من تربة الأرض وينموان ، ويُخرجان الحب والثمر ، ويخضعان لإرادة الله بطبعهما ، كما ينقاد المكلفون العقلاء لإرادته هو طوعاً ؟ من الذى أودع قوة الإنبات والنمو ، والإيراق والإثمار فيهما غير الله ؟ هل من سبيل إلى تجاهل ذلك وإنكاره ؟ .

٤ — ومَن غير الله خلق السماء مرفوعة ، وسوّاها خلقاً ، وجعلها متنزل قضائه وأحكامه ، وجعلها مظهراً لكبرياء شأنه ، وعظم سلطانه ؟ ومَن غير الله وضع فى الأرض ميزان العدل ، وأمر أن يأخذ كل ذى حق حقه ، وأن يقوم التعامل والمبادلة بينهم على أساس التسوية والإنصاف ، لكيلا يستبد بكم الطمع والطغيان ، فتطغوا فى الميزان ، وتتجاوزوا حد الإنصاف فى الأخذ والعطاء ، والبيع والشراء ؟ فعليكم أن تقوِّموا وزنكم بالعدل ، ولا تُخسروا الوزن ، ولا تنقصوا منه شيئاً ؛ وفى بيان أن الله هو الذى وضع

ميزان العدل فى الأحكام والأقوال والمعاملات ، وأنه نهى عن الطغيان والخسران الذى هو تطفيف ونقصان ، وفى أمره الصريح بإقامة الوزن بالعدل ، وفى جعله ذلك من النعم التى يمتن بها على عباده ، ما يدل على أثر العدل ، وتوفية الحقوق ، وحسن التعامل ، فى سعادة الأفراد والجماعات ، والأمم والهيئات ، وإن أول انهيار للمجتمع ، أن يختل فيه ميزان العدل ، وتضيع فيه الحقوق ، ويسوء التعامل .

٥ — والرحمن جل شأنه هو الذى وضع الأرض ، وفرشها ومهدها ، وذللها وعبّدها لمصلحة الخلق أجمعين ، فجعل فيها برًّا وبحراً ، وسهلا وجبلا ، وجدباً وخصباً ، وحرًّا وبرداً ، لتتعدد المنافع ، ويؤتى كل كائن ما يلائم طبعه ، ويوائم مزاجه فيها ، وجعل من شجرها فاكهة يتفكه الإنسان بها ، ويتمتع بمذاقها ، ولونها ورائحتها ، وجعل فيها النخل كثيرَ المنافع ، بأكمامه التى تغطى طلعه ، وبسعفه وليفه ؛ وفى ثمره غذاء حلو ، يستطيع الإنسان أن يعيش عليه حياته ، وفى الأرض الزرع الذى يخرج الحب ذا العلف الذى يطعمه الحيوان : كالشعير والتبن والورق ، ويخرج الريحانَ الذى يطعمه الإنسان : كالبقل والبرّ ؛ فهل يمارى مُمار ، أو يجادل مجادل ، بأن ذلك كله من خلق الله ، ومن نعمه على عباده ؟ فبأية نعمة من هذه النعم التى تفضل عليكم بها الله ، تكذبون وتكفرون يا معشر الجن والإنس؟ وإذا كان الجن والإنس لما يأت ذكرهما ، فإن ذكر « الأنام » يدل عليهما ، وسيأتى ذكرهما صريحاً عند قوله : « أيها الثقلان » .

٦ — والرحمن جل شأنه هو الذى وهب للإنسان نعمة الوجود ، ومنحه الحياة والحركة والتفكير ، وأنشأه من مادة صامتة لا حياة فيها : من طين صلصال جافّ كالفخار ، وخلق الجن من لهب النار الساطع الصافى ،

فكانت قدرته وأمره وإرادته هى الباعث فى الوجود ، مهما كان أصل الموجود ؛ فبقدرته هو خلق الإنسان العاقل المفكر من صلصال كالفخار ، وبقدرته هو خلق الجان القادر على التشكل والظهور والاختفاء من مارج من نار؟ هذا ما أفاض الله عليكما أيها الإنس والجن فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم ، فبأى نعم الله عليكما تكفران وتكذبان ؟

٧ — والرحمن هو رب مشرقى الشمس ورب مغربيها صيفاً وشتاء ، شاءت قدرته أن يطيل الليل ويقصر النهار ، وأن يُطيل النهار ويقصر الليل ، ولكم فى كلٍّ منفعة ، وله فى خلقه هذا حكمة ، ولكم فى ذلك فوائد لا تحصى من اختلاف الفصول ، وحدوث ما يناسب وقت كل فصل من زرع وإخصاب ، ورحلة وطير وسمك ، وغير ذلك مما فيه للناس منافع ، فبأى نعمة من نعم الله تكذبان وتكفران أيها الثقلان؟

٨ — ومن نعم الله ومظاهر قدرته ، ولطفه بخلقه ، أنه أرسل البحر الملح ، والنهر العذب ، فالتقيا بلا فاصل بينهما عند مصب النهر ، حيث يصب أحدهما فى الآخر ، وبينهما برزخ حاجز ، فلا يبغى أحدهما على الآخر ، فيظل البحر ملحاً ويظل النهر عذباً ، لأن منفعة الناس أن يظل ذاك ملحاً ، وهذا عذباً ، فبأى نعم الله هذه تكذبان ، وهى غير قابلة للتكذيب؟ ولقد شاءت قدرة الله العجيبة أن يكون ملتقى البحرين بيئة طيبة لتكوين اللؤلؤ والمرجان ، وهما حجران كريمان ، يتخذهما الإنسان حلية وزينة ، فكأنهما يخرجان من البحرين ، فبأى نعمة من نعم الله تكذبان ؟

٩ — ومن نعمه — وسعت رحمته — أن جعل البحر مجريً للسفن ، التى تسير رافعة شراعها فى البحار كالجبال الشامخة ، والأطواد الباذخة ، فتمخر

عُبابها ، وتنقل الناس والسلع بين أطرا ف المعمورة ، فبأى نعمة من نعم الله هذه تكذبان ؟

١٠ — هذا الذى خلقه الله لكم من أرض وفاكهة ، ونخل وحب وريحان ، وبحار ولؤلؤ ومرجان ، وسفن كالأعلام ، وكل مابه تتمتعون ، ثم تجحدون وتكفرون ، ذاهب فان ، ولا يبقى غير ذات الله الذى عنده الجلال والإكرام لعباده المخلصين ، فبأى نعمة من نعم الله تكذبان أيها الثقلان ؟.

(٢)

من الآية ٢٩ إلى الآية ٤٥ من سورة الرحمن

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، كلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ،
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —١— . سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ،
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —٢— . يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ،
إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ،
لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ ، —٣— .
يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ،
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —٤— . فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ
وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —٥— . فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ
عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ يُعْرَفُ
الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ، فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ؟ هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ، يَطُوفُونَ
بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —٦— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسأله من فى السموات والأرض	يحتاج إليه كل من السموات والأرض .
كل يوم هو فى شأن	كل وقت يمر ، يحدث أموراً ، ويجدد أحوالا ، وينشىء خلقاً .
سنفرغ لكم	سنتوفر على النكاية بكم ، والانتقام منكم .
الثقلان	الإنس والجن المثقلان بالذنوب ، لجحودهما نعم الله .
إن استطعتم	إن قدرتم .
أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا	أن تخرجوا من ملكوتى ، وتهربوا من قضائى ، وترحلوا خارج أقطار السموات والأرض ، فافعلوا لتخلصوا أنفسكم من عقابى .
إلا بسلطان	إلاّ بقوة وقهر ، وأنتم عاجزون لا سلطان لكم .
شُواظ	لهب أخضر مختلط بالدخان .
ونحاس فلا تنتصران	وذوب النحاس يصب على رءوسكما ، فلا تتخلصان من هذا العذاب الأليم .
انشقت السماء	انصدعت يوم القيامة .
فكانت وردة كالدهان	فصارت كلون الورد الأحمر ، وصفاء الدهان ، وهو الزيت .
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه	فيوم القيامة لا يسأل عن ذنبه أحد للعلم ، لأن الذنوب كلها مكتوبة معلومة .

الألفاظ	شرحها
بسيماهم	بعلاماتهم التى يعرفون بها ، قيل : هى سواد الوجه ، وزرقة العين .
فيؤخذ بالنواصى والأقدام	فيأخذهم الملائكة من شعورهم وأرجلهم ، ويقذفون بهم فى النار ؛ والناصية : الشعر فى مقدم الرأس .
بينها	بين جهنم .
وبين حميم آن	وبين شراب حار ، قد بلغ أقصى درجات الحرارة .

مجمل المعنى

١ — كل من فى السموات والأرض محتاجون إلى الله ، يدعونه أن يهب لهم الخير ، ويمنع عنهم الشر ، ويطلبون منه أن يفتح لهم طريق السعادة ، ويصدهم عن الضلال ، من إنس وجن وملائكة ، وما نعلم وما لا نعلم من خلقه ؛ وهو جل شأنه يحدث أموراً ويجدد أحوالا فى كل وقت ، وكل لحظة من لحظات الدنيا والآخرة ، فهو — له الدوام — يُحيى ويميت ، ويُعطى ويمنع ، ويغفر ذنباً ، ويفرّج كرباً ، ويرفع قوماً ، ويضع آخرين ، فالزمان والحياة والمخلوقات تتغير وتتجدد ، وتأتى وتذهب ، ولا يبقى غير وجه الله الكريم ، فبأى نعم الله تكذبان وتكفران أيها الجن والإنس ؟

قصة الملك والغلام الأسود

يحكى أن بعض الأمراء سأل وزيره عن قوله تعالى : « كل يوم هو فى شأن »، فلم يعرف معناها ، ولم يحضره الجواب عنها ، واستمهله إلى الغد، فأمهله، وانصرف الوزير من حضرة الملك كئيباً حزيناً إلى منزله ، يفكر فى معنى ما سأله عنه الأمير ، فلما رآه غلام له أسود على هذه الحال ، قال له : يا مولاى ، أخبرنى عما أصابك، لعل الله يوفقنى فى أن أساعدك عليه ، فأخبره ، فقال له : اذهب بى إلى الأمير ، فإنى أفسرها له ، فذهب به ، وأعلم الملك بأمر الغلام ، فأحضره بين يديه ، وسأله عما سأل عنه الوزير ، فقال الغلام : أيها الملك ، شأنه أن يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، ويخرج الحىّ من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ويشفى سقيماً ، ويسقم سليماً ، ويبلى معافى ، ويعافى مبتلى ، ويُعز ذليلا ، ويذل عزيزاً ، ويُفقر غنيًّا، ويُغنى فقيراً، فقال له الأمير : فرّجت عنى فرج الله عنك ؛ وأمر أن تخلع عليه ثياب الوزارة ، فقال له الغلام : وهذا الذى حدث من شأن الله تعالى .

٢ — لكم أيها العصاة الكافرون بنعمة الله ، المنكرون بوحدانيته وآلائه ، من الإنس والجن ، الذين أثقلت كواهلهم ذنوبهم، وجحدوا نعم الله عليهم — لكم يوم تحاسبون فيه على أعمالكم ، وتعاقبون فيه على ذنوبكم ، هذا اليوم هو يوم القيامة ، الذى سنتوفر فيه على النكاية بكم ، والانتقام منكم ، وسنتجرد لحسابكم على كل ما فعلتم ، بعد انقضاء الدنيا ، وحينئذ لا يبقى فى الآخرة إلا شأن واحد ، هو إقامة الميزان ، ومجازاة كلٍّ على ما فعل ، وسؤاله عن سبب كفره بنعمة الله ، وتكذيبه لآلاء ربه؛ وهذه

الآية صريحة فى أن الجن كالإنس مكلفون مأمورون ، مثابون معاقبون ، فيهم المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصى ، هؤلاء كهؤلاء ، وقد جاءت آية : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » ، والأربع عشرة آية التالية لها ، متحدية الكفار والعصاة من الإنس والجن ، مهددة لهم ، وذكرت فيها النار وشدائدها ، وقانا الله عذابها .

٣ — يا معشر الجن والإنس ، أنتم فى قبضتى ، وتحت سلطانى ، أنفذ فيكم قضائى ، وأسلط عليكم بلائى ، ولن تستطيعوا أن تخرجوا من ملكى ، أو تهرُبوا من سمائى وأرضى ، وأتحداكم أن تفعلوا ، ولن تفعلوا لأنكم عبيد مقهورون ، وضعفاء عاجزون ، ولن تفروا من قدر الله ، ولن تخرجوا من ملكوت الله إلا بقوة وسلطان ، والقوة والسلطان لله وحده ، فاخضعوا لمشيئته ، وكونوا فى طاعته ، فهذا أمثل بالمخلوق العاجز ، والعبد الضعيف ، وإذا كان الله هو القادر لا قادر غيره ، والمنعم لا منعم سواه ، فبأى نعمه كفرتما ، وبأى آلائه كذبتما ؟

٤ — أنتم لا تستطيعون أن تخرجوا مهما حاولتم من سماء الله وأرضه ، ولن تستطيعوا الفرار من الموت الذى هو ملاقيكم أينما كنتم ، ومن يوم الحساب الذى ينتظركم مهما أنكرتم ، وحينئذ تفتح لكم أبواب جهنم ، فيرسل عليكم أينما ذهبتم شواظها ، ولهبها الذى لا يُخفف من حرارته ، أو يلطف من قدرته ، دخان يتخلله ؛ كما يصب على رءوسكم ذوب النحاس المنصهر ، لتذوقوا العذاب ألواناً ، وتقاسوه أشكالا ، وهناك أيضاً لا تستطيعان — مهما حاولتما — أن تتخلصا من عذاب الله ، ولا تنجوان بحال من هذا العذاب الأليم المقيم ، وقد أنعم الله عليكما قبل أن يأتى يومكما ، فبين لكم عاقبة ما أنتما عليه من الكفر والمعاصى ، فبأى نعم الله كفرتما ، وبأى آلائه كذبتما ؟

٥ — فإذا انتهى أمر الدنيا ، وجاء يوم القيامة ، وتشققت السماء ، واختلّت دورة الفلك ، فاضطربت الكواكب وتصدعت ، واستحالت نيرانا حامية ، حمراء صافية ، فيها حُمرة الورد وصفاء الدهان والزيت ، فما أشد الهول ! وما أعظم الخطب ! ! فبأى نعم الله الذى أنذركم وعيده ، وحذركم ناره ، تكفرون وتكذبون ؟

٦ — فإذا حدث هذا ، وقام الناس من قبورهم ، وسيقوا وسط هذا الهول إلى الحساب ، لا يسأل عن ذنبه أحد من الإنس والجن ، لأن المجرمين حين يبعثون يعرفون بسيماهم ، ولكل منهم علامة يتميز بها ، وله شارة تبين سمته ومنزلته بين المجرمين ، فيتلقّاهم الزبانية ، ويجذبونهم من أقدامهم وشعور رءوسهم ، ويقذفون بهم فى أماكنهم التى أعدت لهم فى جهنم ، ويقولون لهم وهم يتناولونهم بهذا العنف والشدة والمهانة : انظروا ، هذه هى جهنم التى كان يكذب بها الكافرون ، وهذه نارها ، وذاك مكانكم فيها ، هو نار حامية ، وشراب حار فى منتهى الحرارة ، فيقضون أوقاتهم فيها ، يترددون بين نار تلظى ، وشراب من حميم ، وصديد فى منتهى الحرارة يقطع أمعاءهم ؛ أليس تنبيه الله لكم إلى هذا المصير ، قبل أن تصلوا إليه ، وتقفوا فيه ، نعمة من الله عليكم ؛ فبأى نعم الله تكفرون ، وبأى آلائه تكذبون ؟

(٣)

من الآية ٤٦ من سورة الرحمن ، إلى آخر السورة

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ؟ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا
عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ
فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —١— . مُتَّكِئِينَ
عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ، وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ، فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —٢— . فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ
إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ كَأَنَّهُنَّ
الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —٣— .
هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ؟ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ؟ —٤— . وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ؟ مُدْهَامَّتَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا
عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ
وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ
حِسَانٌ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي

الْخِيَامِ ، فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَانٌّ ، فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ
خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ، فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ —٥— .
تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ —٦— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولمن خاف مقام ربه	ولمن خاف موقفه بين يدى ربه للحساب ، فترك المعاصى حياء منه .
أفنان	أغصان .
زوجان	صنفان .
بطائنها من إستبرق	مكسوة بالديباج الغليظ ، والحرير الثمين .
وجنى الجنتين دان	وما يُجنى من ثمرهما قريب منهم ، يناله القائم والقاعد والمتكئ .
فيهن قاصرات الطرف	فى هذه الفرش نساء قصرن نظراتهن على أزواجهن ، فلا ينظرن لغيرهم .
لم يطمثهن	أبكار لم يدخل بهن أحد من قبل ، ولم يتزوجن غير أصحاب الجنة .
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان	ليس جزاء إحسان العبد بالإيمان والعمل الصالح فى الدنيا ، إلا إحسان الله إليه بنعيم الجنة فى الآخرة.

الألفاظ	شرحها
ومن دونهما جنتان	ولأصحاب اليمين جنتان غير جنتى السابقين المقربين.
مُدْهَامَّتان	شديدتا الخضرة ، ضاربتان إلى السواد .
نَضَّاختان	فوارتان بالماء لا تنقطعان .
خَيْرات حِسان	فاضلات الأخلاق ، حِسان الخَلْق .
حُور	جمع حوراء ، وهى الشديدة سواد العين ، فى شدة بياض .
مقصورات فى الخيام	مصونات محبوسات فى الخيام ، لسن بالجوّالات المتبذلات فى الطرق .
رفرف	وسائد .
وعبقرى حسان	وطنافس وأثواب منقوشة مُوَشَّاة .
تبارك اسم ربك	تعالى اسمه الجليل ، الذى منه ما صُدِّرت به السورة ، وهو الرحمن المنبىء عن آلائه ونعمه .
ذى الجلال والاكرام	الذى عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده

مجمل المعنى

١ — ولكل من خاف الموقف بين يدى الله ، وَخشى مناقشة الحساب ، واستشعر الحياء منه يوم اللقاء، فآمن وعمل صالحاً ، واجتنب المعاصى من الجن والإنس — لكل من هؤلاء جنتان ، يتجدد فيهما نعيمه، ويشتد شوقه ، وتزداد رغبته ، ويتم تمتعه ، فى انتقاله بينهما ، وتردده عليهما ، لأن المُقام على حال واحدة ، ذاهب باللذة ، باعث على الملل ، فبأى نعمة من نعم الله كفرتم ، وبأيها كذبتم ؟ هاتان الجنتان ، قد جمع الله فيهما

من فنون الكرامة ، وألوان النعيم ، وضروب الأنس والراحة والسعادة لعباده المقربين ما جمع ؛ أشجارها كثيرة الأغصان الوريقة ، والظلال الوريفة ، والثمار الجنية ، وفى كل منهما عين تجرى فى جميع نواحيها ، وإلى حيث يشاءون من منازلهم ومجالسهم ، جرياً سهلا ، بعذب زُلال ، وماء سلسبيل ، وشراب طهور ، وفيها من كل فاكهة نوعان ، نوع غض رطب لم يحن قطافه ، ولم يستكمل نضجه ، ونوع دنا قطافه ، واستتم نضجه ، فهى دائمة الثمر ، كثيرة الجنى ، فاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ، فإذا تمّ قطاف الجنَى الناضج ، بدا نُضْجُ الفجّ وأينع وتأرّج ، فتدلت به الأغصان ، وتناولته اليدان ، وهكذا دواليْك ؛ فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟

٢ — هؤلاء الذين اتقوا الوقوف بين يدى ربهم عاصين فى الآخرة ، فأطاعوه فى الدنيا ، يقيمون فى الجنة بين عيونها الجارية ، وأشجارها المورقة ، آمنين مطمئنين ، متكئين على فرش نظيفة ، مكسوة بحرير الإستبرق الأبيض اللامع الثمين ، وقد تدلت الأغصان ، وتهدلت بالثمار الجنية ، حتى صارت قريبة من أيديهم ، يقطعونها قاعدين أو مضطجعين ؛ فبأى آلاء ربكما تكذبان أيها الإنس والجان ؟

٣ — وقد أتم الله عليهم كل أنواع النعيم ، وأعد لهم فى دار الرضوان جميع ألوان السعادة ، فجعل لهم بين ظل ممدود ، وفاكهة كثيرة ، وفرش من حرير ، نساء من الحُور العين ، يقْصُرن النظر عليهم ، ولا يشتغلن بغيرهم ، يُقبلن عليهم بقلوبهن وعيونهن ، أبكاراً لم يتزوجن بأحد غيرهم ، ولم يمسسهن إنس قبلهم ولا جان ؛ فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟ وهن فى غاية الحسن والنضارة ، صافيات البَشَرة ، حمر الوجنات كالياقوت ، ناصعات البياض ، لوامع

كالمرجان ، أو حبات الدرر ، أو اللؤلؤ المكنون ؛ فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟

٤ — هذا الجزاء الحسن، والنعيم التام ، حق على الله لعباده المتقين ، وليس جزاء إحسان العبد فى الدنيا بالإيمان والطاعة والعمل الصالح ، إلا إحسان الرب إليه بالجنة، ومضاعفة ثوابه فى الآخرة؛ فبأى آلاء ربكما تكذبان، أيها الثقلان ؟

٥ — وللمؤمنين من أصحاب اليمين جنتان، أقل درجة من جنتى المقرَّبين بالعبادة والطاعة ، والخوف من لقاء الله ، شجرهما أخضر ، ضارب إلى السواد لشدة خضرته ، وفى كل منهما عين فوّارة بالعذب الزلال ، والخمر الحلال ، وفيهما فاكهة ذات ألوان ، وعلى الأخص النخل ، فإنه ثمرة فاكهة وغذاء ، والرّمان ، فإنه فاكهة ودواء ، وبين هذا النعيم نساء خيِّرات فاضلات الأخلاق ، حسان الوجوه ، لم يتزوجن بأحد قبل أزواجهن من أصحاب الجنتين ، حور جميلات ، عيونهن حلوة ، شدة سواد فى صفاء بياض ، مستورات فى خيامهن ، مقصورات فى حجالهن ، غير متبذلات ، كالدرر المصونات ، يتمتع الطائعون بكل هذا ، متمددين على فرش مرفوعة ، موشاة بضروب الوشى الحسن ، متكئين على وسائد موضوعة ، مزينة بأحسن الزينات ، وأبهى النقش ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، يا معشر الإنس والجن ؟

٦ — تبارك اسم الله وتعالى ، وتقدست ذاته ، وارتفع عما لا يليق بشأنه الكريم ، من الأمور التى من جملتها جحود نعمائه الفائضة على عباده ، وإنكار آلائه التى عمت الأنام ، وهو صاحب الجلال والإكرام لعباده المخلصين .

إجمال بيان، عن سورة الرحمن

أولا — من أول السورة إلى : « كل يوم هو فى شأن »، فصّل الله الآلاء الدينية والدنيوية ، المستوجبة للإيمان والطاعة ، المؤديين إلى نعيم الجنة ، وهذه الآلاء داعية إلى الشكر ، والمثابرة على ما يؤدى إلى استدامتها وزيادتها .

وثانياً — عدد فيما بين قوله تعالى : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » ، وقوله : « يَطوفون بينها وبين حميم آن » ، الأحوال الهائلة التى تقع يوم القيامة للكفار المكذبين بيوم الدين ، وهى من قبيل الآلاء والنعم ، لأن ذكرها فى الدنيا ، والتنبيه عليها ، داع إلى الارتداع والانزجار عن المعاصى والكفر ، وذلك إنعام وإحسان .

وثالثاً — عدد فى قوله تعالى : « ولمن خافَ مقام ربه جَنتان » ، إلى آخر السورة ، النعم السابغة على المتقين فى الآخرة ، وفنون الكرامات التى أعدها الله لهم فى الجنة .

ورابعاً — وصف الله جنتين للسابقين المقربين ، وجنتين أقل من الأولَيَيْن درجة ، لأصحاب اليمين ، وبيّن أن منازل الجنات مختلفة ، ونعيمها متفاوت ، والجزاء على قدر العمل .

سورة الواقعة

نزلت بمكة ، ماعدا الآيتين ٨١ ، ٨٢ فإنهما نزلتا بالمدينة ، وآياتها ٩٦ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآيه ٢٦

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ، خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ —١— .
إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ، وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ، فَكَانَتْ هَبَاءً
مُنْبَثًّا —٢— . وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً : فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ،
مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ؟ ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ؟
والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ —٣— .
ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ، عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ،
مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ
وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ، لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ،
وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ، وَحُورٌ عِينٌ
كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، لَا يَسْمَعُونَ
فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ، إِلَّا قِيلًا : سَلَامًا سَلَامًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وقعت الواقعة	قامت القيامة .
ليس لوقعتها كاذبة	ليس حين تقع الساعة نفس تكذب على الله ، أو تكذب بيوم القيامة .
خافضة رافعة	خفضت أقواماً إلى العذاب ، ورفعت أقواماً بالثواب .
رُجت الأرض رَجّاً	زُلزلت الأرض زلزالا شديداً ، وحُرّكت تحريكاً قوياً ، حتى ينهدم كل شيء فوقها .
وبُسّت الجبال بَسّاً	وتفتت أحجار الجبال ، فصارت كالدقيق .
هباء منبثاً	غباراً منتشراً متفرقاً ، والهباء : ما ينتشر من الذرات عند فتح نافذة يدخل منها شعاع الشمس .
أزواجاً ثلاثة	أصنافاً ثلاثة ، صنفان للجنة ، وصنف للنار .
فأصحاب الميمنة	هم الذين يؤتَوْن صحائفهم بأيمانهم يوم القيامة .
ما أصحاب الميمنة	ما هم ؟ وما صفاتهم ؟ وما أحوالهم فى عظم شأنهم يوم القيامة ؟
وأصحاب المشأمة	هم الذين يؤْتون صحائفهم بشمالهم يوم القيامة ، مأخوذة من الشؤمَى ، وهى اليد اليسرى .
ما أصحاب المشأمة	ما هم ؟ ما أسوأ حالهم ! وما أشد عذابهم !
والسابقون السابقون	والسابقون إلى الإيمان والطاعة والخيرات ، هم السابقون إلى منزلتهم فى الجنة .

الألفاظ	شرحها
المقربون	الذين رفعت درجاتهم ، وأعليت منازلهم فى الجنة .
ثلة من الأولين وقليل من الآخرين	من السابقين المقربين أمة وجماعة من الأمم الماضية ، وجماعة قليلة من أمة محمد .
على سرر موضونة	مجالسهم على سرر مصفوفة ، منسوجة بالذهب ، وقوائمها من الدر والياقوت .
متقابلين	يجلسون ووجوههم متقابلة .
يطوف عليهم وِلدان مخلدون	يخدمهم غلمان أحداث يبقون على نضارتهم ، لا يتغيرون ولا يهرَمون .
من معين	من عين جارية بالماء والخمر والعسل واللبن .
لا يُصَدَّعون عنها	لا يصيبهم الصداع من شربها ، كما يحدث لمن يشرب خمر الدنيا .
ولا يُنزفون	ولا يسكرون من شرابها .
عِين	جمع عيْناء : وهى واسعة العين فى حلاوة .
كأمثال اللؤلؤ المكنون	هن صافيات مصونات ، كاللؤلؤ الذى لم تمسه يد ، ولم يقع عليه غبار .
لغواً	كلاماً لغواً ، أى سقَطاً فاحشاً ، لا فائدة منه ، ولا خير فيه .
تأثيماً	كلاماً باطلا يؤدى إلى الإثم .
قيلا : سلاماً سلاماً	قولا جميلا مفيداً ، هوتحيات طيبات ، يتبادله أهل الجنة .

مجمل المعنى

١ — اذكر يا محمد إذا وقعت الواقعة ، وجاء يوم القيامة ، ورأى المكذبون الضالون بأعينهم حقيقة ما كانوا ينكرونه فى الدنيا من قيام الساعة ، وبعث الناس للحساب ، لا تجد نفساً تكذِّب وقوعها ، أو تمارى فى قيامها ، وَمن ذا الذى يستطيع أن يكذِب على الله حينئذ والهول مُحْدِق به؟ وقد انقلبت الأوضاع ، وتغيرت الموازين أمامه ، فقد خفضت قوماً بالنكال والعذاب ، ورفعت قوماً بالنعيم والثواب .

٢ — اذكر لهم يا محمد يوم الفزع الأكبر ، حينما يتأذن الله أن تنتهى الدنيا ، وتجىء الآخرة ، فتهتز الأرض اهتزازاً قويًّا ، وتتحرك تحركاً شديداً ، وتضطرب اضطراباً هائلا ، وينهدم ما فوقها من بناء وجبال ، وتتفتت حتى تصير كالدقيق الناعم الذى يُبَسُّ ، أو كالسراب ، أو كالغبار الذى تذروه الرياح ، ويطير فى الهواء ، فيملؤه قتاماً منتشراً فى كل مكان منه ، « ويسألونك عن الجبال ، فقل : ينسفها ربى نسفاً » .

٣ — ويكون الناس حيئذ أصنافاً ثلاثة ، صِنفان فى الجنة ، وصنف فى النار :

(ا) فالصِّنف الأول أصحاب اليمين من المؤمنين ، الذين تاب الله عليهم ، وكتب لهم جنة النعيم ، وآتاهم صحائفهم بأيمانهم ، يطالعون فيها ما وفقهم إليه ربهم ، فوقاهم عذاب الجحيم ، ما أحسن حالهم ، وأعظم شأنهم ، يوم يلقون ربهم !

(ب) والصنف الثانى أصحاب الشمال ، الذين غضب الله عليهم ، فأوتوا صحائفهم بشمائلهم ، ورأوا فيها قُبح أعمالهم ، فأدركوا سوء مصيرهم ،

والعذاب الذى أعد لهم ، ما أسوأ حالهم ! وما أشد عذابهم ! إذ يساقون إلى جهنم وهم لها كارهون !

(حـ) والصنف الثالث : السابقون فى الدنيا إلى الإيمان والطاعات عند ظهور الحق لهم ، المسارعون إلى عمل الخير ، وهم السابقون إلى منزلتهم فى الجنة ، المقربون من رضوان الله ، الذين رفعت درجاتهم ، وأعليت منازلهم فى جنات النعيم .

٤ — وعدد كثير من أمم الأولين ، من آدم إلى محمد ، وعدد ليس بالكثير من أمة محمد ، لأن الأمم الأولى منذ قامت الخليقة من عهد آدم إلى بعثة محمد ، أكثر عدداً من الأمم المتأخرة ، التى جاءت بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولأن مرتبة السبق والقربى لا ينالها إلا القليل ممن رضى الله عنهم ، فأخلصوا لله إيمانهم ، وخافوا الوقوف أمام ربهم ، فالتزموا الطاعات ، واجتنبوا السيئات ؛ هؤلاء قد أعد الله لهم كل أنواع الكرامة وألوان النعيم ، فهم يجلسون على سُرُر ضمّ بعضها إلى بعض ، ووشِّيت بخيوط الذهب ، ورصِّعت جوانبها بالدرر والياقوت ، ليستريحوا فوقها فى منظرها البهيج ، وشكلها الجميل ، متكئين عليها ، لا يشغل بالهم من أمر حياتهم ومتاعهم وغبطتهم وسرورهم شاغل ؛ وقد اكتمل أنسهم ، وعلا البشر وجوههم ، واضطجعوا متقابلة وجوههم ، ليطالع كل منهم فى وجه أخيه نضرة النعيم ، وقد قام بخدمتهم وِلدان أحداث ، لا يأتى عليهم الزمن ، ولا تلحقهم شيخوخة أو هرم ، ولكنهم يبقون على حداثتهم ونضارتهم ، وبهجتهم ونشاطهم ، فيقدمون إليهم شراباً يحملونه فى أباريق ، ويصبّون ما فيها فى كئوس يقدمونها إليهم ، وهذه الأباريق مملوءة من عيون وأنهار تجرى بالزلال العذب ، واللبن الطازج ، والعسل المصفى ، وخمر هو لذة للشاربين ،

لا يصيبهم منها صداع كما يحدث من خمر الدنيا ، ولا تذهب بعقولهم ، أو يفقدون بعد تناولها رشدهم ، ولكنها تبعث الراحة والنشاط فى أبدانهم ، واللذة والبهجة فى قلوبهم ، ويقدمون إليهم ما يختارون من أنواع الفواكه ، وما يشاءون منه لوناً ورائحة وطعماً وحجماً ، فى أى زمن وفى أى حال ، ويسارعون إليهم بما يشتهون من لحم الطير ، وهو ألذ اللحوم وأشهاها للنفس ، وإذا كان لحم الطير أغلى وألذ من لحوم البقر والغنم ، فإنها تقدم إليهم إذا طلبوها ، وتلقى بين أيديهم إذا أرادوها ، ويقوم بإيناسهم وإمتاعهم نساء أُفْرِغن لهم خاصة ، فى قالب الحسن والجمال ، بيض الوجوه فى حسن ، واسعات العيون فى حلاوة ، طويلات الأهداب فى سواد ، فالبياض فى ألوانهن ، والحسن فى وجوههن ، والملاحة فى عيونهن ، والطول فى أهدابهن ، كأنهن فى الصفاء والنفاسة ونصاعة البياض ، اللؤلؤ المحفوظ من لمس اللامسين ، وعبث العابثين ، ولكن دون الوصول إليهن خرْط القتاد ، إلا للمقربين السابقين ؛ أعد الله لهم كل هذه الطيبات فى الجنات ، جزاء لهم على ما قدموا فى الدنيا من حسنات ، وما عملوا من أعمال صالحات ، لا يؤذى سمعهم فيها باطل من القول ، وفارغ من الحديث ، وسقط فاحش من الهُرَاء الذى يكون بين من فى الدنيا فى مجالسهم وعلى شرابهم ، ولا يحدث بينهم كلام يؤدى إلى مؤاخذة وإثم ، بل لا تسمع منهم إلا قولا عفًّا ليناً مفيداً ، إلا أن يسلم بعضهم على بعض سلاماً بعد سلام ، وتحيات مباركات .

(٢)

من الآية ٢٧ إلى الآية ٥٦ من سورة الواقعة

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ، مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ؟ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ، وفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ، لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ، وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ؛ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ، عُرُبًا أَتْرَابًا ، لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ، ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ –١– . وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ، مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ؟ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ، لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ –٢– . إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ، وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ، أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ؟ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ؟ –٣–. قُلْ : إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ –٤–. ثُمَّ إِنَّكُمْ – أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ – لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ، فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ، هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ –٥– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سدر	السِّدر : شجر النبق .
مخضود	خُضِد شوكه وقطع ، وتَثنَّتْ أغصانه بكثرة ما حمل من الثمار .
وطلح منضود	وشجر موز نضدت ثمراته ، وتراكب بعضها فوق بعض .
وظل ممدود	وظل دائم باق ، لا تنسخه الشمس .
وماء مسكوب	وماء جار لا ينقطع .
وفرُش مرفوعة	ونساء مرتفعات القدر فى الحسن والكمال ، وعبر عنهن بالفرش : لأنها محال لهن .
أنشأناهن إنشاء	خلقناهن خلقاً ، وأبدعناهن إبداعاً ، لأهل الجنة خاصة .
عُرُباً	العرُبُ : المتحبِّبات لأزواجهن بحسن الكلام ، ورقة الطبع ، وبشاشة الوجه .
أتراباً	فى سن واحدة .
ثُلّة من الأولين	جماعة وأمة من الأمم الماضية .
وثلة من الآخرين	وجماعة وأمة من الأمم المتأخرة .
وأصحاب الشمال	هم أهل النار الذين يأخذون صحائفهم بشمائلهم .
سموم	السموم : الريح الحارة التى تنفذ فى مسام البدن .
وحميم	وماء حار قد بلغ أقصى درجات الحرارة .

الألفاظ	شرحها
يحموم	دخان قاتم شديد السواد .
ولا كريم	وليس فيه خير أو حسن منظر .
كانوا قبل ذلك مترفين	كانوا فى الدنيا متنعمين بالحرام .
الحنث العظيم	الإثم الكبير وهو الشرك ، فيحلفون أن لا بعث ولا حساب .
ميقات يوم معلوم	وقت قيام الساعة .
المكذبون	المنكرون للبعث فى الآخرة ، ووحدانية الله .
لآكلون	بعد البعث والموقف ودخول جهنم تأكلون .
شجر من زقوم	الزقوم : شجر ينبت فى أصل الجحيم ، ثمره قبيح المنظر ، كريه الرائحة ، مُرّ المذاق :
الحميم	الماء الشديد الحرارة .
فشاربون شرب الهيم	فتشربون منه شرب الإبل التى اشتد بها العطش ، ولا يذهب مهما شربت .
نزلهم يوم الدين	منزلهم يوم الجزاء .

مجمل المعنى

١ — فصل الله أحوال الصنف الثانى من أهل الجنة ، وهم أصحاب اليمين ، كما فصّل أحوال المقربين السابقين ، فبيّن أن أصحاب اليمين حالهم حسنة ، وشأنهم عظيم ، قد تاب الله عليهم ، وغفر لهم ما تقدم من ذنبهم ، وصفح عنهم ، وأثابهم فوزاً عظيما : مساكن طيبة فى الجنة ، بين أشجار وريقة ظليلة من أشجار النبق الصغير الورق ، المتكاثر المتكاثف ، الذى يرف

فى النسيم رفيفاً ليناً خفيضاً ، وقد بدا ثمره المختلف الألوان ، وطلع فى جميع جهاتها وفروعها كورد أصفر لمـَّا يتفتح ، أو يواقيت حمر لم تـُثـْقب ، أو درر بيض لم تـُمس ، أو نجوم لامعة لم تنحدر للمغيب ، وقد تمايلت أغصانها ، وتعانقت فروعها ؛ وُخضد شوكها ، فلا ينال الأيدى أذى منها وهى تعبث بها ، أو تتناول ثمرها ، وبين مروج من شجر الموز الذى نـُضدت ثماره ، وتراصـَّت بعضها فوق بعض ، وقد امتد الظل كل وقت فلا تنسخه شمس ، ولا يأتى عليه زوال ، وانسكب ماء العيون زلالا عذباً غـَدَقاً ، وآتت الأشجار ثمارها كل حين بإذن ربها ، وأعطتهم فاكهة كثيرة النوع والعدد ، دائمة لا تنقطع عنهم فى أى وقت ، ولا يحال بينهم وبينها ، أو يمنعون من تناولها بأى وجه من الوجوه ؛ وقد جعل الله لهم على فرشهم نساء من الحـُور العين ، يقمن على إيناسهم وإمتاعهم ، وقد أنشأهن الله إنشاء ، وأبدعهن إبداعاً ، على مثال لم يسبق له طراز فى الخلق حسناً وجمالا ، جعلهن الله أبكاراً دائماً ، كأنهن الدر المكنون ، يملكن قلوب أزواجهن بحسن الكلام ، وجميل العشرة ، وبشاشة الوجه ، وسحر العيون ، ورقة الطبع ، وهن فى سن واحدة من الصِّبَا ، وريعان الشباب — كل أولئك جعله الله لأصحاب اليمين ، وهم أمة كثيرة من الأمم السابقة ، وأمة مثلها كثيرة من الأمم المتأخرة ، لأن الله يغفر الكثير منهم ذنوبهم ، بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكونون فى مثل كثرة الأولين .

٢ — أما الصنف الثالث فهم أهل الجحيم ، أصحاب الشمال الذين يُعطَون كتبهم بشمائلهم ، فيقرءون فيها قبح أعمالهم ، وسوء مصيرهم ، ويا طول عذابهم ، ووبال أمرهم ، وشقاء حالهم ، ونكد عيشهم ! ! ! إنهم يقيمون فى ريح

شديدة الحرارة، تنفذ من مسام جلودهم، وتتغلغل داخل أجسامهم، وبين أوصالهم، فيحسون منها فى كل أجزائهم وَخز الإبر أو أشد، ويشربون ماء يغلى غلياناً شديداً، لا يطفىء ظمأهم، ولكن يُقطع أمعاءهم، ويقيمون فى ظلال، وأى ظلال؟ إنها دخان حار قاتم، يملأ الجو قتاماً، والعين ظلاماً، والصدر حرجاً وناراً، لا هو بارد ينعش الجسم، ويريح النفس، ولكنه حار يُؤلم الجسم، ويُعنت النفس، ولا هو كريم حسن المنظر، فيه غناء ونفع، لكنه كريه قبيح المنظر، لا خير فيه ولا غناء.

٣ — وهذا العذاب جزاء عدل لهم، ما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، إنهم كانوا فى الدنيا قبل أن يبعثوا لنوفيهم الحساب، لا يبالون لقاءنا فى هذا اليوم، وكانوا يتمتعون بالمتاع الحرام، الذى يحصلون عليه من الربا والسلب، وسفك الدماء والبغى والعدوان، وكانوا لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر، ولا يخافون يوماً يحاسبون فيه على أعمالهم، وكانوا يخاصمون الله ورسوله، فإذا دُعوا إلى الإيمان بالله وحده رفضوا، وأصروا على البقاء على أعظم الآثام وهو الشرك، وأقسموا أن لا بعث ولا حساب، وظلوا يعبدون الأوثان والأصنام، وإذا طلب منهم أن يعملوا للآخرة، وأن يؤمنوا بالبعث، كانوا ينكرون ذلك فى تعجب واستهزاء، ويقولون: أئذا فاضت أرواحنا، وفارقنا الدنيا ومتنا، وصرنا جثثاً هامدة، وطوتنا القبور، وتحللت أجسامنا، واستحالت تراباً متفتتاً، ذاهباً ذرات متفرقة فى أجزاء الأرض، وعظاماً نخرة بالية، أَنُبْعث من جديد، ويبعث آباؤنا الذين ماتوا قبلنا، وأكلتهم الأرض، وذهبت آثارهم وقبورهم، وكل معالمهم؟ أئذا حدث هذا كله، تعود إلينا الحياة، ونهض من قبورنا، ويكسو اللحم عظامنا، ونحاسب على ما عملنا؟ إننا لا نصدق هذا ولا نؤمن به، إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر، وما نحن بمبعوثين.

٤ – قل لهم يا محمد ردًّا على إنكارهم ، وتحقيقاً للحق الذى لا ريب فيه : لستم أنتم وآباؤكم وحدكم الذين تبعثون وتحاسبون ، ولكن الأولين والآخرين من الأمم الذين هم أوفر منكم عدداً ، مجموعون بعد البعث فى وقت محدود من يوم معلوم لنا ، لا يعلمه غيرنا ، وهو يوم القيامة ، نحاسبكم فيه حساباً شديداً على ما تقولون وما تفعلون .

٥ – وليس هذا فحسب أيها الضالون عن طريق الحق ، المكذبون بالبعث من أهل مكة ، ولكنكم ستعذبون عذاباً شديداً ، فسيكون طعامكم فى جهنم شجر الزقوم ، نبت لكم خاصة فى جهنم ، وهو شجر قبيح المنظر ، كريه الرائحة ، شديد المرارة ، تأكلون منه حتى تمتلىء بطونكم ، وبعد هذا الامتلاء تحسون ظمأ شديداً ، فتشربون على ما أكلتم سائلا من صديد ، يغلى غلياناً شديداً ، هو ماء الحميم ، ولكن العطش لا يزول ، فتعاودون الشرب منه بنهم ، لعل الظمأ أن يذهب ، وتُقبلون على الشرب منه إقبالا شديداً ، كما تفعل الإبل الهيم التى يشتد بها العطش ، ولا تروى مهما شربت ؛ هذا هو رزقكم وطعامكم وشرابكم فى منزلكم من جهنم يوم الدين ، وهذه مائدتكم التى أعدت لكم يوم الجزاء ، لتعلموا حالكم ، وتتبينوا عاقبة أمركم .

(٣)

من الآية ٥٧ إلى الآية ٧٤ من سورة الواقعة

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ ، فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ! —١— . أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ؟
أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ؟ —٢— . نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ
الْمَوْتَ ، وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ ، وَنُنْشِئَكُمْ
فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ —٣— . وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى ، فَلَوْلَا
تَذَكَّرُونَ ! —٤— . أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ؟ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ
أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ؟ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ، فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ،
إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ —٥— . أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي
تَشْرَبُونَ ؟ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ؟ لَوْ نَشَاءُ
جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ، فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ! —٦— . أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي
تُورُونَ ؟ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ؟ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا
تَذْكِرَةً ، وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ —٧— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فلولا تصدقون	فهلا تصدقون أنا خلقناكم فتؤمنوا !.
تُمنون	تَقـْذِفون من منىّ فى الأرحام .
تخلقونه	تصورون منه الإنسان ، وتبعثون فيه الحياة .
نحن قدرنا بينكم الموت	كما خلقناكم وصوّرناكم فى بطون أمهاتكم ، نحن قدرنا موت كل أحد منكم ، ووقـّتـْناه بوقت محدد .
وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم	لا يسبقنا أحد ولا يغلبنا ، على أن نذهبكم ، ونأتى بأمثالكم ، إن أردنا .
وننشئكم فيما لا تعلمون	ونخلقكم خلقاً آخر على غير صوركم .
علمتم النشأة الأولى	علمتم خلقنا لكم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة .
فلولا تذكرون	فهلا تتعظون وتؤمنون بأنا قادرون على أن نعيدكم مرة أخرى !.
أفرأيتم ما تحرثون	أخبرونى عما تحرثون من أرضكم، وتلقون فيها من البذور .
أأنتم تزرعونه	أأنتم تنبتونه فى الأرض، وتجعلونه زرعاً يخرج حباً.
حطاماً	هشيما متفتتاً متكسراً .
فظلتم تفكهون	فظـِلتم تتبادلون الحديث عن حاله وهو فى نضرته ، وتندمون على جفافه ، وتتعجبون مما حل به .

الألفاظ	شرحها
إنا لمغرمون	وتقولون : إنا لخاسرون هالكون ، لأننا غُرمنا الحب الذى بذرناه ، والجهد الذى بذلناه ، من غير فائدة .
نحن محرومون	حرمنا رزقنا الذى ننتظره .
المزن	السحاب .
أجاجاً	ملحاً شديد الملوحة .
فلولا تشكرون	فهلا تشكرون الله الذى جعل ماءكم الذى تشربونه عذباً ، ولم يجعله ملحاً ! .
تورون	تظهرون النار وتستخرجونها من الشجر والزناد .
جعلناها تذكرة	جعلنا نار الدنيا تذكركم بنار جهنم .
ومتاعاً للمقوين	ومنفعة للمسافرين الذين ينزلون الأمكنة الخالية ، فلا يجدون غير النار تدفئهم ، وتنضج طعامهم ، وتنير الطريق لهم ؛ يقال : أقوت الدار ، إذا خلت من أهلها .
فسبح باسم ربك العظيم	نزه الله تعالى عما يقول الجاحدون بوحدانيته ، الكافرون بنعمته ، مع عظمها وكثرتها .

مجمل المعنى

١ — كيف تنكرون أننا قادرون على أن نحييكم بعد الموت ، وعلى أن نبعثكم للحساب ، ونحن الذين خلقناكم أول مرة ، وأوجدناكم من العدم ؟ ومن َقدر على الابتداء ، قدر على الإعادة ، فهلا تؤمنون بأننا قادرون على

إعادتكم ، وتصدقون بأننا سنبعثكم ، كما أقررتم بأنا أنشأناكم ، وابتدأنا خلقكم !

٢ — وقد ساق الله الأدلة الموجبة للتصديق بالبعث ، والإيمان بيوم الحساب ، فوجه إلى المنكرين الخطاب بما معناه : أخبرونى عن النطف التى تصبونها فى الأرحام ، وتستودعونها بطون النساء ، أأنتم الذين تخلقونها ، وتقدرونها وتصورونها بشراً سوياً ؟ كلا ! أنتم لا تخلقونها ولا تصوّرونها ، ولا تعلمون من أمرها شيئاً ، وهى فى ظلمات الأرحام ، بل نحن المقدرون لها ، نحن الذين جعلنا النطفة عَلقة ، والعلقة مضغة ، ثم جعلنا المضغة عظاماً ، ثم كسونا العظام لحماً ، ثم صيرناها إنساناً سوىّ الخَلق ؛ فكيف لا نكون قادرين على البعث والنشور ، وإخراجكم من القبور ؟

٣ — نحن الذين وقتنا موت كل واحد منكم بوقت ، وجعلنا لكل منكم أجلا مسمى ، لا يتأخر عنه ولا يتقدم إلا بإرادتنا ومشيئتنا ، ونحن لا يسبقنا أحدولا يغلبنا ، إن أردنا أن نميتكم ، ونأتى مكانكم بأشباهكم من الخلق ، ونحن قادرون على أن نخلقكم خلقاً آخر على غير صوركم وهيئاتكم ، فنجعلكم كالقردة والخنازير .

٤ — ولقد علمتم نشأتكم الأولى ، وأنا خلقناكم أول مرة ، من نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، فهلا تتذكرون بأن الذى قدر على بدئكم ، يقدر على إعادتكم حتما ! لأن النشأة الأخرى أيسر من الأولى ، لأنها أقل صُنعاً ، وأخف جهداً ، لحصول المواد التى منها تخلقون ، وسبق النّموذج الذى على غراره تُعادون .

٥ — أخبرونى عن الأرض التى تحرثونها ، وتُلقون فيها البذر ، أأنتم الذين تنبتونه فى الأرض ، وتخرجونه زرعاً أخضر يخرج منه الحب ، أم نحن

الذين نفعل ذلك ؟ أنتم تعلمون أنه ليس لكم إلا مجرد إلقاء البذر، وشق الأرض ، فإذا أقررتم أنكم لا تفعلون شيئاً غير البذر وشق الأرض ، وأننا نحن الذين نخرج الزرع ، ونجعل فيه السنبل والحب ، فكيف تنكرون قدرتنا على إخراج الأموات من القبور ، وإعادة الحياة إليهم ؟ إننا لو أردنا أن نُذبله ونجففه حتى يصير حُطاماً متفتتاً ، وهشيما متكسراً ، بعد ما أخرجناه زرعاً أخضر ، وأبرزنا ثماره ، وبعد أن طمعتم فى جنْيه ، والحصول على غلته، لفعلنا ذلك ، وما حال بيننا وبين ما نريد أحد ، فوقفتم عليه تعجبون وتندمون ، وتتحدثون عما كان عليه من الخضرة والنضرة، وما صار إليه من الذبول والجفاف، والتهشيم والتحطيم، وتقولون : إنا لقد خسرنا ما أنفقنا فى حرثه وبذره وسقيه ، وهالكون لفقد غلته ، وقد غرمنا الحب الذى بذرناه ، والجهد الذى بذلناه ، بل نحن حُرمنا الرزق الذى ننتظره ، والخير الذى نرتقبه ، لأننا مشئومون ، لا حظ لنا ولا بخت .

٦ ـ أخبرونى عن الماء الذى تشربونه ؟ أأنتم الذين أرسلتم إليه الحرارة التى صعّدته بخاراً فى الهواء ؟ أأنتم الذين جعلتم طبقات الهواء باردة فى السماء ؟ أأنتم الذين جمعتموه سحاباً ثقالا فى الجو ؟ أأنتم الذين أنزلتم من هذا السحاب الماء عذباً ، وهو خارج من بحر أجاج ، فتشربوه زلالا سائغاً، وتُحيْوا به أرضكم ؟ إنكم لم تفعلوا شيئاً من هذا ، ولستم بقادرين عليه ؛ إننا لو أردنا أن نبخّره من البحر أجاجاً، وننزله عليكم من السماء مِلحاً، لما منعنا من ذلك أحد ، وما حال بيننا وبينه حائل ، فهلا تشكرون الله على ما أولاكم من فضله ، وما أسبغ عليكم من نعمه !

٧ ـ أخبرونى عن النار التى توقدونها من الشجر ، بحك عود بعود ، حتى

تُورى ، فتوقدوا وتستضيئوا وتستدفئوا ، وتهتدوا فى ظلمات البر والبحر ، أأنتم الذين أخرجتم من الأرض شجرتها التى يؤخذ منها الزناد للقَدْح والاشتعال ؟ أأنتم الذين أودعتم قوة هذه النار فى الشجر ؟ كلا ! أنتم لم لم تفعلوا من ذلك شيئاً ، ولن تفعلوا ، بل نحن المنشئون للشجر ، والمودعون النار بقدرتنا فيها ، وقد جعلنا النار تذكرة لكم فى الدنيا ، لتذكروا بها نار الآخرة ، التى أنذرناكم إياها ، وخوفناكم عذابها ، لتنظروا إليها ، وتتعظوا بها ، وتعلموا أن الذى خلق لكم النار ، وعلق بها أسباب معاشكم ، قادر على خلق نار أشد وأقوى ، لتعذبوا بها فى جهنم ، كما جعلناها منفعة بينة النفع للمسافرين فى القفر ، الجوّابين للصحراء ، حين يضلون المسالك ، ويفقدون المعالم ، فلا شىء يهديهم ، ولا طعام يغذيهم ، ولا قوة تحميهم ، إلا النار يوقدونها ، فيهتدون ويختبزون ويشتوون ، ويردّون المقترس والكاسر ، ويدفعون عن أنفسهم عادية الجوع والبرد والفتك والضلال ؛ والمحتابون المفاوز أشد الناس إدراكاً لمنافع النار ؛ إذا كانت هذه النعم التى سقناها جمة الفوائد للناس أجمعين ، فنزِّه أيها الغافل ربك المنعم بهذه النعم عما لا يليق به من الشريك والولد ، وعدم القدرة على البعث والحساب .

(٤)

من الآية ٧٥ من سورة الواقعة ، إلى آخر السورة

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ — وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ —:
إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ،
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ -١- . أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ،
وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ؟ -٢- فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ
الْحُلْقُومَ ، وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ
وَلَٰكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ! ، فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ، تَرْجِعُونَهَا
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ! -٣- . فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ،
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ،
فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ
الضَّالِّينَ ، فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ، وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ، إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
حَقُّ الْيَقِينِ ، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
أقسم بالكواكب في مواقعها عند طلوعها وسيرها وغروبها ، ولا : زائدة .	فلا أقسم بمواقع النجوم
مثبت فى كتاب ، وهو اللوح المحفوظ .	فى كتاب
مَصُون محفوظ عن الباطل .	مكنون
لا يصل إلى القرآن ولا يمسه ، ولا يتنزل به إلا الملائكة المطهَّرون .	لا يمسه إلا المطهرون
مكذبون منافقون كافرون .	مدهنون
وتجعلون شكركم لله على رزقكم الكفر والتكذيب .	وتجعلون رزقكم
فارقت الروح البدن ، ووصلت الحلق ، وكادت تخرج من الجسم كله .	بلغت الحلقوم
وأنتم أيها الأحياء حين موته جلوس حوله ، تنظرون ما يقاسى من غمرات الموت .	وأنتم حينئذ تنظرون
ونحن بعلمنا وقدرتنا وتصرفنا ، أقرب إليه منكم .	ونحن أقرب إليه منكم
لا تدركون ذلك لجهلكم بشئون الله .	لا تبصرون
غير مملوكين لرب ديَّان ، ولا مجزيِّين ومحاسَبين على أعمالكم .	غير مَدينين
تعيدون الروح إلى الجسد ، ولا تدعونها تخرج .	ترجعونها
فأما إن كان الذى بلغت روحه الحلقوم ، ثم خرجت إلى بارئها .	فأما إن كان

الألفاظ	شرحها
المقربين	السابقين فى الإيمان والطاعات وعمل الخيرات .
فروح وريحان وجنة نعيم	فجزاؤه رحمة ورأفة وراحة ، وابتهاج وفرح وسرور ، ورزق طيب ، وجنة نعيم ، ومنزل طيب .
أصحاب اليمين	المؤمنين الذين غفر الله لهم ذنوبهم .
فسلام لك	فأنت سالم من الاغتمام من حالهم ، لأنك لاتود لهم إلا ما تحب .
فنزل من حميم	فرزق من ماء مُغْلى شديد الحرارة .
وتصلية جحيم	وإقامة فى النار ، ومقاساة لعذابها .
لهو حق اليقين	لهو حقيقة الخبر الثابت عن علم ويقين .
فسبح باسم ربك العظيم	فنزّهه تعالى عما لا يليق به من الشرك ، والتكذيب بآياته ، والكفر به وبنعمه العظيمة .

مجمل المعنى

١ — أقسم سبحانه وتعالى بمواقع النجوم عند طلوعها وغروبها ، وعند جريانها فى أفلاكها ، حيث يظهر فيها آيات العبرة والقدرة ، على أن القرآن كتاب كريم ، ليس بسحر ولا كهانة ، ولا بمفترى كما يزعم المشركون المكذبون ، لو يعلمون علم تبصر وتفكر ، ولكنه قرآن كريم محمود ، جعله الله معجزة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهداية للناس أجمعين ، وهو كريم على الله ، كريم على المؤمنين ، كريم على الملائكة ، لأنه يشتمل على كريم الأخلاق ، وأقوم التشريعات ، وهو هدى وبينات للناس فى الدنيا والآخرة ،

جامع للبيان والعلم والحكمة ، مكنون فى كتاب السماء ، مكتوب فى اللوح المحفوظ ، لا تصل إليه الشياطين ولا تتنزل به ، ولا تمسه ، ولا يمسه أو يصل إليه أو يتنزل به إلا الملائكة المطهرون ؛ وإذا كانت صحف القرآن التى فى السماء لا يمسها إلا المطهرون ، فكذلك مصحف القرآن الذى بأيدينا لا يمسه إلا طاهر ؛ وكما أن القرآن كريم ، وفى كتاب مكنون ، فهو منزل من رب العالمين ، وإله الخلق أجمعين .

٢ ـ أفبهذا القرآن الذى يؤيد الحق ، ويهدم الباطل ، ويدعو إلى الرشاد ، وينهى عن الفساد ، ويصحح الاعتقاد ، وينقذ العقول من الضلال ، أنتم تُكَذِّبون وتُدْهِنُون أيها المشركون؟ ولقد رزقكم الله القرآن وهو مادة الإيمان ، وغذاء الروح والقلب والعقل للإنسان ، كما أن الزرع والماء غذاء الأبدان ، وكان الواجب عليكم أن تشكروه على ما رزقكم ، ولكنكم وضعتم التكذيب فى موضع الشكر ، والكفر فى موضع الإيمان .

٣ ـ وقد ختمت السورة ببيان أحوال الناس عند الموت ، وعند ما يقومون للبعث ، ويقفون فى الحشر ، وتلك هى القيامة الصغرى ، فقيل فى بيان حالهم عند الموت : فهلا إذا أخذ أحد منكم يعالج سكرات الموت ، وبلغت روحه الحلقوم ، ولما تخرج منه وكادت ، وأنتم فى هذه الحال جلوس حوله تنظرون إليه ، لا تقدرون على شىء ! هلا أمسكتم عليه روحه ، وأرجعتموها إلى بدنه ، ولم تسلموه للموت ، مع حرصكم على امتداد عمره ، وحبكم لبقائه ! ونحن ـ وأنتم حوله فى المكان الذى تنتزع منه الروح ، وتلامسونه وتتحسسونه وهو يعالج سكرات الموت ـ أقرب إليه منكم بعلمنا بأحواله ، وقدرتنا على التصرف فى أمره ، ولكنكم لا تبصرون ذلك ولا تدركونه ، لجهلكم بشئوننا ، وقصوركم عن إدراك علمنا ! فهلا إن كنتم لستم تحت قدرة

أحد، وليس لكم إله يملك أمركم، ويتصرف فى شأنكم ، ترجعون الروح إلى البدن، وتحفظونها فى الجسم، إن كنتم صادقين فيما تزعمون ! وإن كان الأمر كما تزعمون: أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ، ولا إله ولا رب يقوم بذلك ، فهلا تردون رُوح من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم ! فإذا لم يكن لكم فى ذلك حيلة بوجه من الوجوه ، فهلا يدلكم ذلك على أن الأمر إلى مليك قادر قاهر ، متصرف فيكم ، وهو الله الذى لا إله إلا هو !

٤ — « فلما قام الدليل، ووضح السبيل ، وتم البرهان على أنهم مملوكون تحت سلطان الله وقهره ، مجزيون محاسبون ، ذكر طبقاتهم عند الحشر الأول، والقيامة الصغرى ، وهى طبقة المقربين ، وطبقة أصحاب اليمين ، وطبقة المكذبين ، فجعل للمقربين الرحمة والراحة ، والفرح والسرور والابتهاج ، والرزق الكريم ، والعيشة الراضية، وجنة النعيم، والمنزل الطيب فى دار السعادة والرضوان ؛ وجعل لأصحاب اليمين — وهم دون المقربين فى المرتبة — السلامة من الآفات ، والشرور التى تحصل للمكذبين الضالين ؛ والخطاب فى سلام لك لمحمد صلى الله عليه وسلم ، أى أنت سالم من الاغتمام بحالهم ، لأنهم سالمون مما يضيرهم ، ولا تراهم إلا كما تحب لهم؛ وجعل للطبقة الثالثة— وهم المكذبون بالبعث ، الضالون عن الهدى وطريق الحق — رزقاً من حميم، ومقاساة الجحيم ؛ وإن هذا الذى أنزله الله فى هذه السورة لهو الحق الثابت عن علم ويقين، فنزه يا محمد ربك عما لا يليق به، من الشرك والتكذيب بآياته، والكفر به وبنعمه العظيمة ، ولا عليك إن صدقوك أو كذبوك ، فما عليك إلا البلاغ .

سُورة الْحَديد

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٢٩ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

سَبَّحَ لِلّٰهِ مَافِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ –١– .
لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ –٢– . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ –٣– . هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ ،
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَهُوَ
مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ، وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ –٤– . يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ،
وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ –٥– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سبح لله	أبعد الله ، ونَزّهه عما لا يليق به ، ومجّده .
العزيز الحكيم	القوى الذى تستوجب قدرة خلقه تمجيده ، الذى خلق كل شىء بحكمة .
له ملك السموات والأرض	هو المنفرد بملك السموات والأرض ، وصاحب الأمر والنهى والنفوذ فيهما .
يحيي ويميت	يميت الأحياء فى الدنيا، ويحيي الأموات للبعث .
قدير	لا يعجزه شىء .
الأول	الذى ليس قبله شىء ، السابق على سائر الموجودات ، ومبدئها ومُبدعها .
الآخر	الذى ليس بعده شىء ، الباقى بعد هلاك كل شىء .
الظاهر	الذى ليس فوقه شىء ، الغالب على كل شىء .
الباطن	الذى لا يراه أحدٌ ، وهو يرى كل أحد ، ويعلم ما بطن وخفى .
وهو بكل شىء عليم	لا يعزب عن علمه شىء من الظاهر والخفى .
استوى على العرش	استولى على ملكوت السموات والأرض بالتدبير والتصرف .
ما يلج فى الأرض	ما يدخل فيها من البذر والمعادن والمياه الجوفية ، والكنوز والآثار والقبور .

الألفاظ	شرحها
وما يخرج منها	وما يخرج من نبات ومعادن وغيرهما
وما يعرج فيها	وما يصعد إليها من الملائكة ، وأعمال العبادة ، ومن أبخرة وأدخنة .
والله بما تعملون بصير	والله مطلع على أعمالكم ، فيجازيكم بحسبها .
يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل	يدخل وقت الليل فى وقت النهار ، ويدخل وقت النهار فى وقت الليل ، بأن يكون ظلام فى جهة ، وضياء فى جهة أخرى ، وبالعكس .
وهو عليم بذات الصدور	وهو يعلم علماً شاملا بكل ما تخفى الضمائر .

مجمل المعنى

١ — كل ما استقر فى السموات والأرض ، وما اتصل بهما على أى وجه ، من جميع الموجودات العُلوية والسفلية ، يُنَزِّهُ الله سبحانه وتعالى عما لا يليق بذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه ، ويدل على أنه واحد فى ذاته وصفاته ، متصف بجميع صفات الكمال ، منزّه عن جميع سمات النقص ؛ وتدل آياته بدقة صنعها ، وحكمة وضعها ، وباهر أسرارها ، على أنه منزه عن النقص ؛ وهذه الدلالة هى التسبيح المشار إليه فى الآية ؛ وهو العزيز القاهر فوق عباده ، الغالب الذى لا يغلب ، الذى أوجد جميع الأشياء على مقتضى الحكمة ، وفى غاية الإحكام .

٢ — الله هو المنفرد بملك السموات والأرض ، والمتصرف فيهما على حسب إرادته ومشيئته ، أحسن صنعهما بحكمته ، وأوجد كل شىء فيهما بقدرته ،

لا ينازعه فيهما منازع ، ولا يغالبه مغالب ؛ ومن أظهر آثاره فيهما ، أنه خلق الموت والحياة ، فيميت الأحياء بعد أن يستوفوا آجالهم التى قدرها لهم ، ويحيي الموتى يوم يجمعهم للبعث من قبورهم ، وهو مبسوط القدرة والسلطان على كل شىء ، فلا يعجزه شىء ، ولا يفلت من سلطانه شىء .

٣ — ومن صفاته التى انفرد بها ، أنه الأول الذى لم يسبقه فى الوجود شىء ، وأنه الآخر الباقى بعد أن يفنى كل شىء — ثم ينصب الميزان ، ويقيم الجنة والنار — وهو الظاهر الغالب فوق كل شىء ، المعروف المستبين بالأدلة الدالة عليه فى خلقه وصنعه ، والباطن الذى لا يراه أحد ، وهو يرى كل أحد ، ويعلم ما خفى وما بطن ، ولا يغيب عن علمه أى شىء ، ومن هذا شأنه ، لابد أن يكون محيطاً بما فى ملكوته ، عليما بكل شىء فيه .

٤ — وقد بين الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والأرض ، وأبدع صنعهما ، ودبر أمرهما ، فى ستة أيام ؛ وليس المقصود بالأيام الأيام الزمنية ، التى يستوعب كل منها ليلا ونهاراً ، لأن الأرض التى يحصل من دورانها حول مركزها أمام الشمس الليل والنهار ، لم تكن وجدت بعد — والتعبير بالأيام : الغرض منه أن يقرب الله إلى مداركنا ما يمكن أن نتصور به قدرته ، وأن يُيسّره على عقولنا بما نستطيع أن تفهمه — وإنما المقصود بالأيام : الأطوار الستة التى مرّ فيها خلق السموات والأرض ، حتى صارت كما نراها فى وضعها المحكم ، وصنعها المتقن ، صنع الله الذى أتقن كل شىء ؛ فالأطوار التى مرت بالأرض كانت مع كل الملكوت دخاناً ، ثم كانت جزءاً متصلا بالشمس ، ثم كانت رتقاً متماسكاً بها ، ثم تفتقت الأرض منها ، وانفصلت عنها ، « أوَ لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما » ، (تراجع الفقرة الثانية من الصفحة ١٦ من تفسير الجزء

السابع عشر) ، ثم كوّن فيها اليابس والماء ؛ وبعد ذلك جعلها صالحة للحياة ، وقدر فيها الأقوات ، ثم استخلف الإنسان عليها فسكنها وعمّرها ، يدل على هذه الأطوار التى مر بها خلق الأرض حتى صارت على هذا النحو ، قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهىَ دُخانٌ ، فقال لها وللأرض : أئتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين » ، (تراجع الفقرة الثانية من الصفحة ٩٠ من تفسير الجزء الرابع والعشرين) ، ثم استولى على ملكوت السموات والأرض ، يتصرف فيهما على حسب ما تقتضيه مشيئته ، وهو محيط بخفايا الأمور وظواهرها ، فيعلم ما يدخل فى الأرض من بذر ، وما ينطوى فى باطنها من معادن وكنوز ، وعيون وزيت ، ويعلم ما يخرج منها من زرع وحب ، وشجر وفاكهة ، وما يستخرج منها من حديد ونحاس وذهب ، ويعلم ما ينزل من السماء من ملك ومطر وصواعق ، وما يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد ، ومن بخار ودخان ؛ وعلمه محيط بجميع المخلوقات أينما كانوا ، وفى كل لحظة ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو بصير بأعمال العباد ، وله السلطان المطلق ، والحكم النافذ فى السموات والأرض ، وإليه ترجع الأمور ، ويصير الخلق ، فيقضى وحده بينهم بحكمه .

٥ — ومن الدلائل على أن زمام الملكوت مُصرّف بقدرته ، ومرجع الأمور كلها إليه ، أنه يدخل وقت الليل فى وقت النهار ، ووقت النهار فى وقت الليل ، فتكون بعض الجهات فى ظلام دامس ، وبعضها فى ضياء ساطع فى نفس الوقت ، كما يبدو هذا فى مصر وأمريكا مثلا ، فمتى يكون الوقت ليلا فى مصر ، يكون نهاراً فى أمريكا ، لأن الله جعل الأرض مكوّرة ، تدور على محورها المائل حول نفسها دورة يومية ، وحول الشمس دورة

سنوية ، وكذلك يدخل ما نقص من ساعات الليل فى النهار ، فيصير النهار زائداً فى ساعاته ، ويدخل ما نقص من ساعات النهار فى الليل ، فيصير الليل زائداً فى ساعاته ، ويطّرِد حساب اختلاف الليل والنهار فى البُلدان والأقطار ، وهو إلى جانب قدرته وسيطرته على السموات والأرض ، وتدبير أمرها ، عليم بما تُكنّ الصدور ، وبكل ما يهجس فيها من الخواطر .

(٢)

من الآية ٧ إلى الآية ٩ من سورة الحديد

آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ، فَالَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ —١— . وَمَا لَكُمْ
لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ ؟ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ، وَقَدْ
أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ —٢— . هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَى
عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَإِنَّ
اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه	وأنفقوا من الأموال التى أوجدها الله ، وجعلكم خلفاءه فى التصرف فيها ، ووكلاء فى إنفاقها .
وما لكم لا تؤمنون بالله	وأى عذر لكم فى عدم الإيمان بالله ؟
وقد أخذ ميثاقكم	وقد أخذ الله عليكم عهداً وميثاقاً ، بما وهب لكم من العقول ، وما أظهر لكم من الأدلة والآيات .
إن كنتم مؤمنين	إن كنتم مؤمنين بالحجج والدلائل، مصدقين لما تهدى إليه العقول .

الألفاظ	شرحها
عبده آيات بينات من الظلمات إلى النور	محمد صلى الله عليه وسلم . القرآن الواضحة آياته . من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .

مجمل المعنى

١ — بعد أن بين الله أن علمه محيط بكل الأشياء ، وأن مرجع كل أمر ظاهر وخفىّ إليه ، وأنه صاحب السلطان المطلق على الملكوت ، وأنه لا يماثله شىء ، أمر العباد أن يؤمنوا به وبرسوله الذى أرسله إليهم ، وأن ينفقوا فى سبيل البر والجهاد من الأموال التى جعلهم الله خلفاءه ووكلاءه عليها ، فمكَّنهم من التصرف فيها ، وجعل لهم حق الاستمتاع بها ، وبذلها فى سبيل الخير ، ونبههم على أن هذه الأموال ليست باقية لهم ، أو ليسوا باقين لها ، وإنما ستنتقل منهم إلى غيرهم ، كما انتقلت إليهم ، وبين أن المؤمنين الذين يفهمون حقيقة المال على هذا الوجه ، فينفقون منه على أنفسهم فى وجوه الاستمتاع الحلال دون إسراف ، وينفقون منه فى منافع الناس ، لهم أجر كبير على ذلك من الله .

٢ — وأى عذر لكم فى ألا تؤمنوا بالله ؟ وقد أرسل إليكم رسوله بالبينات ، ليدعوكم إلى الإيمان ، كما أنه قطع عليكم العهد والميثاق بأن تؤمنوا به ، بما ركب فيكم من العقول التى من شأنها أن تفكروا بها ، وتعرفوا الحق من الباطل ، وتميزوا الخبيث من الطيب ، وبما بيّن لكم من الآيات الكونية على وجوده وإنشائه للخلق ، وقدرته ووحدانيته ؛ ليس لكم عذر بعد هذا

فى ترك الإيمان ؛ فإن كنتم مستعدين أن تنظروا فى ملكوت السموات والأرض ، وتفكروا فتؤمنوا ؛ فهذا وقت الإيمان ، وقد وجب عليكم لأن أسبابه متوافرة ، ودواعيه ظاهرة .

٣ — لقد أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ، وفيه الآيات البينات المفصلات الواضحات ، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والضلال ، إلى نور العلم والإيمان والحق ، وفى ذلك منتهى رأفة الله ورحمته بعباده ، حيث يهديهم إلى سعادة الدارين بإرسال الرسول ، وإنزال الآيات مفصّلات ، بعد أن أقام لهم الحجج العقلية ، والآيات الكونية ، التى تستوجب منهم الإيمان .

(٣)

من الآية ١٠ إلى الآية ١٩ من سورة الحديد

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ ؟ وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ
وَٱلْأَرْضِ ، لَا يَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَاتَلَ ،
أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ، وَكُلًّا
وَعَدَ ٱللهُ ٱلْحُسْنَى ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ -١- . مَنْ ذَا ٱلَّذِى
يُقْرِضُ ٱللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ؟ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ -٢- .
يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَ بِأَيْمَانِهِمْ ، بُشْرَاكُمُ ٱلْيَوْمَ : جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ،
خَالِدِينَ فِيهَا ، ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ -٣- . يَوْمَ يَقُولُ
ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا : ٱنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ
نُورِكُمْ ، قِيلَ : ٱرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا ، فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ
بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ
ٱلْعَذَابُ ، يُنَادُونَهُمْ : أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى !
وَلٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ ، وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ ، وَغَرَّتْكُمُ
ٱلْأَمَانِيُّ ، حَتَّى جَاءَ أَمْرُ ٱللهِ ، وَغَرَّكُمْ بِٱللهِ ٱلْغَرُورُ ، فَٱلْيَوْمَ

لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ، مَأْوَاكُمُ النَّارُ ، هِيَ مَوْلَاكُمْ ، وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
وأى غرض لكم فى عدم الإنفاق فى سبيل الله ، والجهاد فى إعلاء كلمته ، ونشر دينه ؟	وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله
والله يرث كل شىء فى السموات والأرض ، فلا يبقى فيهما باق لأحد ، من مال أو غيره .	ولله ميراث السموات والأرض
من قبل فتح مكة ، وقاتل جهاداً فى سبيل الله .	من قبل الفتح وقاتل
وقد وعد الله كلا منهما أحسن المثوبة ، ونعيم الجنة ، مع تفاوت بينهما ، ووعده النصر والغنيمة فى الدنيا .	وكُلاً وعد الله الحسنى
ينفق عن طيب نفس فى الجهاد والصدقات والبر ، ابتغاء مرضاة الله ، من مال حلال .	يقرض الله قرضاً حسناً
فيعطيه الأجر على انفاقه أضعافاً مضاعفة ، تفضلا منه .	فيضاعفه له
وله مع مضاعفة الأجر على إنفاقه أجر كريم من عند الله ، هو أفضل الأجر وأحسنه .	وله أجر كريم
يمضى ويذهب نور إيمانهم وطاعتهم وتوحيدهم مِنْ أمامهم ومِنْ حولهم .	يسعى نورهم

الألفاظ	شرحها
بشراكم اليوم : جنات	تقول لهم الملائكة : اليوم لكم البشرى ، وهى دخول الجنات .
انظرونا نقتبس من نوركم	انظروا نحونا ، لنصيب من نوركم قبساً نستضىء به فى الظلمات التى تحيط بنا .
ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً	ارجعوا إلى الموقف الذى أوتينا فيه صحائف أعمالنا ، فاطلبوا النور منه .
فضرب بينهم بسور له باب	فأقيم بين المؤمنين والكافرين حاجز .
باطنه فيه الرحمة	ما يلى المؤمنين منه هو الجنة .
وظاهره من قبله العذاب	والجانب الذى يلى أهل النار فيه جهنم .
فتنتم أنفسكم	أهلكتموها بالكفر والمعاصى والشهوات .
وتربصتم	ودبرتم ، وارتقبتم أن تحل بالمؤمنين المصائب .
وغرتكم الأمانىّ	وخدعكم طول الأمل والأباطيل ، وتوقعكم خذلان المؤمنين .
وغركم بالله الغَرور	وخدعكم الشيطان بأن الله عفوّ كريم لا يعذبكم .
لا يؤخذ منكم فدية	لا يُقْبَل أن تخرجوا من النار بأى ثمن .
مأواكم النار	مُقامكم ومنزلكم النار .
هى مولاكم	هى أولى بكم .

مجمل المعنى

١ — ولماذا لا تنفقون أيها الناس فى سبيل الله ؟ وأى غرض لكم فى عدم بذل المال فى وجوه البر والخير والجهاد ، لنشر دين الله وإعلاء كلمته ؟ والله

خالقكم وخالق أموالكم ، وستنتهى آجالكم ، وتنقضى أعماركم ، وتتركون أموالكم التى جمعتموها ، فيرثها الله بعدكم ، لأن الله يرث كل ما فى السموات والأرض ، وإليه مرجع كل شىء فيهما ، فإن أنفقتموها فى الخير ربحتم ، وإن بذلتموها فى سبيله أثابكم أجراً عظيما ، وإن لم تنفقوها فى سبيله ذهبت منكم بعد موتكم دون مقابل ، فلم تنتفعوا بشىء منها ، ولا يقبل عاقل أن يترك الإنفاق الذى فيه خير له ، إلى عدم الإنفاق الذى لا خير له فيه ؛ والمنفقون المال فى سبيل الله ، والمقاتلون دفاعاً عن دين الله ، لهم جزاؤهم عند ربهم جنة وأجر عظيم ، لكن درجاتهم فى الجنة ، وأجورهم عند الله ، متفاوتة ، فهناك قتال أفضل من قتال ، وإنفاق خير من إنفاق ، فالذين قاتلوا وعرّضوا أنفسهم للموت ، ودماءهم للسفك ، وبذلوا المال وأنفقوه عن طيب نفس به قبل فتح مكة ، حيث المسلمون فى ضعف وخوف ، وقلة عدد وجوع وفقر ، فلا حماية ترتجى لمن آمن منهم ، ولا توقع لانتصارهم ، ولا مطمع فى غنائم ينالونها ، وإذ لا يبعث على الإنفاق فى سبيلهم إلا الإيمان القوىّ ، والإخلاص الكريم — هؤلاء درجاتهم فى الجنة ، ونصيبهم من الأجر ، أعظم من درجات الذين قاتلوا وأنفقوا المال فى الخيرات بعد فتح مكة ، حين قَوِيت شوكة المسلمين ، وأمنوا على أنفسهم وأموالهم ودينهم ، وكثر عددهم ، وظفروا بالغنائم ؛ لقد نفى الله استواء الفريقين فى الأجر ، ولكنه أثبت الحسنى لكل منهما ، وكتب له المثوبة والجنة ، ورضوان الله فى الآخرة ، والنصر والغنيمة فى الدنيا ؛ والله خبير بأعمال العباد ظاهرها وباطنها ، عليم بأحوالهم ، وسيجازى كلا على حسب ما قدم من عمل ، وما فعل من خير .

٢ — أى إنسان لا يسارع إلى إنفاق المال فى سبيل الله ، وأى عاقل لا يسابق إلى بذل المال فى وجوه الخير والبر والإحسان والجهاد ؟ وكل ما ينفق من

مال فى هذه الوجوه لا يضيع ولا يذهب ، ولكنه مدخر له عند الله ، وقرض حَسَن عنده ، يرده إليه أجراً عظيماً ، ويضاعف له هذا الأجر أضعافاً ، فيمنحه الثواب عليه فى الآخرة ، والنماء والبركة فى الدنيا عشرة أمثاله ، وله مع ذلك أجر كريم من الله ، خالص من شوائب المنّ والأذى ، ومن عَنَت الجهد والمشقة ، فيه سهولة ويسر وكثرة ؛ والقرض الحسن : هو المال الذى يُبذل عن صدق نية ، وطيب نفس ، يُقصد به وجه الله ، لا الرياء ولا السمعة ، وأن يكون من خير المال لا من رديئه ، وأن يكون من حلال طيب ، وألا يُتْبِع المنفق إنفاقه بالمنّ والأذى ، وألا يَتَعالى بعزة الغنى ، ويشعر الفقير ، بذلة الفقر ، وأن يعطيه وهو قوىّ الأمل فى الحياة ، وأن يُخفى صدقته حتى لا يؤذى بها نفس المتصدَّق عليه .

٣ — وهذا الأجر الكريم أعده الله يوم القيامة للمؤمنين الذين أنفقوا وقاتلوا ، حين ترى نور الهداية والطاعة والإيمان يضىء لهم بقدر أعمالهم ، وما سُجِّل منها فى كتبهم التى بأيمانهم ، فينفذ إلى جميع ما حولهم ، ويهديهم الطريق المستقيم إلى دار الرضوان ، وتقول لهم الملائكة : البشرى التى نسركم بها اليوم ، هى جنات تجرى من تحتها الأنهار ، أعدت لكم ، لا تتحولون عنها ، ولا تخرجون منها ، ولكم فيها نعيم مقيم ، وفوز عظيم .

٤ — وفى هذا اليوم يَتَخَبَّط المنافقون والمنافقات الذين كانوا فى الظاهر مع المسلمين ، وفى الباطن مع الكافرين ، فى ظلمة الضلال والمعصية والكفر ، لا يدرون أين يتجهون ، فيطلبون من المؤمنين أن يرشدوهم إلى الطريق ، ويأخذوا بأيديهم إلى الجادّة ، ويقولون لهم : انظروا نحونا ، لعل قبساً من النور المنبعث من قلوبكم ، المضىء من صحائف أعمالكم التى بأيمانكم ، يهدينا الطريق المستقيم ، فيقول لهم المؤمنون : إن نورنا لنا ، يهدينا ويشعّ من

قلوبنا ومن كتبنا ، فلا يَهدى غيرنا ، فارجعوا وراءكم حيث أحرزنا هذا النور ، فاطلبوه والتمسوه فى الدنيا بالإيمان وصالح الأعمال ، ولن ترجعوا ، فلن تجدوا إذن نوراً ، ولن تهتدوا ، وحيل بينهم وبين ما يطلبون ، فأقيم بينهم وبين المؤمنين حاجز ، من جهة جانبه الظاهر للمنافقين جهنم ، يلاقون فيها العذاب ، ومن وراء هذا الجانب — حيث لا يراه المنافقون — الرحمة والجنة التى ينعم بها المؤمنون ، حينئذ ينادِى المنافقون الذين دخلوا فى الإسلام من باب ، وخرجوا منه من باب آخر ، ينادون المؤمنين ، ويقولون لهم : ألم نكن معكم فى الدنيا نصلى ونصوم ، ونقيم شعائر الدين كما كنتم تصلون وتصومون ، وتقيمون شعائر الدين ؟ فلماذا كتبت علينا النار ، وكتبت لكم الجنة ؟ فيقول لهم المؤمنون : ليس الأمر مجرد صلاة وصوم ، وإقامة شعائر الدين ، إذ لا بد أن يصاحبهما الإيمان ، وحقًّا لقد كنتم معنا ، لكنكم كنتم غير صادقين فى عبادتكم ، غير مخلصين فى إيمانكم ، ففتنتم أنفسكم ، وأوقعتموها فى البلاء ، وعملتم ما سبب لكم دخول النار ، وانتظرتم أن تدور الدوائر علينا ، فيهزمنا المشركون ، وينتصر علينا الكافرون ، وكنتم فى شك وريب من الدعوة إلى الإسلام ، فلم تصدُقوا فى الإيمان ، وخدعكم طول الأمل والأباطيل التى تُقدِّرونها ، وتمنون أنفسكم بها ، من زوال الإسلام ، وانتكاس أمر المسلمين ؛ لقد ظللتم على هذه الحال ، حتى جاء أمر الله ، وهلكتم وفارقتم الدنيا ، وعجزتم عن اكتساب صالحات الأعمال ، وخدعكم الشيطان ، وزين لكم النفاق بما وسوس فى صدوركم من الأمانىّ الكاذبة ؛ فاليوم لا سبيل إلى النجاة ، ولا يقبل منكم ولا من الكافرين أى فداء ، لتخرجوا من النار ؛ لقد ذهب الوقت ، وضاعت الفرصة ، والنار أولى بكم وأحق ، وهى بئس المصير الذى انتهيتم إليه !.

(٤)

من الآية ١٦ إلى الآية ١٩ من سورة الحديد

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ، وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ، فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ ، فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ؟ ٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلآيَاتِ ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ —١— . إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ، يُضَاعَفُ لَهُمْ ، وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ —٢—. وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ —٣— . وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألمْ يأن	ألم يأت الوقت ؟ .
أن تخشع قلوبهم	أن ترق قلوبهم وتذل وتلين .
وما نزل من الحق	والقرآن .

الألفاظ	شرحها
طال عليهم الأمد	طال عليهم الأجل ، والوقت الذى جاء بعد نزول التوراة .
فقست قلوبهم	فلم تتعظ بالتوراة ، فتركوا الطاعات ، واتبعوا الشهوات .
فاسقون	خارجون عن دينهم .
إن المصّدّقين	إن الذين تصدّقوا .
قرضاً حسناً	القرض الحسن : أن يتصدق الإنسان من خير المال عن طيب نفس من مال حلال ، على المستحق للصدقة .
الصدّيقون	المؤمنون إيماناً صادقاً ، وهم أصدقاء الله وأحباؤه .
والشهداء عند ربهم	والذين قتلوا فى الجهاد شهداء عند ربهم يوم الحساب على أعمال العباد ، وهم العدول الذين تقبل شهادتهم .
أصحاب الجحيم	يلازمونها كما يلازم الصاحب الصاحب .

إن القلوب القاسية بعيدة من الله

روى أن المسلمين كانوا مجدبين بمكة ، فلما هاجروا أصابهم الرزق والنعمة ، وشغلتهم شواغل الدنيا ، وفتروا عما كانوا عليه من عبادة الله ، ورقة القلب ، والخشية والانقياد لذكر الله ، فعوتبوا على ذلك ، ونُبهوا على أن الاشتغال بالدنيا ، وتعلّق النفس بها ، يميت القلب ، ويصرفه عن الطاعة ، ومراقبة الله فى عمله ، ونزل قوله تعالى : « ألم يَأْنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل

مِنَ الحقّ » ، وهذه الآية تنبه على ظاهرة اجتماعية شائعة بين الأمم ، وهى أن انقطاع الناس عن التذكير بالدين ، وتركهم العلم والمعرفة ، يؤدى بهم إلى قسوة القلوب ، وعدم تأثرها بالموعظة ، وذهاب خوفها من الله ، وعودتها إلى الجهل والضلال ؛ ولهذا ينبغى أن يقوم بين الجماعات دائماً من يُذَكِّرها بأمور الدين ، ويحيي قلوبها بالموعظة ، ويعيد إلى عقولها العلم والمعرفة ، وإلى نفوسها اليقين والهداية .

مجمل المعنى

١ — لقد نعى الله على المؤمنين تثاقلهم عن أمور الدين ، وتعلق نفوسهم بأمور الدنيا ، ونبههم على أن ذلك يُقَسِّى القلب ، ويصرفه عن الطاعة والخوف من الله ، وهذا يؤدى إلى المعصية ، وشيوع الشر بين الناس ، فقال : ألَم يَحِنِ الوقت للذين آمنوا بالله ، وانشرحت صدورهم بالهدى ودين الحق ، أن تخشع قلوبهم حين يذكرون الله ، ويسمعون ما أنزل إليهم من كتابه الحق ، فتطمئن به نفوسهم ، ويسارعوا إلى طاعة الله بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، من غير توان ولا فتور . ولا يكون شأنهم كشأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، حين كان كلٌّ من التوراة والإنجيل فى أول عهدهم به ، يحول بينهم وبين شهواتهم ، ويمنعهم من المعاصى والضلال ، فلما قدم عهدهم به ، وألفته نفوسهم ، ولم تتدبر مواعظه ، قست قلوبهم ، وغلبهم الجفاء ، وذهبت عنهم الروعة والخشية التى كانوا يستشعرونها من ذكر الله ، ولم يبق منهم على خوفه وإيمانه إلا قليل دخلوا فى الإسلام ، لما جاءهم به محمد ، وكثير منهم خارجون عن دينهم ، مائلون عما نزلت به كتبهم ؛ ألا فاعلموا أن الله يحيي القلوب الميتة ، ويبعث فيها الرقة واللين

والخوف بتذكره سبحانه وتعالى ، وبتلاوة آياته ، وتدبر ما فيها من هُدى وموعظة ، كما يحيى الأرض الموات ، فتنبت الزرع ، وتخرج الثمر ؛ ولقد بين الله لكم الآيات البينات ، والحجج الواضحات ، وضرب لكم الأمثال ، لعلكم تعقلون فتفكروا وتتدبروا ، وتأخذوا بما فيها من تكاليف وأحكام .

٢ — إن المتصدقين والمتصدقات ، الذين ينفقون الأموال فى مساعدة المحتاجين ، ودفع الضر عن الناس ، وتخفيف آلامهم وويلاتهم ، وكشف الجهل عن عقولهم ، والذين أقرضوا الله قرضاً حسناً بالأعمال الصالحة ، والإنفاق عن سعة وسماحة فى خفية ، سيضاعف الله لهم أجرهم على ما تصدقوا وما أقرضوا ، وهذا الأجر الذى يعطيه الله إياهم ، هو أجر كريم فى نفسه ، محمود كل الحمد ، نقىّ من شوائب المنّ والعنت ، فكيف إذا كان يعطيه إياهم أضعافاً مضاعفة ؟

٣ — والذين آمنوا بالله حق الإيمان ، واتبعوا رسله فيما جاءوهم به من الآيات والأحكام ، أولئك هم الصديقون الذين يرفع الله مكانتهم فى الآخرة ، ويعلى منزلتهم فى الجنة ، لأنهم بالغوا فى تصديق كل ما جاءهم به الرسل ، وجميع ما جاءهم من عند الله ، وسيخصهم الله بالكرامة ، فيجعلهم شهداء على أنفسهم وعلى غيرهم ، لأنهم مقربون عند الله ، مستحقون لحسن الثقة ، ولهم أجرهم وثواب أعمالهم ، ونورهم الذى يهتدون به إلى الجنة ؛

٤ — والذين كفروا بالله ، وكذبوا بآياته ، أولئك أعداء الله ، المسئولون بين يديه عما فعلوا ، وأولئك هم أصحاب الجحيم ، يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه ، لا يفارقونها ، بل يخلدون فيها أبداً .

(٥)

من الآية ٢٠ إلى الآية ٢١ من سورة الحديد

ٱعْلَمُوا أَنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ، وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ، وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ، ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ، وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ ، وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ —١— . سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ، أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ —٢— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لعب	اللعب : ما رغّب فى الدنيا .
ولهو	اللهو : ما ألهى عن الآخرة .
وتفاخر بينكم	يفتخر بعضكم على بعض بأمور الدنيا ، من قوة ومال ونسب .

الألفاظ	شرحها
الكُفَّار	الزُّرّاع ، لأنهم يكفُرون البذر فى الأرض ، أى يغطونه ويسترونه .
يهيج	يجف بعد خضرته .
حُطاماً	فُتاتاً متهشماً متكسراً كالتبن .
وفى الآخرة عذاب	وللكافرين فى الآخرة عذاب .
ومغفرة	وللمؤمنين مغفرة .
متاع الغرور	متاع يَغُر ويُلهى عن الآخرة .
سابقوا إلى مغفرة من ربكم	سارعوا بالأعمال الصالحة التى توجب المغفرة لكم من ربكم .
عرضها كعرض السماء والأرض	تمثيل للعباد بسعة الجنة بأوسع شىء يقع فى عقولهم وتصورهم ، وهو السماء والأرض .
ذلك فضل الله	ذلك النعيم استحقوه بفضل الله ، الذى ربط نعيم الجنة بالأعمال الصالحة .

مجمل المعنى

١ — نفَّر الله سبحانه وتعالى من التعلق بالدنيا بتهوين شأنها ، وتحقير أمرها ، فذكر الله مخاطباً عباده : أن الحياة الدنيا التى تشغل بالكم ، وتستهوى نفوسكم ، ما هى إلا عبث ، ولعب كلعب الصبيان ، ليس فيه جدوى ، ولا من ورائه طائل ، بل يعقبه خمود وهمود ، وانقباض وسكون ، وهى لهو يصرف الإنسان عن الجد ، ويشغله عن الآخرة ، ويلهيه عن الصواب ، وهى زينة مصيرها إلى زوال ، ومآلها إلى تغيّر ، وهى مفاخرة بالأحساب

والأنساب — وكل الناس لآدم، وآدم من تراب وإلى تراب — وتكاثر ومباهاة بالأموال والأولاد — والأموال عَرَض يجيء ويذهب، والأولاد ودائع الله تُعطَى وتؤخذ — فما قيمة دنيا قوامها أمور فانية، وأعراض زائلة، ومظاهر مستعارة، ما أعطت إلا لتأخذ، وما أحلَت إلا لتُمِر، وما أضحكت إلا لتُبكى، وما زهت إلا لتجِف؛ وإنما مثلها كمثل مطر يصيب الأرض فيرويها، فتنبت الزرع، ويخضرّ ويربو ويترعرع، فيقف الزُّرّاع عليه مُعْجَبين بنباته وخضرته، متوقعين الخير من الحب والثمر، معلقين عليه الرجاء والأمل، ثم تصيبه آفة، أو ينقطع المطر، فيذبل الزرْع، ويصفرّ ورقه، وتجف أعواده، ويتفتت ويتكسر، ويصبح هشيماً حطاماً كالتبن، ويذهب رواؤه وحسنه، وتذروه الرياح، ويصير كأن لم يَغنَ بالأمس، وكأن لم يكن حَسناً بهيجاً يُقر العين، ويشرح الصدر؛ فمن غرته الدنيا فمضى فى ركابها، وتلهى عن الآخرة، فله فيها عذاب شديد؛ ومن تذكر الآخرة، سعى لها سعيها وهو مؤمن، فله مغفرة من الله ورضوان؛ وليست الحياة الدنيا لمن اطمأنوا لها، وانغمسوا فى شهواتها، وأضلتهم عن سواء السبيل، ولم يجعلوها ذريعة للآخرة، إلا متاع المغرور الغافل عن الآخرة؛ قال سعيد بن جُبَير: الدنيا متاع الغرور، إن ألهتك عن طلب الآخرة؛ أما إذا دعتك إلى رضوان الله تعالى فنعم المتاع، ونعم الوسيلة.

٢ — تسابقوا وسارعوا مسارعة المتسابقين لأقرانهم فى مضمار الخير، للحصول على مغفرة الله واكتساب رضوانه، بالإيمان والطاعة، وللوصول إلى مكانكم فى الجنة العريضة كعرض السماء والأرض، الوسيعة فى ملكوت الله جل وعلا؛ ووصْفُ الله الجنة بالعرض والطول، تمثيل لما تدركه عقولنا، وتقريب

لما يقع فى حدود أفكارنا ؛ وقد أعدها للذين آمنوا بالله ورسوله ، ومعنى ذلك : أن الإيمان الصادق ، والاعتقاد الصحيح ، يؤدى إلى دخول الجنة ؛ فاللهم هب لنا إيماناً صادقاً ، واعتقاداً صحيحاً ؛ والإيمان الصادق يقضى أن نتتبع ما أمر الله به ، ونجتنب ما نهى عنه — وهذا الإيمان الذى يقتضى ثواب الجنة فضل من الله ، يهدى إليه من يشاء من عباده ، ويؤتيه من أراد من خلقه ، والله صاحب الفضل العظيم ، ومن كان فضله عظيماً فثوابه أعظم ، ورحمته أوسع .

(٦)

من الآية ٢٢ إلى الآية ٢٤ من سورة الحديد

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى
كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ —١— .
لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ، وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ —٢— . ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
من مصيبة	مما يصيبكم من خير أو شر .
فى كتاب	مكتوبة مثبتة فى علم الله .
من قبل أن نبرأها	من قبل أن نخلقها .
لكيلا تأسوا	لكيلا تحزنوا ولا تتبعوا ، ما فاتكم بالغم .
مُختال	متكبر ، لتخيله اختصاص نفسه بالفضائل .
فخور	شديد المباهاة بالأشياء التى تدعو إلى المفاخرة ، كالمال والجاه .

مجمل المعنى

١ - كل ما يصيب وما أصاب الأرض والناس من خير أو شر ، وكل ما يقع أو وقع فيها من نفع أو ضر ، ثابت فى علم الله ، هو يحيط به ، وهو يعلمه علماً تامًّا من قبل أن يخلق الأرض ، ويوجد الناس عليها ، فالقحط والجدب ، والزلازل وآفات الزروع والثمار ، وغلاء الأسعار ، والسيول الجارفة ، والخصب والعيون المتفجرة ، والأنهار الجارية ، والرخاء ، وآبار الزيت والمناجم ، والكنوز وغيرها ، ثابت فى علم الله ، لا تعزب عنه مثقال ذرة ؛ وكل ما يصيب النفوس من أمراض وعلل ، وجوع وخوف ، وفقد أهل وولد ، وكفر وعصيان ، وصحة وشبع ، وأمن وقرة عين ، وهدى وإيمان ، ثابت فى علم الله ، لا يغيب عنه قبل خلقه السموات والأرض ؛ والله سبحانه وتعالى الذى أوجد هذا الكون ، وأبدع خلق السموات والأرض ، يسير عليه أن يعلم ما يجرى فيهما قبل أن يخلقهما .

٢ - وقد أخبر الله أن ما يصيب الأرض والأنفس ثابت مكتوب ، لكيلا يشتد حزن الناس على ما فاتهم من خيرات ، ولا يشتد فرحهم بما أعطوا منها ، وليس المقصود أن الله يطلب منا ألا يكون منا مجرد فرح على ما نُعطى من خير ، ومجرد حزن على ما يفوتنا منه ، فإن الفرح والحزن من أمور الدنيا التى لابد أن تحدث ، وهما مَركوزان فى طبيعة الإنسان ، بل يطلب منا ألاّ يطغى الفرح على نفوسنا ، وألا يتملكنا الأشَر والبطر إذا أوتِينا المال أو القوة ، أو الجاه والنفوذ ، وألا يشتد حزننا على ما يصيبنا من شر ، وألا يكون معه جزع وضعف إيمان ؛ وفى التسليم بأن كل شىء من عند الله

تسلية للنفوس إذا أصابها ضر ، وتقوية لإيمانها إذا نالها خير ، وفيه نزوع وحفز إلى طلب الآخرة ، وبعد عن شدة الحرص على الدنيا ، وعدم المشاحة في التعامل ، وترك للحسد والحقد ؛ والله سبحانه وتعالى لا يحب المتكبرين ، الذين يفاخرون الناس ويباهونهم بما عندهم ، لأن الفخر والكبر يبعدان عن تذكر نعمة الله ، ويؤذيان عباده .

٣ — وقد ذكر الله من الصفات الذميمة للمتكبرين الفخورين ، أنهم يبخلون ، ويأمرون الناس بالبخل ، ذلك بأن المختال الذى يطغيه المال ، ويرى فيه سبب عزه وجاهه ، يحرص عليه كل الحرص ، ويمسكه فلا ينفق منه فى منافع العباد شيئاً ، ويصير الحرص لازماً له ، وطبيعة فيه ، بل يراه فضيله يأمر الناس بها ، ويحثهم عليها ، لكن الله غنى عن الإنفاق ، لا يضره إعراض الناس عنه ، والناس هم الذين يضرون أنفسهم بحرصهم وبخلهم ؛ ومن يتول ويعرض عما أمر الله به ، فقد ظلم نفسه ، وحرمها الثواب والأجر ، وساقها إلى العقاب ، وجلب عليها الحرمان ، والله هو الغنى عن عباده ، المحمود فى كل أفعاله .

(٧)

من الآية ٢٥ إلى الآية ٢٧ من سورة الحديد

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ، وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ
شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ،
إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ –١– . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ،
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ، فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ ، وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ –٢– . ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا ، وَقَفَّيْنَا
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ، وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ، وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ، مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ،
إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ، فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ –٣– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بالبينات	بالأدلة والمعجزات .
والميزان	مقاييس العدل وحدوده بين الناس ، وسلوكهم وفق ما فى الكتب .
بالقسط	بالعدل .
وأنزلنا الحديد فيه بأس	وخلقنا الحديد فيه شدة فيما خُلق له .
قفَّيْنا على آثارهم	جئنا بعدهم وعلى إثرهم برسلنا متتابعين ، نبيًّا بعد نبىّ .
ورهبانية ابتدعوها	الرهبانية : رفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهن ، والتعبد فى الأديرة ، وابتدعوها : أحدثوها من عند أنفسهم .
ما كتبناها عليهم	ما أمرناهم بها ، ولا فرضناها عليهم .
إلا ابتغاء رضوان الله	لكنهم أحدثوها بغية التقرب إلى الله ، والفوز برضوانه .
فما رَعوها حق رعايتها	فما قام بها مَنْ جاء بعدهم حق القيام .

مجمل المعنى

١ — يؤكد الله أنه أرسل رسله ومعهم الحجج الواضحة ، والبراهين القاطعة ، التى تدل على أنهم رسله إلى عباده ، اصطفاهم ليهدوهم ويرشدوهم إلى الإيمان ، واتباع أحكام الدين التى تكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة ، وأنه

أنزل معهم الكتب السماوية ، متضمنة للعقائد والأخلاق ، ونظام الأسرة والمجتمع ، وأصول التعامل بين الأفراد والجماعات ، ليدعوا الناس إلى اتباعها ، والسير على هديها ، وأنزل فى هذه الكتب مقاييس العدل وحدوده ، بما بين فيها من شرائع وأحكام ، وهذه المقاييس والحدود التى وضعت للعدل بين الناس ، هى الميزان ، وذلك ليقوم الناس باتباع ما جاء فى هذه الكتب ، وتنفيذ ما وضع فيها من حدود وأحكام بالقسط والعدل ، فيأخذ كل حقه مستوفى غير منقوص ، وفق أحكام الله المنزلة ؛ وكما بعث الله الرسل إلى العباد ، وأنزل معهم الكتب ، ورسم لهم الحدود والشرائع ليعملوا بها ، وَفق النَّصَفة والعدل والقيام بالقسط ، قد خلق الحديد ، وجعل فيه بأساً وشدة ، ووسيلة للقوة والرهبة ، والقتل والتنكيل والأسر ، كما أودع فيه للناس منافع كثيرة ، ليستعملوه فيما خلق له ، من دفع بغى وعدوان ، وفى النكاية بأعداء الله الظالمين عباده ؛ وقد أنزل الله الكتاب والميزان والحديد ، ليعلم الله علماً يتعلق به الجزاء والحساب ، مَن ينصره وينصر رسله بالحجج والبراهين المنتزعة من الكتاب المنزل ، وبإقامة العدل ، ووضع الميزان ، واتباع الحدود ، وتنفيذ الأحكام ، وبإعلاء كلمة الله ، والجهاد فى سبيله بآلات الحرب والقتال ، وهو غائب عنهم لم يروه بأعينهم ، ولكنهم عرفوه بالأدلة القائمة فيما خَلق لهم ، وأنزل عليهم ، ولم يخلق الله الحديد ذا البأس والقوة رغبة فى أن ينصره العباد ، فإنه قوى قاهر ، غنى عن نصرتهم بقدرته وعزته ، وإنما خلق الحديد ، وكلفهم الجهاد ، لمنفعة أنفسهم ، وتحصيل ما يترتب لهم من الثواب ؛ وقد ذكر الله للحديد فائدتين :

الأولى : أن فيه البأس والشدة والنكاية ، فآلات الحرب جميعها منه ، خصوصاً إذا أريد بالحديد جنس المعادن كما قال بعض المفسرين ، فمنه البنادق والمدافع ، والسيارات والمصفحات والدبابات ، والغواصات والطرادات والبوارج ، كما كان منه قديماً السيوف والرماح ، والدروع والخناجر .

والثانية : أن فيه منافع للناس ، وذلك واضح ، فما من شيء من ضروريات الحياة أو كمالياتها ، إلا وللحديد دخل فيه ، فسفن الملاحة ، والسكة الحديدية ، والقُطُر ، وأدوات الحرث والزرع والحصد ، والدرس والطحن ، والغزل والنسج ، وآلات البناء ومواده ، وآلات الطباعة ، وأدوات الزينة ، كل ذلك من الحديد أو راجع إليه .

ولقد امتنّ الله على عباده بالحديد ، ولم يمتنّ عليهم بما هو أغلى منه قيمة كالذهب والفضة ، لأنه أعم وجوداً وأكثر فائدة ، وأسهل تناولا ، وأرخص ثمناً ؛ ومن نعم الله على عبيده ، أنه سهّل وأكثَر كلّ ما تشتد حاجة الناس إليه ، وجعل أعظم الأشياء قيمة فى الحياة ، أكثرها وأسهلها تناولا ، وإلا فما فائدة الناس من الجواهر إذا قيست بالهواء والماء ، والبُرّ والشعير ؛ وإذا نظرنا إلى الأطعمة ، وجدنا ما هو لازم وضرورى منها ، أرخص ثمناً مما هو غير لازم .

٢ — ويؤكد الله تعالى أنه أرسل نوحاً إلى قومه ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وأرسل إليهم إبراهيم وهو من ذرية نوح ؛ ومن ذرية إبراهيم الأنبياء الذين جاءوا بالكتب الأربعة : التوراة والزبور والإنجيل والقرآن ، فالنبوة والكتاب لا يخرجان عن ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام ، ولذلك خصهما الله بالذكر ، فمن ذراريهم من اهتدى بكتب الأنبياء واتبعها ، ومنهم من فسق عن أمر ربه ، وضل السبيل ، وخرج على الدين الحق وكفر به ، أو بقى فيه ، لكنه ارتكب الإثم والفسوق والعصيان ، وهم كثيرون .

٣ — ثم أرسل الله عقب نوح وإبراهيم رسلا متتابعين ، رسولا بعد رسول ، حتى انتهى الأمر إلى عيسى ابن مريم ، فآتاه الإنجيل ، وجعل الله فى قلوب الذين اتبعوه وآمنوا به رأفة ورحمة على عباده ، كما جعلهم رحماء فيما بينهم ؛ لكنهم لما اشتد إيذاء بعض الجبابرة من الملوك بهم ، أحدثوا الرهبنة وابتدعوها ، طلباً لرضوان الله ، وابتغاء ثوابه ، ولبسوا المسوح ، والخَشِن من الثياب ، وتعبدوا فى الأديرة والكهوف والمغارات ؛ ولم يكتب الله هذه الرهبنة ، ولم يفرضها على اتباع عيسى عليه السلام ، لكنهم هم الذين أحدثوها ، فرعاها الأولون المخلصون حق رعايتها ، ثم خلف من بعدهم خلف لم يرعوا الرهبنة حق رعايتها ، فاتخذوها للرياء والشهرة وضمُّوا إلى الرهبنة التثليث ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمن به بعضهم ، فآتينا الذين آمنوا منهم نصيبهم من الأجر والمثوبة ، وكثير منهم فسق عن أمر ربه ، وظل على كفره وإلحاده .

(٨)

من الآية ٢٨ من سورة الحديد إلى آخر السورة

يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ، ٱتَّقُوا ٱللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ، يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ -١- . لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَنْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ ٱللهِ ، وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللهِ ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَٱللهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
كفلين	نصيبين .
لئلا يعلم	ليعلم ، ولا : زائدة .
أهل الكتاب	الذين لم يُسلموا من أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى .
أن لا يقدرون على شيء من فضل الله	أنهم لا ينالون شيئاً مما ذُكر من فضل الله ، من الكفلين والنور والمغفرة .
بيد الله	بقدرته وتصرفه .

مجمل المعنى

١ – خاطب الله المؤمنين من أهل الكتاب ، وطلب إليهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ووعدهم نصيبين من الأجر : نصيباً للإيمان بالأنبياء السابقين ، ونصيباً لإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ووعدهم أن يجعل لهم النور الذى يسعى بين أيدى المؤمنين وبأيمانهم يوم القيامة ، هادياً لهم إلى الجنة ، ووعدهم أن يغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم ، وهو واسع المغفرة لمن رجع إليه من عباده ، كثير الرحمة لمن اهتدى واتبع سبيل الرشاد .

٢ – وهذا الخطاب وجهه الله إلى من كانوا مؤمنين بموسى وعيسى ، وطلب إليهم فيه الإيمان بمحمد ، ووعدهم أن يضاعف الأجر على ذلك مرتين ، زيادة على النور والمغفرة ، ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، أنهم لا يقدرون على شيء مما ذكر من فضل الله ، وأنهم لا ينالون ثوابه ومغفرته ، إلا بالإيمان بمحمد ، وأن إيمانهم السابق بموسى وعيسى لا ينفعهم ، ولا يكسبهم فضلا ، إلا إذا أتبعوه بالإيمان بمحمد ، وأن الفضل والثواب بيد الله ، يؤتيه من يشاء من عباده ؛ والله صاحب الفضل العظيم على الناس أجمعين ، ليس لفرد من الناس ، ولا لأمة من الخلق .

فهرس الجزء السابع والعشرين من تفسير القرآن الكريم

الرقم	أسماء السور	أرقام الآيات فى المصاحف	أرقام الصفحات
١	الذاريات	من ٣١ — ٣٧	من ٣ — ٥
٢	«	« ٣٨ — ٤٦	« ٦ — ٨
٣	«	« ٤٧ إلى آخر السورة	« ٩ — ١٣
١	الطور	« ١ — ١٦	« ١٤ — ١٨
٢	«	« ١٧ — ٢٨	« ١٩ — ٢٣
٣	«	« ٢٩ إلى آخر السورة	« ٢٤ — ٣٠
١	النجم	« ١ — ١٨	« ٣١ — ٣٥
٢	«	« ١٩ — ٢٥	« ٣٦ — ٣٨
٣	«	« ٢٦ — ٣٢	« ٣٩ — ٤٣
٤	«	« ٣٣ إلى آخر السورة	« ٤٤ — ٥٠
١	القمر	« ١ — ١٧	« ٥١ — ٥٧
٢	«	« ١٨ — ٣٢	« ٥٨ — ٦٢
٣	«	« ٣٣ — ٤٢	« ٦٣ — ٦٥
٤	«	« ٤٣ إلى آخر السورة	« ٦٦ — ٦٩
١	الرحمن	« ١ — ٢٨	« ٧٠ — ٧٩
٢	«	« ٢٩ — ٤٥	« ٨٠ — ٨٥
٣	«	« ٤٦ إلى آخر السورة	« ٨٦ — ٩١
١	الواقعة	« ١ — ٢٦	« ٩٢ — ٩٧
٢	«	« ٢٧ — ٥٦	« ٩٨ — ١٠٣
٣	«	« ٥٧ — ٧٤	« ١٠٤ — ١٠٩
٤	«	« ٧٥ إلى آخر السورة	« ١١٠ — ١١٤
١	الحديد	« ١ — ٦	« ١١٥ — ١٢٠
٢	«	« ٧ — ٩	« ١٢١ — ١٢٣
٣	«	« ١٠ — ١٥	« ١٢٤ — ١٢٩
٤	«	« ١٦ — ١٩	« ١٣٠ — ١٣٣
٥	«	« ٢٠ — ٢١	« ١٣٤ — ١٣٧
٦	«	« ٢٢ — ٢٤	« ١٣٨ — ١٤٠
٧	«	« ٢٥ — ٢٧	« ١٤١ — ١٤٥
٨	«	« ٢٨ إلى آخر السورة	« ١٤٦ — ١٤٧

تفسير القرآن الكريم

الجزء الثامن والعشرون

(جزء قد سمع)

تأليف

محمود محمد حمزة

المفتش بالتعليم الثانوى والفنى (سابقاً)

والأستاذ بدار العلوم (سابقاً)

حسن علوان

المراقب بوزارة التربية والتعليم

محمد أحمد برانق

المفتش العام بالتعليم الإعدادى

الطبعة الثانية



ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف بمصر

تراجع الخطبة التى فى صدر تفسير الجزء الأول ، ونرجو أن يراعى فى هذا الجزء والأجزاء التى تليه ، أن الأرقام التى فى صدر مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها فى المصاحف ، وأن الأرقام التى تخللت مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها فى مجمل المعنى .

سورة المجادلة

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٢٢ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إلى اللهِ ،
وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ؛ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ -١- . الَّذِينَ
يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَاهُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ، إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا
اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ، وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ، وَإِنَّ
اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ -٢- . وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ
يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا ، فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ، ذٰلِكُمْ
تُوعَظُونَ بِهِ ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ
سِتِّينَ مِسْكِينًا ، ذٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَتِلْكَ حُدُودُ
اللهِ ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ -٣- . إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ

وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ، يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
قد سمع الله قول	استجاب الله دعاء .
تجادلك فى زوجها	تحاورك وتراجعك الكلام فى شأن زوجها .
وتشتكى إلى الله	وتظهر إلى الله ما بها من مكروه .
يسمع تحاوركما	يعلم تراجعكما الكلام وتخاطبكما .
إن الله سميعٌ بصيرٌ	إن الله لا يخفى عليه شىء من الأصوات ، عليمٌ بأحوال جميع الناس .
الذين يظاهرُون منكم من نسائهم	الذين يقولون لزَوْجاتهم : أنتن علينا كظهور أمهاتنا ، أى : محرّمات علينا .
ما هن أمهاتهم	ليس نساؤُهم أمهات لهم فى الحقيقة .
إن أمهاتهم إلا اللائى وَلدْنهم	ليست أمهاتهم فى الحقيقة إلا اللائى ولدْنهم من بطونهن .
منكراً من القول	كلاماً فظيعاً يُخالفُ الشرْعَ .
زُوراً	كذباً وباطلاً

الألفاظ	شرحها
إن الله لعفوٌّ غفورٌ	إن الله كثير العفو والمغفرة لمن ارتكب إثم الظِّهار .
يعودُون لما قالوا	يرْجعون عن قولهم ، ويرْغبون فى الاستمتاع بزوجاتهم .
فتحرير رقبة	فعليه أن يمنح عبداً حريته .
منْ قبل أنْ يتماسا	من قبل أن يستمتعَ كل منهما بالآخر .
ذلكم	الحكمُ بالكفارَة .
توعظُون به	تُزْجرُونَ بهذه الكفارَة ، لارْتكابكم هذا المنكر .
متتابعين	لا يفصل يومٌ عن يوم ، ولا شهرٌ عن شهر بفطر .
لتؤمنوا بالله ورسوله	لتصَدقوا بما جاء به الرسولُ ، وتعملوا بما أمركم به الله ، وتتركوا ما كنتم عليه فى الجاهلية .
حدُودُ الله	شرائعه وأحكامه التى لا يجوزُ تعديها .
وللكافرين عذابٌ أليم	وللجاحدين المتعدين حدودَ الله عذابٌ مؤلمٌ .
يحادونَ اللهَ ورسوله	يعادُونَ اللهَ ورسوله ، فيتخذون لهم شرائع غير الشرائع التى أنزلها الله على رسوله .
كُبِتوا	أُذلوا وأُخزُوا .
آيات بينات	حججاً وأدلة واضحات من القرآن .
مهينٌ	يهينهم ويخزيهم .
يبعثهم	يحييهم بعد الموت ، ليحاسبهم على أعمالهم فى الدنيا .
فينبئهم	فيخبرهم .

قصة هذه الآيات

كانتْ خوْلةُ بنتُ ثعلبةَ الأنصَارية، زوجة لأوْس بن الصامت، فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم . وكان أوْسٌ رجلا سريعَ الغضَب ؛ وقد طلبَ من زوجته أمراً فلم تجبهُ إليه ، فغضب منها ، وقال لها : أنت علىّ كظهر أمى . وكان من عادة أهل الجاهلية ، أن الرجلَ إذا قال لامرأته هذا الكلام ، طلقت منه ، وحرُمت عليه ؛ وسمى هذا الكلام ظِهاراً ، فحزنت المرأةُ ، وندمَ زوجها على ما حصَلَ ، وقال لها : ما أراكِ إلا قد حرُمت علىّ ؛ وكان هذا أول ظهار حدَثَ فى عهد النبى ، ولا يعرف الناسُ حكمَ الإسلام فيه .

فذهبت المرأةُ ، وقصتْ على رسول الله ما حصلَ من زوجها ، لعله يُفتيها بشىء ، ويجمعُ بينهما ، وتعودُ حلالا إليه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما أُمِرْنا فى شأنك بشىء » : أىْ لم ينزلْ علىّ الوحى فى أمركِ هذا بشىء ، فقالت المرأةُ : أشكو إلى الله حالى وفقرى ، وأنه زَوْجى وابنُ عمى ، ولى منه صبية صغار ، إن ضممتهم إلىّ جاعوا ، وإن ضممتهم إليه ضَاعوا ، تزَوجنى وأنا شابةٌ ذات مال وأهل ، فلما ذهب شبابى ، وأنفق مالى ، وتفرق أهلى — ظاهر منى وتركنى ، فاستجاب الله دعاء هذه المرأة ، وأنزلَ فى أمرها هذه الآيات الكريمة ، وحرّم على الرجال الظهار ، ولم يجعله طلاقاً ، كما كان متبعاً فى الجاهلية .

مجمل المعنى

١ — قد استجابَ اللهُ دعاء المرأة التى جاءتْ إليكَ يا محمدُ لتستفتيكَ فى أمر زَوْجها ، وتراجعك الكلامَ فى شأنه ، واللهُ يسمعُ الحديثَ الذى حصَلَ بينكما ، لأنه سبحانهُ وتعالى يسمعُ كل من يناديه ، ويُنصف كل من يتضرعُ إليه .

٢ — واللهُ — سبحانهُ وتعالى — قد استنكرَ الظِّهارَ من الرجال فى الإسلام ، وَحرمه عليهم ، وزَجرَ المظاهرين من نسائهم ، لأنهم يُشبهون الزوْجات بالأمهات ، والزوْجةُ لا تكون أمًّا ، لأن الأم محَرمةٌ على ابنها ، والزوجةُ حلالٌ لزوجها ، وأمُّ الرجل هى التى وَلدَتهُ ، وزَوْجتهُ لم تلدهُ ، فكيف تكونُ زوجتهُ كأمه ؟ ! وهؤلاء الذين يظاهرونَ من نسائهم ، ويجعلونَ زوجاتهم كأمهاتهم — يقولون كلاماً منكراً يخالفُ الشرعَ ، وكذباً باطلا فى الحقيقة ، واللهُ يعفو عن المذنبينَ ، ويغفرُ لهم إذا كفَّرُوا عن خطاياهم ، ولم يعودُوا إلى ذُنُوبهم .

٣ — وقد أوْجبَ اللهُ على المظاهرين إذا أرادوا أنْ يعودوا إلى زوجاتهم ، ويتداركوا ما سبقَ إليه لسانهم — أن يكفِّرُوا قبل الاستمتاع بهن ؛ وكفارةُ الظِّهار على ثلاثة أنواع ، وهيَ مرتبةٌ ، فلا يجوزُ أن ينتقل المظاهرُ إلى النوْع الثانى حتى يعجز عن الأول ، ولا ينتقلُ إلى النوع الثالث حتى يعجز عن الثانى :

الأول : تحريرُ رقبة ، أىْ عتقُ عبد من الرق وجعله حرًّا ، سواءٌ أكانت هذه الرقبةُ ذكراً أم أنثى .

والثانى : صيام شهرين متتابعين : أى متوالية أيامهما بالصوم ، فلا يُفصل بالفطر يومٌ عن يوم ، أو شهرٌ عن شهر .

والثالث : إطعامُ ستين مسكيناً مرة واحدة ، طعاماً من غالب قوت البلد .

هذا حكمُ الله فى الظهار بيّنه لكم ، لتؤمنوا بما شرّعه اللهُ لرسوله ، فتصدقوه وتعملوا به ، وهذه حدود الله وشرائعه ، يجب أن تتبعوها ، وللكافرين الذين يجحدون شرائعَ الله ويخالفونها عذابٌ أليمٌ .

٤ ـ والذين يعادُون اللهَ ورسوله ، مع ما أنزلَ على الرسول من الحجج الدالة على صدقه ، وصحة ما جاء به ، فيخالفون شرائعهُ ـ لهم الذل والهلاك فى الدنيا ، كما أذل اللهُ من سبقوهم من كفار الأمم السالفة وأهلكهم ، ولهم فى الآخرة عذابٌ مهينٌ يومَ يبعثهم اللهُ من الموت ، فيحاسبهم فى الآخرة على أعمالهم فى الدنيا ، التى يعددها عليهم واحدة واحدة على رُءوس الأشهاد ، تشهيراً بهم ، وتوبيخاً لهم ، لا يترك منها كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها الله عليهم ، وإنْ كانوا قد نسُوها ، والله على كل شىء شهيدٌ ، يسعُ علمه كل ما فى السموات وما فى الأرض .

(٢)

من الآية السابعة إلى الآية العاشرة من سورة المجادلة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ؟
مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ، وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ
سَادِسُهُمْ ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا
كَانُوا ؛ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ –١– . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا
عَنْهُ ، وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ؟ وَإِذَا جَاءُوكَ
حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ ، وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ : لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ
بِمَا نَقُولُ ! حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ، فَبِئْسَ الْمَصِيرُ –٢– . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا ، إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ،
وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ، إِنَّمَا
النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا
إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ –٣– .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
ألم تعلمْ أن اللهَ يحيطُ علمهُ بكل شيء ؟	ألم ترَ أن الله يعلمُ ما فى السموات وما فى الأرض
لا يحصُل سرٌّ بين ثلاثة إلا علمه اللهُ ، كأنه رابعٌ معهم .	ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم
ولا أقل من هذا العدد	ولا أدْنَى من ذلك
فى أى مكان كانوا	أينما كانوا
يخبرهُم يومَ القيامة بالذى عملوه فى الدنيا ، إظهاراً لقبائحهم	ينبئهم بما عملوا يومَ القيامة
طُلبَ منهم أنْ يكفوا عن المسارَّة التى تؤْذى المؤْمنين .	نهُوا عن النجوَى
يتسارُّون بالذنب والظلم والجوْر	ويتناجوْن بالإثم والعدْوان
يقُولُون فيما بينهم	ويقولون فى أنفسهم
إن كان محمدٌ نبيًّا كما يزْعم ، فلماذا لا يعذبنا اللهُ بدعائنا عليه .	لوْلا يعذبنا اللهُ بما نقول
تكفيهم جهنمُ	حسبهم جهنمُ
يدْخلُونها ويقاسون عذابها	يصْلوْنها
فبئس المرْجعُ والمآلُ : جهنم !	فبئس المصيرُ
تحدثتم حديثاً سرًّا فيما بينكم	تناجيتم
بالخير والخوف من الله	بالبرِّ والتقوى
تجمعُون أمامه يوم القيامة ليحاسبكُم على أعمالكم .	تحشرُون

الألفاظ	شرحها
إنما النجوى من الشيطان	المسارَّة التى تكون فى الإثْم والعدوان من عمل الشيطان.
ليحزُنَ الذينَ آمنوا	ليؤَدِّى هذا إلى حزْن المؤمنين ، لتوَهمهم أن المسارة بسبب نكبة أصابتهم
وليسَ بضَارهم شيئاً	ولا يضر المؤمنينَ أن يَتحدثَ المنافقون عنهم فى السرِّ.

قصة هذه الآيات

كان قومٌ من اليهود والمنافقين يجتمعون ويتحدثون فى السر بما يؤْذى المؤمنين ، ويوصى بعضُهم بعضاً بمعصية الرسول ومخالفته .

وكان المؤمنون إذا مروا بهم يتغامزُون بأعينهم ، وتتحرك ألسنتهم وشفاههم بكلام خافت لا يفهمهُ المؤمنون ، فيحسبون أنهُم يتحدثُون عن أبنائهم وإخوانهم وأقربائهم الذين خرَجوا للجهاد والقتال فى سبيل الله ، ويظنونَ أن اليهودَ والمنافقين بلغهم عنهم أنهم قتلوا أو هزُموا ، فيحزَنون لذلك أشد الحزْن .

فلما طال ذلك ، واستمرَّ هذا الحالُ من اليهود والمنافقين ، شكا المؤمنون أمرَهم إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فأمر النبى هؤلاء المنافقين واليهود أن يكفُّوا عن المناجاة بشأن المسلمين ، أى يتركوا الحديثَ الذى يتحدثُونَ فيه سرًّا فيما بينهم ولا يسمعه المؤمنون ، حتى لا يحزَنوا ، لكن المنافقين واليهود لم ينتهُوا ، واستمروا فيما يغيظ المؤمنين ويحزنهم من أمر هذه المناجاة

لم يقتصرْ المنافقون واليهود على هذا الكيد للمسلمين ، لكنهم كانوا يجيئون إلى النبى فيقولون له : السَّامُ عليك يا محمد : ومعنى السام : الموتُ ، فكأنهم بدلا من أن يحيوا النبى بكلمة طيبة ، يدْعونَ عليه بالموت ، وهم يوهمُونَ الناسَ أنهم

يقولون : السلامُ عليكَ يا محمدُ ، والنبى صلى الله عليه وسلم يسمعُ حقيقة ما يقولون ، فيردُ عليهم بقوله : « عليكم » .

وفى ذات مرة سمعتهم السيدةُ عائشةُ وهم يقولون للنبى : السامُ عليك يا محمدُ ، فغضبت وقالت : بلْ عليكم السامُ واللعنةُ ، فلم يرْضَ النبى أن تستعملَ ألفاظاً مثل ألفاظهم ، وأراد لها أن يعتاد لسانها أدبَ الخطاب ، حتى مع الأعداء والسفهاء ، فقال لها : « مهلا يا عائشة ، إن اللهَ يكرَهُ فاحشَ الكلام ، بل قولى لهم مثل ما قلتُ : عليكم ، واسكتى » ؛ نِعم ما أدب اللهُ به نبيهُ عليه الصلاة والسلام ! وفى هذه القصة نزلت الآياتُ الكريمةُ السابقةُ .

مجمل المعنى

١ — ألم تعلمْ يا محمدُ أن اللهَ مطلعٌ على كل شىء فى السموات وفى الأرض ، ما ظهرَ منهُ وما بطنَ ؟ وأنه يعلمُ السر الذى يقعُ بين أى عدد من الناس ، فيعلمُ السر الذى يقعُ بين ثلاثة أشخاص ، كأنه رابعٌ بينهم ، وبين خمسة أشخاص ، كأنه سادسٌ معهم ، ويعلم السر الذى يقعُ بين عدَد أقل من ذلك أو أكثر ، فى أى مكان كان هذا السر : فى داخل بناء أو فى خلاء ، بعيداً عن أعين الناس أو تحتَ أعينهم ؟ وسيخبر اللهُ هؤلاء الناسَ يومَ القيامة بما عَملوا فى الدنيا ، لأنه بكل شىء عليمٌ .

٢ — ألم تعلمْ يا محمدُ حالَ أولئكَ اليهود والمنافقين ، الذينَ طلبتَ منهم أن يترُكوا المناجاةَ وإسرارَ الحديث فى أذَى المؤمنين ، ومَعصية الرسول ، فكانوا يعودون إلى ارتكاب ما نُهيتهم عنه ؟ وإذا جاءوك حيوك بسفاهة ودُعاء عليك ؛ واللهُ سُبحانه وتعالى يدْعوك بخير دُعاء ، فيقول لك : « يأيها الرسولُ » ، ويحييك بأطيب تحية فيقول : « وسلامٌ على عباده الذين اصْطفى » ؛ وكانوا

يقولون : ماله إن كان نبياً لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فيه ؟! يكفيهم عذاب جهنم الذى ينتظرهم ، وجهنم بئس المآل والمصير ! .

٣ — وقد نهى الله المؤمنين أن يفعلوا مثل ما يفعله اليهود ، فقال لهم : إذا تناجيتم وتساررتم ، فلا تتناجوا بالشر والمعصية ، ولكن تناجوا فى أفعال الخير والطاعة والخوف من عذاب الله ، الذى يحاسب الناس يوم القيامة على أعمالهم ، لأن المناجاة فى الشر والعدوان ومعصية الرسول ، من وساوس الشيطان ، ليحزن بها المؤمنين ؛ وإذا كان يقصد بها ضرر المؤمنين ، فإن المؤمنين لا يضرهم شىء إلا بإذن الله وإرادته ومشيئته ؛ والمؤمنون يجب أن يتوكلوا على الله فى جميع أمورهم ، ولا يخشوا من إنسان ضرراً ، ولا يترقبوا منه نفعاً إلا بإذن الله .

(٣)

من الآية ١١ إلى الآية ١٣ من سورة المجادلة

يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِذَا قِيلَ لَكُمْ : تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ، فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ —١— . وَإِذَا قِيلَ : انْشُزُوا ، فَانْشُزُوا ، يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ —٢— . يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً —٣— . ذٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ —٤— . أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ؟ ! فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ ، فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ —٥— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تفسحوا في المجالس	توسعوا في المجالس ، ولا يضايق بعضكم بعضاً فيها .
فافسحوا يفسح اللهُ لكم	فليوسعْ كلٌّ منكم لغيره ، يوسع اللهُ لكم في رحمته ، ومنازل جنته .

الألفاظ	شرحها
انشزوا	انهضوا لتوسعوا للمقبلين عليكم .
يرفع اللهُ الذين آمنوا	فإن نهضُوا يرفعهم الله بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا ، ويؤوهِم فى غرف الجنات فى الآخرة .
والذين أوتُوا العلمَ دَرَجات	ويختص العلماءَ لعلو شأنهم بدرجات فوقَ درجات المؤمنين .
إذَا ناجيتمُ الرسولَ	إذا أسرَرْتم إليه حديثاً .
فقدموا بَين يدَىْ نجواكم صدقة	فتصدقوا قبل مناجاة الرسول .
ذلك	تقديمُ الصدقة قبل المناجاة .
وأطهرُ	أزْكَى لنفُوسكم .
أأشفقتم أنْ تقدموا بين يدَىْ نجوَاكم	أخفتم ذهابَ المال فى الصدقة ، وَبخلتم أن تقدموه قبلَ مناجاتكم ؟
فإذْ لمْ تفعلوا	فإذْ لم تقدموا الصدقةَ قبلَ المناجاة عجزاً منكم ، أو بخلا بما لكم .
وتابَ اللهُ عليكم	خففَ الله عليكم ، وأزالَ عنكم المؤاخذةَ بتركِكم تقديمَ الصدَقة قبلَ المناجاة

الصُّفَّة

الصُّفَّةُ من البنيان : شبهُ البهو الواسع ، الطويل السَّمْك ؛ وتطلق الصُّفَّة أيضاً على موْضع مظلل فى مسجد المدينة ، كان يأوى إليه فقراءُ المهاجرين ، ممنْ لم يكنْ له منزلٌ يسكنه .

مجمل المعنى

١ — كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس فى الصُّفة يوْم الجمعة، فتضيقُ بالجالسين، لأن كل قادم إلى المسجد كان يريد أنْ يأخذَ مكانهُ بالقرْب من النبى صلى الله عليه وسلم؛ وكان عليه الصلاةُ والسلامُ يكرمُ أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء أناسٌ من أهل بدر فيهم ثابتُ بن قيس، وكان فى أذُنيه وقرٌ (ثقل فى السمع)، وقد سُبِقوا إلى المحل القريب من النبى، فقاموا حيال النبى على أرْجلهم، ينتظرون أن يوَسَّع لهم، فلم يفسحْ لهم أحدٌ؛ فشق ذلك على النبى، وقال لمن حوْله من غير أهل بدر: قمْ يا فلانُ، وأنتَ يا فلانُ، بعدد القائمين من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيمَ، وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهيةَ فى وجوههم، وغمزَ المنافقون، وقالوا: ما أُنصِفَ هؤلاء، وقد أحبُّوا القربَ من نبيهم، فسبقوا إلى المكان، فأنزل اللهُ عز وجل: «يأيها الذين آمنوا، إذا قيل لكم: تفسحوا . . .»

٢ — وفى هذه الآيات أمرَ اللهُ تعالى المؤمنين بما يكون سبباً للمودة والتآلف، وسبيلا إلى التراحم والتعاطف، فحثهم على ألا يتزاحموا فى المجالس، وأن يوسع بعضهم لبعض، وإذا طلبَ منهم أن ينهضُوا من مجالسهم، ويَترُكوها لمنْ همْ أحق بالراحة أو الإكرام منهم: لتقدمهم فى السن، أو لرُسوخهم فى علم أو دين، فليمتثلوا بلا ملل أو ضجر، فيوَسعَ اللهُ لهم فى رحمته وفضله؛ وإن المؤمنين الذينَ يتحلَّون بمثل هذه الآداب، يرفعُ اللهُ شأنهم فى الدنيا بالنصر وحسن الذكْر، وينزلهم فى الآخرة غرَفَ جنات النعيم، ويختص العلماءَ منهم بدرجات فوقَ درجات المؤمنين؛ وتشيرُ هذه الآيةُ إلى أمور ثلاثة يجدرُ بنا تبيانها:

الأول: أن كل من وسعَ على الناس أبوابَ الخير والراحة، وآثرَ بالإكرام والاستقرار من

هم أحق بذلك ، لسنِّهم أو فضْلهم، وسعَ اللهُ عليه خيرات الدنيا والآخرة .

والثانى : التنويهُ بشأن العلماء ، وتفضيل الله المؤمنَ العالمَ على المؤمن الجاهل : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والثالث : أن الرفعةَ عند الله إنما تكون بالعلم والتقوى ، لا بالمال والجاه ، والسبق إلى تصدُّر المجالس ؛ وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الأغنياء يقبضُ ثوبهُ نفوراً من رجل فقير ، أرادَ أن يجلسَ بجواره ، فأنكر النبى صلى الله عليه وسلم على الغنى ذلك وقال : « يا فلانُ، خشيتَ أن يتعدى غناكَ إليه ، أو فقره إليك ؟ ».

٣ — وكان بعضُ المسلمين قد أكثرُوا من الانفراد برسول الله صلى الله عليه وسلم ومناجاته ، والإسرار إليه بالحديث ، وكان منهم من لا يقصدون بتلك المناجاة مجردَ تلقى الإرشاد من النبى ، وإنما كان قصْدُهم منها أن يُظهروا أن لهم منزلة عند النبى ،وأن يوقعوا فى رُوع غيرهم من المؤمنين ، أنه صلى الله عليه وسلم يختصهم بالإيثار والتقريب ، ويَجعلهم دُونَ غيرهم موضعَ سره ومناجاته، ثقةً بهم، وإكبارًا لشأنهم ، كما نرى من تقرب بعض الناس فى هذا الزمان من ذَوى الجاه والسلطان ، لغرض الدنيا وابتغاء الظهور؛ وكان النبى صلى الله عليه وسلم سمْحاً لا يرُد من يريدُونَ مناجاته ، والإسرارَ إليه بما شاءوا من حديث ، حتى شقُّوا عليه ، فأراد اللهُ أن يخففَ عنهُ مشقةَ المناجاة ، ففرضَ على كل من يريدُ مناجاة النبى أن يتصدَّقَ قبلَ نجواه ، فكفَّ كثيرٌ من الناس عما كانوا قد تعودُوا من مناجاته ، خوفاً على المال أن يذْهبَ فى الصدقة ، أو عجزاً عن الحصول على ما يتصدقون به.

٤ — وتقديم الصدقة خيرٌ لكم أيها المؤمنون وأطهرُ ، لأنكم إذا كنتم

تريدون أن تستأثروا بالإفضاء إلى النبى بأسراركم ، وتحرموا غيركم من المؤمنين ، فعليكم أنْ تتصَدقوا جزاء ما تحمِّلون نبيكم من مشقة ، وما تفوِّتون على غيركم من فرصة الاستفادة من التحدث إليه، وهذه الصدقةُ قبل المناجاة لن تضيع عليكم، بل ستنالون بها ثوابَ الله ، وتطهرون بها نفوسكم مما يكون قد شابها من قصد التظاهر بمناجاة النبى ، أو بما ارتكبتم من عناء المشقة على النبى بكثرة مناجاتكم له ، وإذا كان فيكم فقراءُ يريدون مناجاةَ النبى ، وعجزوا عن تقديم ما فُرض عليهم من الصدَقة ، فإن اللهَ لا يؤاخذُهم على المناجاة بغير صدقة ، ويغفرُ لهم عدمَ القيام بها ، ويشملهم برحمته ورضْوانه .

٥ — ولما نزلت هذه الآية، وصار مفروضاً على كل من أرادَ مناجاةَ النبى أن يقدِّمَ صدقة ، ظهرت مشقةُ ذلك على الناس ، لأنهم يحبُّون مناجاةَ النبى ، والإفضاءَ إليه بذات نفوسهم ، ولكنهم أشفقوا وخافوا أن يذهبَ مالهم فى الصدقات ، أوْ يعجزوا عن تقديم ما به يتصَدقون ، فخففَ اللهُ عن عباده ، ورَخصَ لهم فى المناجاة مع ترك الصدقة ، وعفا عمن لم يتصَدقْ قبلَ النجوى ، اكتفاء بما فرض الله على الناس من الصلاة والزكاة ، وبما أوْجبَ عليهم من طاعة الله ، باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وطاعة رسوله ، بالاقتداء بسنته والأخذ بشريعته .

(٤)

من الآية ١٤ من سورة المجادلة ، إلى آخر السورة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ؟ -١- مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ، وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ؟ ! أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ! -٢- . اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ، فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ -٣- . لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . ، يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ؛ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ -٤- . اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ ، أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ -٥- . إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ -٦- . كَتَبَ اللهُ : لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ، إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ -٧- . لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَٰئِكَ

كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ ، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ –٨– . وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أُولٰئِكَ حِزْبُ ٱللهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ –٩– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الذين َتولَّوْا قوماً غضبَ الله عليهم	هم المنافقون الذين تولَّوُا اليهودَ ، واتخذوهم أولياءَ وأصدقاءَ مع غضب الله عليهم .
ما همْ منكم ولا منهم	ليس المنافقون منكم أيها المسلمون ، وليسوا من اليهود ، ولكنهم مذَبذَبون ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .
على الكذب	على ادعائهم الإسلام ، مع أنهم كاذبون .
وهم يعلمون	وهم يعرفون أنهم متعمدون الكذب .
ساءَ ما كانوا يعملون	بئس الأعمالُ أعمالهم !
أيمانهم	جمعُ يمين ، وهو الحلف والقسمُ .
جُنة	وقاية وستاراً .
فصَدوا عن سبيل الله	فمنعوا الناسَ عن الإسلام بالتثبيط .
ويحسبون أنهم على شىء	ويَظنون أن حلفهم على الكذب ينجيهم من العذاب .
استحوَذَ عليهم الشيطانُ	استولى الشيطان عليهم وغلب ، وتملك نفوسهم ، وأحاطَ بهم
حزْبُ الشيطان	جماعته وجنده .

الألفاظ	شرحها
يحادّون الله	يعادُون الله ويخالفُونه .
فى الأذلّين	فى زُمرَة من هم أذل خلق الله .
كتبَ الله	قضَى .
يوادُّون	يحبون .
كتبَ فى قلوبهم الإيمانَ	أثبته ومكّنه فى قلوبهم .
أيَّدَهم	قوَّاهم .
برُوح	بإيمان وهدًى ونور ألقاهُ اللهُ فى قلوبهم .

مجمل المعنى

١ — كان المنافقون يجالسون النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ينقلون حديثه وأخبارَ المسلمين إلى اليهود؛ وكان رأسُ المنافقين عبدَالله بن أبىّ بن سلُول ، وعبدَ الله بن نَبْتل ؛ وكان النبى صلى الله عليه وسلم جالساً بين أصحابه يوماً ، إذ قال لهم : « يدخلُ عليكم الآنَ رجلٌ قلبه قلبُ جبار ، وينظرُ بعينىْ شيطان » ، فدخل عبدُ الله بن نبتل — وكان أزرقَ أسمرَ، قصيراً خفيف اللحية — فقال عليه الصلاةُ والسلامُ : « علامَ تشتمنى أنتَ وأصحابك » ؟ ! فحلفَ بالله ما فعلَ ذلك؛ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : «فعلتَ» ، فانطلقَ فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما سبوه ، فنزل قوله تعالى : « ألم ترَ إلى الذينَ تولَّوْا ... » إلى آخر الآية .

٢ — وقد بيَّنَ اللهُ للنبى فى هذه الآية حالَ المنافقين وموْقفهم منه ، بموالاتهم لليهود ومصادقتهم لهم ، ورفعَ أحاديثه وأخبار المسلمين إليهم ، وأنهم بهذا

النفاق ليسوا من المسلمين وليسوا من اليهود، ولكنهم مذَبذَبون بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ؛ فإذا كشفَ النبى أمْرهم، وأظهرَ للمؤمنين حقيقتهم، حلفُوا أنهم مسلمون ، وأنهم ما سبوا النبى عندَ اليهود ، مع أن ادعاءَهم الإسلام ، وادعاءهم عدم سب النبى الذى حلفوا عليه، كذبٌ محض، وهم يعلمون أنه كذبٌ ويتعمدونه ؛ وقد أعد اللهُ لهم عذاباً شديداً يومَ القيامة على كذبهم ونفاقهم، لأنهم يقومون بأخس الأعمال ، ويتصفون بأقبح الصفات ، وبئسَ ما يعملون !

٣ — وقد اتخذوا من أيمانهم التى يحلفونها جُنة لهم ، وستاراً يسترُ نفاقهم ، ووقاية تقيهم إضرار المسلمين بهم ، فصَدوا ضعفاءَ النفوس عن الإسلام ، وثبَّطوا من بَموا منهم على إسلامهم، وخوفوهم الجهادَ، وأقعدوهم عنه بالتوْهين من أمر النبى وقوة أصحابه ؛ وجزاؤُهم على ذلك عذابٌ شنيعٌ، فيقتلون فى الدنيا شر قِتلة ، ويُلقوْن فى الآخرة فى نار جهنم خالدين فيها أبداً .

٤ — وكان المنافقون إذا خلوْا إلى شياطينهم قالوا : إن محمداً يزعمُ أنه سينتصر يومَ القيامة ، لقد شقينا إذَنْ ؛ لئن كانت قيامة — كما يزعم — لنُنْصَرَنَّ فيها بأموالنا وأولادنا وأنفسنا ؛ فنفى اللهُ هذا الزعمَ الفاسدَ ، وهددَهم بأن ما يعتزون به من أموال وأولاد يقاومون بها النبى فى الدنيا، لن تقربهم إلى الله فى الآخرة ، ولن تمنعَ عنهم شيئاً من عذاب يوم القيامة ، ولكنهم سيكونون حطب جهنم ، يقاسون فيها دائماً عذابَ الهون، يومَ يبعثهم اللهُ جميعاً هم وأولادهم، ويساقون إلى النار سوْقاً لا ينفعهم فيها مالٌ ولا ولدٌ ، وقد تمكن الكذبُ من نفوسهم ، واستبد الباطلُ بهم ، فنسوا يوم القيامة أنهم أمام الحق الذى لا يخفى عليه خافيةٌ فى الأرض ولا فى السماء ، ويحلفون أيضاً أمام الله أنهم مؤمنون ، ويقولون: والله ربنا ما كنا مشركين ، كما كانوا يحلفون لكم فى الدنيا أنهم مؤمنون ، وهم ليسوا بمؤمنين ، ولكنهم مقيمون على الكذب ، قد تعودُوه حتى جرى على ألسنتهم فى الآخرة، كما جرى على ألسنتهم فى الدنيا ، ويحسبون أنهم بهذا

الحلف الباطل قد كسبوا شيئاً ، أو خدعوا أحداً ، ولكن حالهم معروفٌ ، وخداعهم مكشوفٌ ، والكذب قد صار لهم طابعا ، لا يفارقهم فى الدنيا ولا فى الآخرة .

٥ — وقد غلبت الضلالةُ على هؤلاء ، واستولى الشيطانُ عليهم ، وتملك نفوسَهم ، فغفلوا عن طاعة الله وتركوا أوامرَه ، وشغلوا أنفسَهم بالمأكل والمشرب والملبس ، وشغلوا قلوبهم عن التفكر فى نعم الله والقيام بشكره ، وشغلوا ألسنتهم عن ذكر الله بالكذب والغيبة والبهتان ، حتى أبعدتهم تلك الخصالُ عن رضا الله ، وصاروا جنوداً للشيطان ، باعوا الجنةَ بالنار ، وباعوا الهدى بالضلال ، فكانوا هم الخاسرين .

٦ — ولما فتح اللهُ مكةَ والطائفَ وخيبرَ وما حولها للمؤمنين ، قالوا : نرْجو أن يظهرنا الله على فارسَ والرومَ ، فقال عبدُ الله بن أبىّ رأس المنافقين : أتظنون الرومَ وفارسَ كبعض القرى التى غلبتم عليها ، والله إنهم لأكثرُ عدَدا ، وأشد بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك ؛ فنزل قوله تعالى : «إن الذين يحادُّونَ اللهَ ورسوله أولئك فى الأذَلين ... » .

٧ — ويُؤكدُ الله تعالى فى هذه الآية أن أذَل الناس وأسوأهم عاقبة ، هم الذين يخالفون حدودَ الله ويُعاندُونه ، فينصرون أعداءَه ، ويوالون أهلَ الضلال والبهتان ، وقد قضَى اللهُ ولا راد لقضائه ، وحكمَ ولا معقِّبَ لحكمه ، أن تنتصرَ كلمتهُ ، لأن كلمةَ الله هى العليا ، وأن يتغلبَ رسله بالحجة البيِّنة ، والقوة القاهرة ، ولينصرَن اللهُ من ينصره ، واللهُ قوىٌّ لا يمتنعُ عليه ما يريد ، ينصرُ أنبياءَه ، عزيزٌ متغلبٌ ، يمنعُ حزْبه من أنْ يذل ويضْعفَ .

٨ — لا ينبغى للمؤمنين الذين يؤْمنون بالله وباليوم الآخر ، أن يصادقوا ويخلصُوا للذين يعادُون اللهَ ورسوله ، ولو كانوا أقربَ الناس إليهم ، لأن عدوَّ

الله وعدُوَّ رسوله، هو عدُوُّ المؤمنين، ولو كانوا آباءهم الذين نجبُ طاعتهم، أوْ أبناءهم أحب الناس إليهم ، أو إخوانهم الذين يعاضدُونهم ويَعتزون بهم ، أو عشيرَتهم التي بها يقاتلون ويناصرون ويتغلبون ، فهذه صفات المؤمنين الذين ثبَّتَ اللهُ الإيمانَ في قلوبهم ، وقواهم بالهدى والإيمان من عنده .

٩ — وقد كان المسلمون في عهد النبي لا يعرفون قرابة لأعداء الله ورسوله ، فقد قتلَ أبو عبيدة بنُ الجراح يوم أحُد أباه عبدَ الله ، ودعا أبو بكر ابنه يوم بدر إلى المبارزة ، وقتل مصْعبُ بنُ عمير أخاه يوم أحد ، وقتل عُمرُ خاله العاصَ بنَ هشام يوم بدر ، وسمع أبو بكر الصدِّيق عبد الله ابن أبيّ يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصكَّه أبو بكر صَكة سقط منها ، فقال له الرسول : «أوَ فعلته؟» فقال : نعم ، قال : «لا تعُدْ» ، قال : والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته ؛ أولئك هم المؤمنون حقًّا ، قوم ثبَّتَ اللهُ الإيمانَ في قلوبهم ، وتمكنَ في نفوسهم حب الله ورسوله ، فأعد لهم النعيمَ المقيم ، ورضى عنهم لقوة إيمانهم ، ورضوا عنه لأنه نصرَهم في الدنيا ، وأثابهم في الآخرة ، وهم حزْبُ الله وأنصارُ حقه ، وهُداةُ خلقه ، الباقون في النعيم المقيم ، المفلحون الفائزون بكل محْبوب ، الآمنونَ من كل مرْهوب ؛ رضْوان الله عليهم أجمعين .

سورة الحشر

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٢٤ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآيه الرابعة

سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ —١— . هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ؛ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ،
وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ —٢— . فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ
حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ —٣— . يُخْرِبُونَ
بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ —٤— .
وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ : ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ
يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ —٥— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سبحَ لله ما فى السموات	مجّدَ اللهَ ونزّهه عن السوء كل شىء فى السموات والأرض .
العزيزُ الحكيمُ	القوىّ الذى دَبر الأشياء بحكمة .
أهل الكتاب	المرادُ بهم : يهودُ بنى النّضير .
منْ ديارهم	كانت فى قرية تبعد ميلَين عن المدينة .
لأول الحشر	عند أولَ جمْع ، والحشرُ : الجمعُ .
فأتاهم اللهُ	باغتهم اللهُ بالقهر والهزيمة .
من حيثُ لم يحتسبوا	من حيثُ لم يقعْ فى حسابهم وظنّهم .
وقذَفَ فى قلوبهم الرعبَ	ألقى فى قلوبهم الخوْفَ .
فاعتبروا يا أولى الأبْصار	اتعظوا يا أصْحابَ العقول والألباب .
كتبَ اللهُ عليهم	حكمَ وقضَى عليهم .
الجلاءَ	تركَ الديار مع الأهل والولد .
شاقّوا اللهَ	خالفوه . وعادَوْهُ .

قصة يهود بنى النضير

نزلت هذه السورةُ تحكى ما كان بين بنى النضير من اليهود الذين كانوا يسكنونَ قربَ المدينة على ميلين منها ، وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ذلك أن النبى حينما هاجرَ إلى المدينة ، عقدَ معه بنو النضير صُلحاً ، مؤداهُ : أنْ يكونوا معه على الحياد ، لا له ولا عليه ؛ فلما انتصرَ النبىَ على قريش يوم

بدْر ، فرحوا وقالوا : هذا هو النبى الذى قرأنا نعته وصفته فى التوراة ؛ ولما هزمَ المسلمون يوم أحد ، ارتابوا فى محمد ، ونقضُوا العهدَ الذى كان بينهم وبينه ، ودَبروا اغتياله ، وحالفوا أعداءَه من قرَيش ؛ فقد أتاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أمر ، فهمّوا بإلقاء حجر ثقيل على رأسه ، لولا أن عصَمه الله تعالى من مكرهم . وخرَجَ كبيرهم كعبُ بنُ الأشرف فى أربعين راكباً إلى مكةَ ، وحالفَ أبا سفيان ضدّ محمد وأصحابه عند الكعبة ، ولقد أرادَ اللهُ أن يرد كيدهم إلى نحورهم ، فقتل محمدُ بن مَسلَمة الأنصارى كعبَ بن الأشرف ، وكان أخا قاتله من الرضاع ، وذهب النبى بجيشه إليهم ، وأمرَهم بالجلاء عن المدينة ، حتى لا يظلوا شوكة فى جنب المسلمين ، فأبوْا أن يخرُجوا ، وأصرّوا على الحرب والقتال ، فحاصرَهم إحدى وعشرين ليلة ، وقطع بعض نخيلهم ، فخارَت قواهم ، وملأ الخوفُ قلوبهم ، وطلبوا الصلحَ . فصالحهم النبى على الجلاء ، على أن يكون لكل ثلاثة منهم بعير واحد ، يحملون عليه ما شاءوا من متاع وأثاث ، وطعام وشراب ؛ فجلوا إلى خيبر وإلى الحيرة والشام ؛ وفى أمر بنى النضير هذا نزلت سورة الحشر .

مجمل المعنى

١ — كل ما فى السموات والأرض من جماد ونبات وحيوان ، يمجدُ اللهَ القوى المدبرَ لملكوته بحكمة ، ويُنزهه عن السوء .

٢ — واللهُ هو الذى أجلى الكفارَ من يهود بنى النضير عن ديارهم ، عند أول اجتماع عقدَه محمدٌ لقتالهم وحروبهم ، وكان المسلمون لما عرفوا من شدة بأس اليهود ومنعتهم ، ووثاقة حصونهم ، وكثرة عددهم وعدتهم ، لا يظنون أنهم سيخرجون من ديارهم ويتركونها لهم . وكان اليهودُ لقوتهم ومناعة حصونهم ، لا يظنون أن محمداً قادرٌ على إخراجهم .

٣ — لكن قوة الله لا يغلبها غالبٌ . ففجعهم بقتل زعيمهم كعب بن الأشرف ، وكان لا يدخلُ فى حسابهم وظنهم أن يداً تستطيعُ أن تمتدَّ إليه فتصرَعه ، وأحاطت بهم جنود محمد وحاصرتهم ، وقطعتْ نخيلهم ، فحلَّ الجزَع بهم ، ووقع الهلعُ فى نفوسهم ، وملأ الفزعُ قلوبهم ، وطاشت عقولهم .

٤ — فأخذوا يخربون بيوتهم من الداخل ومن الخارج ، فعملت أيديهم داخل الحصون فى هدم البيوت وإفسادها ، حتى لا تقع سليمة فى أيدى المسلمين ، وحتى يأخذوا معهم ما تستقل به الإبلُ ، من كل ما غلا ثمنهُ ، وخفَّ حمله ، من أثاث ومتاع وخشب وساريات ؛ وعملت أيدى المسلمين فى دَكِّ حصونهم من الخارج لينفذوا إليهم ؛ فعلى ذَوِى العقول أن يتعظوا بحال بنى النضير ، فلا يغدُروا ولا يعتمدوا على قوة غير قوة الله ؛ ومعنى تخريب اليهود لبيوتهم بأيدى المؤمنين : أنهم هم بنقضهم عهد النبى ، حملوا المؤمنين على محاصرَتهم وهدْم حصُونهم ، فكأنهم اضطروا المؤمنين إلى هذا التخريب .

٥ — ولولا قضاءُ الله عليهم بترك ديارهم على هذا الوجه الدال على حقارتهم ، لعذبهم فى الدنيا بالقتل ، كما عذب كفارَ قريش يومَ بدر ؛ وهم إنْ نجوْا من عذاب الدنيا ، فلا نجاة لهم من عذاب الآخرة ؛ وليس عجيباً أن يحيقَ بهم هذا البلاءُ ، فإنهم خالفوا اللهَ وعادَوْا رسوله ، فاستحقوا هذا العقابَ العاجلَ ، والطردَ الشنيع .

(٢)

من الآية الخامسة إلى الآية الثامنة من سورة الحشر

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ ، وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ —١— . وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ ، فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، وَلَٰكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ —٢— . مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ —٣— . وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللهَ ؛ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ —٤— . لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا ، وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ؛ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ —٥— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لِينة	نخلة .
أُصُولها	سيقانها .
فبإذْن الله	قطعها وتَرْكها بإذن من الله .
وليخزى الفاسقين	أذنَ اللهُ فى قطع نخل بنى النضير ليستذلهم ويغيظهم ، لأنهم خرَجوا عن طاعته .
ما أفاء الله على رسوله منهم	ما ردَّ اللهُ على رسوله ، وصيَّره له من أموال بنى النضير ، ليس للأغنياء حقٌّ فيه .
فما أوْجفتُم عليه من خيل	فما ركبتم خيلا وركضْتموها فى الحرب ، واغتنمتم منها هذا المالَ ، أى : لم تحصلوا عليها بمشقة الحرب .
ركاب	إبل .
وابن السبيل	المسافر المنقطع عن ماله .
كى لا يكون دولة بين الأغنياء	كى لا يكون مالُ الفىء دائراً ومتداولا بين الأغنياء ، لأنه من حق الفقراء .
وما آتاكم الرسول فخذوه	وما أمرَكم به الرسولُ فاتبعوه .
فانتهوا	فاجتنبوه .
يبتغون فضلا من الله ورضوانا	يطلبون رزقاً فى الدنيا ، ورضا الله فى الآخرة .
أولئكَ هم الصادقون	أولئك هم الكاملون فى صدق دَعواهم الإيمان .

مجمل المعنى

١ — لما نزلَ النبي على حصون بنى النضير، بعد أن نقضوا العهدَ الذى كانوا أبرَموه معه، وتحالفوا هم وقريش عليه، حاصرَهم وأمر بقطع بعض نخيلهم، فشقَّ ذلك عليهم، وقالوا: يا محمد، ألست تزْعم أنك نبى تريدُ الإصلاحَ ؟! أفمنَ الإصْلاح قطعُ النخل وحرقُ الشجر؟! فلم يلتفت إليهم محمد، لأنه لا يفعلُ شيئاً إلا بإذن الله . ثم أمرَ النبى بالكف عن قطع النخيل، ونزلت الآية مصدقة بأن قطعَ ما قطعَ من النخيل، وترْك ماتركَ منه، كان بإذن من الله، نكاية باليهود، وَوَهناً لهم، حتى يخرُجوا من ديارهم، وَيترُكوها للمسلمين.

بيان عن الفىء والغنيمة

الفىء : هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار عفواً بلا حرب ولا جهاد : إما بأن يجلوا عن أوطانهم ويخلوها للمسلمين، أو يصالحوا على جزْية يؤدونها عن رءوسهم، أو مال يفتدون به أنفسهم من سفك دمائهم .

والغنيمةُ : هى المالُ الذى حصل للمسلمين من أموال الكفار بالحرب والجهاد.

وقسمةُ أموال الفىء غيرُ قسمة أموال الغنيمة :

ا — أما أموالُ الفىء فليسَ لأحد من المقاتلين باعتبارهم مقاتلين حق فيها، لأنهم لم يتحملوا مشقة فى الحصول عليها، ولم يسرعوا على ظهور الخيل والإبل لاستخلاصها من أيدى الكفار بالحرب والقتال، ولكنها أموالٌ خالصةٌ للرسول، يضَعها حيثُ يشاءُ .

ب — وأما الغنائمُ فقد جعل اللهُ أربعة أخماسها من حق المقاتلين : للفارس ثلاثةُ أسْهم، وللراجل سهمٌ واحدٌ ؛ وخمسُها يأخذه الرسولُ وذوُو قرْباه، واليتامى والمساكينُ وأبناءُ السبيل .

٢ — ولما جلا بنو النضير عن أوطانهم، وتركوا الأموالَ والإبلَ والنخيلَ، طلب المسلمون من النبى أن يقسمها عليهم، كما قسمَ غنائمَ بدر، ويعطىَ المقاتلين أربعةَ أخماسها، ويجعلَ الخمسَ الباقى للرسول وذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فبيَّنَ اللهُ أن هذه الأموالَ لم تؤْخذْ بغلبة أو قتال، ولم تُرْكب لها ظهُور الإبل والخيل، حتى تكونَ كأموال الغنائم، ولكن اللهَ سلط نبيهُ على هؤلاء القوم، فتركوا إليه حصونهم وأموالهم، فأصبحت خالصة له من دون المؤمنين، ولكن النبى آثر بها المهاجرين، وثلاثة من الأنصار كانوا فقراء.

٣ — وقد بيَّن اللهُ لنبيه ما يصْنعُ بأموال الفىء، فأمرَه أن ينفقها كلها على الخمسة المذكورين، لأنها من حق الفقراء يعيشون بها، ولا ينبغى أن يعطى منها الأغنياء شيئاً يتدَاولونه بينهم، ويَتكاثرون به، كما كان الرؤساء فى الجاهلية يستأثرون بالغنائم، لأنهم أهلُ الرياسة والغلبة.

٤ — وقد نبه اللهُ المسلمين ألا يطلبوا من النبى شيئاً، ولكن عليهم أن يتبعوا ما يأمرُهم به، ويجتنبوا ما ينهاهم عنه؛ وعليهم أن يتقُوا الله فى أوامره ونواهيه فلا يضَيعوها، لأن اللهَ شديدُ العقاب لمن خالفَ ما أمر به، وارتكبَ ما نهى عنه.

٥ — ثم بيَّن الله المقصودَ من ذَوى القرْبى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فذكر أنهم فقراءُ المهاجرين الذين أخرجتهم قريش من ديارهم بمكة، وفروا بدينهم وإيمانهم إلى المدينة، يرْجونَ أن يمن اللهُ عليهم بنعمه فى الدنيا، وأنْ يرضى عنهم فى الآخرة، وجاهدوا فى سبيل الله، ونصروا رسوله بأنفسهم وأموالهم، وصَدَقوا فى إيمانهم.

(٣)

من الآية التاسعة إلى الآية العاشرة من سورة الحشر

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ –١– . وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ –٢– . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ؛ رَبَّنَا ، إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ –٣– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والذين تبوَّءوا الدارَ	هم الأنصارُ الذين استوْطنوا المدينةَ .
والإيمانَ	وصَدقوا الإيمانَ وأخلصُوه .
منْ قبلهم	من قبل أنْ يهاجر المسلمون من مكة إليهم .
حاجة	حسداً .
مما أوتُوا	مما أعطى النبى المهاجرين من أموال الفىء .

الألفاظ	شرحها
ويؤْثِرُون على أنفسهم	ويفضلون المهاجرين على أنفسهم .
خصَاصَةٌ	احتياجٌ وفقرٌ شديدٌ .
ومنْ يُوقَ شح نفسه	ومن يحفظ اللهُ نفسه من البخل والحرص الشديد .
والذين جاءوا من بعدهم	هم التابعون الذين جاءوا بعدَ موت النبى ، ثم الذين يلونهم إلى يوم القيامة .
غِلاً	حقداً وحسداً .

مجمل المعنى

١ — يثنى اللهُ على الأنصار الذين استوطنوُا المدينة ، وآمنوا بالله ورسوله قبلَ أن يهاجرَ المسلمون من مكةَ إليهم ، فراراً بدينهم من كفار قريش ، تاركينَ أموالهم وديارهم ، فاستقبلوهم بالترّحاب ، وأحبوهم وأسكنوهم معهم فى منازلهم ، وقاسمُوهم أموالهم ، وبالغوُا فى إكرامهم ، حتى كان الرجلُ الذى عنده امرأتان من الأنصار ينزلُ عن إحداهما ، ليتزَوجها واحدٌ من المهاجرين ؛ ومن مظاهر الإيثار أن رجلا من المهاجرين أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له : قد أصابنى الجهد يا رسولَ الله ، فأرْسلَ النبى إلى نسائه ، فلم يجدْ عندهن طعاماً . فقال : ألا رجلٌ يضيفُ هذا الرجل الليلةَ ؟ فقام رجل من الأنصار وقال : أنا يا رسولَ الله ، فذهب إلى زَوْجته وقال لها : أكرمى ضيفَ رسول الله ؛ فقالت : والله ما عندى إلا قوتُ الصِّبية ؛ فقال : نوِّميهم ونطوى الليلة ، ففعلت ، وقدمت الطعام وهو لا يكفى إلا واحدا ، فأطفأت السراجَ ، وجعلَ صاحبُ الدار يمد يدَه إلى الطعام فى الظلام متظاهراً بأنه يأكلُ ، وهو

لا يأكلُ، حتى يوَفرَ الطعامَ لضَيفه؛ ولما حصَلَ النبى على أموال بنى النضير قسمها بين المهاجرين، ولم يعط الأنصارَ منها شيئاً، إلا ثلاثة كانوا فقراء محتاجين، فلم يحسد الأنصار المهاجرين على ما اختصهم به النبى من الأموال دونهم، بل كان الأنصارُ يفضلون المهاجرين على أنفسهم، ويؤْثرونهم بالخيرات؛ رُوىَ أنه لما غنمَ عليه الصلاةُ والسلامُ أموالَ بنى النضير، دعا الأنصارَ وشكرَهم على ماصَنعوا من إنزال المهاجرين فى منازلهم، ومشاركتهم لهم فى أموالهم، وقال لهم: إن أحببتم قسمتُ ما أفاء الله علىَّ من بنى النضير بينكم وبينهم، وبقوا على ماهم عليه من السكنى فى مساكنكم، ومقاسمة أموالكم، وإنْ أحببتم أعطيتهم الأموالَ وخرجوا من منازلكم؛ فقال سعد بنُ عبادة سيد الخزْرَج وسعدُ بن مُعاذ سيدُ الأوس: بل تقسمُ بينَ المهاجرين، ويبقون فى دُورنا كما كانوا؛ فنادى جميعُ الأنصار: رَضينا وسلمنا يا رسول الله؛ فقال رسولُ الله: اللهم ارْحمْ الأنصارَ وأبناء الأنصار.

٢ — وقد بين اللهُ أن النجاحَ والفلاحَ فى الآخرة إنما يكونُ إذا تجردَ الإنسانُ من البخل والحرْص الشديد، وحينئذ تصفُو عن الشر نفسه، ويخلصُ من الحقد والحسد قلبهُ.

٣ — وبعد أنْ بيَّنَ اللهُ منزلةَ الأنصار، وأثنَى عليهم، وصفَ الطبقةَ التى ستجىء بعد المسلمين السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهم طبقةُ التابعين الذين يجيئُون بعد هؤلاء، وهؤلاء، بأنهم يحبُّون من سبقوهم من أصحاب رسول الله، ويدْعون الله أن تشملهم وإياهم مغفرته ورضوانه، وأنْ تصفو نفوسُهم من شوائب الحقد والحسد، فإنه رَءُوفٌ بعباده، رحيمٌ بهم.

مغزى هذه الآيات

وقد تضمنت هذه الآياتُ جملة من الصفات التى ينبغى أن تسودَ بين المسلمين وهى :

(ا) أن تقُومَ المحبةُ بينهم ، وأن يتعاونوا فى البأساء والضراء ، وأن ينصرَ قويهم ضعيفَهم ، ويعطى غنيهم فقيرَهم .

(ب) وألا يحسدَ أحدٌ أحداً على ما أعطاه اللهُ من فضْله .

(ح) وأنْ يسارعَ الآمنون فى ديارهم ، المطمئنونَ فى حياتهم ، إلى نجدة المشرَّدين المطارَدين ، فيؤووهم ، ويقوموا بأوَدِهم ، ويفضلوهم على أنفسهم بالخير ، حتى يؤَمّنوهم من خوْف ، ويؤنسوهم من وحشة ، ويزيلوا من نفوسهم من قلق الاغتراب ، وذُل الاحتياج .

(د) وأن تتخلصَ النفوسُ من البخل وشدة الحرص والشح ، حتى يتجهوا نحوَ الخير ، ويسلكوا السبيل إلى الفلاح والنجاح .

(٤)

من الآية ١١ إلى الآية ١٧ من سورة الحشر

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ؟ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ، وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ —١— . وَاللهُ يَشْهَدُ : إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ؛ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ، ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ —٢—. لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ، ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ —٣— . لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ —٤— . بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ، تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ، ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ —٥— . كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ —٦— . كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ : اكْفُرْ ؛ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ : إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا ، وَذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ —٧—.

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألمْ ترَ إلى الذينَ نافقوا	ألمْ تعجبْ من المنافقينَ أمثال عبد الله بن أبيّ ، وعبد الله بن نَبْتل ؟
لا نطيع فيكم أحداً أبدا	لا نطيعُ محمداً فى قتالكم .
ليُوَلُّن الأدبار	لينهزمُنّ
رهبة	خوْفاً وخشية .
لا يفقهُون	لا يفهمون مقدارَ عظمة الله وقدْرَته
من وراء جدُر	من خلف حيطان يستترُون ، بها لخوفهم وجبنهم .
بأسُهمَ بينهم شديدٌ	عداوةُ بعضهم لبعض شديدةٌ .
تحسبهم جميعاً	تظنهم مجْتمعين ذوى ألفة واتحاد .
وقلوبهم شتى	وأهوَاؤُهم متفرقةٌ .
كمثل الذين من قبلهم قريباً	شأنهم كشأن كفار قرَيش يومَ بدر ، فقد انتقمَ اللهُ منهم من زمن قريب .
ذَاقوا وَبالَ أمرهم	لاقوا سوءَ عاقبة كفرهم .
قال للإنسان : اكفر	أغرَاهُ بالكفرْ .

مجمل المعنى

١ ـ هذه الآيات تحكى ما حصلَ بينَ عبد الله بن أبيّ وأصحابه من منافقى المدينة ، وبين بنى النضير حينَ حاصرَهم النبى ، فقد أرسلوا إليهم منْ قالَ لهم : قاتلوا محمداً ولا تخرُجوا من دياركم ، ولكم علينا أنه إذا أكرَهكم

على الخروج منها أن نخرجَ معكم ؛ وإذا طلبَ إلينا أن ننضمّ إليه فى قتالكم فلنْ نطيعهُ ؛ وإذا قاتلكم فسنقاتلهُ معكم ، وننصركم عليه .

٢ — والله يعلمُ أن المنافقين كاذبون فى كل ما وعدُوا اليهودَ به ، فلن يخرُجوا معهم إذا أخرَجهم محمدٌ ، ولن ينصروهم إذا قاتلهم محمدٌ ؛ وعلى فرض أن المنافقين قاتلوا محمداً معهم ونصروهم عليه — ولن يكونَ ذلك أبداً — فإنهم جميعاً من يهود ومنافقين سينقلبون على أعقابهم مهزُومين غيرَ منْصُورين .

٣ — ويعلم أن هؤلاء وهؤلاء : من المنافقين ومن يهود بنى النضير الذين أضْمرُوا لمحمد العداوة والبغضاء ، يخافونكم أيها المؤمنون أكثر مما يخافون الله لعدم إيمانهم ، فيتوقعون عاجلَ الشر منكم فى الدنيا ، ولا يتوقعون آجل العذاب من الله فى الآخرة ، لأنهم لا يفهمون مقدار عظمة الله وجبرُوته .

٤ — ويعلم أن المنافقين واليهودَ مجتمعين يمثلون الضعفَ والجبنَ ، فلا يجرُءون على مقاتلة المسلمين إلا فى قرًى حولْها الحصونُ ، أوْ منْ خلف حوائط وأسوار يستترون وراءها ؛ وذلك شأنُ الجبناء الخائرى العزيمة .

٥ — ولا ترى بأسَهم وقوّتهم إلا فى معاداة بعضهم بعضاً ، ومخاصمة بعضهم بعضاً ، فلا يغرنك ما يبدُو من مظاهر اجتماعهم ، فإن من يراهم وهم يجتمعون وَيتآمرُون ، يظن أنهم على إلف ومحبة ، وأن بينهم تعاوناً وتناصراً ، ولكن قلوبهم متنافرةٌ ، وأهواءَهم متفرقةٌ ؛ وإن تشتتَ أهوائهم ، وتفرقَ قلوبهم وكفرهم ، لدليلٌ على أنهم لا يتصرفون تصرفَ العقلاء .

٦ — ومَثل يهود بنى النضير فى معاداتهم محمداً ، وتنكيل محمد بهم ، كمثل كفار قريش الذين قاتلوا من عهد قريب محمداً يوم بدر ، فذاقوا وبالَ أمرهم ، وعجل الله لهم العقوبة ، فحلت بهم الهزيمة والقتلُ فى الدنيا ، كما أعد الله لهم عذابَ النار فى الآخرة .

٧ — وقد ضرب اللهُ مثلَ المنافقين فى إغرائهم بنى النضير بقتال النبى ، ووعدهم إياهم بأن ينصروهم عليه، ثم تخاذُلهم عنهم ، حينما حاصرَهم النبى ، وضيّقَ الخناقَ عليهم ، بالشيطان الذى زين للإنسان أن يعصىَ اللهَ ويكفرَ به، فلما أوقعه فى الكفر والعصيان تبرأ منه ، وتظاهرَ بأنه يخافُ اللهَ ربَّ العالمين ، فكان جزاءُ كلٍّ من هؤلاء وهؤلاء خلوداً فى جهنم، وعذاباً دائماً فى النار ؛ وذلك هو الجزاءُ العدلُ للظالمين .

(٥)

من الآية ١٨ من سورة الحشر ، إلى آخر السورة

يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ، وَاتَّقُوا اللّٰهَ ؛ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ -١- . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّٰهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ، أُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ -٢- . لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ -٣- . لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ ؛ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ، لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ -٤- . هُوَ اللّٰهُ الَّذِى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ، هُوَ اللّٰهُ الَّذِى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ، الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ، سُبْحَانَ اللّٰهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ! هُوَ اللّٰهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ -٥- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اتقُوا الله	أدوا فرائضَه، واجتنبوا معاصيه، لتقوا أنفسكم عذابه.
ما قدمت لغد	ما عَملت من الخير للآخرة، وأريدَ بالغد الآخرة لقرْبها.
نسوا اللهَ	تركوا ذكرَ الله عز وجل، ولم يفعلوا ما أمرهم به.
فأنساهم أنفسَهم	فأنساهم حق أنفسهم، فلم يفعلوا لها خيراً.
الفاسقون	الخارجون عن طاعة الله.
الفائزون	المقربُون المكرَّمُون، الناجُونَ من النار.
خاشعاً متصَدعاً	خاضعاً متشققاً.
الغيب والشهادة	السر والعلانية.
الرحمن الرحيمُ	الرحمنُ: عامُّ الرحمة بجميع مخلوقاته، وهو من أسماء الله خاصة؛ والرحيمُ: كثيرُ الرحمة بعباده المؤمنين.
القُدّوسُ	المنزه عن القبائح.
السلامُ	الذى يهبُ للمؤمن السلامة والأمنَ.
المؤْمن	الذى يؤَمنُ أولياءَه من الظلم والخوف والعذاب.
المهيمنُ	الرقيبُ على كل شيء، الحافظُ له.
العزيزُ	الغالبُ الذى لا يُغلبُ ولا ينالُ.
الجبارُ	العظيمُ الذى يخضَعُ له غيرُه، القهار ذُو الجبرُوت.
المتكبر	المترَفع المتعظم عما لا يليق من الصفات.
سبحان الله عما يشركون	تنزهت ذاته عما يصفهُ به المشركون!

الألفاظ	شرحها
البارئُ	المنشئ المختَرِعُ .
المصَوِّر	مصَوِّرُ الصوَرِ ومرَكبها على هيئات مختلفة فى بطون الأمهات .
له الأسماءُ الحسنى	له الأسماءُ الدالةُ على محاسن المعانى .
الحكيم	المانعُ من الفساد .

مجمل المعنى

١ — لما وصفَ اللهُ حالَ اليهود والمنافقين والكفار ، وما حل بهم من العقاب والنكال وسوء الجزاء فى الآيات السابقة ، عقبها ، بقوله : « يأيها الذين آمنوا اتقُوا اللهَ ولتنظرْ نفسٌ ما قدمت لغد » : موعظةً لهم ، لأن الموعظة حينما تجىءُ بعدَ وقُوع المصيبة وحلول الكارثة ، يكون لها موْقعٌ فى النفوس ، لرقة القلوب ، وحذَرها مما يوجبُ العقابَ ؛ فنبههم إلى وجوب تقواه ، واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وإلى أنْ تذْكرَ كل نفس ما عملت للآخرة التى ستجىءُ قريباً بعد الدنيا ، كما يجىءُ الغدُ بعد اليوم ؛ ثم أكدَ الأمر ثانية بالتقوى ، بأن اللهُ مطلعٌ على ما ظهرَ من عمل الإنسان وما بطن ، ولا يخفى عليه شىءٌ فى الأرض ولا فى السماء ، ومن الخير له فى كل عَمل أن يراقب الله ، لينجوَ من العقاب ، ولا يحل به العذابُ .

٢ — ثم نهاهم عن أن يكونوا مثلَ الذين نسوا الله ، فترَكوا عبادته ، ولم يعملوا ما أمرَهم به ، ولم يجتنبوا ما نهاهم عنه ، وأفرطوا فى ارتكاب المنكرات ، واتباع الشهوات ، فأنساهم أن يسعَوْا إلى تخليص نفوسهم من العذاب ؛ أولئك هم الخارجون عن طاعة الله ، المطرودون من رحمته .

٣ — ثم أعادَ التنبيه بالمقابلة بين المؤمنين الذين يفعلون الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤدّون ما فرض اللهُ عليهم ، ويجتنبون ما نهاهم عنه ، ويتعاونَون على البر والتقوى ، وبينَ غير المؤمنين الذين يفعلون الشر، وَيرتكبون الذنوبَ، ويتعاونون على الإثم والعدْوان ، وَبيّن أن المؤمنين هم أصحاب الجنة، يتمتعون بثواب الله، ويفوزون برضوانه؛ أما غير المؤمنين فهم أصحابُ النار الذين يقعُ عليهم غضبُ الله ، ويحلُّ بهم عذابه .

٤ — ثم بيّن الله شدةَ تأثير القرآن، بما حوَى من وعد ووَعيد، وترْغيب وترْهيب ، وبما تضمنَ من حكم وعظات، وآيات بينات ، ترسمُ للإنسان سبيلَ الخير والشر ، وتوَضحُ له طريقَ الهداية والضلال ، توْبيخاً للذين قست قلوبهم فلم تهتد بنور القرآن ، ولم تخشعْ لذكره، مع أن منْ شأن هذا القرآن، أنه، لو خوطبَ به جبلٌ، وجعلَ فيه تمييزٌ، لانقادَ لمواعظه، ولرأيتهُ على صلابته وتماسكه خاشعاً خاضعاً ، متصَدعاً متشققاً، خشية ألا يكونَ قد أدى حقّ الله المفروض عليه فى تعظيم القرآن ؛ فما بالُ الإنسان على ضَعفه وضآلته قد قسا قلبه، فلا يتدَبر قوله، ولا تؤثر فيه قوارعه وزواجرهُ ؟ وقد ضربَ اللهُ للناس هذا المثلَ لعلهم يتدَبرون كلامَ الله ، ويفكرون فيه بعقولهم، وترْتدع به نفوسُهم .

٥ — ولما بيّن اللهُ عظمةَ القرآن، أرْدَفَ ذلك ببيان عظمته هو جل شانه ، وعدّد صفاته التى تفرد بها دونَ غيره ، فذكر أن علمه يحيطُ بالظاهر والباطن ، والغائب والحاضر ، وأنه هو الرحمنُ الذى عَمت رحمتهُ جميعَ مخلوقاته، الكثير الرحمة بالمؤمنين الذين عملوا الصالحات، وأنه الإلهُ الذى لامعبودَ سواه ، مالكُ الملك، المنزهُ عن النقائص ، وأنه هو الذى شملَ الكونَ بالسلام والأمن ، وأجراه بمراقبته وهيمنته على أدق وَضْعٍ ، وحفظه من الاختلال والاضطراب، وأنه الغالبُ الذى لا يُغلب، الجليلُ الشأن الذى لا يـذِل ولا يُقهَر، العظيمُ

المترفعُ عما لا يليقُ بعظمته وجبَروته ؛ تنزه عما يصفهُ به المشركون ؛ لم يلدْ ولم يولدْ ، ولم يكنْ له كفُواً أحد ، هو الخالقُ الذى قدَّرَ مخلوقاته وأوْجدَها ، وشكلها بأشكالها ، وصورَها بصُوَرها ، تفردَ بالأسماء الحسنى ، الدالة على الصفات العلا ، الذى أحكمَ كل شىء خلقه ، جل شأنهُ ، وتقدست أسماؤُه .

سورة الممتحنة

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٣ آية

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الثالثة

يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ، وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ، يُخْرِجُونَ
الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ
جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ، تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ، وَأَنَا أَعْلَمُ
بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ، وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ –١– . إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً ، وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ ، وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ؛ لَنْ تَنْفَعَكُمْ
أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ، وَاللهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ –٢– .

شَرْحُ الأَلْفاظ

الألفاظ	شرحها
أولياءَ	أصْدقاءَ وأنصاراً .
تلقونَ إليهم بالموَدة	توَصلون إليهم موَدّتكم .
منَ الحق	منْ دين الإسلام والقرآن .
يخرجونَ الرسولَ وإياكم	يخرجونَ الرسولَ ويخرجونكم معه من مكةَ .
أن تؤْمنوا بالله	لأجل أنْ آمنتم بالله .
جهاداً فى سبيلى	لأجل الجهاد فى إعلان دين الله .
تسرونَ إليهم بالموَدة	تبلغونهم سرًّا مودَتكم لهم .
ضَل سواءَ السبيل	أخطأ طريقَ الهدَى .
إنْ يثقفوكم	إنْ يظفروا بكم .
يبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء	يؤْذُوكم أشد الأذَى بأيديهم وألسنتهم .
ودّوا لوْ تكفرُونَ	تمنوْا ارْتدادَكم عن الإسلام ، وعوْدَتكم إلى الكفر .
لن تنفعكم أرْحامكم ولا أوْلادُكم	لن ينفعكُم أقرباؤُكُم ولا أوْلادُكُم الذين بقوا على كفرهم ، وخلفتموهم بمكةَ .
يفصلُ بينكمْ	يفرقُ اللهُ بينكم وبينهم ، ويفر بعضُكم منْ بعض .
بصيرٌ	مطلعٌ .

قِصّةُ حَاطِبِ بنِ أَبِى بَلْتَعَة

كان حاطبٌ أحدَ المهاجرينَ المقيمينَ بعد الهجرة بالمدينة ، وعلمَ أن رسولَ الله صَلى اللهُ عليه وسلم يريدُ غزْوَ مكةَ ، وإذْ لمْ يكنْ منْ ذَوى العصَبية أُولى القوة فيها ، ولهُ فيها أولادٌ وأقرباءُ خلفهم بها — أرادَ أنْ أن يصْنع جميلاً معَ أهل مكةَ ، حتى لا ينالَ بنيه وأقرباءَه منهم أذًى بسبب إسلامه ، فأرْسل إليهم كتاباً مع امرَأة تقصدُ مكةَ ، يقولُ فيه إلى أهل مكةَ : اعلمُوا أن رَسولَ اللهصلىاللهُ عليه وسلم يُريدُكم ، فخذُوا حِذْرَكم ؛ وَدفعَ لها عشرَةَ دَنانيرَ ؛ فأوحى اللهُ إلى رَسوله بما فعلَ حاطب ، فبعثَ عليًّا وجماعة من أصحَابه ، وقال لهم : انطلقُوا إلىَ مكان عيَّنهُ لهم ، فإن به امرأة تقصدُ مكةَ ، فخذُوا منها الكتابَ ، وخلُّوا سبيلها ، فإنْ أبتْ فاضربُوا عنقها ؛ فأدْرَكُوها فى المكان الذى عينه الرسولُ ، فأنكرَت أن معها كتاباً ، فسل علىٌّ سيفه وهددَها ، فأخرَجتهُ من بين شعرها ، فلما عادَ الوفدُ ، دعا النبى حاطباً ، وقال له : ما حملك على أنْ فعلتَ هذا ؟ فقال : والله يا رسولَ الله ما كفرْتُ مذْ أسلمتُ ، ولا غششتكَ مذْ آمنتُ ، وَلكنى امرُؤٌ ليس لى عصَبيةٌ فى مكةَ ، فأرَدْتُ أن أصْطنعَ معرُوفاً لدَى قرَيش ، حماية لأهلى منْ شرهم ، فقال عُمرُ بنُ الخطاب : دَعنى يا رسولَ الله أضربْ عنقه ، فإنه منافقٌ ، فقال الرسولُ : إنه شهدَ بدْراً ، وما يدْريك : لعل اللهَ اطلعَ على أهل بدْر ، فقال : افعلُوا ما شئتمْ ، فقدْ غفرْتُ لكم ؟ ثم نزَلت هذه الآياتُ .

مجمل المعنى

١ — يخاطبُ اللهُ المؤمنين بقوله : يأيها المؤمنُون ، لا تتخذُوا لكم منْ أعدائى وأعدَائكم — وهمْ كفارُ مكةَ — أصْدقاءَ وأنصاْراً ، تتوَددُون إليهم بأية

صلة ، مهما كانت الدواعى ، فإن الكفارَ قد كفرُوا بما جاءَهم به الرسولُ من الدين الحق ، وأنكروا ما أنزلته عليه من القرآن ، وتمادَوْا فى غيهم وعصْيانهم ، لقد أخرَجوا الرسولَ من مكةَ كما أخرَجوكم ، بمجرَد أنكم آمنتم بالله ، واعترَفتمْ برُبوبيته ، فلا يليقُ بكمْ أنْ توادُّوهم ، ما دمتم قدْ غادَرْتم وَطنكم لأجلْ الجهاد فى إعلان دين الله ، وطلب مرْضَاته ، وأنا أعلمُ سركمْ وجهرَكمْ ، ويستوى عندى ما تسرونَ وما تعلنونَ ، فمنْ يتخذْ منَ الكفار أصْدقاءَ وأنصاراً ، فقدْ أخطأ طريقَ الهدى ، وحادَ عن الصراط المستقيم .

٢ — واعلمُوا أيها المؤْمنون ، أن الكفار إنْ ظفرُوا بكم ، ظهرَ لكمْ منهُم ما تكنُّ صدُورُهم من العداوَة والبغضَاء ، فبسطوا إليكُم أيديهم بالقتل والضرب ، وألسنتهم بالشتم والسب ، فلا ينفعكم الاتصالُ بهم ، والتوددُ إليهم ، وتمنوْا حينَ يظهرُون عليكم أنْ ترْتدوا عنْ دينكم ، وتعودوا معهم إلى الكفر ، وتعرضْتمْ لعذَاب الله يوْمَ القيامة ، فلا يفيدُكم أهاليكمْ منْ قريب أوْ وَلد ، ممن توددْتمْ إلى الكفار منْ أجلهم ، وجانبتمْ سوَاء السبيل بسببهم ، يوْم يفر المرءُ منْ أخيه ، وأمه وَبنيه ؛ واللهُ مطلع على أعْمالكمْ ، خبيرٌ بمقاصدكمْ ونيَّاتكمْ .

(٢)

من الآية الرابعة إلى الآية السابعة من سورة الممتحنة

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ، إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ : إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ ، وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبداً ، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ ، إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ : لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ، وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ –١– . رَبَّنَا ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ، وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، رَبَّنَا ، لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ؛ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ –٢– . عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ، وَاللهُ قَدِيرٌ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ –٣– .

شَرْحُ الألْفاظ

الألفاظ	شرحها
أسوَةٌ	قدْوَةٌ .
الذينَ معهُ	الذينَ آمنُوا به .
بُرَآءُ	جمْعُ برىء ، متبرئون .
كفرْنا بكم	كفرْنا بدينكمْ وآلهتكم .
إلا قوْلَ إبراهيمَ	استثناءٌ منْ أسوَة حسنة .
من الله	منْ ثواب الله وعقابه .
أنبنا	رَجعنا .
المصيرُ	المرْجعُ يوْمَ القيامة .
فتنةً	ابتلاء ومحْنة .
العزيزُ الحكيمُ	القويُّ الحسن التدْبير .
يرْجو اللهَ واليومَ الآخرَ	يطلبُ ثوابَ الله ، ويخشى عقابه يومَ القيامة .
يتوَلَّ	يُعرض .
الغنى الحميدُ	المستغنى عنْ خلقه ، الحميدُ لمنْ أطاعهُ .
عسَى	فعلٌ يستعملُ للرجاء .
عادَيتمْ منهُم	عادَيتمْ منْ أهل مكةَ .
موَدّة	ميلا وحبًّا ، بهدايتهم إلى الإسلام .
غفُورٌ	يغفرُ ما سلفَ من الذنوب .

مجمل المعنى

١ — أرادَ اللهُ أن يتخذَ المسلمون منْ سيدنا إبراهيم ومَنْ آمنَ به قدوة حسنة لهم فى قوة إيمانهم ، وفى الصبر على ما نالهم من مكروه ، وفى فَنائهم فى حب الله ، وفى عدم مبالاتهم بما خلفوه وراءهم من مال وولد ، فقد قالوا للكفار منْ قومهم : إنا متبرئُونَ من كل صلة تجمعنا بكم ، متبرئون مما تعبدون من غير الله من أصنام وكواكبَ ، فلا نعتدّ بكم ، ولا بآلهتكم ، وسيظل هذا دأبنا معكم ، منَ القطيعة وإظهار العداوة والبغضاء لكم ، حتى تترُكوا ما أنتُم عليه من الشرْك ؛ واستثنَى اللهُ منَ القدْوَة بإبراهيمَ ومنْ معه ، استغفارَ إبراهيمَ لأبيه الكافر ، فإنه ليسَ مما يقتدى به فيه ، فقد كان إبراهيمُ استغفرَ لأبيه ، لوعده إياهُ بأنْ يؤْمنَ برسالته ، ويترُكَ عبادةَ الأصنام ، فلما تبيَّنَ لإبراهيم أن أباه مصرٌّ على الكفر ، ولم ينجزْ وعدَه ، تبرأ منه ؛ على أن إبراهيمَ حينَ استغفرَ لأبيه ، قال له : ليس فى طاقتى إلا مجَرد الاستغفار لك ، وتفويضُ الأمر إلى الله سبحانه وتعالى فى أمركَ .

٢ — ثم بيَّنَ اللهُ ما حكى عن إبراهيمَ ومنْ آمنَ به ، من تخصيص توكلهم على الله ، والرجوع إليه فى جميع أمورهم ، والاعتراف بأن مصيرهم إليه يومَ القيامة للحساب ، ودعائهم ألا يسلطَ الكفارَ عليهم ، امتحاناً وابتلاء بعذاب لا يطيقُونه ، وأن يغفر لهم ما فرَط من ذنوبهم ، لأنه هو العزيزُ الغالبُ ، الذى لا يذل من التجأ إليه ، ولا يخيِّبُ رجاءَ منْ توكل عليه ، الحكيمُ الذى لا يفعلُ إلا ما فيه حكمةٌ بالغةٌ ؛ ثم أشارَ اللهُ بعد هذا إلى القدْوة الحسنة بإبراهيمَ ومنْ آمنَ به ، للحث على أنْ يقتدى بهم منْ يخافُ اللهَ ويرْجو ثوَابه ، ويخشَى فى الدار الآخرة عقابه ، لينالَ رضا الله ومحَبته ؛ فمنْ أعرَضَ عن اتباع أوامر الله ، ومالَ إلى موَدة الكفار ، فلا يلومن إلا نفسه ؛ واللهُ سبحانه وتعالى مستغن عن جميع خلقه ، حميدٌ لمنْ أطاعه .

٣ — ولكيلا يدبَّ اليأسُ إلى قلوب الذين تركوا أقاربهم من الكفار بمكةَ ، ويظنونَ أنهم لنْ يلتقوا بهم ، أرادَ اللهُ تطييبَ قلوبهم بأمل يلتقون عندَه بأقاربهم ، وهوَ أنْ يهتدى إلى الإسلام من فارقوهم من المشركين من أوْلادهم وذَويهم ، فيلتئمَ بهم شملهم ، ويجتمعوا على الإيمان فى موَدَّة وإخاء ، واللهُ قديرٌ على تسهيل أسباب المودة ، غفورٌ لمن أسلمَ من المشركين ، رَحيمٌ بالمؤمنين لما فرَط من ميلهم إلى أقربائهم المشركين ؛ وقد أنجزَ اللهُ وعده ، فأسلمَ كثيرٌ منهم بعد فتح مكةَ ، وتزَوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنة أبى سفيانَ ، الذى كان قبل إسلامه زَعيمَ كفار قرَيش .

(٣)

من الآية ٨ إلى الآية ٩ من سورة الممتحنة

لَا يَنْهَاكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ — أَنْ تَبَرُّوهُمْ ، وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ —١— . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ، وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ — أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ —٢— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تبرّوهم	تحسنُوا معاملتهم .
تقسطُوا	تعدلوا .
فى الدين	بسبب الدين .
ظاهروا	عاونُوا .
تولَّوْهم	تتولَّوهم ، أىْ تعاونُوهم .

قصة أسماء بنت أبى بكر مع أمها

كانت لأسماءَ بنت أبى بكر أمٌّ مشركةٌ ، فذهبت هذه الأم إلى ابنتها – وكانت مطلقة من أبى بكر – ومعها بعضُ الهدايا ، فأبتْ أسمَاءُ أنْ تقبلها ، ورَفضتْ أنْ تدْخلها بيتها ، وطلبتْ من أختها من ْ أبيها : عائشة زوْج النبى صلى اللهُ عليه وسلم ، أنْ تسأل رسول الله عما يقضى به فى هذا الأمر ، فأنزل الله هاتين الآيتين ، فأمر الرسولُ أسماء أنْ تقبل هديةَ أمها ، وأنْ تدْخلها بيتها ، وأن تكرمها ، وتحسنَ لقاءها .

مجمل المعنى

١ – إن الله تعالى يجيزُ للمسلمين أن يحسنُوا معاملةَ منْ لمْ يقاتلوهم ، ممنْ ليسوا على دينهم ، ما دَاموا لمْ يكونوُا ممنْ تآمَرُوا على إخراجهم منْ مكةَ ، بل يقابلُوهم بالحسنى ، ويعاملوهم بالعدل والقسطاس ، لأن اللهَ يأمرُ بالعدل والإحسان ، ويحب من يتصفُ بهاتين الخَلّتين ؛ وفى هذا إشعارٌ بأن علينا أنْ نحسنَ معاملةَ منْ يقيمون معنا فى ديارنا ، ممنْ ليسُوا على ديننا .

٢ – إنما ينهى اللهُ المسلمين عن اتخاذ الأصدقاء والأنصار ممنْ قاتلوهم ، لاعتناقهم الدينَ الإسلامى ، وتآمرُوا على إخراجهم من مكة ، وعاوَنُوا على إخراجهم ؛ فمنْ يصُادقْ هؤلاء أو يناصرْهم ، فهُم ظالمون ، لأنهم وضعُوا صَداقتهم ومناصرتهم ، موْضعَ ما يجبُ أنْ يكونوا عليه من العداوة والبغضاء .

(٤)

من الآية ١٠ إلى الآية ١١ من سورة الممتحنة

يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ،
اللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ
إِلَى الْكُفَّارِ ، لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ، وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَآتُوهُمْ
مَا أَنْفَقُوا ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ —١— . وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ —٢— . وَاسْأَلُوا
مَا أَنْفَقْتُمْ ، وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ، ذٰلِكُمْ حُكْمُ اللّٰهِ ، يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ ، وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ —٣— . وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ ، فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ
مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ، وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ —٤— .

شَرْحُ الْأَلْفَاظ

الألفاظ	شرحها
مهاجرات	منتقلات من مكة إلى المدينة .
امتحنوهن	اختبروهن بالحلف أنهن خرجن رغبة فى الإسلام .
علمتموهن مؤمنات	غلب على ظنكم إيمانهن بعد حلفهن .
إلى الكفار	إلى أزواجهن من الكفار .
لا هن حل لهم	انقطعت صلة الزواج بينهن وبين أزواجهن .
آتوهم ما أنفقوا	أعطوا الأزواج من الكفار ما سبق لهم دفعه من مهورهن .
لا جناح	لا إثم ولا ذنب .
تنكحوهن	تتزوجوهن .
أجورهن	مهورهن .
تمسكوا	تتمسكوا وتحافظوا .
بعصم الكوافر	بزواج زوجاتكم اللاتى بقين على كفرهن ، أو ارتددن .
اسألوا	اطلبوا أيها المسلمون .
ما أنفقتم	ما دفعتم إلى نسائكم الكافرات من المهور .
وليسألوا ما أنفقوا	وليطلب الكفار ما دفعوا من مهور لأزواجهم المهاجرات .
ذلكم	جميع ما ذكر فى الآية .
فاتكم شىء من أزواجكم	ذهب وضاع شىء من مهور زوجاتكم الكافرات .
فعاقبتم	فأصبتم الكفار بالعقوبة فى غزوة ، وغنمتم منهم .
فآتوا الذين ذهبت أزواجهم	فأعطوا المسلمين الذين ذهبت زوجاتهم من الغنيمة .

عهد الحُدَيبِيَة

١ — فى سنة ست من الهجرة ، عـَقد َ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين َ قريش فى مكة َ عهدُ الحد َيبية ، (وهى قرْيةٌ صغيرةٌ بالقرب من مكة َ ، سميت باسم بئر هناك) ، على أن من أتى محمداً من قريش رَده ُ عليهم ، ومن جاء َ قريشاً من محمد لمْ يَرُدّوه عليه ؛ ولما كان العهد ُ لا ينسحبُ على النساء ، جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعضُ المؤمنات مهاجرات من مكة إلى المدينة ، فنزلت هاتان الآيتان ، لبيان أحكام هؤلاء المهاجرات .

مجمل المعنى

١ — يخاطبُ اللهُ المؤمنين ، بأنه إذا جاءتهم مؤمناتٌ مهاجراتٌ من مكة َ إلى المدينة ، فعليهم أن يختبرُوهن ، مع علم الله جل شأنه بما تكنه صُدُورُ هؤلاء المهاجرات من إيمان أوْ شرك ، وذلك بأنْ تحلف َ المهاجرة أنها ما خرَجتْ بغضاً لزَوْج ، أو التماس َ دُنيا ، وإنما خرَجتْ حبًّا لله ولرَسوله ، فإنْ غلب على ظن المؤمنين إيمانُ المهاجرات بعد الحلف ، وجبَ ألا يعيدُوهن إلى أزواجهن من الكفار ، لأنهن صرْنَ مؤمنات ، وانقطعتْ الصلةُ بينهن وَبينَ أزْوَاجهن الكفار ، على أنْ يعطى أزْواجهن من الكفار ما سبقَ أنْ دفعُوه إليهن من المهور ، تحقيقاً لما يقتضيه العدلُ والإنصافُ ، وأجازَ اللهُ للمسلمين بعد انقطاع الصلة بين المهاجرات المؤمنات وَبين أزْوَاجهن من الكفار ، أنْ يتزوجوهن إذا أدوْا إليهن مهورَهن ، ليدْفعنها إلى أزْوَاجهن السابقين ؛ وقد تزَوجَ عُمرُ بنُ الخطاب رضىَ الله عنه إحدى المهاجرات ، وهى سُبَيْعة بنتُ

الحرث، طبقاً لهذا الحكم، بعد ما دَفعَ إلى زَوْجها مسافرٍ المخزُومى مهرها، حينَ جاء إلى المدينة طالباً لها .

٢ — ونهَى اللهُ المؤمنين أن يبقوا ما بينهم وَبينَ زَوْجاتهم الكافرات من علاقة الزوْجية، لانقطاع عصْمتها منه، إن بقيتْ فى مكةَ على شرْكها، أو ارتدت عن دين الإسلام — وعصَمٌ : جمع عصْمة، وهى ما يُعتصَمُ به، ويلجأ إليه؛ وقد طلقَ عُمرُ امرَأته فاطمةَ بنتَ أبى أمية لذلك

٣ — وأمرَ اللهُ المؤمنين أن يطلبوا من الكفار مهورَ نسائهم اللائى لحقن بالكفار، لارتدَادهن، أو بقائهن بمكةَ على شرْكهن، كما طلبَ من الكفار أنْ يطلبوا من المسلمين مهورَ نسائهم المؤمنات المهاجرات، وبيَّن أن ما سبق ذكرُه، هو حكمُ الله الواجبُ اتباعه، لا فرقَ بين كافر ومسلم فى إقامة العدل والقسطاس، واللهُ عليمٌ بما تقتضيه حكمَته البالغةُ من سن الشرائع الملائمة لخلقه؛ ولما تقررَ هذا الحكمُ، أدى المؤمنون ما أمرُوا به من مهور المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن السابقين، وأبى المشركُون أنْ يرُدُّوا شيئاً من مهور المرْتدات، أو اللاتى بقين على كفرهن بمكةَ من الزوجات

٤ — فإنْ فاتَ المؤمنين شىءٌ من مهور أزواجهم اللاتى ارْتدَدْنَ، أو بقينَ على كفرهن، ولم يؤَد الكفارُ إلى المؤمنين مهورَ هؤلاء النساء، فغَزَوا الكفار وغنموا منهم، فعلى المؤمنين أن يعطوا هؤلاء الأزواجَ مثلَ ما دفعوه لزوجاتهم من المهور من قبل، على أن يكُونَ هذا العطاءُ مما غنموه من الكفار قبل أن يُخمَّس، تعويضاً لهؤلاء الأزواج من المؤمنين عما أصابهم من الخسارَة، من جرَّاء تفويت الكفار عليهم مهور نسائهم؛ ثم أمر اللهُ عباده باتقائه، ومراعاة العدل، وحذرهم أن يتعدوا حدوده .

(٥)

من الآية ١٢ من سورة الممتحنة إلى آخر السورة

يٰأَيُّهَا النَّبِيُّ ، إذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَلَّا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً ، وَلَا يَسْرِقْنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ — فَبَايِعْهُنَّ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ ؛ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ —١— . يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ ، كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ —٢— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يبايعنك	يعاهدنك ، كأنهن يبعن أنفسهن فى سبيل طاعة الله .
ولا يقتلن أَوْلادَهن	لا يئدْنَ أَوْلادَهنّ خشيةَ الفقر أو العار .
ببهتان يفترينه بين أيْديهن وأرْجلهن	بكذب يدعينه ، بنسبة ولد لقيط إلى أزْواجهن .
ولا يعصينكَ فى معرُوف	ولا يعصينك فيما تأمرُ به من طاعة الله .
بايعهن	اقبل معاهدَتهن .

الألفاظ	شرحها
لاتتولَّوْا	لا تصادقُوا ولاتناصرُوا ولاتحالفُوا .
يئسُوا من الآخرة	يئسُوا من ثواب الدار الآخرة، لكفرهم وعنادهم .
يئس الكفارُ من أصحاب القبُور	يئسَ الكفارُ الذينَ ماتُوا وسكنُوا القبورَ ، وتبينُوا حرْمانهم نعيمَ الجنة .

مجمل المعنى

١ — لما فتحتْ مكةُ ، أقبلَ رجالها يبايعون النبى صلى الله عليه وسلم على نصرته ومحالفته ، فلما فرَغَ من مبايعة الرجال ، أخذَ يبايعُ النساء ، فأعطينه العهودَ على ما يأتى :

ا — ألا يشْركنَ بالله شيئاً من مخلوقاته ، كالأصْنام ونحوها .

ب — وألا يسرقنَ .

حـ — وألا يزْنينَ .

ء — وألا يقتلنَ أوْلادَهن ، وكانت البنتُ تدْفنُ حية فى بعض القبائل خشية العار ، والأولادُ ذكوراً وإناثاً يقتلونَ خشيةَ الفقر .

هـ — وألا يأتينَ بكذب يدعينه ؛ وكانت المرأةُ تلتقطُ مولوداً ، فتقول لزَوْجها : هذا ولدى منك ، وعبَّر اللهُ بقوله : بينَ أيديهن وأرْجلهن ، لأن الأم حين تلد ، يسقطُ المولودُ بين يدَيها ورجليها ، فنهى اللهُ النساءَ أنْ تكذبَ المرأةُ على زَوْجها ، بإلصاق ولد ليس من صُلبه إليه .

و — وألا يعصين الرسولَ فيما به يأمرُ من معْروف ، ويَنهى عنه من منكر ، كالنُّواح على الميت ، ولطم الخدُود ، وشق الجيوب ، وجز الشعور .

وقد بايعهن الرسولُ عليه الصلاة والسلام على الوفاء بهذه الأشياء ؛ ومع ما فى المبايعة من ضَمان الثواب ، فقد أمرَ الله رسوله أن يستغفرَ لهن ، فإنه واسع المغفرة ، كثيرُ الرحمة ، إنْ وفين بما عاهدْنَ عليه .

٢ — وقد وصلَ اللهُ خاتمةَ هذه السورة بفاتحتها ، فنهى عن اتخاذ الأصدقاء والأنصار ، من قوم استحقوا غضَبَ الله عليهم ، مهما كانت الدواعى ، فقد كان قومٌ من فقراء المؤمنين يزورون اليهودَ بالمدينة ويجالسونهم ، ليصيبوا من ثمارهم ، وكانوا يبلغونهم أخبارَ المسلمين فى أثناء حديثهم معهم ، فنهاهم اللهُ عن مواصَلتهم ، لأنهم كذبوا الرسولَ مع اعتقادهم برسالته ، حسب ما جاء فى كتبهم ، حسداً له ، فأفسدُوا آخرَتهم بتكذيبهم إياه ، فانقطع أملهم من ثواب الدار الآخرة لكفرهم وعنادهم ، كما انقطع أملُ الكفار من التقائهم بالموْتى الذين سكنُوا القبورَ ، لأنهم لا يؤْمنونَ بالبعث والنشور .

سورة الصَّفّ

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٤ آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ، وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ —١— . يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ، لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ؟ ! .
كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ! —٢— . إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ، كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ —٣— . وَإِذْ
قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ : يَا قَوْمِ ، لِمَ تُؤْذُونَنِي ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ : أَنِّي
رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ؟ ! فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ، وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ —٤— . وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ : يَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ ، إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ، مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ
التَّوْرَاةِ ، وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ، ٱسْمُهُ : أَحْمَدُ ، فَلَمَّا
جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، قَالُوا : هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ —٥— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سبحَ لله ما فى السموات وما فى الأرْض	مجّدالله َ ونزهه عما لا يليقُ به كل شىء فى الكوْن ، واعترَفَ بألوهيته .
العزيزُ الحكيمُ	العزيزُ فى ملكه، الحكيمُ فى صُنعه وتدْبيره .
كبرَ مقتاً عند الله أنْ تقولوا ما لا تفعلون	عظمَ عندَ الله بغضاً قوْلكم ما لا تفعلونه ، والمقتُ : أشد البغض ، من أجل ارتكاب ذنْب أو دَناءَة .
صَفًّا	مصفوفين أمامَ الأعداء .
زَاغُوا	عدَلُوا عن الحق ، بإيذَائه وعصْيانه .
أزَاغَ اللهُ قلُوبهم	أمالَ قلوبهم عن الهدَى .
الفاسقين	الخارجين عنْ طاعة الله .
يا بنى إسرائيلَ	يا ذُريةَ يعقُوبَ ، وَهم اليهود .
لما بينَ يدَىَّ	لما نزَل قبلى .
التوْرَاة	الكتاب المنزل على سيدنا موسى .
البينات	المعجزات الدالة على رسالته .
مبينٌ .	بيِّن ظاهرٌ .

مجمل المعنى

١ — بيَّن اللهُ سبحانه وتعالى أن جميعَ الكائنات فى السموات والأرض، من ملائكة وإنس وجن وغيرهم، تسبحُ بحمد الله تسبيحاً دائماً لا ينقطعُ، فتنزههُ عما لا يليقُ به من نسبة الشريك إليه ، وتعترفُ برُبوبيته ووَحدَانيته، كما قال :

« وإنْ منْ شىء إلا يسبحُ بحمده، ولكنْ لا تفقهونَ تسبيحهمْ » ، وهو العزيزُ، الحكيمُ فى صُنعه وتدبيره

٢ — وكانَ جماعةٌ من المؤمنين قبلَ أن يفرَض الجهادُ يقولون : لو نعلمُ أى الأعمال أحب إلى الله لعملناها حتى نموت ، فلما أمرَ اللهُ بالجهاد فى سبيل الله، شق عليهم أمرُه ، وقالوا: «ربنا لمَ كتبتَ علينا القتالَ ؟ لوْلا : — هلا — أخرْتنا إلى أجل قريب» ، فأنبهم اللهُ على أنهم يقولون ما لا يفعلون، وبيَّنَ أن القولَ الذى لا يصْحبه فعلٌ ، يبغضُه اللهُ بغضاً شديداً ؛ وكبرَ مقتاً عندَ الله أن تقولوا ما لا تفعلون : أسلوب عربىٌّ ، يدُل على الذم معَ التعجب ، لتعظيم الأمر فى قلوب السامعين

٣ — ولما كان الأمرُ خاصًّا بالجهاد، بيَّنَ اللهُ أنه يحب الذين يجاهدون فى سبيل نصرة دينهُ متلاصقين غير متفرقين ، كأنهم فى اصْطفافهم وثباتهم ، وتسوية صُفوفهم ، كالحائط الذى رُصت لَبِناتهُ أو آجُرُّه أو نحوهما ، فى نظام محْكم ، لا فرجة فيه ولا خلل .

٤ — وقد ذكَّرَ اللهُ المؤمنين بالنتائج الوخيمة المترَتبة على عصيان الرسل ، حين استهولوا أمرَ القتال ، فذكرَ قصة موسى ، حتى لا يفعلوا مع محمد مثل ما فعلَ بنو إسرائيلَ مع موسى ، فقد وبخهم على إيذائه بأنواع الأذى قولا وفعلا ، وعصْيانه أشدَّ عصْيان ، مع أنهم يعتقدون أنه رسولُ الله إليهم ، بما أظهرَه من المعجزات الدالة على رسالته ، ومع أنه أنجاهم من آل فرْعوْنَ الذين كانوا يسومونهم سوءَ العذاب ، فقالوا لموسى : أرِنا اللهَ جهرَة ، وقالوا له : لن نصْبر على طعام واحد ، وعبدوا العجلَ حينَ فارَقهم موسى لمناجاة ربه ، فلما حادُوا عن سبيل الحق ، وانحرَفُوا عن طريق الهدَى ، صرَفَ اللهُ قلوبهم عن قبول الحق ، والميل إلى الصواب .

٥ — كذلك ذكَّرَ المؤمنين بما حدثَ لعيسى ابن مريمَ ، فقد قال لليهود : إنى مرْسَلٌ من عند الله إليكم ، مصَدقاً بالتوْرَاة التى أنزلتْ على موسى من قبلى ، ومبشراً برَسول من عند الله يأتى بعدى ، مذْكورٍ فى التوْراة ، اسمه : أحمدُ ، وهو أحدُ أسماء النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما جاءهم عيسى بالمعجزات الدالة على رسالته : كإبراء الأكمه والأبرَص ، وإحياء الموتى ، قالوا : هذا سحْرٌ مبين .

(٢)

من الآية السابعة إلى الآية ١٣ من سورة الصف

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى ٱللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى
الْإِسْلَامِ ؟ ! وَٱللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ — ١ — . يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا
نُورَ ٱللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَٱللهُ مُتِمُّ نُورِهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، هُوَ ٱلَّذِي
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ — ٢ — . يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ
مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ؟ : تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ،
وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَأُخْرَى
تُحِبُّونَهَا : نَصْرٌ مِنَ ٱللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ؛ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ — ٣ — .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
افترَى على الله الكذبَ	ادَّعى ، واختلقَ الكذبَ على الله .
يُدْعى إلى الإسلام	يدْعى للدخول فى الإسلام .
نورَ الله	دينه وشريعته وَبراهينه .
بأفواههم	بطعنهم فيه بأنه سحرٌ وكهانةٌ .
متم نوره	مظهرٌ دينهُ ، ومبلغه غايته ، وناشرُه بينَ العالمين .
بالهدَى ودين الحق	بالقرآن والملة الإسلامية .
ليظهرَهُ على الدين كله	ليعليه على الأدْيان كلها .
عذَاب أليم	عذاب مؤْلم موجع .
ذلكم	ما ذُكرَ من الإيمان والجهاد .
إنْ كنتمْ تعلمُون	إنْ كنتم منْ أهل العلم .
ذلكَ	ما ذُكر من المغفرَة وإدْخال الجنة .
جنات عدْن	جنات إقامة دائمة .
وأخرى تحبونها	ويؤْتكم نعمة أخرَى تحبونها .

مجمل المعنى

١ — كان الكفارُ حينَ يدْعوهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، ويختلقون على الله الكذبَ ، فيزْعُمون أن ما أتى به محمدٌ من القرآن الكريم

زورٌ وَبهتانٌ ، وأنه إفكٌ افترَاه محمدٌ على الله، وأعانه عليه قومٌ آخرون ، وما هو إلا أساطيرُ الأولين تملى عليه ، فبيَّن اللهُ أنه ليسَ أحدٌ أشد ظلماً وعدْواناً من هؤلاء المعاندين، لأنهم يُدْعوْن إلى الإسلام الذى يوَصلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، فيعرضون عنه، فاستحقوا غضبَ الله عليهم، والله لا يوفقُ القومَ الذين ظلموا أنفسَهم بكفرهم وعنادهم إلى الهدى .

٢ — هؤلاء المفترون الظالمون ، يريدون بأقوالهم هذه أن يبطلوا دينَ الله وهو الإسلامُ ، بمطاعنهم وافترَاءاتهم ، من أنه إفكٌ وسحْرٌ ، واختلاقٌ وبهتانٌ ، واللهُ مظهرٌ دينه ، ناصرٌ رسوله ، رَغمَ أنوف المشركين ، فمثلهم فى الحيلولة بين رَسوله وبين تبليغه دَعوَته ، كمثل من ينفخُ فى ضوء الشمس ليطفئه ، وكيفَ يستطيعون أنْ يحولوا دونَ ظهور دين هو دينُ الحق والهداية ، أرسلَ اللهُ به رسوله ليعليه و يرْفعه على جميع الأدْيان المخالفة له ، مهما حاولوا ، ومهما كانتْ كراهتهم له ، ومقاوَمتهم إياه، ومحاولتهم الصدَّ عنه ؟ .

٣ — ثم حضَّ اللهُ المؤمنين على بذْل المال والنفس فى سبيل نشر الدين وإعلاء شأنه، فبيَّنَ أن هذا البذْلَ تجارةٌ مضمونةُ الربح، لا كسادَ فيها ولا بوار ولا خسران ، تنجى صَاحبها من كل أذى ، وتعوضُه تعويضاً جزيلا ؛ هذه التجارةُ التى عرضَها اللهُ على المؤمنين، أنْ يداوموا على إيمانهم إيماناً كاملا خالصاً ، يشتركُ فيه اللسانُ والَجنانُ ، وأن يجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فإن الإيمانَ الكاملَ الخالصَ، وبذلَ المال عن طواعية واختيار فى سبيل الله — والجود بالنفس أقصَى غاية الجود — خيرٌ لمن كان من أهل العلم والفطنة، فإنْ فعلَ المؤمنون ذلك، عوضَهم عن تجارتهم هذه مغفرة من الله عن ذُنوبهم، وأدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهارُ ، وأنزلَهمْ مساكن طيبة فى جنات يخلدون فيها أبداً ، ويلقوْنَ فيها النعيمَ المقيمَ، وذلك

الجزاءُ من الغفران والنعيم، هو الفوزُ العظيمُ، الذى لا فوْزَ أعظمَ منه، كما أن لهم فوقَ هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة يحبونها، ويرْغبون فيها، وهى تأييدُ الله لهم، بانتصارهم على أعدائهم، وفتحٌ عاجلٌ لمكةَ، فبشرْ يا محمدُ المؤمنين بأنى منجزٌ وَعدى؛ ويشبه ما فى بعض هذه الآيات قوله تعالى: «إن الله اشترى من المؤْمنين أنفسَهم وأموالهم بأن لهمُ الجنةَ يقاتلُون فى سبيل الله».

(٣)

من الآية ١٤ وهى الأخيرة من سورة الصف

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ ، كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ، فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ، فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أنصارَ الله	أنصارَ دين الله .
الحواريينَ	المخلصينَ الأصفياء أنصار عيسى .
منْ أنصاري إلى الله ؟	منْ أعواني لأنصرَ دينَ الله ؟ .
أيدْنا	قوَّينا ونصرْنا .
على عدُوهم	على الطائفة الكافرة .
فأصْبحوا ظاهرين	فصارُوا غالبينَ .

مجمل المعنى

أرادَ اللهُ أن يضربَ مثلا ببعض المؤمنينَ الذين آزَروا أنبياءَهم وعاضَدُوهم ، فأيدهم اللهُ بنصره ، وهم الحواريون أصْفياءُ عيسى عليه السلام وأنصْارُه ، ليقتدى بهم المسلمون فى نصرَة محمد صلى الله عليه وسلم ، والجهادِ فى سبيل الله حق جهاده ، فذَكرَ أن عيسى عليه السلام حينَ أُرْسلَ إلى قوْمه من بنى إسرائيلَ ، قاوَموا دعوَته وعاندوه ، فقال عيسى لأصْفيائه وخاصته : منْ ينصرُنى فى سبيل دين الله؟ فقال هؤلاء الأصْفياء الخلصاءُ — وكانوا اثنىْ عشرَ رَجلا — : نحنُ أنصارُ دين الله الذى بعثتَ به ، آمنا بوَحدَانيته ، واعترفنا برُبوبيته ؛ فلما توُفِّىَ عيسى ، انقسم منْ آمنَ به قبل موته طائفتين : طائفةً بقيت على إيمانها به ، وكفرَت طائفة أخرَى ، فاقتتلتْ الطائفتان ، فنصرَ اللهُ الطائفة المؤمنة على الطائفة الكافرة ، وقوَّاهم عليهم ، فغلبوهم .

سورة الجُمُعة

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١١ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الرابعة

يُسَبِّحُ لِلّٰهِ ما فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأرض ، الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ، هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ —١— . وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ؛ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ؛ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ —٢— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسبحُ لله	يمجد الله وينزههُ عما لا يليقُ به .
الملكِ	ذى العظمة والسلطان .
القدوسِ	الطاهر ، المبرأ من العيوب والنقائص .
الأميينَ	المرادُ بهم : العربُ ، لأنهم لا يعرفونَ القراءةوالكتابة.
يتلو عليهمْ آياته	يقرَأ عليهم كتابه ، وَهوَ القرآنُ الكريمُ .
يزَكيهم	يطهرُهم من الشرْك .
الكتابَ	القرآنَ .
الحكمةَ	أحكامَ الشريعة .
وإنْ كانوا	وإنهم كانوا .
من قبلُ	من قبل رسالة محمد .
وآخرين منهم	وبعثَ اللهُ فى آخرين سواهم من جميع الأجناس .
لما يلحقوا بهم	لم يدْركوا عهدَ الصحابة ، وسيأتونَ بعدَهم .
يؤْتيه	يعطيه

مجمل المعنى

١ — ينزهُ اللهَ ذا العظمة والسلطان ، كلُّ المخلوقات فى السموات والأرض ، تنزيهاً متجدداً آناء الليل وأطرافَ النهار ، لأنهم فى قبضَة قدْرته ، وتحتَ تصرفه ، وهو العزيزُ القاهرُ فى ملكه ، الحكيمُ المتصرفُ فى تدبيره وصُنعه ؛ وهو الذى

بعثَ فى أمة العرب التى لا يعرفُ أكثرُهم القراءة والكتابة، رسولا منهم، يشبههم فى أنه أمىٌّ مثلهم ، ومع كونه أميًّا لم يسبقْ له تعلم ولا معرفةٌ بالقراءة والكتابة ، فهو يتلو عليهم آياتِ القرآن الكريم، التى يُوحيها إليه المولى جل شأنه، ويطهرُ العربَ من العقائد الفاسدة كالشرك بالله، ويعلمهم كتابَ الله، وما اشتملَ عليه من أحكام ، وإنهم كانوا قبلَ رسالته فى ضلال ، لعبادتهم ما لا يسمعُ ولا يبصرُ، ولا يغنى عنهم شيئاً ، فكانوا محْتاجين إلى رسول يرْشدهم ويَهديهم إلى سبيل الحق ؛ وعبَّرَ اللهُ بالماضى فى قوله: « سبحَ » فى أوَّل سورة الصف، وبالمضارع فى قوله : « يسبحُ » فى أوَّل هذه السورة ، للدلالة على التسبيح فى الماضى والحال والاستقبال؛ وتَخصيصُ العرب الأميين بالذكر ، لا ينفى مَن عداهم .

٢ — وليست دعوةُ الرسول مقصُورَة على من يكونون فى زمنه ممن يبلغهم دعوته ، ولكنها تشملهم وتشملُ غيرهم من جميع الأجناس، ممن يجيئون بعد الصحابة إلى يوم القيامة ، واللهُ عزيزٌ فى ملكه ، قادرٌ على أن يجعلَ الدعوةَ عامة شاملة ، حكيمٌ فى اختيار من يصْلحُ لهذه الدعوة العامة ؛ وذلك الفضلُ الذى امتازَ به محمدٌ عن جميع الأنبياء فى عموم دعوته ، هو فضْلٌ من الله يُسبغهُ على من يصْطفيه من عباده، لأنه هوَ وحدَه مصدرُ الفضل العظيم، والإنعام الجزيل .

(٢)

من الآية الخامسة إلى الآية الثامنة ، من سورة الجمعة

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ، كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ؛ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ ! وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ —١— . قُلْ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا ، إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلّٰهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ ، فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ؛ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ —٢— . قُلْ : إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ، ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حُمِّلُوا التوراةَ	عُلِّموها ، وكلفوا العملَ بها .
لمْ يَحملُوها	لم يعملُوا بما هو فيها من الدلائل على نُبوّة محمد .
أسفارًا	كتباً ، جمع سِفْر .
بئسَ	فعلٌ يُستعمل للذّم .

الألفاظ	شرحها
بآيات الله	بالتوراة المصدَّقة بنبوة محمد .
يأيها الذين هادوا	يأيها اليهود ، أصْله من هاد : إذا رجعَ من خير إلى شر ، أو العكس .
أولياءُ لله	أصْفياءُ الله وأحباؤه .
فتمنوُا الموْتَ	فاطلبوا الموْتَ ، لتخرجوا من دار الأكدار إلى دار الكرامة .
بما قدَّمتْ أيديهم	بسبب ما قدَّموا من الكفر والمعاصى ، وتحريف التوراة .
الظالمين	الذين ظلموا أنفسهم بتعرْيضها للعذاب ، لكفرهم .
تفرّون منه	تخافونه .
ملاقيكمْ	نازلٌ بكمْ .
الغيب والشهادة	السرّ والعلانية .
فينبئكمْ بما كنتمْ تعملون	يخبرُكمْ بما عملتمْ ، ويجازيكمْ عليه .

مجمل المعنى

١ — ضرَبَ اللهُ مثلاً لمن أنكرَ ثبوتَ نبوّة محمد فى التوراة ، فذكرَ أنّ الذين عُلِّموا ما فى التوراة ، ثُمّ لم يعملوا بما هو ثابتٌ بها من الآيات الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، مثلهم كمثل الحمار ، يحملُ كتباً علميةً يتعبُ فى حملها ، ولا ينتفعُ بشىء مما فيها ، فما أسوأ مثل هؤلاء القوم ، وما أحقهم بالذّم! وهم الذين كذّبوا بآيات الله المثبتة فى التوراة بغياً وحسداً للنبى صلى الله عليه وسلمَ ؛ واللهُ جلّ شأنه لا يهدى هؤلاء المعاندين الحاسدين ، الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها

لعذاب الله ، بكفرهم ومعاصيهم .

٢ — وأمرَ اللهُ محمداً أنْ يقولَ لهم إظهاراً لكذبهم : أيها اليهودُ ، إنْ زعمتمْ أنكمْ أبناءُ الله وأحباؤُه ، وأنّ الدارَ الآخرةَ خالصَة لكم منْ دُون الناس ، وأنه لنْ يدْخلَ الجنةَ إلا منْ كانَ يهوديًّا ، فتمنوْا أنْ ينقلكمُ اللهُ منْ دار الأكدار فى الدنيا ، إلى دار الكرامة فى الآخرة ، فإنّ منْ أيقنَ أنهُ من أهل الجنة ، أحبّ أنْ يتخلصَ منَ الدنيا ، دار النكد والمهانة ، لينتقلَ إلى دار العزّ والكرامة ؛ ولكن هؤلاء اليهود ، الذين يوقنون بصدْق رسول الله عليه الصلاةُ والسلامُ ، لايتمنوْن الموْتَ أبداً ، بسبب ما قدّمتهُ أيديهم منْ تحريف الآيات الدّالة على نبوّة محمد فى التوراة ، وما ارْتكبوه من الكفر والمعاصى المؤدِّين إلى دخول النار ، واللهُ مطلعٌ على ضمائرهم ، عليمٌ بما صدرَ منهم من أنواع الظلم والمعاصى .

٣ — كما أمرَ اللهُ محمدًا أن يقوُلَ لهم : إنّ الموتَ الذى تفرّونَ منه ، ولا تجسرون على أن تتمنوه ، مخافةَ أنْ تؤخذُوا بوَبال أعمالكم ، سيلحقكم وينزلُ بكم ، مهما حاولتم الفرار منه ، ثمّ ترَدّون إلى الله المطلع على سركم وعلانيتكم ، فيخبرُكم بما كنتم تعملونه فى الدنيا ، ويجازيكم على ما اقترفتم من الكفر ، وما ارتكبتم منَ المعاصى .

(٣)

من الآية التاسعة من سورة الجمعة ، إلى آخر السورة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ ، وَذَرُوا الْبَيْعَ ؛ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ —١— . فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ —٢— . وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا ، وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ، قُلْ : مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ، وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نوديَ للصّلاةِ	أذّنَ المؤذّنُ لصلاة الجمعة .
فاسْعوا	فامضُوا مسرعينَ .
وذرُوا	واتركُوا .
ذلكمْ	الإشارةُ إلى السعى إلى ذكر الله وترك البيع .
إنْ كنتمْ تعلمون	إن كنتمْ من أهل المعرفة والعلم .

سورة المنافقون

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١١ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الرابعة

إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ ، قالُوا : نَشْهَدُ : إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ ، وَاللهُ يَعْلَمُ : إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ، وَاللهُ يَشْهَدُ : إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ —١— . اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً ، فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ؛ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ، فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ —٢— . وَإِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ —٣— . هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ، قاتَلَهُمُ اللهُ ! أَنَّى يُؤْفَكُونَ ؟ ! —٤— .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
الذين أظهروا الإسلام لأهله ، وأضْمروا الكفر .	المنافقون
نقرُّ ونعترفُ .	نشْهدُ
واللهُ يعلمُ .	وَاللهُ يشْهدُ
حلفهم ، وأقسامهم الكاذبةَ .	أيمانهم
وقايةً من القتل والسبى ، وستاراً يسترون به حقيقة أمرهم .	جُنَّة
منعوا من أرادَ الدّخولَ فى الإسلام .	صَدّوا عن سبيل الله
بئسَ العملُ عملهم ، وقبحاً لهم !	ساءَ ما كانوا يعملون
ما مرّ من أوصافهم وأخلاقهم وأعْمالهم .	ذلك
بسبب أنهم آمنوا بلسانهم ظاهراً ، وكفرُوا بقلوبهم سرًّا .	بأنهم آمنوا ثمّ كفروا
جعل اللهُ على قلوبهم غشاءً ، حتى لا تفقه شيئاً .	طُبعَ على قلوبهم
لا يدْركون حقيقةَ الإيمان .	لا يفقهون
تعجبك هيئاتهم ومناظرهم ، لضخامتها وجمالها .	تعجبك أجسامهم
تسمع فصاحة ألسنتهم وحلاوة كلامهم ، فتصْغى إليهم .	تسمعْ لقوْلهم
كأنهم خشبٌ مستندةٌ إلى حائط ، لخلوّهم من العلم والمعْرفة .	كأنهم خُشُبٌ مسنَّدةٌ
يظنون كلّ نداء لأىّ أمر واقعاً عليهم .	يحسبون كل صيحة عليهم
هم أشدّ أعدائك فاحذَرْهم ، لأنهم يفشون أسرارَك .	همُ العدُوّ فاحذرْهم
لعنهم اللهُ وأهلكهم ! .	قاتلهمُ اللهُ
كيْفَ يعدلون عن الحقّ والإيمان ، بعد قيام الدليل والبرْهان ؟ .	أنّى يؤْفكون

منافقو المدينة

١ – ابتلَى الإسلامُ فى المدينة بجماعة من المنافقين، تظاهرُوا بالإيمان، وأضمَرُوا كفرهم، ومنهم عبدُ الله بن أُبىّ، وكان جسيماً فصيحاً، يحضرُ مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى جماعة من أصحابه من المنافقين، فيُعجبُ النبىَّ فصاحةُ ألسنتهم، وحلوُ كلامهم، وضخامةُ أجسامهم، فيصغى إلى كلامهم، فنزلت هذه السورةُ لتفضحهم، وتبين أعمالهم وأخلاقهم.

مجمل المعنى

١ – أخبرَ اللهُ جلّ شأنه رسولَه عليه الصلاة والسلام، أنه إذا حضرَ مجلسك هؤلاء المنافقون، تظاهروا بتصديقكَ، وشهدوا لك بالرسالة بألسنتهم كذباً ومخادَعة، فقالوا: نشهدُ أنكَ رسولُ الله، واللهُ جلّ شأنه يعلم أنك رسوله حقا، سواء أشهدَ هؤلاء المنافقون أمْ لم يشهدوا، واللهُ يشْهد أنهم أظهروا غيرَ ما أضْمروا، لأن قولهم هذا يخالفُ اعتقادَهم؛ وكسرت همزة «إنّ»: لوجود اللام فى خبرها.

٢ – وكان من عادة هؤلاء المنافقين، أنه إذا ظهرَ شىءٌ منهم يوجبُ مؤاخذتهم، حلفوا كذبا وبهتاناً أنهم أبرياء، وقايةً لأنفسهم من القتل أو السبى، ولأموالهم من المصادَرَة، فكانوا يتخذون من هذه الأيمان الكاذبة ستارا يخفى حقيقتهم، ويتخذون من تظاهرهم بالإسلام وَسيلةً لمنع من أرادَ الدخول فيه، فقبحاً لهم! وبئسَ عملا عملهم! لإيثارهم الكفر على الإيمان، وإظهارهم خلافَ ما

يبطنون ، إذ فعلوا كما يفعلُ من يدخلُ فى الإسلام بالنطق بالشهادتين ، وأعلنوا بقاءهم على الكفر عند أمثالهم من المنافقين ، فإذا لقُوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا خلَوْا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم ، إنما نحن مستهزئون ، فاستحقوا أنْ يختمَ اللهُ على قلوبهم ، ويترُكهم لأنفسهم الجاهلة ، وأهوائهم الباطلة ، لا يفقهُون الحقّ ولا يدْركُونه ؛ والمرادُ بالختْم على القلوب : أن القلوبَ أوْعيةٌ لما أودعت من العلوم والحقائق ، فالختم عليها يمنعُ من وصول المعارف والحقائق إليها .

٣ — ثم يخاطبُ اللهُ رسوله ، بأنه إذا رأى هؤلاء المنافقين أعجبته أجسامهم : لضخامتها ، وتناسب أعضَائها ، وحسن منظرها ، وإن قالوا فى مجلسه شيئاً أصغى إليهم : لفصاحتهم وحلاوة كلامهم ، مع أنهم ليسوا فى مجالس الرسول — لعدم تفهمهم وتبصرهم — إلاّ أشباحاً خاليةً من الفائدة والجدْوَى ، كالخشُب المستندة إلى حائط ، التى لا تعقلُ ولا تفهمُ ، كما أنهم لخوفهم وتوقعهم الإيقاعَ بهم فى كلّ وقت ، إذا ظهرَتْ حقيقةُ أمْرهم ، يظنونَ كلّ صوت أوْ نداء فى أمر من الأمور ، موَجهاً إليهم ، يفضحهم ويكشفُ أستارهم ، ويفشى أسرارهم ، ويبيحُ للمسلمين قتلهم أو سبيهم ، ومصادَرَة أموالهم .

٤ — هؤلاء ألدّ أعدائك يا محمد فاحذرْهم ، ولا تنخدع بكلامهم ، لأنّ ألسنتهم معكم حينَ يلقونكم ، وقلوبهم عليكم حين يلقوْن أعداءكم ، لعنهم الله وأخزاهم ! إذ كيف يعدلون عن الحقّ والإيمان ، بعد أنْ قامَ عليهما كلّ دليل وبرْهان .

(٢)

من الآية الخامسة إلى الآية الثامنة ، من سورة المنافقون

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ، وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ؛ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ؟ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ! إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ –١– . هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ : لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ، وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ –٢– . يَقُولُونَ : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ –٣– . وَلِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ –٤– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لوَّوْا رُءُوسَهم	ثَنَوْا رُءُوسَهم ، وعطفوها إعراضاً واستكبارا .
يصُدُّون	يُعرِضُون .
الفاسقينَ	الخارجين عن طاعة الله .
علىٰ مَنْ عندَ رسول الله	على فقراء المهاجرين .

الألفاظ	شرحها
ينفضُّوا	يتفرّقوا عن رسول الله .
ولله خزائنُ السموات والأرض	وبيد الله الأرزاقُ ، يقسمها حسب مشيئته .
لا يفقهُون	لا يفهمُون .
لئنْ رَجعنا إلى المدينة	لئن عدْنا منَ غزوَة بني المصْطَلِق إلى المدينة .
الأعزّ	عبدُ الله بنُ أُبيّ ومن معه من المنافقين .
الأذَلّ	رَسولَ الله ومن معهُ من المؤْمنين .
وَلله العزّةُ	ولله الغلبةُ والقوّةُ .
لا يعلمون	لا يدركون ذلك لجهلهم وَغرُورهم .

مجمل المعنى

١ — ظهرَت للمسلمين علاماتٌ تدُلّ على خداع المنافقين ، ومحاولتهم الدّسَّ والوقيعةَ بين المسلمين ، وعلمَ بذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم من زَيد ابن أرْقمَ ، أحد المهاجرين ، فأرسلَ إلى عبد الله بن أُبيّ زعيم المنافقين وأصحابه ، فحلفوا أنهم ماقالوا ، وما فعلُوا شيئاً يضرّ المؤمنين ، ولامهم المؤمنون على ما اقترَفوا ، وقالوا لهم : امضُوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعترفوا بذُنوبكم ، وتوبوا إلى الله ، واعتذروا عما فرط منكم ، يطلب لكم من الله المغفرةَ ، فاعترَضُوا أنفةً واستكبارا ؛ ولما أبوْا أنْ يذْهبوا إلى الرسول ليعلنوا توْبتهم واعتذارهم ، وأصرّوا على الإباء ، خاطب اللهُ رسوله عليه الصلاة والسلام ، بأن الاستغفار لهم وعدمَ الاستغفار ، سواءٌ ، فلاجدْوَى من محاولة استصلاحهم ، لأنّ اللهَ لنْ يغفرلهم ما اقترَفوا من الآثام والذنوب ، وأنه لا يهدى إلى الإيمان منْ تجاوز الحدّ فى الخرُوج عن طاعته ، وانهمكَ فى كفرهِ ونفاقه .

٢ — وكيفَ يستحقون مغفرةَ اللهِ لهم ، وهم الذين حاوَلوا الإيقاعَ والتفرقةَ بين المهاجرين والأنصار بدسائسهم ، والسعى بينهم بالنميمة ، فكانوا يقولون للأنصار سكان المدينة : لا تنفقوا على فقراء المهاجرين الذين آويتموهم ، وآثرْتموهم على أنفسكم ، وأحللتموهم بلادَكم ، وقاسمْتموهم أموالكم ، فإنكم إن أمسكتمُ عن النفقة عليهم ، تفرّقوا عن رسول الله ، وتحوّلوا عن دياركم وبلادكم ؛ وقد ردّ اللهُ كيدَ المنافقين فى نحورهم ، فلم يصْغِ الأنصارُ إلى وشاياتهم ؛ وإنّ خزائنَ الأرزاق بيده جلّ شأنهُ ، يعطى من يشاءُ ، ويمنعُ من يشاءُ ، ولكن المنافقين لا يفهمون هذا المنطقَ السليم ، لجهلهم أنّ اللهَ إذا أراد شيئاً أن يقولَ له : كنْ ، فيكون على الفَوْر .

٣ — افتضاح أمر عبد الله بن أُبىّ وانخذاله

حدث أن غزا النبىّ بنى المُصطلق — وهم فرْعٌ من قبيلة خزاعة ، على مقربة من مكة — وكان قد علمَ أنهم يحرّضُون عليه ، ويريدُون قتله ، فأسرَع فى الخروج إليهم لمفاجأتهم ، وأحاطَ المسلمون بهم ، وقتلوا منهم عشرة ، وأسرُوا الباقين ، وخرجَ عبدُالله بنُ أُبىّ فى جماعة من أصحابه مع المسلمين ، رغبةً فى الغنيمة ، وبعد انتهاء المعركة ، حدَثَ أنْ زاحمَ أجيرٌ لعمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، كان يقودُ فرَسه — وكان من المهاجرين — معَ رَجل من الأنصار من قبيلة الخزْرَج ، على الماء ، فاستنجد المهاجرُ بالمهاجرين ، واستنجدَ الأنصَارى بالأنصار ، وسمع عبد الله بنُ أُبىّ الاستغاثة ، فتحرّك فى نفسه كامنُ الحقد على محمد والمهاجرين ، وقال لجلسائه : لقد كاثرنا المهاجرون فى ديارنا ، وانتفعوا بأموالنا ، أمَا والله لئن رجعنا إلى المدينة ، ليخرجنّ الأعزُّ منها

الأذلّ ، وعلم رسولُ الله ما قاله ، وكان عندَه عمر بنُ الخطاب ، فهاجَ عُمرُ ، وطلبَ من رسول الله قتله ، فقال له رسول الله : « فكيف يا عمر إذا تحدّثَ الناسُ ، وقالوا : إنّ محمداً يقتل أصحابه؟ » وخشى عبدُالله بنُ عبد الله بن أبيّ —وكان مسلما حسن الإسلام— أن تتكاثر الأدلّة على نفاق أبيه وكفره ، فيأمر النبيّ بقتله ، فذهب إلى الرسول ، وقال له : بلغنى أنك قد تريدُ قتل أبى فيما بلغكَ عنه ، فإن كنتَ فاعلاً فمرْنى بقتله ، فإنى لأخشَى أنْ تأمرَ غيْرى بقتله ، فلا تدَعُنى نفسى أنظرُ إلى قاتله ، فأقتل مؤْمنا بكافر ، فأدخل النارَ ؛ فأجابهُ الرسول : « إنا لانقتله ، بل نترَفق به ، ونحسنُ صُحْبته ما بقىَ معنا » .

٤ — وقد ردّ اللهُ على عبد الله بن أبيّ : بأن القوّةَ والغلبةَ لله ، ولمنْ أعزّه اللهُ من رسوله ومنْ آمنَ به ؛ ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك من فرْط جهلهم وغرُورهم ؛ وقد ظهرت هذه العزةُ حين عادَ المسلمون وعبدُالله بنُ أبيّ إلى المدينة ، فإنه عند ما أرادَ عبدُالله بنُ أبيّ دخول المدينة ، سلّ ابنهُ سيفه ، وقال له : والله لا أُغمده حتى تقولَ : محمدٌ الأعزُّ وأنا الأذلّ ، ولم يتركه حتى قالها .

(٣)

من الآية التاسعة من سورة المنافقون، إلى آخر السورة

يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ
ذِكْرِ اللهِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ —١—. وَأَنْفِقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ، فَيَقُولَ: رَبِّ،
لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ، فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ! —٢—.
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ —٣—.

شَرْحُ الأَلْفَاظ

الألفاظ	شرحها
لا تلهكمْ	لا تشغلكم .
ذلكَ	الاشتغالَ بالأموال والأوْلاد .
الخاسرون	المصابون بالخسارة .
أنفقوا مما رزَقناكم	أنفقُوا بعضَ أموالكم .
يأْتيَ أحدَكمُ الموتُ	ينزْل الموتُ بأحدكُم، برُؤْية علاماته وأمارَاته .
لوْلاَ أخرْتنى	هلاَّ أمهلتنى ! .
أجل قريب	زَمن قريب .
فأصّدّقَ	فأتصَدّقَ .
وَأكنْ من الصّالحينَ	وأتدارك ما فاتنى .
إذا جاءَ أجلها	إذَا وَافاها آخر عُمرْها فى الدنيا .

مجمل المعنى

١ - يأيها الذين صَدّقوا بالله ورسوله ، لا يشغلكم الاهتمامُ بتدبير أُمور أموالكم وأولادكم : من التصرف فى الأموال ، والسرور بالأولاد ، عن الاشتغال بذكر المولى جلّ شأنهُ ، الذى وهبكم هذه الأموالَ وهؤلاء الأولاد : من الصلاة وسائر العبادات ، وَمَنْ تلهه أموَالهُ وأوْلادُه عن العبادات ، فأولئك هم الخاسرون ، لأنهم باعوا العظيمَ الباقى ، بالحقير الفانى .

٢ - وأنفقوا أيها المؤمنون من بعض ما أعطيناكم ، وتفضّلنا به عليكم من الأموال ، فى الزكاة وغيرها من وجوه الإنفاق ، لتكُونَ ذُخراً لكم فى الآخرة ، من قبل أنْ يرى أحدُكُم أمارات الموْت ومقدّماته : من مرض ونحوه ، فيسأل البقاء فى الدنيا ، قائلا : يا ربّ ، هلا أمهلتنى وأخرْت أجلى وقتاً قصيراً ، حتى أتَصدق وأتداركَ ما فاتنى من الصلاح والتقوى ، وسائر قواعد الإسلام ؛ وجُزمت « أكن » عطفاً على محل « فأصّدّق » ، كأنه قيل : إن أخرتنى أصّدّقْ وأكُنْ من الصالحين .

٣ - واللهُ سبحانه وتعالى لن يُمهلَ نفساً عن الموت ، إذا دنا آخرُ عُمرِها ، وانتهى زَمنُ حياتها فى الدنيا ؛ واللهُ خبيرٌ بأعمالنا ، يُجازينا عليها عند الحساب ، إنْ خيراً فخيرٌ ، وإن شرًّا فشرٌّ .

سورة التغابُن

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٨ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الرابعة

يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ –١– . هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ :
فَمِنْكُمْ كَافِرٌ ، وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ –٢– .
خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ؛ وَإِلَيْهِ
الْمَصِيرُ –٣– . يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ –٤– . وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ –٥– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسبح لله	ينزّهُ اللهَ عمّا لا يليقُ به .
بصيرٌ	عليمٌ ، خبيرٌ ، مطلعٌ
بالحقّ	حقًّا يقينيًّا لا ريبَ فيه .
أحسنَ صُوَرَكمْ	أجمل خلقكم ، بأنْ جعلَ شكلَ الآدَميّ أحسنَ الأشكال .
المصيرُ	المرْجعُ .
بذَاتِ الصّدُور	بما فى الصّدُور من الأسرار والمعتقدات .

مجمل المعنى

١ — يَخضَعُ لله وينزّههُ كلّ ما فى السموات وما فى الأرض ، من جميع العوالم والمخلوقات ، تنزيهاً دائماً مستمرًّا ، وهو يَملك ما فى السموات وما فى الأرض ، وسلطانهُ مبسوطٌ على جميع الخلق ، وقضاؤُهُ نافذٌ ؛ وله الحمدُ من خلقه ، لأنه رازقهم ، وهاديهم إلى الخير ، وهو ذُو قدْرَة قادرة ، يُحيي ويميت ، ويغنى ويفقر ، وَيهْدى ويُضلّ ، ويعزّ ويذلّ ، لا يعجزُه شىءٌ .

٢ — ومن دلائل قدْرَته ، أنه هو الذى خلقنا على فطرة سليمة ، ومع ذلك فمنا من يكفُر ، ومنا من يؤْمنُ ، واللهُ لا يَخفى عليه كفرُ الكافر ، ولا إيمانُ المؤْمن ، فهو بصير بأعمالنا ، عالمٌ بها ، لا يَخفى عليه شىءٌ فى الأرض ولا فى السماء ، وسيجازى الكافر على كفره ، والمؤْمن بإيمانه .

٣ — وخلق اللهُ السموات والأرضَ حقًّا بقدْرة تدلُّ على عظمته ،

وخلق الإنسانَ فى أحسن صورة ، وأجمل شكل ، وإليه مرْجعُ جميع الخلق .

٤ — وَيعلمُ اللهُ ما فى السموات السبع ، وما فى الأرَضين السبع ، وما يعلنهُ الناسُ وما يسرّونه من قول وعَمل ، بل هو يعلمُ ما يدور فى ذهن الإنسان ، أو يطوفُ بخاطره ، أو يهجسُ فى قلبه ، مما هو أخفى من السرّ ؛ لذلك كان يَجبُ ألاّ نسر غير ما نعلن ، وألا نبدى غير ما نبطن ، فكل ذلك يُحصيه اللهُ ، ويحاسبنا عليه .

٥ — وذكر اللهُ سبحانه وتعالى فى هذه الآيات، أنه بصير بما نعمل ، وأنه يعلمُ ما نسرّ ونعلنُ ، وأنه عليمٌ بجميع ما يَجيش بصُدُور الناس ، وهذا كلهُ فيه معنى التهديد والوَعيد للإنسان ، حتى لا يَجترئ إنسانٌ على الله أو يخالفه .

(٢)

من الآية الخامسة إلى الآية ١٣ من سورة التغابن

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ؟ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ،
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ —١— . ذٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ،
فَقَالُوا : أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ؟ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ، وَاسْتَغْنَى اللهُ ، وَاللهُ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ —٢— . زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ، قُلْ : بَلَى ! وَرَبِّي
لَتُبْعَثُنَّ ، ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ، وَذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ —٣— . فَآمِنُوا
بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ، يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ، ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ؛ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ
وَيَعْمَلْ صَالِحاً ، يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ ! —٤— . مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ
بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ : وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ —٥— . وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ؛
اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ —٦— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألمْ يأتكم	الخطابُ لكفار قرَيش .
وَبالَ أمرِهم	عاقبةَ عَملهم ، وضررَ كفرهم ، ووخامةَ عاقبتهم فى الدنيا .
بالبينات	باُلحجج الواضحات
أَبَشرٌ يهدوننا	استنكروا وتعجبوُا أَنْ يكوُنَ الرّسولُ إليهم من البشر .
وتولَّوْا	وأعرَضوا عن التأمل فيما أتى به الرّسلُ من الُحجج .
واستغنى الله	أظهرَ غناهُ عن إيمانهم ، بأنْ أهلكهم وقطعَ دابرهم .
غنى حَميدٌ	مستغنٍ عنْ عبادَتهم ، محمودٌ فى جميع فعاله .
زَعمَ	ادّعى .
الذين كفَرُوا	المراد : أهلُ مكةَ .
يسير	هينٌ سَهلٌ .
والنور الذى أنزْلنا	والقرآن الذى أنزلناه على محمد ، لما فيه من الهداية .
ليومْ الجمع	ليوم القيامة ، الذى يَجتمعُ فيه جَميعُ الخلائق .
التغابن	أنْ يغبن الناسُ بعضُهم بعضاً فيه .
يكفر عنه سيئاته	يغفرْ له ذُنوبه .

مجمل المعنى

١ — يُخاطبُ اللهُ تعالى كفارَ قرَيش ، ويوَجهُ نظرَهم إلى أخبار سابقيهم ، ويسألهم فى تهكم واستنكار : ألمْ يصل إليكم خبرُ الذين كفروا من

قبلكم ، وكذّبوا أنبياءهم : كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ؟ فإن هؤلاء ذاقوا نتيجة كفرهم ، بأنْ عاقبهم اللهُ فى الدنيا ، وسيعذبهم عذاباً شديداً فى الآخرة .

٢ — وهؤلاء هم الذين جرّوا على أنفسهم غضبَ الله ، فلم يفكّروا فيما جاءَهم به أنبياؤُهم ، من حجج قاطعة بصدْق رسالتهم ، وأنكروا عليهم أنّ الله يَختصّهم بالرسالة دون غيرهم ، مع أنهم بشرٌ مثلهم ، وظنوا أنه لو أراد اللهُ أن يرسل إليهم رُسُلا ، لأرسل ملائكةً ، ولهذا نفروا من أنبيائهم ، وأعرضُوا عنهم ، ولم يقبلوا الحقّ الذى جاءوهم به واضحاً بيناً ؛ واللهُ سبحانه وتعالى غنىٌّ عنهم ، وعنْ إيمانهم به وبرُسله ، غنىٌّ عن جميع خلقه ، محمودٌ بجميل نعمه ، وكريم فعله ، وحسن هدايته ؛ وفى الآية ما يدُل على مبالغة الكفار فى العناد ، فإنهم يستنكرون أنْ يكونَ رسولهم بشرا ، ولم يستنكروا أنْ يكون معبودُهم حجراً .

٣ — ظن هؤلاء الكافرون أنهم لنْ يبعثوا يومَ القيامة ، وأنهم لن يَخرُجوا من قبورهم بعد مماتهم ؛ واللهُ يأمرُ نبيه أن يؤكد لهم أنهم مبعوثون يوم القيامة ، وأنهم يُجزَوْن بعملهم ، فيحاسبون ويُجازون ، وهذا كلهُ سهلٌ يسير على الله .

٤ — إذا كان الأمرُ كذلك ، وَجبَ عليكم أيها المشركون أن تصدّقوا ، فتؤْمنوا بالله ، وبرسول الله ، وبالقرآن الذى أُنزلَ على رسول الله ، واللهُ خبيرٌ بأعمالكم ، محيطٌ بها ، مُحص لها ، مُجازيكم عليها يومَ جمع الخلائق عند البعث للعرض ، وهو اليومُ الذى يتغابنُ فيه الناسُ ، فيتهكم سعداؤهم بأشقيائهم ، ويتندّرُ المؤمنون بالكافرين ، وفى هذا اليوم يغفرُ اللهُ للمؤمنين ذُنوبهم ، ويدخلهم الجنات التى يُخلدون فيها ، ويفوزُون بها ، أما الكافرون المكذّبون فسيدخلون جهنم ، ويُخلدون فيها ، وتلك نهايةٌ شنيعةٌ سيئةٌ ، سببها لهم كفرُهم ؛ والتغابن : مأخوذٌ من غبنه فى البيع والشراء غبنا ، إذا غلبه أو نقصَه حقهُ ، أو أخذَ الشىءَ منه بأقل من قيمته ، وهو هنا تمثيلٌ ، كأن أهل الجنةَ اشتروا الآخرةَ

بترك الدنيا، فربحوا فى تجارتهم، وأهل النار اشتروا الدنيا بترك الآخرة، فخسروا فى تجارتهم، فكأنه حدث نوعٌ من المبادلة، ربحَ فيه المؤمنون، وخسر الكافرون .

٥ — لا يصابُ أحدٌ بشرٍّ إلا بقضاء الله وتقديره ، يعلمُ ذلك المؤمنون بالله، الذين هدى اللهُ قلوبهم للإيمان ، ووفقهم للتسليم بقضاء الله الذى يعلمُ كلّ شىء ، فالمؤمن يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنّ ما أخطأه لم يكنْ ليصيبه .

٦ — والذين يريدون النجاة لأنفسهم فى الدنيا والآخرة ، يجبُ عليهم أن يطيعوا اللهَ فى أمره ونهيه ، وأنْ يطيعوا الرّسولَ فى كل ما يبلغهم عن الله ، لأنّ الرسولَ ليس عليه إلاّ أنْ يبلغَ الرسالةَ من الله الواحد ، الذى لا شريكَ له ، وهو الذى يتوكلُ عليه المؤمنون لوحدانيته ، فإنْ أعرضَ الكفارُ عن سماع دعوة الرسول ، فليصبر وليتأس بما فعله الكفارُ مع من سبقه من الأنبياء ، فليس على الرسول إلا التبليغُ .

(٣)

من الآية ١٤ من سورة التغابن، إلى آخر السورة

يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُم، وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ —١— . إِنَّمَا أَمْوَالُكُم وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ، وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ —٢— . فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ —٣— . إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ، وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فاحذَرُوهم	فلا تأمنوهم .
فتنةٌ	اختبارٌ وفتنةٌ لكم ، أو سببٌ لاشتغال القلب بهم .
ما استطعتمْ	غاية جهدكمْ .
وَمنْ يُوقَ شحَّ نفسه	ومن يُحفَظ بتوفيق الله من بُخل نفسه .
إنْ تقرضُوا اللهَ	إنْ تنفقوا المالَ فى وُجوه الخير .

شرحها	الألفاظ
إنفاقاً بإخلاص .	قرْضاً حسناً
يَجْزِكُمْ ثوابه أضعافاً مضاعفةً .	يضَاعفهُ لكمْ
يعطى كثيراً على العمل القليل .	شكُورٌ
لا يعجِّلُ بالعقوبة .	حليمٌ
لا يَخفى عليه شَىْءٌ .	عالمُ الغيب والشّهادَة

إيثار الصفح

أسلمَ رجالٌ من أهل مكةَ ، وَرَأَوْا أن يذْهبوا إلى المدينة ، ويلحقوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فمنعهم أزْوَاجهم وأوْلادُهم أنْ يذْهبُوا إلى المدينة ، وبعد مدّة ذَهبُوا إلى المدينة ، فوَجدُوا من بها من المسلمين قد تفقهوا فى الدّين ، فهمُّوا أنْ يعاقبوا زوجاتهم وأولادهم ، فأنزلَ اللهُ : « يأيها الذين آمنُوا ، إنّ من أزْواجكُم وَأوْلادكم عدُوًّا لكم فاحذَرُوهم » ، فغضبوا وأقسموا : ليُعاقِبُنَّ أهلهم بسبب ذلك ، فأنزلَ الله : « وإنْ تعفُوا وتصْفحُوا وتغفرُوا فإنّ اللهَ غفُورٌ رَحيمٌ » .

مجمل المعنى

١ — يُخبرُ اللهُ الذين صَدّقُوا اللهَ ورسوله ، أنهم يَجدُون من أولادهم وأزواجهم أعداءً لهم ، يصُدّونهم عن دين الله ، ويثبطُونهم عن طاعة الله ، ويُخاصِمُونهم فى أمر دينهم ، ويُحذّرُهم اللهُ إياهم ؛ ومع ذلك فإنه يدعو إلى ترْك

معاقبتهم ، والصفح عنهم ، والإغضاء عن ذُنُوبهم ، وملاينتهم ، فإنّ في ذلك تمهيداً لاعتذارهم ، واستمالة قلوبهم ، والله يغفرُ لمن يستحقّ المغفرةَ ، ويرْحمُ من يستحقّ الرحمةَ ، فلا يعاقب التائبينَ .

٢ — الأولاد مَشْغَلة

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَخطب ، فجاءَ الحسنُ والحُسين رضى الله عنهما ، وعليهما قميصان أحْمرَان ، يعثران ويقومان ، فنزَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأخذهُما ، فرَفعهما فى حِجره ، ثم قال : « صدق اللهُ ورسولُه ، إنما أموالكم وأوْلادُكم فتنةٌ ، رأيت هذين فلمْ أصْبر ، حتى قطعتُ حديثى ورَفعتهما » ، ثم أخذَ يخطب ، أىْ : أنّ الأموالَ والأوْلادَ بلاءٌ فى الدنيا ، يشتغلُ القلبُ بهما عن الطاعات وقد يرْتكبُ من أجلهما بعضَ المحرمات ؛ واللهُ سبحانهُ وتعالى عنده أجرٌ عظيمٌ ، للذين يُؤثرون طاعته ومحبته على طاعة أولادهم ومَحبتهم .

٣ — وعلى الإنسان أنْ يبذُل غاية جهْده فى تقوى الله ، وسماع مواعظه ، وإطاعة أوامره ، واجتناب نواهيه ، وإنفاق المال فى وجوه الخير ، فإن ذلك كله خيرٌ له ، يعودُ عليه نفعه فى الدنيا والآخرة . والذين يحفظهم اللهُ من بُخل أنفسهم ، ويجنبهم تأثيرها فى الإغراء باتباع الهوَى ، ويُخالفونها فيما يغلب عليها من حبّ المال ، وبغض الإنفاق ، هم الذين ينجيهم اللهُ من عذابه .

٤ — والذين يصرفون أموالهم فى وُجوه الخير التى أمرَ اللهُ بها ، ويحتسبون بصرْفها الأجرَ والثوابَ عندَ الله ، يضاعفُ اللهُ لهم ثوابهم ، من عشرة أمثال إلى سبعمائة ، أو إلى أكثر منْ ذلك ، ويغفرُ لهم ذُنوبهم ، ولا يعاقبهم عليها ؛ واللهُ يشكرُ لهؤلاء المنفقين فى الآخرة إنفاقهم ، ويَحلمُ على العاصين ، فلا يعجل عقوبتهم ، وهو يعلمُ خائنة الأعين ومَا تُخفى الصّدُورُ ، ويشتدّ فى انتقامه ممن عصَاهُ وأصرّ على عصْيانه ، ويُحكمُ تدْبير خلقه ، سبحانه وتعالى .

سورة الطلاق

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٢ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآيه الثالثة

يٰأَيُّهَا النَّبِيُّ، إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ -١-. وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ -٢- . وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ، لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ -٣- .
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ -٤- . وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ ،
وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، لَا تَدْرِى ، لَعَلَّ اللهَ
يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْرًا -٥- . فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ -٦- . وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ
مِنْكُمْ، وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلّٰهِ -٧- . ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ
بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ -٨- . وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ،
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ -٩- . وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ ، إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ، قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ
شَيْءٍ قَدْرًا -١٠- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لعدّتهنّ	فى الزمان الذى يصلح لعدّتهن .
وأحصُوا العدّةَ	واضبْطوها بالعدَد ، وأكملوها ثلاثَ حيضات مستقبلات كواملَ ، لا نقصان فيها .
منْ بيوتهنّ	من مساكنهنّ اللاّئى يقمنَ فيها مع أزواجهن .
بفاحشة مبينة	معصية ظاهرة كالزنّى ، أو يكون سبباً فى الُحكم عليها بالنشوز ، أو كلّ أمر قبيح .
يُحدث بعدَ ذلكَ أمْرًا	يبدّل بالإعراض إقبالاً ، وبالبغض محبةً .
بلغنَ أجلَهنّ	أشرَفنَ على إتمام عدّتهن .
فأمسكوهنّ بمعرُوف	فراجعوهنّ وعاشرُوهنّ بمعروف .
ذَوَىْ عدْل	شاهدَيْن مسلمين حرّيْن ، متصفيْن بالعدالة .
أقيموا الشّهادَة لله	أدّوا الشّهادَة خالصةً لوجه الله .
منْ حيثُ لاَ يَحتسبُ	منْ وَجه لا يَخطرُ لهُ ببال .
حسبُه	كافيه .
بالغُ أمْره	لا يفوتهُ مرادٌ ، ولا يعجزُه مطلوبٌ .
قدْراً	تقديراً وتوْقيتاً .

مجمل المعنى

١ — خاطب اللهُ النبىّ — وأراد أُمته — لأنّ هذا أمْرٌ تشريعىٌّ ، فهو للمسلمين جميعاً ، مبيناً ما يأتى :

إذا أرادَ مسلمٌ تطليقَ زوجته ، فعليه أنْ يلتمس الوقتَ المناسبَ للدخول فى

العدّة ، ويكون ذلك عقب الطهر من الحيض ، على ألاّ تكون قد وقعت فى ذلك الطهر ملامسةٌ .

ب ــ أما تطليق المرأة وهى حائضٌ فهو مخالفٌ للسنة ، فقد رُوِىَ أنّ عبدَ الله بنَ عُمرَ طلقَ امرأته وهى حائضٌ ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ما هكذا أمرَكَ اللهُ ، وقال لعمر : «مُرِ ابنك فليراجعها ، ثم ليدَعها حتى تحيضَ ، ثم تطهرَ ، ثم ليطلقها إنْ شاءَ » ، فتلك العدةُ التى أمرَ اللهُ أنْ نطلق فيها النساء .

٢ ــ إذا وقعَ طلاقٌ على الوجه السابق ، تُرِكت المرأةُ حتى تنقضى عدّتها ، والعدّة : ثلاثُ حيضات كوامل تقعُ بعد الطلاق ، أما التى لا تحيض لأنها حبلى ، فعدّتها تنقضى بالوضع ، والتى لا تحيضُ لصغر أو كبَر ، فعدّتها ثلاثةُ أشْهر .

٣ ــ وإذا طلقّ الرجلُ زوجته ، وجب عليه أنْ يتقى اللهَ ، ويخافه ، ولا يتعدّى حدودَه ، فيترك المطلقةَ تقضى عدتها فى بيت الزّوْجية ، ولا يجوزُ للزوج أنْ يرْغمَ زَوْجتهُ على الخرُوج غضَباً عليها ، أوْ كرَاهة لمساكنتها ، أو لحاجته إلى المسكن ، فهو مسكنها ما دامت فى عدّتها ، وكذلك يظلّ سلطانهُ مبسوطاً عليها فى حدود حقه ، فله أن يَمنعها أن تخرُجَ من البيت إذا طلبتْ ذلك ، وليس لها أنْ تخرُجَ من غير إذن إذا أرادت الخروج .

٤ ــ ويَجوزُ للرجل إخراجها من منزل الزوجية فى الأحوال الآتية :

(ا) إذا ارتكبتْ جريمة الزنى .

(ب) وإذا طلقت طلاقَ النشوز الذى يسقطُ معه حقّ التمتع بالسكنى فى منزل الزّوجية .

(ج) وإذا بذَأتْ وتوَقحت على زوجها أو حماتها .

(د) وإذا خرجت بدُون إذن مطلقها .

٥ ــ والطلاَقُ للعدّة ، وإحصاء العدّة ، والأمرُ باتقاء الله ، وعدمُ إخراج

المطلقة من بيتها إلا للأسباب المتقدمة — هذه الأشياءُ كلها حدودُ الله التى حدّها لخلقه ، وكلّ من يتجاوز هذه الحدودَ وَيتعدّاها، فقد ظلمَ نفسه بارتكابه ذنبا؛ ومع ذلك فالإنسانُ لا يعلمُ ما يَجرى فى الغيب، لعل اللهَ يكون مقدّراً أنكم تراجعونهنّ بعد تطليقهنّ ؛ إن لَمْ تَبِن المرأة بينُونةً كبرَى .

٧ — وإذا أوْشكت المطلقةُ أنْ تنتهى عدّتها ، فالرجلُ بالخيار : إما أنْ يراجعها، ويعاشرَها بالمعروف ، وإما ألا يراجعها، وتقعَ المفارقةُ من غير مضارّة ، بأن يراجعها مثلا فى نهاية عدّتها ، ثم يطلقها لتستأنفَ عدّةً جديدةً ، فإن فى ذلك تعذيباً لها .

٧ — وعند المراجعة أو المفارَقة، يشْهدُ شاهدان لهما دينٌ ، وفيهما أمانةٌ ، وتكون الشهادةُ خالصةً لوجه الله ، فلا هى للمشهود له ، ولا هى للمشهود عليه، وإنما هى لإقامة الحقّ ، ودفع الظلم ، فيؤَدّيها من يُدْعى إليها من غير تغيير ولا تبديل.

٨ — هذا الذى أمرَ اللهُ به وعرفناهُ من أمر الطلاق والعدّة ، وما يَجبُ على المطلِّق والمطلَّقة ، وما يُتَّبَعُ عند الإمساك وعند الفراق — هذا كلهُ عظةٌ يتعظُ بها المؤمنون . الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر .

٩ — وكلّ من يخافُ اللهَ ، ويعملُ بما أمرَ به ، ويجتنبُ ما نهى عنهُ ، يعرفُ أنَ اللهَ ييسر عليه أمرَه ، فإذا طلقَ مثلا فى الحدود التى رسَمها اللهُ فيما سبق ، ولم يراجع فى العدّة، ثم رَغبَ فى استرجاع الزّوْجية، جعل اللهُ له مَخلصًا، بأن يَخطبها ويعيدها إليه، إلاّ أن تبين بينونةً كبرْى بالطلاق ثلاثَ مرات، فإنّها لا تحلّ له حتى تتزوجَ زوجاً غيرَه ، ويعاشرها معاشرةَ الأزْواج ، واللهُ يُهيِّئُ له أسبابَ الرّزْق ، من حيثُ لا يعلم ولا يرْجو .

الصبر مفتاح الفرج

— كان لرجل من أشجع — وهى إحدى القبائل العربية — ابنٌ أَسرَهُ

المشركون، وأنزلوه بينهم، فأتى الرجلُ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، يشكو إليه مكانَ ابنه، وحالته التى هوَ بها، وحاجته، فكان النبيّ يأمُرُهُ بالصّبر، ويقول له: «إنّ اللهَ سيجعلُ لهَ مخرَجاً»، فلم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيراً، حتى انفلتَ ابنهُ من أَيدْى العدوّ، فمرّ بغنم من أغنام العدو، فاستاقها، فجاءَ بها إلى أبيه، وجاء معه بفتىً قد أصَابه مع الغنم، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: هل يحلّ لى أن آكل مما أتى به ابنى؟ قال: «نعم»، ونزلت الآيةُ: «وَمنْ يتق اللهَ يجعلْ له مخرجاً، وَيرْزُقهُ من حيثُ لا يحتسب».

١٠ — وَمنْ يوكل اللهَ فى أُموره، ويفوّضها إليه، فهو كافيه، واللهُ يبلغ ما يُريده، فلا يفوته ولا يعجزُه شىءٌ، وكلّ من يتوَكل على الله، ويراقبه فى أعماله، يكفرُ عنه سيئاته، ويضَاعفُ له أجرَه، واللهُ مقدرٌ لكلّ شىء وَقته الذى يقعُ فيه.

(٢)

من الآية الرابعة إلى الآية السابعة ، من سورة الطلاق

وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ ، فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ، وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ —١— . وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ : أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ —٢— . وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا —٣— . ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا —٤— . أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ، وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ —٥— . وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ، فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ، وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ —٦— . لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ، لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ؛ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا —٧— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اللائى يئسنَ من المَحيض	اللاتى انقطعَ حيضُهن لتقدم سنهن .
إن ارتبتمْ	إنْ خفى عليكم حقيقةُ أمرهن ، ولم تعرفوا كيفَ يقضين العدة .
اللائى لمْ يحضْنَ	الصغيراتُ اللاتى لمْ يصلنَ إلى سن البلوغ .
أولاتُ الأحمال	الحبلياتُ ذَواتُ الحمل .
أجلهن	انقضاءُ عدتهن .
أسكنوهن	أسكنوا المطلقات .
من وُجدكم	مما تجدُونه ويكونُ فى وسعكم وطاقتكم .
ولا تضَارُّوهن	ولا تعملوا على الإضرار بهن ، ومضايقتهن فى السكنى .
فآتوهن أجورَهن	فأعطوهن أجورَ الإرضاعْ .
وأتمرُوا بينكم	وتشاوَرُوا فى إرضاع الطفل عند امتناع أمـّه عنه .
بمعروف	بمسامحة ورُوح طيبة .
تعاسرتمْ	تعاندْتم واختلفتمْ فى الإرْضاع .
قُـدرَ	ضُيـِّقَ .

مجمل المعنى

١ — قال أبىّ بنُ كعب : يا رسولَ الله ، إن عِـدَداً من عدَد النساء لم تذْكر فى الكتاب : الصغار والكبار ، وأُولات الأحمال ، فأنزلَ الله : « واللائى يئسنَ من المحيض . . . » وعدة المطلقة ثلاثة أشهر فى حالتين :

(ا) النساء اللاتى شككن فى أن حيضَهن قد انقطع عنهن لتقدم سنهن — عدتهن ثلاثةُ أشهر ، بخلاف التى ترْتفع عنها حيضَتـُها وهى شابةٌ ، فإنه ينتظرُ بها ، خشية أن تكون حاملا ، فإن استبانَ حملها ، فعدتها تنقضى بالوَضْع ، وإن لم يستبنْ ، اعتدَّتْ بأقصى المدة ، وهى سنة .

(ب) والصغيراتُ اللاتى لم يبلغنَ سن الحـُلم .

٢ — والحامل : عدتها تنقضى بوضع حملها ، إذا طلقت أو توفى عنها زوجها .

٣ — والذين يخافون اللهَ ، ولا يخالفون تعاليمَ الشريعة فى شأن تطليق النساء طلاقاً رجعيّا ، فإن الله يسهل عليهم برُخصَة المراجعة ، ما دامت المطلَّقة فى العدة ، وبجواز خطبتها بعدَ انقضاء العدة ، وتزَوجها مرة أخرى .

٤ — وهذا الذى بيَّنه اللهُ لنا فى هذه الآيات ، من حكم الطلاق والعدة والرجعة ، تشريعٌ من عند الله يأمرُنا أنْ نقف عنده ، ونلتزم حدودَه ؛ والذين يخافون اللهَ ، فيجتنبون المعاصى ، ويؤَدون الفرائضَ ، يغفرُ لهم ذنوبهم ، ويضاعفُ أجرهم ، ويجزلُ ثوابهم .

٥ — ومن مظاهر تقوى الله ، أن الرجلَ إذا طلقَ زَوْجه ، وجبَ عليه أن يُسكنها مثلَ ما يَسكن ، ولو كان ذلك فى جانب من مسكنه الذى يقيمُ فيه ، إذا كان لا يقدرُ على غيره ، ولا يجوز مضايقتها فى المسكن على أى صورة من الصور لتتركه .

٦ — والحاملُ تنتهى نفقةُ عدتها بالوَضْع ، فإنْ أرضَعتْ مولودَها وجبَ على الأب الإنفاق عليها ، كما لو كانت ترْضع موْلودَ غيرها ، ويكونُ ذلك

بالتفاهم والتراضى بينهما ، فإذا أبت الأمُّ المطلقةُ أنْ ترْضع ولدَها ، لمضايقة الأب لها فى الأجر ، فإن اللهَ لن يحرِم هذا الطفلَ الذى تمنعه أمهُ لبنها ، أوْ يأبى أبوهُ أنْ يعطى أمه المطلقة أجرَ إرضاعه — لن يحرمه ظئراً غيرَها ترْضعه ، وتقومُ على شئونه ؛ وفى ذلك بعضُ العذاب على الأم التى تمتنع عن إرضاع وليدها

٧ — وكل رجل ينفقُ على قدر حاله ، فالموسرُ ينفق نفقة الموسر ، والمعسرُ ينفقُ نفقة المعسر ، كلٌّ على قدره ؛ والفقيرُ إذا أنفقَ ما يقدر عليه ، يفتحُ اللهُ له بابَ الرزْق ، وييسرُه له ، فيجعلُ شدته رَخاء ، وفقرَه غنى ، وضيقه سعة .

(٣)

من الآية الثامنة من سورة الطلاق ، إلى آخر السورة

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ، فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا ، وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ، فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ، وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا -١- . أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ، فَاتَّقُوا ٱللَّهَ يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا -٢- . رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ، لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ، يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُ رِزْقًا -٣- . ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ ، وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ، يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ، لِتَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا -٤- .

شَرْحُ الألْفاظ

الألفاظ	شرحها
وكأين	وكثير
من ْ قرْية	من ْ أهل قرية .
عتتْ عن ْ أمر رَبها	أعرَضت عن أمر ربها عناداً واستكباراً ، ولم تقبله ؛ من العتوِّ : وهو الاستكبارُ .
عذَاباً نكراً	عذَاباً منكراً شديداً ، ويكونُ ذلك يوم القيامة.
وَبالَ أمرها	عاقبةَ ما عَملتْ من المعاصى .
خسراً	غبناً ، لبيعهم الآخرة بالدنيا .
يا أولى الألباب	يا أصحابَ العقول .
ذكراً	قرْآنا .
رَسولا	وأرْسلَ رَسولا ، هو جبريل ُعليه السلام ، أو محمدٌ صلى اللهُ عليه وسلمَ
مبينات	موضحاتَ لمن يتبينها ويتدبرها .
من َ الظلماتَ إلى النور	من الضلال إلى الهدَى .
قدْ أحسنَ اللهُ له ُ رزْقاً	قدْ منحهُ اللهُ رزْقاً منَ الجنة .
يتنزلُ الأمرُ بينهن	يجرى حكمُ اللهِ بينهن ، وَينفذُ فيهن .

مُجْمَلُ المعْنَى

١ — هدَّدَ اللهُ من خالفَ الأحكامَ التى سبقَ شرْحها ، بأحوال الأمم السابقة ، فبيَّنَ أن كثيراً من أهل القرى طغوْا و بغوْا ، وعاندوا واستكبروا ، ولجُّوا فى العناد ، وخالفوا اللهَ وعصَوْا رُسله ، وأصروا على كفرهم ، فعرَّضوا أنفسهم لحساب

الله حساباً شديداً يومَ القيامة، حينَ يحصى عليهم ذنوبهم، ويعددُ نعمه عليهم، ليعذبهم عذاباً شديداً لا رحمة فيه ، فيذُوقوا بذلك العذاب عاقبةَ ما فعلوا فى الدنيا، من عصْيان وكفر وعناد .

٢ – وإن عذابَ النار الذى سيصْلونه ، أعدهُ اللهُ لهم ، فعلى العقلاء الذين يسمعون ويَتدَبرون، فيؤْمنون بالله ورسوله ، وبما نزلَ عليه من قرآن ، أن يتَّقوا الله ويطيعوه ، ويَحذَروا سخطه وغضَبه ، ويقبلوا على أداء فرائضه .

٣ – وأرسلَ اللهُ الرسولَ الكريمَ ، وأنزلَ عليه الذكرَ الحكيمَ ، يتلوهُ على الناس ليتعظَ به أصحابُ العقول الراجحة ، ويَخرُجوا من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وهؤلاء المؤمنون الصالحون يدْخلهم اللهُ يومَ القيامة الجنات التى تجرى الأنهارُ من تحت أشجارها وقصورها ، ويَنعمون بما فيها من خيرات ، ويمكثون فيها أبداً ، فلا يموتون ولا يُخرَجون ، بل يظلون متمتعين برزق واسع طيب ، وعيش رَغد هنىء .

٤ – اللهُ الذى يجبُ أن نعبدَه ، هو الذى خلقَ السموات السبع ، والأرضين السبع ، وخلقَ ما بينهما ، ودبر ذلك كله بعلمه وقدرته وإرادته ؛ والذى يخلق ذلك كله هو القادرُ الذى لا يعجزُهُ شىءٌ فى الأرض ولا فى السماء، ولا فيما بينهما ، وهو العالم بكل شىء، لا يعزُبُ عنهُ مثقالُ ذَرة فى الأرض ولَا فى السماء ، ولَا أصْغرُ من ذلكَ ولا أكبرُ .

سورة التحريم

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٢ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الخامسة

يٰأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ ، تَبْتَغِي مَرْضَاةَ
أَزْوَاجِكَ ؟ ! وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ —١— . قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ
أَيْمَانِكُمْ ، وَاللهُ مَوْلَاكُمْ ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ —٢— . وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ
إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ، فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ ، وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ ،
عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ، فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ ، قَالَتْ : مَنْ
أَنْبَأَكَ هٰذَا ؟ ! قَالَ : نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ —٣— . إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ
فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ، وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ
وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ —٤— .
عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ :
مُسْلِمَاتٍ ، مُؤْمِنَاتٍ ، قَانِتَاتٍ ، تَائِبَاتٍ ، عَابِدَاتٍ ، سَائِحَاتٍ ،
ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا —٥— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أحل اللهُ لك	جعلهُ حلالا لكَ .
تبتغى مرْضَاةَ أزْوَاجكَ	تطلبَ رضَا زوجاتك .
فرَضَ اللهُ لكمْ	شرَعَ اللهُ لكم .
تحلةَ أيمانكم	تحليل أيمانكم .
موْلاكم	متوَلى أمرَكم ، وربكم .
الحكيمُ	المتقنُ فى أفعاله وأحكامه .
بعض أزْواجه	حفصةَ بنت عمر زَوْجته .
نبأتْ	أخبرَتْ .
وَأظهرَهُ اللهُ عليه	وَأطلعهُ على خبر إفشائه .
عرّفَ بعضَه	أخبرَ السيدةَ حفصة بما عرفه ، أوْ جازاها به بتطليقه إياها .
وَأعرَضَ عنْ بعض	ولم يخبرْها ببعضه ، أوْ تجاوَز عنه ولم يؤَاخذْها به .
إنْ تتوبا	يقصدُ حفصَةَ وعائشةَ من أمهات المؤْمنينَ .
صَغتْ قلوبُكُما	مالتْ قلوبكما عن الوَاجب ، من الإخلاص لرَسول الله .
وَإنْ تظاهرَا عليه	وَإن تتعاوَنا عليه بالإساءة إليه .
موْلاهُ	ناصرُه وَمعينه .
وَصَالحُ المؤْمنينَ	والصلحاء من أتباعه وأعوانه .
ظهير	متظاهرون ومعاوِنون ، وناصرُون للنبى .

الألفاظ	شرحها
مؤْمنات	مخلصات طائعات .
قانتات	مصلّيات طائعات .
عابدات	متعبدات .
سائحات	صائمات ، أو مهاجرات .
ثيبات	سبقَ تزوّجهن .
أبكاراً	لمْ يتزوّجنَ بعد .

قصة حفصة

كانتْ حفصةُ بنتُ عمر ، وعائشةُ بنتُ أبي بكر ، من زوجات النبي صلى اللهُ عليه وسلم ، ومن أمهات المؤمنين ، وكانتا متحابتين ؛ وحدَثَ أن حفصةَ ذهبت إلى أبيها ، فأرسل النبي إلى جاريته مارية القبطية ، وظلت معه في بيت حفصة ، وكان اليومُ يومَ عائشةَ ، فلما رَجعت حفصةُ إلى بيتها وجدَتها ، فجعلت تنتظرُ خرُوجها ، وأصابتها غَيرةٌ شديدةٌ ، فأخرجَ النبي ماريةَ ، ودخلت حفصةُ ، وقالت : أيْ رسولَ الله ، لقد سؤتني في بيتي ! فقال صلى الله عليه وسلم : والله لأرضينّكِ ، فإني مسرٌّ لك سرًّا فاحفظيه ، قالت : ما هو ؟ قال : أشْهدك أن مارية عليّ حرامٌ رضاً لك ؛ وكان في نفس حفصةَ وعائشةَ وغيرهما من نساء النبي غيرةٌ شديدةٌ من مارية ، ولا سيما بعد أنْ ولدت إبراهيمَ ؛ فلم تُطقْ حفصةُ أنْ تكتم السر على النبي ، ولم تلبثْ أنْ انطلقتْ إلى عائشةَ ، وأسرت إليها : أن أبشرى ، إن النبي صلى الله عليه وسلم قد حرمَ عليه فتاته ؛ فلما أخبرَتْ حفصة عائشة بسر النبي صلى الله عليه وسلم ، أظهرَهُ اللهُ عليه ، وأطلعهُ على أمره .

حديث العسل

وقالوا فى رواية أخرى : كان النبى صلى الله عليه وسلم يزورُ زينبَ بنتَ جحش ، إحدى زَوْجاته وابنةَ عمته ، فيشربُ عندها العسلَ ، فاتفقت عائشةُ وحفصةُ وغيرُهما من نسائه ، على أنه حينما يدْخلُ على أيتهن ، تقول له : إنى أجدُ ريحَ مغافير — والمغافير : صمغ حلوٌ كالعسل يؤكلُ ، وله ريحٌ كريهةٌ — وكان النبى لا يحبُّ الرائحةَ الكريهة ، فدخلَ على إحداهما ، فقالت له ذلك ، فقال : « بل شربتُ عسلا عند زينبَ بنت جحش ، ولنْ أعودَ له » ، فلما دخل على الثانية ، قالت له : أكلتَ مغافيرَ؟ قال : « لا » ، قالت : فما هذه الريحُ ؟ قال : « سقتنى زينبُ شربة من عسل » ، ثم دخل على ثالثة ورابعة ، وكلهن ينكرْن عليه رائحة كريهة ، فحرَّمَ العسل على نفسه .

مجمل المعنى

١ — عتبَ الله سبحانه وتعالى على النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه حرمَ على نفسه شيئاً غيرَ حرام ، وهو جاريته مارية أو العسل ، استرضاء لزوجاته ، وفى هذا العتب حضٌّ له على أن يعود إلى الاستمتاع بما حرمه على نفسه ، والله يغفرُ له ما فعلَ من تحريم ما أحلهُ اللهُ له ، ويرْحمه بألا يؤاخذَه ؛ وقد عتبَ اللهُ عليه ، لأن فعله تشريعٌ ، فما يحرمه على نفسه يحرُم على أمته ، فكأنه حرّم غير محَرَّم .

٢ — وخروجاً من هذا ، رَخصَ اللهُ له بالفدْية ، وهى كفارَةُ اليمين ، واللهُ متولى أمرنا ، ويعلمُ صالحنا ، فيُرشدُنا إليه ، ويشرعه لنا ، ويُحكم كل

شَرْحُ الأَلْفاظ

الألفاظ	شرحها
قُوا أنفسكمْ	احفظوا أنفسكمْ من سوء العاقبة، بترك المعاصى وفعل الطاعات .
وَأهليكم	واحفظوا أهليكُم بالنصح والتأديب .
وَقودُها	ما توقدُ به .
عليها ملائكةٌ	يلى أمرها، ويقومُ عليها ملائكةٌ، وهمُ الزبانيةُ .
غلاظٌ شدادٌ	غلاظُ الأقوَال، شدادُ الأفعال .
توْبة نصُوحاً	توْبة خالصَة، بالندَم على العمل السيئ، والعزم على عدَم العوْدَة إليه .
يكفر عنكمْ سيئاتكم	يكفر عنكم خطيئاتكم .
يوْمَ لا يخزى اللهُ النبى والذين آمنوا معه	يوم يكرم الله النبى والمؤمنين بفوْزهم بالجنة، وَعصْمتهم من النار .
نورُهمْ يسعى	يجعل اللهُ لهمْ نوراً يسير بهم إلى الجنة .
جاهد الكفارَ	حاربهم بالسيف .
والمنافقينَ	حاربهم بالحجة وإقامة الدليل .
اغلظْ عليهم	إذا لمْ ينفع الرّفق واللينُ معهم، فقابلهم بالغلظة والمخاشنة .
مأوَاهم جهنمُ	مصيرهمْ إلى جهنم .
وبئس المصيرُ	وبئستْ النهايةُ التى ينتهون إليها .

مُجْمَلُ المَعْنَى

١ — يطلبُ اللهُ تعالى إلى المؤمنين أنْ يحافظوا على أنفسهم بترك المعاصى ، وفعل الطاعات ، وأنْ يحافظوا على أهليهم بإسداء النصْح لهم ، وبحملهم على ما يحملون أنفسَهم عليه من الطيبات ، وفى الحديث : « إن أشد الناس عذابا يومَ القيامة منْ جهلَ أهلَه » ، وفى حديث آخر : « رحمَ اللهُ رَجلا قال : يا أهلاه ، صلاتكم ، صيامكم ، زكاتكم ، مسكينكم ، يتيمكم ، جيرانكم ، لعل اللهَ يجمعهم معه فى الجنة » .

٢ — ويطلبُ اللهُ ذلك ليحفظوا أنفسَهم من نار يوم القيامة ، وهى نارٌ ليس وَقُودها خشباً ولا فحماً ولا حطباً ، كالنار التى نوقدها فى الدنيا ، ولكن وَقودها الناس والحجارة ، والذين يتوَلون أمرَ التعذيب فيها زبانيةٌ ، عدَدُهم تسعةَ عشر ، ولهم أعوانٌ فيهم غلظةٌ وَقوةٌ ، وجفوَةٌ وخشونةٌ ، لا تأخذُهم رأفةٌ فى تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى ، والغضَب له ، والانتقام من أعدائه ، من غير تثاقل ولا إبطاء .

٣ — ويقالُ للذين كفروا عند دخولهم النار : لا تعتذرُوا الآن عما فعلتم ، فإن أى عذر منكم غيرُ مقبول ، ولا تجنُونَ فائدة من ورائه ، وليس ذلك تعنتاً معكم ، أو استبداداً بكم ، وإنما هو جزاءٌ لكم على أعمالكم فى الدنيا .

٤ — أرشدَ اللهَ سبحانه وتعالى المؤمنين إلى طريق التوبة النصُوح ، التى ينصحون بها أنفسهم ، وهى توْبةٌ تمحُو السيئات ، ولا يعودُ التائبُ بعدها إلى ذنب أبداً؛ فعن علىٍّ رضى اللهُ عنه، أنه سمع أعرابياً يقول : اللهم إنى أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ ، فقال: يا هذا ، إن سرْعة اللسان بالتوبة توْبةُ الكذابين . قال : وما التوْبةُ ؟ قال : يجمعها ستة أشياء : على الماضى منَ

الذنوب الندامة ، وللفرائض الإعادة ، ورَد المظالم ، واستحلالُ الخصوم ، وأنْ تعزمَ على ألا تعودَ ، وأنْ تذيبَ نفسك فى طاعة الله كما ربَيتها فى المعصية ، وأنْ تذيقها مرارة الطاعات ، كما أذَقتها حلاوةَ المعاصى .

٥ — والتوبةُ النصوح فيها تكفيرٌ عن السيئات ، وغفرانٌ للذنوب ، وَوَرَاءها ثوابُ من الله بدخول الجنة ، فلا يخزى التائبين كما يخزىَ أهلَ الكفر بدخول النار يومَ القيامة ، فإن فى دُخولها خزْيا ومذلة: لقوله تعالى : «إنكَ منْ تُدْخل النارَ فقدْ أخزيته» ، بل يعصمُ اللهُ الرسولَ ومن آمن به من الخزْى ، ويسيرُ بسيرهم نورهم على الصراط ، يحفهم إلى الجنة ، ويسألون اللهَ أنْ يتم عليهم نورَهم ويغفرَ لهم ، حينما يرَوْنَ المنافقين فى ظلام حالك يظلم عليهم طريقهم ، فيفزَعون إلى الله ، ويدْعونه تقرباً إليه ، ولا سيما إذا كانوا من أدْنى المؤمنين منزلة ، لأنهم لا يعطوْن من النور إلا قدرَ ما يبصرون مواطئ أقدامهم ، فيكون النورُ على قدر الأعمال ، واللهُ قادرٌ على كل شىء .

٦ — أمر اللهُ نبيه عليه الصلاة والسلام أنْ يجاهدَ الكفارَ بالسيف ، وأن يجاهدَ المنافقين بالحجة والبرهان ، وأنْ يشددَ عليهم فى المجاهدة ، فلا هوَادةَ ولا رأفة ، فيقتل الكافرَ ، ويقيم الحدَّ على المنافق ، وهؤلاء جميعاً ينتهون فى الآخرة إلى جهنم يعذبون فيها ، وبئسَ المصيرُ الذى يصيرون إليه ! .

(٣)

من الآية العاشرة من سورة التحريم ، إلى آخر السورة

ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا : امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ ، كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ ، فَخَانَتَاهُمَا ، فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللهِ شَيْئًا ، وَقِيلَ : ٱدْخُلَا النَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ –١– . وَضَرَبَ ٱللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا : ٱمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ، إِذْ قَالَتْ : رَبِّ ، ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ، وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ، وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ –٢– وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ، فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ، وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ، وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ –٣– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ضَرَبَ اللهُ مثلا	أوْرَدَ مثلا لحالة عجيبة .
كانتا تحتَ عبدَين	كانتا زَوْجتينْ لعبدَين منْ عباد الله ، ونبيين من أنبيائه .
فخانتاهما	فنقضتا عهدَ الزوْجية بالكفر والنفاق .
لمْ يغنيا عنهما منَ الله شيئاً	لم ينفعهما أنهما زَوْجتان لنبيين .

الألفاظ	شرحها
أحصَنتْ فرجها	عفَّت عن ارْتكاب الفاحشة .
فنفخنا فيه من رُوحنا	فحملت بقدرة الله منْ غير أن يتصل بها رجلٌ .
بكلمات ربَها	بشرائعه التى أتى بها عيسى .
القانتين	المطيعين .

مجمل المعنى

١ — يعاقبُ اللهُ الكافرين يومَ القيامة من غير محاباة ، فلا تنفعهم قرابتهم للمؤمنين ، ولو كانوا أنبياء ؛ وقد مثَّلَ اللهُ لذلك بامرأة نوح التى كانت تصف زَوْجها بالجنون ، وامرأة لوط التى كانت تدل قومها الفاسقين على ضيفان زَوْجها ، فإنهما كانتا كافرَتين منافقتين خائنتين ، تعاونان الكفارَ على زَوْجيهما ، فحق عليهما العذابُ ، على الرغم من أنهما زَوْجتا نبيين ، وقيلَ لهما عند موتهما : ادْخلا النارَ معَ غيركما من الكفار .

٢ — وكذلك اتصالُ المؤمنين بالكافرين لا يضرّهم ، ولا ينقص شيئاً من ثوابهم ، ومثل اللهُ لذلك بامرأة فرْعوْنَ ، فإن لها عند الله منزلة عظيمة ، مع أنها زوجة لأعدى أعداء الله ، فقد آمنت بالله وحده ، وصَدقت رسوله موسى ، حين سمعتْ قصةَ معجزاته ، ودعت الله أن ينجيها من فرعونَ وأعماله السيئة ، ومن قومه الظالمين ؛ فاستجابَ اللهُ لدُعائها ، وبنى لها بيتاً فى الجنة ، ونجاها من فرعونَ وعمله ، وكانَ تعذيب فرعون إياها ، حينَ علم بإيمانها بموسى وربه ، يقعُ عليها برْداً وسلاماً .

٣— ومثل أيضاً لمن آمن بالسيدة العفيفة : مريم بنت عمران ، أم عيسى عليه السلام ، فإنه طهرها من الخنا والكفر ، واصْطفاها على نساء العالمين ، مع أن قومها كانوا كفاراً ، وقد صَانتْ نفسها من دنس الفواحش ، وأوْدَعَ اللهُ فيها بقوته سر الحياة . فحملتْ بسيدنا عيسى عليه السلامُ ، منْ غير أن يمسَّها بشرٌ ، وآمنت بعيسى وبالكتب المنزلة ، وأطاعتْ ربها ، فكتبَ لها الجنة . وقدْ بيَّن اللهُ فى هذه الآيات ، أن كل إنسان مسئولٌ عن عمله ، فلا تنفعه قرابتهُ من الصالحين ، إذا كان هوَ من العاصين ، ولا تضره قرابتهُ منَ العاصين ، إذا كان هوَ من الطائعين ؛ وفى هذا كله تعريضٌ بحفصةَ وعائشة زَوْجى النبى ، وتنديدٌ بما بدا منهما من تعاونهما على النبى ، والعمل على إحراجه ؛ وفيه تحذيرٌ لهما بأنهما لا يعودان إلى مثل ذلك ، لأن صلتهما بالنبى وأبويهما لا تغفر لهما ذنبهما ، كما أن صلةَ امرأة نوح ولوط بزَوْجيهما لم تنفعهما ، ولم تكنْ سبباً فى المغفرة لهما ؛ وفى هذا التعريض مؤاخذةٌ شديدةٌ لحفصةَ ، لأن ما فعلته من الإفشاء للسر ، يشبهُ ما فعلتهُ امرأةُ لوط من الإفشاء للسر أيضاً ، ولأنه لمْ يلحقْ بالنبى صلى الله عليه وسلم من الضرر مثل ما لحقَ بنوح ولوط من أذى زَوْجتيهما ، فقدْ قبل اللهُ توبةَ حفصة وعائشة ، وحذرَهما أنْ تعودَا إلى مثل ما فعلتا .

فهرس جزء قد سمع ، أو الجزء الثامن والعشرين

الأرقام	أسماء السور	أرقام الآيات فى المصاحف	أرقام الصفحات
١	المجادلة	من ١ — ٦	من ٣ — ٨
٢	«	« ٧ — ١٠	« ٩ — ١٣
٣	«	« ١١ — ١٣	« ١٤ — ١٨
٤	«	« ١٤ إلى آخر السورة	« ١٩ — ٢٤
١	الحشر	« ١ — ٤	« ٢٥ — ٢٨
٢	«	« ٥ — ٨	« ٢٩ — ٣٢
٣	«	« ٩ — ١٠	« ٣٣ — ٣٦
٤	«	« ١١ — ١٧	« ٣٧ — ٤٠
٥	«	« ١٨ إلى آخر السورة	« ٤١ — ٤٥
١	الممتحنة	« ١ — ٣	« ٤٦ — ٤٩
٢	«	« ٤ — ٧	« ٥٠ — ٥٣
٣	«	« ٨ — ٩	« ٥٤ — ٥٥
٤	«	« ١٠ — ١١	« ٥٦ — ٥٩
٥	«	« ١٢ إلى آخر السورة	« ٦٠ — ٦٢
١	الصف	« ١ — ٦	« ٦٣ — ٦٦
٢	«	« ٧ — ١٣	« ٦٧ — ٧٠
٣	«	« ١٤ إلى آخر السورة	« ٧١ — ٧٢
١	الجمعة	« ١ — ٤	« ٧٣ — ٧٥
٢	«	« ٥ — ٨	« ٧٦ — ٧٨
٣	«	« ٩ إلى آخر السورة	« ٧٩ — ٨١
١	المنافقون	« ١ — ٤	« ٨٢ — ٨٥
٢	«	« ٥ — ٨	« ٨٦ — ٨٩
٣	«	« ٩ إلى آخر السورة	« ٩٠ — ٩١

الأرقام	أسماء السور	أرقام الآيات فى المصاحف	أرقام الصفحات
١	التغابن	من ١ — ٤	من ٩٢ — ٩٤
٢	«	« ٥ — ١٣	« ٩٥ — ٩٨
٣	«	« ١٤ إلى آخر السورة	« ٩٩ — ١٠١
١	الطلاق	« ١ — ٣	« ١٠٢ — ١٠٦
٢	«	« ٤ — ٧	« ١٠٧ — ١١٠
٣	«	« ٨ إلى آخر السورة	« ١١١ — ١١٣
١	التحريم	« ١ — ٥	« ١١٤ — ١١٨
٢	«	« ٦ — ٩	« ١١٩ — ١٢٢
٣	«	« ١٠ إلى آخر السورة	« ١٢٣ — ١٢٥

تفسير القرآن الكريم

الجزء التاسع والعشرون

(جزء تبارك)

تأليف

محمود محمد حمزة

المفتش بالتعليم الثانوى والفنى (سابقاً)

والأستاذ بدار العلوم (سابقاً)

حسين علوان

المراقب بوزارة التربية والتعليم

محمد أحمد برانق

المفتش العام بالتعليم الإعدادى

الطبعة الثالثة



ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف بمصر

تراجع الخطبة التى فى صدر تفسير الجزء الأول ، ونرجو أن يراعى فى هذا الجزء والأجزاء التى تليه ، أن الأرقام التى فى صدر مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها فى المصاحف ، وأن الأرقام التى تخللت مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها في مجمل المعنى .

سورة المُلْك

نزلت بمكة ، وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الحادية عشرة

تبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ، لِيَبْلُوَكُمْ : أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْغَفُورُ –١– . الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا ، مَا تَرَى فِي
خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ، فَارْجِعِ الْبَصَرَ ، هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ؟
ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ، يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ
حَسِيرٌ –٢– . وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ، وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا
لِلشَّيَاطِينِ ، وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ، وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ –٣– . إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا
شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ –٤– . كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا
فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا : أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟! قَالُوا : بَلَى ، قَدْ

جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا، وَقُلْنَا : مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ ، إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ —٥— . وَقَالُوا : لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ ، فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ! —٦—.

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تبارك	تعاظم وتكاثر خيره وبركته
ليبلوكم	ليختبركم و يمتحنكم .
العزيز	القوى الغالب .
سبع سموات	سبع مدارات للكواكب السبع السيارة .
طباقاً	طبقات بعضها فوق بعض .
تفاوت	اختلال وعدم تناسب .
ارجع البصر	انظر مرات نظر فاحص متأمل .
فطور	شقوق أو خلل .
كرتين	مرتين ، والمراد : ترديد النظر .
خاسئاً	خائباً ذليلا صاغراً .
حسير	ضعيف ، كليل من تكرار النظر .
السماء الدنيا	أقرب السموات إلينا .
بمصابيح	بنجوم مضيئة .
رجوماً	ظنوناً وأوهاماً .
للشياطين	للخارجين من الناس عن طاعة الله .
أعتدنا	أعددنا وهيأنا .
السعير	النار الملتهبة .

الألفاظ	شرحها
شهيقاً	صوتاً شديداً كصوت الباكى ، أو الشديدِ الغيظ .
تفور	تغلى غلياناً شديداً .
تميَّز	تتفرق أجزاؤها ، وتتقطع من شدة الغيظ .
فوج	جماعة .
نذير	رسول من عند الله ، يخوفكم عاقبة أمركم .
بلى	كلمة تدل على التصديق .
إن أنتم	ما أنتم .
نسمع	نقبل ما نسمع قبولا حسناً .
نعقل	نفكر .
سحقاً	بعداً عن رحمة الله .

مجمل المعنى

١ — إن الله الذى يتصرف فى أمور مخلوقاته كلها لعظيمُ الشأن ، كثير الخير والبركة ، قادر على كل شىء ، فقد أوجد فينا الحياة بعد العدم ليمتحننا ، فينظر : من منا أخلص فى العمل على طاعته ، أو جنح إلى معصيته ؟ وهو القوى الشديد ، ذُو العرشِ المجيد ، المنتقم ممن عصاه ، الغفور لمن تاب إليه مما جناه .

٢ — وقد بيَّن الله تعالى فى هذا المقام ، أن الإنسان لو تبصر ، لرأى أن الله جلّت قدرته ، هو الذى خلق سبع مدارات للكواكب بعضها فوق بعض ، ليس فيها خلل ولا عيبٌ . وهذه الكواكبُ السيارة السبع ، هى التى كانت

معروفةٌ عند العرب ؛ ولو تأمّلنا فى السموات ، لرأينا تناسبها وتماسكها ، بما بينها من تجاذب ، وإذا تكرر النظر فيها وتردد ، فإنه سيرتدُّ إلى الناظر خائباً كليلا ضعيفاً ، أمام هذه القدرة العظيمة ، لأنه مع تكرار النظر ، والتفكُّر فيما يراه ، لا يَرى إلا نظاماً عجيباً ، يعم جميع الكائنات ، وقدرة باهرة ، يعجز عنها جميع المخلوقات .

٣ — وإذا نظَر الإنسان إلى السماء التى هى أقربُ السموات إلينا ، وجدها تَظهرُ ليلا فى أجمل هيئة ، وأبهى زينة ، وبعض الدجالين من المنجّمين ، يَدّعى أنهُ باطلاعه على هذه النجوم ، يستطيع أن يتنبأ عن المستقبل رجماً بالغيب ، من غير دَليل ولا برهان ، وهؤلاء المنجمون يُضللونَ الناسَ بهذه الظنون والأوهام ؛ وهم يُشبهون فى تضليلهم وتهويشهم الشياطين ؛ والمراد بكونه تعالى جعل هذه النجوم ظنوناً وأوهاماً لهؤلاء المنجّمين : أن عمل هؤلاء الخادعين كان بالنظر فى النجوم ؛ ولقد أعدّ الله لهؤلاء المضللينَ يومَ القيامة ناراً شديدة ذات لهب ، يصيرون إليها أسوأ مصير .

٤ — فإذا أُلقى هؤلاء فى النارَ ، سمعوا لها وهى تغلى غليان القِدْر ، صوتاً كصوت الغضبان المتغيّظ ، الذى تهيأ لهُ الفرصَةُ للانتقام من أعدائه ، وتكاد هذه النارُ لشدة غليانها ، وارتفاع لهيبها ، تتفرقُ أجزاؤها بعضها عن بعض .

٥ — وكلما طُرح جماعةٌ منهم فيها ، قال لهم الزبانية الموكلونَ بالنار توبيخاً لهم : ألم يأتكم رسولٌ من عند الله يخوّفكم لقاء يومكم هذا ؟! وعند ذلك يعترفون فى ذِلة وَخضُوع ، بأن الله أرسلَ إليهم رَسولا ! ولكنهم كذّبوه وقاوموه

٦ — ثم يندمون ويقولون : لو كان لنا آذان تتقبلُ بقبول حسن ما تسمعه من الرسول ، أو عقولٌ تفكرُ فيما جاء به ، ما عوقبنا بهذا العذاب الأليم ، ولكن ندمهم ، واعترافهم بذنبهم ، جاء بعد فوات الفرصة ، فكان جزاؤهم يوم القيامة ما لقوه من العذاب .

(٢)

من الآية ١٢ إلى الآية ٢٤ من سورة الملك

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ، وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ؟! -١- هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ، فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ -٢- . أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ، فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ؟ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ؟! فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ؟! -٣- . وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ؟! -٤- . أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ، مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمٰنُ ، إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ -٥- . أَمْ مَنْ هٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ ؟! إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ، أَمْ مَنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ؟! بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ؛ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى ، أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ؟! -٦- قُلْ: هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ

وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ؛ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ .
قُلْ : هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ -٧- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يَخشون	يخافون .
بالغيب	وهم بعيدون عن أعين الناس .
بذات الصدور	بما فى الضمائر من خواطر .
اللطيف الخبير	العالم بما ظهر أو خفى من خلقه .
ذلولا	سهلة للمشى فيها .
مناكبها	جوانبها ونواحيها وطرقها .
النشور	البعث يوم القيامة .
من فى السماء	سُلطان الله وقدرته .
يخسف بكم الأرض	يغيِّبكم فيها .
تمور	تضطرب وتتحرك .
حاصباً	ريحاً ترميكم بالحصباء ، وهى صغار الحصى .
نذير	تخويفى .
نكير	عقابى للمنكر ، وعاقبة تغيُّرى وسخطى .
صافات	ناشرات أجنحتهن .
يقبضن	يضمُمْن أجنحتهن
ما يمسكهنّ	ما يمنعهن من السقوط .
بصير	عالم خبير .

الألفاظ	شرحها
جُند لكم	أنصار وأعوان .
من دون الرحمن	من غير الرحمن .
إن الكافرون	ما الكافرون .
غرور	غفلة وخداع .
أمسك رزقه	منعه .
لجُّوا	تمادوا واستمروا .
عُتُوّ	عناد وتكبر .
نُفور	بُعدٌ عن الحق .
مكبًّا على وجهه	وجهه إلى الأرض .
سويًّا	معتدل القامة .
صراط	طريق .
أنشأكم	خلقكم .
الأفئدة	المدارك والعقول .
ما تشكرون	ما هنا : زائدة .
ذرأكم	خلقكم وكثّركم .
تحشرون	تجمعون يوم القيامة .

مجمل المعنى

١ — إن الذين يخافون ربهم فلا يعصونه ، ولو كانوا مختفين عن أعين الناس ، ويطيعونه فى السر كما يطيعونه فى العلانية ، يغفر الله لهم ذنوبهم ، ولهم يوم القيامة أجرٌ كبيرٌ ؛ وإنه لَيستوى عند الله القولُ والعملُ فى السرّ

والجهر ، فإنه مطلعٌ على ضمائر الناس ، وما تخفيه صدورهم ، لأنه خالقهم . فكيف يكون خالقهم ، ولا يعلم ما تنطوى عليه نفوسهم .

٢ — ومن مظاهر قدرته ورحمته ، أنه خلق الأرض ، ويسر لنا السير فيها ، فعلينا أن نجتهد فى السعى للحصول على أرزاقنا ، بالضرب فى مناحى الأرض ، ونسير فيها سير من يعلم أن مصيره يوم القيامة إلى الله ، فلا يرتكب فى سبيل سعيه أية معصية .

٣ — ثم بيَّن الله أن الفضل فى تذليل الأرض ، وتهيئتها للضرب فى مناكبها ، مرجعه إلى الله جلت قدرته ، ولو شاء لأمرَ الأرضَ أن تزازل ، فتبتلع من على ظهرها ، وتهلكهم ؛ وإذا أمن الناس الخسف لقلة وقوعه ، فهل يأمنون أن يرسل الله عليهم ريحاً شديدة تحمل الحصى ، فتلحقَ الأذى بهم ، ولسوف يظهرُ لهم صدقُ هذا الإنذار ، إن أصروا على عنادهم .

٤ — وأراد اللهُ أن يهون على رسوله عليه الصلاة والسلام ، ما يلقاه من أذى قومه ، حتى لا يضيق صدره بعنادهم ، فبيَّن له أن هذه عادة الكفار مع أنبيائهم : يكذبونهم فينزل الله بهم عذابه ، وإن الكفار الذين كذبوه يعرفون كيف كانت عاقبة المتكبرين لرسالة أنبيائهم ، وكيف كانت عاقبةُ سُخط الله عليهم ؟

٥ — فهل عمىَ هؤلاء الكفار المعاندون عن آثار قدرة الله ، فلم يروا الطيورَ فى السماء ؟ فقد مكَّنها اللهُ أن تنشر أجنحتها تارة ، وتضمها تارة أخرى ، ولا يمنعها من السقوط إلا قدرةُ الله الخبير ، العالم بكل ما يحدث فى ملكه ؟ إذ خالف فى أجسامها نواميس سائر الأجسام الثقيلة ، وركب لها أجنحة تستعلى بها فى الهواء ، دون أن تسقط .

٦ — وإذا كنتم أيها المشركون لا تلتفتون إلى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ،

اعتماداً على قوتكم ، وما لكم من الأنصار والأعوان ، فمن ذا الذى يُنقذكم عن عذاب الله فى الدنيا إن أراده ، كما حدث لغيركم ؟ فما أنتم أيها الكفار المستكبرون عن قبول دعوة الرسول ، إلا غافلون مخدوعون ؛ ومن ذا الذى يستطيع من الخلق أن يرزقكم ، إن أراد الخالقُ أن يمنع أسباب الرزق عنكم ؟ إنكم اتعلمون أن الله قادرٌ على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم ، أو من تحت أرجلكم ، لأنكم تستمرون فى غَوايتكم وضلالكم ، وتتكبرون على الإذعان للحق ، مع أنه واضحٌ وضوحاً لا خفاء فيه ، فمثلكم فى عبادة الأصنام التى تدل على جهالتكم ، كمثل من يسير ووجهه إلى الأرض ، إما لضعف فى بصره ، أو وعورة فى طريقه ، فهو يتعثر ويسقط على وجهه — أفمن هذه حاله من العمى والضلال ، كمن سار فى طريق الهدى ، واستضاء بنور العقل ، فعَبَدَ الله وحده ، وأقر بربوبيته ، وسار معتدل القامة فى طريق مستقيم ، لا عوج فيه ولا انحراف ؟ فأى الطريقين أهدى سبيلا ، وأقوم طريقاً ؟

٧ — قل لهم أيها الرسولُ الكريمُ ، للدلالة على قدرتنا : مَن الذى خلقكم من العدم ، وجهزكم بأسباب الهداية ، فخلق فيكم السمعَ والبصر والعقل ؟ لقد أفسدتم هذه المواهب ، فلم تقبلوا ما سمعتموه ، ولم تعتبروا بما أبصرتموه ، ولم تتأملوا فيما عقلتموه ، وكان أولى الكم أن تشكروه على نعمه ؟ وقل لهم : من الذى أوجدكم بقدرته ، وكثّركم فى الأرض ، تنتفعون بطيباتها ، ثم يجمعكم يوم القيامة للحساب ؟ لا أحد غير الله جل شأنه .

(٣)

من الآية ٢٥ من سورة الملك ، إلى آخر السورة

وَيَقُولُونَ : مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ قُلْ : إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ -١- . فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَقِيلَ : هٰذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ -٢- . قُلْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللهُ وَمَنْ مَعِىَ أَوْ رَحِمَنَا ، فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ؟ -٣- . قُلْ : هُوَ الرَّحْمٰنُ آمَنَّا بِهِ ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ، فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ -٤- . قُلْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ، فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ؟ -٥- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الوعد	يوم القيامة .
العلم	علم يوم القيامة .
نذير	مبلغ .
زُلفةً	قريباً .

الألفاظ	شرحها
سيئت وجوه	علاها الحزن .
تدّعون	تطلبون وتسألون .
أرأيتم	أخبرونى .
يجير	ينقذ .
غوراً	غائراً فى الأرض .
مَعِين	جار على الأرض ، سهل المأخذ .

مجمل المعنى

١ — كان الكفار حين يُحذِّرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقبة تماديهم فى ضلالهم ، وما سيلقون من عذاب الله يوم القيامة ، يقولون للمسلمين على سبيل الاستهزاء والسخرية : متى يوم القيامة الذى تهددوننا بالعذاب فيه ؟ فأمر الله رسوله أن يخبرهم أن يوم القيامة آت لا ريب فيه ، ولكن لايعلمه إلا الله وحده ، وما هو إلا مبلغٌ رسالة ربه ، وليس من مستلزمات التبليغ العلمُ بيوم القيامة .

٢ — وقد صوّر الله حال الكفار حين يرون هذا اليوم عِياناً ، بأن وجوههم تعلوها الكآبة والحزن والحسرة ، وتصير كوجوه المجرمين حين يقادون إلى ساحة الإعدام ، ويقال لهم : هذا هو اليوم الذى كنتم تطلبونه فى الدنيا استهزاءً ، وتستعجلونه سخرية بدعوة النبى عليه الصلاة والسلام .

٣ — وكان الكفارُ من قريش يحاولون قتل الرسول ، ويقول بعضهم لبعض : انتظروا ، فهو لابد أن ينقضى أجله ، وتموت معه دعوته ؛ فشدد الله

عزيمة الرسول ، بأن أمره أن يقول للكفار : أخبرونى أيها المشركون ، إنْ أماتنىَ الله ومن معى من المؤمنين كما تتمنوْن وتحاولون ، أو رحمنا بتأخير آجالنا ، فهل هذا يُنقذكم من عذاب الله يوم القيامة ؟

٤ — قل لهؤلاء الكافرين : إن الذى أدعوكم إلى عبادته ، هو الله الرحيم بخلقه ، وقد آمنَّا به وحده ، وإليه جميع أمرنا ، يُصرفه كيفما شاء بحكمته ، وعما قريب تعلمون : من منا حاد عن طريق الهداية ، واتبع سبيل الغواية ، حين تتم لنا الغلبة عليكم ، وتعلو كلمة الإسلام على كلمتكم .

٥ — وأراد الله أن يختم آيات التهديد والإنذار ، بما يُذكرهم بنعمة الله عليهم ، فهو يمن عليهم بالماء الذى يجرى فى متناول أيديهم ، وتحت مواقع أبصارهم ، ولو أراد الله لغيَّض هذا الماء ، حتى يعجزوا عن الوصول إليه ، فلا يجدوا منه قطرة تطفئ ظمأهم ، أو تُروى زرعهم وضرعهم .

سورة القلم

نزلت بمكة ، إلا الآيات من ١٧—٣٢ ومن ٤٨—٥٠ فقد نزلت بالمدينة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٦

نٓ ، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ،
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ —١— . وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ،
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ، بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ؟ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ —٢— . فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ،
وَدُّوا : لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ —٣— . وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ،
هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ ، مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ
زَنِيمٍ —٤— . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا
قَالَ : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ؟ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ —٥— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ن	حرفٌ من حروف الهجاء .
والقلم	أقسم بالقلم الذى يكتب به .
وما يسطرون	وأقسم بما يكتبون .
ممنون	مقطوع أو منقوص .
فستبصر	فستعلم .
بأيكم	أيكم ، والباء زائدة .
المفتون	المجنون .
تُدْهن	تُلاين وتتسامح .
يُدهنون	يُلاينونك بترك الطعن فيك .
حلاَّف	كثير الحلف بالحق أو الباطل .
مَهين	حقير .
همّاز	عيّاب . يذكر الناس بالمكروه .
مشّاء	نقّال للحديث .
بنميم	بالنميمة للإفساد .
منّاع للخير	بخيل ممسك .
أثيم	كثير الذنوب .
عُتلّ	فظ جافى الطبع .
زنيم	من ينتسب إلى قوم وليس منهم .
أن كان	ألأن كان . أمن أجل أن كان ؟
آياتنا	ما أنزلنا من القرآن .

الألفاظ	شرحها
أساطيرُ	أباطيل .
سنسمه	نكويه ، ونجعل له سمة أى علامة .
الخرطوم	الأنف .

مجمل المعنى

١ — بدأ الله سبحانه وتعالى هذه السورة بحرف من حروف الهجاء ، إشارة إلى أن القرآن الكريم كله مؤلف من حروف مثل هذا الحرف ، ولكن الله جلت قدرته ، صاغه صياغة يعجز عن مثلها البشر ؛ ثم أقسم بالقلم وما يسطره الكاتبون ، للدلالة على شرف معرفة القراءة والكتابة ، وللحض على تعلمها — أقسم بهذا على أن الله قد خص نبيه برجحان العقل ، وسداد الفكر ، وأن ما يرميه به الكفار من الجنون ، ينبغى ألاّ يوهن من رسالته ، ويفت فى عضده ، لأنه كذب واختلاق . وعلى أن له عند الله أجراً عظيما لا ينقطع ولا ينقص ، لاحتماله أذى الكفار . وعلى أن ما يرجفون به من إصابته بالخبل ، وضعف العقل ، لا يمكن أن يصرف القلوب عن دعوته ، ويزهد النبي فى رسالته .

٢ — ثم بيّن الله أن الرسولَ ذو خلق عظيم ، لا يبلغه أحدٌ من الناس ، مهما ارتفع قدره ، وعلا شأنه ، ومن كان كذلك ، لا يمكن أن يُتّهم بالجنون ؛ وسترى أيها الرسول وسيرون معك ، حينما يظهر دين الحق ، وينتشر نور الهدى والإيمان بفضلك ، أنهم هم المفتونون المجانين ، الذين لا يميزون ، وأنك أنت الذى اهتديت بعقلك إلى سبيل الرشاد .

٣ — ولما كان هؤلاء المكذبون للرسول قد حادوا عن سبيل الهدى ، وتمنوا أن يتدين محمد مثلهم بدين آبائهم ، فيعبدَ مثلهم الأصنام ، فقد نهاه اللهُ عن إطاعتهم ، وأمرَه أن يداوم على الدعوة إلى الدين الحق ، ولا يبالى ما يوده هؤلاء الكفارُ من التسامح معهم ، بترك الطعن فى عبادة الأصنام ، حتى يلينوا له ، ولا يسرفوا فى أذى من أسلم من الضعفاء ، بل ينبغى أن يكون على حذر منهم .

٤ — ونهاه أن يطيع من كان كثير الحلف بالحق والباطل ، لأنه يشعر بحقارة منزلته عند الناس ، إذ لو كان له مكانة رفيعة عندهم ، لما احتاج إلى تأييد كلامه بالحلف ؛ والمراد بهذا : الوليد بن المغيرة ، كان من زعماء قريش وصناديدها وأغنيائها ، وكان يجمع إلى كثرة الحلف بالحق والباطل ، الإكثار من إذاعة مقالة السوء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى غيبته وحضوره ، ويمشى بالوقيعة والإفساد بين الناس ، لإثارة الأحقاد والعداوات ، وكان يحول بين الناس وبين ما يريدونه من عمل الخير ، وكان ظالماً : يتعدى حدود العدل والإنصاف فى معاملة الناس ، ويهضم حقوقهم ؛ وكان لا يعبأ بما يقترفه من الآثام والذنوب ، وكان فظًّا غليظ الطباع ، لئيماً دنىء الأصل .

٥ — ونهى الله عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام عن المبالاة بهذا الوليد الذى اتصف بهذه الصفات ، المباهى بكثرة ماله ، المعتزّ بتعدد أبنائه ، المغترّ بجاهه ونفوذه ، المتمادى فى ضلاله ، فإذا تليت عليه آيات القرآن الكريم ، قال : إنها أكاذيب تحكى عن الأمم الماضية ؛ من أجل هذا سيلحق الله به يوم القيامة الذل والمهانة والاحتقار ، وسينكّل به أشنع تنكيل ، ويشوّه وجهه أبشع تشويه ، وذلك بكيه فى أشرف موضع فى الوجه ، الذى هو أشرف شىء فى الجسم .

(٢)

من الآية ١٧ إلى الآية ٣٣ من سورة القلم

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ، إِذْ أَقْسَمُوا : لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ، وَلَا يَسْتَثْنُونَ ؛ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ، فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ : أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ؛ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ : أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ، وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا : إِنَّا لَضَالُّونَ ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ؛ قَالَ أَوْسَطُهُمْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ؟ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ! ، قَالُوا : سُبْحَانَ رَبِّنَا ! إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ، قَالُوا : يَا وَيْلَنَا ! إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ، عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا ، إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ، كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بلوناهم	امتحنا أهل مكة .
الجنة	البستان .
ليصرمنها	ليقطعن ثمارها .
مصبحين	وقت الصباح .
لا يستثنون	لا يعلقون ذلك على مشيئة الله .
طاف عليها	نزل بها .
طائف	عذاب ، وهو الحريق .
كالصَّريم	كالليل فى سواده .
فتنادوا	نادى بعضهم بعضاً .
اغدوا	اخرجوا فى الصباح الباكر .
حرثكم	ثماركم .
صارمين	قاطعين لها .
يتخافتون	يتحدثون بصوت خافت .
حرْد	منع وحرمان .
لضالّون	لتائهون .
أوسطهم	أفضلهم رأياً .
لولا	هلاَّ .
تسبّحون	تذكرون الله وتتوبون إليه .
سبحان ربنا	نتوب إلى الله .
يتلاومون	يلوم بعضهم بعضاً .

الألفاظ	شرحها
ويلنا	هلاكنا .
طاغين	ظالمين .
عسى ربنا	نرجو ربنا .

مجمل المعنى ، وقصة أصحاب البستان

كان أهل مكة ذوى تجارة واسعة ، ومال وافر ، فلما بعث الله رسولهُ محمداً صلى الله عليه وسلم كفروا به ، وآذوه ؛ فأراد الله أن يُذكرهم بما أسبغه عليهم من النعم ، ومقابلتهم لها بالكفران والجحود ، بما وضعوه فى سبيل دعوة الرسول من العقبات ، فضرب لهم مثل أصحاب البستان ، ليبيِّن لهم أن من طغى وبغى ، استحق غضب الله وعذابه .

قصة أصحاب البستان

كان لرجل صالح بستان ، فيه كثيرٌ من أنواع الثمار ، وكان يخص الفقراء بنصيب من ثمارها عند قطفها ، شكراً لله على نعمه ؛ وكان يخبرهم باليوم الذى يجنى فيه ثمار بستانه ، ليحضروا لأخذ نصيبهم منه ! فلما مات ورثه أبناؤه ، فأرادوا أن يحرموا الفقراء ما اعتاده أبوهم من الإحسان إليهم ، فاتفقوا سرًّا على أن يخرجوا فى الصباح الباكر لقطف ثماره ، وأقسموا فيما بينهم على هذا ، وفى غمرة اتفاقهم على حرمان الفقراء ، واستئثارهم بثمار البستان ، لم يذكروا نعمة الله عليهم ، فيعلقوا عملهم فى قطف الثمار وحدهم ، على إرادة الله ، بأن

يقولوا : ننفذ — إن شاء الله — ما اتفقنا عليه ، كما قال جل شأنه : « ولا تقولن لشيء إنى فاعلٌ ذلك غداً : إلا أن يشاء الله » ، وفى أثناء نومهم ، سلّط الله على البستان ناراً فأحرقته عن آخره ، فتلفت الثمار ، واسودت الأشجار من شدة الحريق ؛ فلما أضاء نور الصباح استيقظوا ، ونادى بعضهم بعضاً : هيَّا بنا إلى البستان نقطف ثماره ، فى غفلة من الفقراء ؛ وفى أثناء ذهابهم ، كان بعضهم يقول لبعض فى فرح وابتهاج بصوت خافت : لن يأتينا اليوم إلى البستان أحدٌ من المساكين ، وقد تم لنا ما أردنا لهم من حرمان .

فلما وصلوا إلى البستان ، هالهم ما رأوه من أثر الحريق ، وظنوا أنهم ضلوا طريقهم ، وأن هذا البستان الذى أتت عليه النار ليس بستانهم ، ولكن واحداً منهم كان أعقلهم وأفضلهم رأياً ، نبههم من غفلتهم ، وقال لهم : ألم أنصحكم بإعطاء المساكين نصيبهم ؟ ألا تذكرون أن الله الذى منحكم هذه النعمة ، قادر على سلبها منكم ؟ فتوبوا إليه واستغفروه ؛ عند ذلك أدركوا خطأهم ، واستعظموا ذنبهم ، واعترفوا بظلمهم ، وأخذ بعضهم يلوم بعضاً ، وطلبوا من الله الصفح والغفران ، ورجوا منه أن يبدلهم من بستانهم خيراً منه ، وعزموا على أن يوفوا الفقراء نصيبهم ، كما كان يفعل أبوهم .

هكذا جزاء الله لمن عصاه ، ولعذاب الآخرة أكبرُ ؛ فكذلك عذاب من عاند الرسول عليه الصلاة والسلام ، واستمر على الكفر والمعصية من أهل مكة ، كالوليد بن المغيرة ، وأمثاله من عصابة قريش ، الذين أنعم اللهُ عليهم بالنعم المختلفة ، فقابلوها بالجحود والكفران ، والتكذيب والاستخفاف والعصيان .

(٣)

من الآية ٣٤ إلى الآية ٤٧ من سورة القلم

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ؟ مَالَكُمْ ؟ كَيْفَ تَحْكُمُونَ -١- . أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ : إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ؟ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ؟ -٢- . سَلْهُمْ : أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ، أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ؟ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ -٣- . يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ، خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ، وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ -٤- . فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ، سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ، وَأُمْلِي لَهُمْ ، إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ، أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ، أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ؟ -٥- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المجرمين	المخالفين للرسول .
مالكم	ماذا أصاب عقولكم ؟ .
كيف تحكمون	كيف تصدرون هذا الحكم المعوج ؟ .
تدرسون	تقرءون .
تخيرون	تختارون .
بالغة	مؤكدة .
لما	للذى .
زعيم	كفيل وضمين .
شركاء	أعوان وأنصار .
يُكشفُ عن ساق	يشتد الأمر يوم القيامة .
خاشعة	ذليلة .
ترهقهم	تلحقهم .
سالمون	فى حالة تمكنهم .
ذرنى	دعنى واتركنى .
الحديث	القرآن .
سنستدرجهم	سنأخذهم على غفلة .
أملى لهم	أمهلهم .
متين	شديد لا يطاق .
أجراً	أجرة على تبليغ الرسالة .
مغرم	غرامة يؤدونها .

الألفاظ	شرحها
مُثْقلون	يصعُب عليهم حملُه وأداؤه .
الغيب	ما اختص الله بعلمه .
يكتُبون	ينقلون عنه .

مجمل المعنى

١ — بعد أن بيَّن اللهُ حالَ الكفار المعاندين ، وما أعد لهم من العذاب يوم القيامة ، بيَّن حالَ المؤمنين ، وما أعدَّ لهم من أنواع النعيم ، فذكر أن لهؤلاء دُون غيرهم جنات يتنعمون فيها بأصناف النعيم ، ولقد كان الكفار من صَناديد قريش فى حالة من اليسرِ ، وسَعة الغنى ، وكان الصحابة فى شظف وضيق عيش بالنسبة إليهم ، فأخذ الكفار يتهكمون على المسلمين ، يقولون لهم : إن حالنا وحالكم فى الآخرة ، ستكون مثل حالينا فى الدنيا ، إن صحّ أننا نبعث من قبورنا فى دار ثانية كما تقولون ، فإنَّ من فضلنا عليكم فى الرزق فى الدنيا ، هو الذى بيده الأمر فى الآخرة كما تزعمون ؛ فردّ اللهُ عليهم ، بأنه ليس من المعقول أن يكون المسلمون الذين أطاعوا وآمنوا بالله ورسوله ، كالمخالفين الذين عصوْا وكفروا ، فإن العدل الإلهى يقضى بعذاب الكافرين ، وثواب المتقين يوم القيامة ، فكيف يحكمُ الكفارُ بأن أعداء الله فى الآخرة كأوليائه ؟ بل يجعلون منازل الفجار فوق منازل الأبرار ؟ وكيف يكون المطيع والعاصى عند الله سواء .

٢ — ثم خاطب الكفار ، توبيخاً لهم على ما توهموه قائلا : هل لكم كتاب نزلَ من السماء ، كما نَزَل القرآن على الرسول عليه الصلاة والسلام ،

تقرءون فيه أن لكم يومَ القيامة ما تختارون وتشتهون ؟ أو لكم علينا عهود ومواثيق مؤكدة، تبقى أحكامـُها نافذةً إلى يوم القيامة ، تأمرنا أن ننزلَ على حكمكم ، ونـُنفذ إرادتكم ؟

٣ — ثم طلب الله من رسوله عليه الصلاة والسلام أن يسأل الكفارَ عن الزعيم الذى يَضمنُ لهم ما يقولونه، وعما يدّعون صحته ، وأن يسألهم عن شركائهم الذين يزعمون بأن لهم حظًّا من النعيم يوم القيامة ! فإن كان لهم شركاء يَتوهمون هذا الوهم ، فعليهم أن يأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين ، وإلا فأين دليلهم على ما يزعمون ؟

٤ — ويوم القيامة هو اليوم الذى يشتد فيه الكربُ بالكفار ، ويستفحل فيه الهول، ويفدح الخطب. فيدعون إلى السجود توبيخاً لهم على ترك السجود فى الدنيا . فلا يستطيعون من شدة ما أصابهم من الخوف والفزع ؛ وكيف يستطيعون وقد اصطكّت ركَبهم ،واضطربت نفوسـُهم ،وارتعدت فرائصهم؟ إنهم لا يملكون إلا النظر بأعين ذليلةٍ ، وقد علاهم الخزْى والحسرةُ ، مع أنهم كانوا يُدعْون إلى السجود والصلاة ، وأداء فروض الإسلام ، وهم سالمون خالون من أى مانع ، فيـُعرضُون أنفة واستكباراً .

٥ — ثم أراد الله أن يهون على رسولِه أمرَ هؤلاء الكفار ، حتى لا يحزن ، أو يضيق صدره بما يقولون، فقال له : اتركنى وهؤلاء القوم الذين يُكذّبونك، فأنا أجازيهم، وأنتقم منهم ، وأكفيك شرهم ، وسآخذهم على غـِرّة من حيث لا يعلمون ، وإذا كنتُ أمهلـُهم ولا أعاجلهم بالعقوبة . فإنّ أمامهم يوم القيامة عذاباً شديداً ؛ وبيّن اللهُ أن أمر هؤلاء الكفار عجيبٌ، فهم يعرفون أنك على حقّ ، ولكنهم يستكبرون عن اتباعـِك ، مع

أنك لم تطلب منهم أجراً على هدايتهم إلى الحق ، ودعوتهم إلى الإيمان ، فيُثقلهم ما يبذلونه لك من المال ، وهم ينتفعون بمتابعتك لوأطاعوك ، بما أعدّ للطائعين يوم القيامة من النعيم المقيم ؛ فإذا كانوا يعلمون أنك لا تتقاضاهم أجرة تبهظهم على دعوتك ، فلم هذا العناد ؟ هل اطلعوا على الغيب ، فهم ينقلون عنه ما ينجيهم من العذاب ؟ أم اتخذوا عند الرحمن عهداً ، يضمن لهم الفوز ودخول الجنة ، مع المتقين الصالحين ؟

(٤)

من الآية ٤٨ من سورة القلم ، إلى آخر السورة

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ، وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ، إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ، لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ، فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ ، فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ –١– .وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ، وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ –٢– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
صاحب الحوت	يونس أحد الأنبياء .
نادى	دعا ربه .
مكظومٌ	مملوء غمًّا وغيظاً .
تداركه	أدركته .
نعمةٌ	رحمة .
نبذَ	طُرح .
العراء	الأرض الخالية .
اجتباهُ	اختاره نبيًّا .

الألفاظ	شرحها
يُزلقونك	يجعلونك تنزلق وتسقط .
الذّكر	القرآن .
ذكرٌ	وعظ .
العالمين	جميع المخلوقات .

قصة صاحب الحوت

ملخص قصة يونس بن مَتَّى عليه السلام ، أن الله أرسله إلى قوم نِينَوَى ، وهى من بلاد الموصل بالعراق ، وهم مائة ألف أو يزيدون ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فلم يستجيبوا لدعوته ، فغضب بعد أن بَرِم بطول دعوتهم ، وشدة شكيمتهم ، وتمادى إصرارهم على الكفر ، وكان حديث عهد بالنبوة ، لم يتدرب بعد على مشاقها ، وتركهم معتقداً أن الله لا يؤاخذه على ما فعل ، وظل سائراً حتى أتى إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، فركب سفينة اكتظت بحملها وركابها ، وكادت تغرق ، فألقى ركابها أحمالها ، فظلت مثقلة بمن عليها ، ورأوا أن يخففوا عنها بإلقاء بعض الركاب فى البحر ، رغبة فى نجاة سائرهم ، فاقترعوا ، فأصابت القرعة يونس ، فالتقمه حوت كبير ، فألهم الله الحوت ألا يصيب يونس بأذى ، فمكث يونس فى بطن الحوت سجيناً نحو ثلاثة أيام ، وهو عاكف على تسبيح الله وعبادته ، ثم رفع صوته وهو فى ظلمة جوف الحوت قائلا : « لا إله إلا أنت ، سبحانك ! إنى كنت من الظالمين » ، فلبى الله دعوته وقبل توبته ، وألهم الحوت أن يطرح يونس من جوفه فى أرض فضاء ، ثم رجع إلى قومه الذين فارقهم مغاضبة ، فآمنوا به .

مجمل المعنى

١ — بعد أن بيّن الله ما بيّن من شدة عناد الكفار ، واستهزائهم بدعوة الرسول — أمرَه الله أن يصبر على ما كلفه إياه ، من الاستمرار على تبليغ الرسالة ، غير مبال بما يصيبه من عنت ومشقة ، وألا يكون حاله فى ضيق الصدر ، والغضب مما يلاقى ، كحال يونس عليه السلام ، حين دعا قومه إلى عبادة الله ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فأبوا ، فغضبَ وذهب إلى البحر ، فابتلعه حوت ، فدعا ربه وهو محبوس فى بطن الحوت ، وقد استولى عليه اليأس والغم ، أن ينقذه مما هو فيه من البلاء ؛ ولولا أن أدركت يونس بعد توبته رحمةُ ربه لقذفه الحوت فى أرض فضاء ، لا ساتر فيها ، وبقى مُستحقاً للوم المولى جل وعلا ، على ما كان منه من مخالفة أمر ربه إليه ، بالصبر على أذى قومه ، لكنه اعتذر عن ذنبه ، فأخرجه الله سليما ، وعفا عنه ، واصطفاه وجعله من الأنبياء المرسلين ، العاملين بما أمرهم به ، المنتهين عما نهاهم عنه .

٢ — ثم أخبر اللهُ الرسولَ أن الكفار يحدّقون النظر فيه ، بعين العداوة والبغضاء والحسد ، حينما يسمعون منه القرآن ، حتى يكادوا يُزَحلقونه ويزلّون قدمه ، من إدامة النظر إليه ، ويقولون عنه حسداً على ما اختصه الله به من الرسالة : إنه لمجنون ، وما قرآنه هذا إلا هذيانٌ يهذى به فى جنونه ، فرد الله عليهم بأن القرآن وحى منزلٌ من عند الله ، ليس بهذيان كما تدعون ، وإنما هو موعظةٌ وذكرى للناس أجمعين .

سورة الحاقّة

نزلت بمكة ، وآياتها ٥٢ آية

بسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٢

الْحَاقَّةُ ، مَا الْحَاقَّةُ ؟ –١–. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّة ؟ –٢– . كَذَّبَتْ
ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ : فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ، وَأَمَّا عَادٌ
فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ
أَيَّامٍ حُسُوماً ، فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى ، كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
خَاوِيَةٍ ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ؟ –٣– . وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ
قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ، فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ، فَأَخَذَهُمْ
أَخْذَةً رَابِيَةً –٤– . إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ،
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ، وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ –٥– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الحاقة	القيامة المتحققة الوقوع .
ما الحاقةُ ؟	أى شىء هى؟ .
وما أدراك	أى شىء أعلمك بها ؟
القارعةُ	القيامة .
الطاغيةُ	الصاعقة الشديدة الوقع .
صرصر	شديدة البرد والصوت .
عاتية	بالغة الغاية فى الشدة .
سخرها عليهم	سلطها عليهم .
حسوما	متتابعة مستأصلة ، وهى جمع حاسم ، كشهود جمع شاهد .
صرعى	موتى مطروحين على الأرض .
أعجاز	أصول ، وجذوع . جمع : عجُز .
خاوية	خالية ، فارغة الجوف ، ساقطة .
باقية	بقية .
جاء فرعونُ	أتى وفعل .
المؤتفكات	مدن قوم لوط التى انقلبت على أهلها ، فصار عاليها سافلها .
بالخاطئة	بالأفعال الخاطئة .
رابية	زائدة فى الشدة .
طغى الماء	زاد وتجاوز حده .

الألفاظ	شرحها
الجارية	سفينة نوح .
تذكرة	عظة وعبرة .
تعيها	تحفظها .
واعية	حافظة .

مجمل المعنى

١ — أراد اللهُ سبحانه وتعالى أن يبيّن لكفار قريش الذين قاوموا دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ، أهوالَ يوم القيامة ، حيث يُعاقب العصاة المكذبون ، وما آل إليه أمرُ أمثالهم من الكفار الذين استكبروا ولجُّوا فى عنادهم ، حين دعاهم الرّسلُ إلى عبادة الله وحده ، ونبذ عبادة الأصنام ، فذكر أن يوم القيامة آتٍ لا ريب فيه ، وأنه متحقق الوقوع ، لأنه يحق فيه ويثبت ما أنكره الكفارُ من البعث والحساب والجزاء .

٢ — ثم بيّن أنها لشدة هولها ، لا يستطيع أحدٌ دراية حقيقتها ، ولا يحيط علمه بها ، وبعد أن نفى الشك فى وقوعها ، وبيّن أنها القارعة ، التى تقرع الناس بضروب من الفزع عند وقوعها — ذكر بعض أخبار الأمم التى أنكرت وقوعها .

٣ — فمنها ثمودُ وعادٌ ، وهما قبيلتان عربيتان من قبائل العرب البائدة ، سكنت أولاهما بلاد الحِجْر فى شمالى الحجاز ، حيث مدائن صالح ، ذات البيوت المنحوتة فى الجبال ، وسكنت الأخرى الأحقاف من بلاد اليمن ، فى جنوبىّ جزيرة العرب ، فأما ثمود فقد أهلكها اللهُ بصاعقة زلزلت

مساكنهم ومصانعهم ، لما كذبوا رسولَ الله صالحاً ، وعقروا ناقته !
وأما عادٌ فإنهم لمّا استكبروا فى الأرض بغير الحق ، وقالوا : من أشدّ منا قوة ؟ سلط اللهُ عليهم ريحاً باردة عاصفة ، تتابعت سبع ليال وثمانية أيام — وهى الأيام المعروفة ببرد العجوز — فهلكوا ، وصاروا مطروحين على الأرض ، كما تُطرح النخلة المنقلعة من أصلها ، الساقطة من منبتها ، الفارغة من جوفها ، فاستؤصلوا ، وقطع اللهُ دابرهم ، ولم يُبق منهم أحداً ، وأصبحوا لا يُرَى إلا مساكنهم .

٤ — ولما فعل فرعون وقومه ومن كان قبله من الأمم التى سبقته ما فعلوا من الأفعال الخاطئة ، وكذبوا رسلهم — أخذهم الله بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر .

٥ — ولما فاض ماء الطوفان فى عهد نوح عليه السلام ، حملنا آباءكم يا معشر قريش ، المقاومين لدعوة محمد ، فى السفينة ، لنجعلَ نجاةَ المؤمنين وإغراق الكافرين ، عظة وعبرة ، يرويها الخلفُ عن السلف ، فيحفظها ويعتبر بها .

(٢)

من الآية ١٣ إلى الآية ٢٤ من سورة الحاقة

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ، فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ ، فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا –١– . وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ، لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ –٢– . فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَيَقُولُ : هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ –٣– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نُفخ فى الصور	أعلم الناس بيوم القيامة . والصور : البوق .
نفخة واحدة	نفخة أولى عند انتهاء العالم ، تليها أخرى عندالبعث.
حُملت الأرض والجبال	اضطربت ورفعت من موضعها .

الألفاظ	شرحها
دُكتا دكةً واحدة	ضُرب بعضها فى بعض ، وصارتا كتلة واحدة .
وقعت الواقعةُ	قامت القيامة .
انشقت السماء	اختل نظام الكواكب .
واهيةٌ	ضعيفة مختلة .
الملكُ	الملائكة .
أرجائها	نواحيها ، مُفردها : رجا .
عرْش ربك	الأصل فيه : سرير ربك، والمراد : بيان عظمة ذى الجلال .
ثمانيةٌ	ثمانية من الملائكة .
تُعرضونَ	تقفون بين يدى الله للحساب .
خافيةٌ	أية حالة كنتم تحاولون سترها .
أوتى كتابه بيمينه	أعطى صحيفة أعماله بيمينه .
هاؤمُ	خذوا .
ظننتُ	علمت وتيقنت .
راضية	راض صاحبها .
أسلفتم	قدمتم .
الأيام الخالية	الأيام الماضية فى الدنيا .

مجمل المعنى

١ — أراد اللهُ أن يصوِّرَ أحوالَ يوم القيامة ، وما أعد فيها للطائعين والعاصين ؛ والنفخُ فى الصور : تمثيل وتصوير لبعث الأموات من قبورهم ، وعرضهم للحساب ، واستجابتهم للدعوة بسرعة ، وقد صاح بهم بوق عظيم ، كما يستجيب الجنود ، فيهبون من نومهم ، حين ينفخ أحد الجنود فى بوقه نفخة تسمى نوبة الاستيقاظ ، أو أن الله يأمرُ إسرافيلَ أن ينفخ فى البوق ، فإذا الأرض والجبال يعمها الاضطراب والاختلالُ ؛ فأما الأرض فتمور موراً ، وتتزازلُ جوانبها ، وتتحركُ فى غير نظام ، وأما الجبالُ فتندكّ وتنسف ، حتى تصير كثيباً مَهيلا ، ويكون هذا إشعاراً بقيام الساعة ، ويختل نظامُ السماء ، ويضعف ما بين كواكبها من تجاذب وتماسك ، فتتساقط ، وحينئذ تفزع الملائكة الذين لم تعد السماء بعد تصدعها واختلالها دار أمن لهم ، فينتشرون فى الأرجاء ، ويكون مثلهم حينئذ مثلَ سكان البيت الذى قد انهار بعضه ، فيفزع سكانه ، ويجتمعون فيما بقِىَ منه ، ليشاهدوا ما يكون من أمره ، وينظروا ما يكون من أمرهم .

٢ — ثم يعرض الله الخلائق لمحاسبتهم ، وفى تصوير عرش الله يحمله ثمانية من الملائكة ، تبيان لعظمة ذى الجلال ، وتفرده بالعزة يوم القيامة ، وتقريبٌ لعقول الناس ، الذين ألفوا مظاهر العظمة والجلالة فى عروش الملوك ؛ ويجوز أن يكون المرادُ بالعرش : النفوذ والسلطان ، أى أن أوامر الله يحملها ثمانية من الملائكة إلى عباده .

٣ — فأما من كانت صحيفة أعماله فى الدنيا تدلّ على رُجحان حسناته على سيئاته . فإنه يُحاسبُ حساباً يسيراً ، ويغتبط ويبتهجُ بما كتب فيها ، ويعرضها على الخلائق ليقرءوها . قائلا : إنى علمت وتحققت فى الدنيا ، أنى سأحاسب. فأعددت نفسى لملاقاة هذا اليوم ، بما قدمته من عمل صالح ؛ وحينئذ ينال مرتبة عالية ، ويحيا حياة مرضية فى الجنة الرفيعة الشأن . الدانية الثمار ، يتناولها من يريدها : قائماً أو جالساً أو مضطجعاً ، ويقال له ولأمثاله : ها هى ذى الجنة التى أعدت للمتقين مباحة لكم ، فكلوا هنيئاً ، واشربوا مريئاً ، جزاء ما قدمتم من الأعمال الصالحة فى أيامكم الماضية فى الدنيا .

(٣)

من الآية ٢٥ إلى الآية ٣٧ من سورة الحاقة

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ، خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ -١- . إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ ، وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ، فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لم أوت	لم أُعط .
لم أدر	ليتنى لم أعلم .
ليتها	ليت الموتة التى حدثت فى الدنيا .
القاضية	القاطعة الحاسمة فلم أبعث .
ما أغنى عنى ماليه	لم ينفعنى الذى ملكت .

الألفاظ	شرحها
هلك عنى سلطانيه	ذهب عنى نفوذى .
خذوه	أمر من الله للملائكة .
فغلوه	فضعوه فى الغُل ، وهو حديدة تجمع يدى العاصى إلى عنقه .
صلُّوه	ألقوه فى النار يصلاها ، أى يحترق بها .
ذرعها	طولها بالذراع .
اسلكوه	أدخلوه .
لا يحضُّ	لا يحثّ غيره .
حميمٌ	قريبٌ أو صديق يدافع عنه .
غِسلين	ما يسيل من أهل جهنم من قيح أو صديد أو دم .
الخاطئون	الآثمون .

مجمل المعنى

١ — بيّن اللهُ هنا حال العصاة المتمردين ، من الغم والحسرة وسوء المآل ، فذكر ما يحدث يومَ العرض من سُخطه على العصاة ، بتناولهم صُحف أعمالهم بشمالهم ، وهو كناية عن حبوط أعمالهم ، وإعلانهم بسوء مصيرهم ، واستحقاقهم للعقوبة على ما اقترفوا من الآثام ، فهم لفرط حسرتهم ، وكآبتهم مما دُوِّنَ فى هذه الصحائف ، يتمنون أن لو أسدل الستار على مخازيهم ومساوئهم . وأنهم لم يخلقوا ، ولم يُبعثوا من قبورهم ، ويدركون حينئذ أنه لا يعصمهم من عقاب الله مالٌ ، ولا جاهٌ ، ولا أتباعٌ ، ولا سلطانٌ ؛ ثم يأمر اللهُ زبانية النار أن يأخذوا كل واحد من هؤلاء ،

فيضعوا الغلّ فى عنقه ، ثم يلقوه فى النار ، وإمعاناً فى إذلاله ، عقاباً له على تكبره فى الدنيا ، يأمرهم بأن يدخلوه بين سلسلة طويلة جدًّا .

٢ — يعذب اللهُ بهذا العذاب كل عاص متجبر متكبر ، لأنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحث على بذل الطعام للفقراء والمعوزين ، وإذا كان الذى لا يحث على البذل مستحقًّا للعقاب ، فالممتنع عن بذله مع القدرة عليه أكثرُ استحقاقاً ! ثم بيّن اللهُ أن هؤلاء العصاة لايجدون وهم يقاسون هذه الأهوال ، قريباً ولا صديقاً يحميهم من العذاب ، وأنهم يُكرَهون على تناول طعام قذر ، تعافه النفوس ، وتشمئز منه ، لما ارتكبوه من الخطايا والذنوب فى الدنيا .

(٤)

من الآية ٣٨ من سورة الحاقة إلى آخر السورة

فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ، وَمَا لَا تُبْصِرُونَ : إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ، قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ، قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ —١— . وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلَ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ —٢— . وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ؟ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ، وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ —٣— . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لا أقسمُ	أقسم أنه ليس الأمر كما تقولونه أيها الكفار على محمد ، ولا : زائدة .
إنه	إن القرآن .

الألفاظ	شرحها
قليلا ما تؤمنون	المراد بقلة الإيمان هنا : نفيه عنهم .
كاهن	من يدعى علم الغيب .
قليلا ما تذكرون	ما هنا : زائدة .
تقوّل	افترى واختلق .
الأقاويل	جمع أقوال ، التى هى جمع قول ، وأكثر استعمالها فى الأكاذيب .
اليمين	اليد اليمنى ، والمراد : تمكنًا منه .
الوتينَ	الشريان الواصل بين القلب والرأس ، إذا قطعَ مات صاحبه .
من أحد	من هنا : زائدة ، وأحد مفرد يراد به جمع .
عنه	عن النبى صلى الله عليه وسلم .
حاجزين	دافعين وحامين .
مكذبين	لا يصدقون بالقرآن الكريم .
حسرةٌ	غم وحزن .
حق اليقين	حق لا شك فيه .
سبح باسم ربك	نزه الله عما لا يليق به .

مجمل المعنى

١ — يؤنبُ الله كفارَ قريشَ على تكذيبهم الرسول ، ويدحض مُفترياتهم ، فأقسم بالمخلوقات من مرئىٍّ وغير مرئى ، أن هذا القرآن كلامُ رسول أمين ، يُبلغه عن ربه إلى العرب بلسانهم ، وليس هو كما تزعمون أيها الكفار

قولَ شاعر ، لأنه فى أسلوبه ومعانيه ومَبانيه ، مُباينٌ للشعر ، ولكنكم لعنادكم وحسدكم للرسول لا تصدقون ، وليس هو كما تدعون قول كاهن ، لأن الكهان يُخطئون ويصيبون ، وأساليبهم غَثة ركيكة ، لما فيها من سجع متكلف ، ولكنكم تنسون ما اشتمل عليه القرآن من الأسلوب المتين ، والمعنى الرائع ، والخبر الصادق ؛ ولا غرو ! فهو كلامُ الله سبحانه وتعالى ، الذى نزل به جبريل الأمين ، على رسوله الكريم ، فلا معنى لما تتقولون .

٢ — ثم بيَّن اللهُ سبحانه وتعالى أن محمداً صلى الله عليه وسلم لو افترى على الله القرآن ، وادعى فيه ما لم يتلقه عن الوحى — لنكلَ به أفظع تنكيل ، وانتقم منه شر انتقام : بأن يأخذ بيده حتى يمنعه من الحركة ، ثم يقطع عنقه ، وهذا تصويرٌ لأفظع ما يفعله الملوكُ بمن يقبضون عليه ، فيأخذ القاتلُ بيد المقتول ليشل حركته ، ثم يضربه بالسيف ، وهو يراه بعينه ، وهذا هو القتل صبراً ، وفيه من الهول ما فيه ، ثم ذكر أنهُ لا يستطيعُ أحدٌ أن يدافع عن الرسول إن فعل هذا ، أو يحولَ دون إنفاذ مشيئة الله فيه .

٣ — لقد ثبت أن القرآن وَحىٌ من عند الله ، لم يَتقوله محمدٌ ، وقد أنزلناه ليكون موعظة وهدى لمن خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، ونحن لا يخفى علينا أن فى قريش قوماً حرَصوا على تكذيب الرسول فى كل ما يبلغه عنا . وسيعلمون حين يرون ثواب المؤمنين ، وعذاب الكافرين ، سيعلمون أنه الحق الواضح ، واليقين الذى لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه .

٤ — ثم أمر اللهُ الرسول أن ينزهه عن كل ما لا ينبغي أن يُوصفَ به، شُكراً على ما أوحى به إليه ، وتنزيهاً له عما يصفه به المشركون ، وأن يَثبت على تبليغ رسالته بتسبيح الله ، وشكره على اختصاصه بكرامة النبوة ، وعلوّ المرتبة .

سورة المعارج

نزلت بمكة، وآياتها ٤٤ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٨

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، لِلْكَافِرِينَ، لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ، مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ، تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ —١— . فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيباً، يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ، وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً، يُبَصَّرُونَهُمْ —٢—. يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً، ثُمَّ يُنْجِيهِ —٣—. كَلَّا! إِنَّهَا لَظَى، نَزَّاعَةً لِلشَّوَى، تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى، وَجَمَعَ فَأَوْعَى —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سأل سائلٌ	طلب طالب .
واقع للكافرين	نازل بهم .
دافع	واق مانع .
المعارج	الدرجات فى العلو والرفعة .
تعرج الملائكةُ	تتلقى أوامره ونواهيه .
الرّوح	جبريل .
يرونه	يرون العذاب يوم القيامة .
قريباً	محقق الحصول .
المهل	الدّردى ، وما عكرَ من كل شيء .
العهن	الصوف .
حميمٌ	قريب أو صديق .
يبصرونهم	يُقدرهم الله على أن يبصر بعضهم بعضاً .
المجرمُ	الكافر .
صاحبته	زوجته .
فصيلته	عشيرته .
تؤويه	تضمه فى الانتساب إليها .
ينجيه	يفديه ويخلصه .
كلاَّ	ردّ لما يودّه الكافر .
لظى	جهنم الملتهبة .
الشوى	محاسن الوجه والأطراف .

الألفاظ	شرحها
تدعو	تنادى .
أدبر وتولى	أعرض عن الإيمان .
جمع	جمع المال .
أوعى	أمسكه عن الإنفاق ، كأنه جعله فى وعاء .

مجمل المعنى

٢ — كان الكفارُ يسخرون من النبي صلى الله عليه وسلم ، ويستخفون بما كان يتوعدهم من العذاب فى الآخرة ، ويسألون استهزاءً عن وقته ! وقد حكى الله عنهم فى افتتاح هذه السورة ما طلبه النضر بن الحارث ، أحد كفار قريش ، فقد سأل عن العذاب الذى أخبر الرسول بأنه واقع بالكفار لا محالة ، فأجاب الله بأن هذا العذاب مُهَيَّأ للكافرين ، لا يقيهم منه واق ، وستكون مشيئة الله فى تعذيبهم نافذة لا محالة ، وسيلقون هذا العذاب يومَ القيامة من الله الرفيع الدرجات ، الذى يرنع جبريل ومن معه من الملائكة إليه أمر الخلائق ، وما تدل عليه صحائف أعمالهم ، وينفذون قضاء الله فيهم ، وسيكون عذابُ هؤلاء الكفار فى وقت يطول أمده عليهم ، حتى يحسبوه لشدة ما يلقون خمسين ألف سنة ، فمثلهم كمثل المريض المتألم ، الذى يعد الساعة دهراً ؛ فليس المراد بالخمسين ألفاً تحديد عدد السنين ، وإنما المراد : وصف هذا اليوم بالطول .

٢ — ثم أمر الله رسوله أن يصبر على عناد الكفار صبراً لا يشوبهُ ضجر ،

ولا استبطاء للنصر عليهم ، وبين أن هؤلاء الكفار المستبعدين ليوم الحساب ، حيث يَصْلُون فيه نار جهنم ، إن كانوا يرونه بعيد الإمكان لعدم تصديقهم به ، فالله جَلَّت عظمته يعلم أنه واقعٌ مُحققُ الحصول ألبته ، وذلك يومَ تُبدل الأرض غير الأرض والسموات ، فيكون لون السماء مُغبرًّا أو أحمر ضارباً إلى السواد ، كلون الزيت العكر ، وتتناثرُ الجبال حتى تصير هباء ، كالصوف المنفوش ، وحينئذ تضطرب الخلائق ، ويشتغل كلٌّ بنفسه ، من شدة الهول والفزع ، فينكر بعضهم بعضاً ، ويتلمس كلٌّ منهم طريق الخلاص لنفسه ، وينحصر همه فى شخصه ، فلا يهتم الصديقُ أو القريبُ بحال غيره ، مع كونه يبصره ويعرف من هو ، وليس ثمة حوائل تحول بينهما ، ولكن اهتمام كل امرئ بنفسه ، يصرفه عن النظر فى شأن غيره .

٣ — فى هذا الوقت العصيب الذى يشتد فيه الهولُ ، ويعرف كل أنه سيحاسب على ما قدمت يداه ، يود الكافر لو قدم أعز الناس عليه من بنيه ، أو أخيه ، أو زوجته ، أو عشيرته ، بل كل من فى الأرض من المخلوقات فداء له ، ينجيه من الكرب الذى هو فيه .

٤ — لكن كل هذا لا يجديه نفعاً ، ويقال لهؤلاء الكفار : دَعوا هذه الأمانىّ الكاذبة ، وذوقوا عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق ، وبما كنتم تفسقون ، فها هى ذى جهنم الملتهبة تُشوه خلقتكم ، وتشوى أجسامكم ، وتنتزع أيديكم وأرجلكم . ثم تُعاوِدُ التنكيل بكم ، وهى تنادى بلسان حالها كل من أعرض منكم عن الإيمان فى الدنيا ، واستهزأ بدعوة رسولى إليكم ، وجمل همه جمع المال وادخاره ، ليصطلى الآن بنارها ، ويقاسى جرها ، جزاء إعراضه وتكذيبه .

(٢)

من الآية ١٩ إلى الآية ٢٥ من سورة المعارج

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيرُ مَنُوعاً ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ، وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذٰلِكَ ، فَأُولٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ، أُولٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
هَلُوعاً	شديد الضَّجَرِ .
الشرُّ	الضرر .
جزوعا	قليل الصبر .

الألفاظ	شرحها
مَنوعاً	شديد البخل .
السائل	المستجدى .
المحروم	المحتاج المتَعَفِّف عن السؤال .
يوم الدين	يوم الجزاء ، يوم القيامة .
مشفِقون	خائفون عاقبة أمرهم .
غير مأمون	غير مضمون دفعه .
لفروجهم حافظون	ملازمون للعفة .
ما ملكت أيمانهم	ما ملكوا من الإماء والجوارى .
ابتغى وراء ذلك	تجاوز الحلال إلى الحرام .
العادون	المعتدون .
لأماناتهم	ما اؤتُـمنوا عليه من حقوق العباد .
عهدهم	مواثيقهم .
رَاعون	حافظون .
بشهاداتهم قائمون	يؤدون الشهادة على وجهها ، ولا ينكرونها .
فى جناتٍ مُكرَمون	يدخلون دار الكرامة ، وهى الجنة .

مجمل المعنى

بيَّن الله ما جُبِلَ عليه كثير من الناس منذ الخليقة ، وكان سبباً فى كثير من الشقاء الذى أصابهم ، فذكر أن الإنسان خُلق منذ نشأته شديد الضجر ، قليل الوفاء ، فهو إذا ألمَّ به مكروهٌ : من فقر ، أو مرض ، أو خوف ، استولى عليه اليأسُ والقنوط ، وإذا تيسر له العيش الرغيد ، واتسع رزقُه ، وصحَّ

جسمه ، وصار نافذ الكلمة ذا جاه ومنصب ، تنكر للناس ، فمنعهم رفده ، وحرمهم الانتفاع بما خوله الله إياه ! ولو كان الناس كلهم على غرار هذا الإنسان ، لامحت الألفة والمودة ، وحلت محلها العداوة والبغضاء ، ولكن اقتضت حكمة الله أن يكون لطيفاً بعباده ، فخلق فى كثير منهم مواهب سامية ، تبعدهم من هذا الخلق الذميم ، وهم أصناف :

(ا) المصلون المواظبون على صلواتهم ، فهم ، فى استعدادهم لقضائها ، وقيامهم على أدائها ، ينصرفون فى أغلب أحوالهم عن متاع الدنيا وزخارفها ، ويتفرغون بقلوبهم للزلفى إلى المولى القدير ، فيرضون بقضائه ، ويعرفون أن كل خير أو شر بتقديره ، فلا يجزعون إذا أصابهم شر ، ولا يمنعون إذا وصل إليهم خير .

(ب) والموسرون الذين يجعلون فى أموالهم قدراً معيناً ينفقونه على المعوزين ، سواء أكان زكاةً ، أم صدقة للفقير المحتاج العاجز الذى يستجدى ، أو المحروم الذى يكون فى أشد الحاجة ، ولكنه يأنف أن يتكفف الناس .

(ج) والمؤمنون بيوم الحساب ، فيواظبون على الطاعات طمعاً فى المثوبة الأخروية ، ويطلبون من الله أن يهديهم الصراط المستقيم .

(د) والذين يخافون على أنفسهم عذاب الله يوم القيامة ، مع ما لهم من الأعمال الصالحة ، انتقاصاً لقدرها فى نظرهم ، واستعظاماً لرب العرش ، فهم « يؤتون ما آتوا ، وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » ، ويرون أنهم لا يمكنهم القطع بأنهم أدوا واجباتهم كما ينبغى ، إذ ربما يكون قد حصل منهم تقصيرٌ لا يدركونه ، فلا يأمنون عذاب الله عليه .

(ﻫ) والمتعففون الذين يقتصرون على ما أحله الله لهم ، من الزوجات والجوارى ؛ أما الذين يخضعون لشهواتهم ، ويرتكبون ما حرمه الله ، ويتجاوزون

الحلالَ إلى الحرام . فهم الذين تعدوا حدود الله، وانقادُوا لنزوات النفس الأمارة بالسوء .

(و) والمحافظون على أماناتهم وعَهْدِهم، فى أمر دينهم ودنياهم ، قولا وفعلا، وهو عامّ فيما كان بين الإنسان وربه من عقائد وعبادات ، فإن الشرائع أمانات ائتمن الله عليها عبادَه ، وفيما كان بين الإنسان وغيره من بنى البشر ، فى معاملاته معهم ، من مواثيق ومواعيد ، وعقود ومعاملات ، فلا يجوز الإخلالُ بشىء من حقوقها ؛ ويدخل فى الأمانات الودائعُ المتنوعة .

(ز) والذين يؤدون الشهادة على وجهها ، سواء أكانت على قريب أم بعيد ، صديقٍ أم عدوٍّ ، فلا يكتُمُونها ولا يُغَيِّرونها ، لاعتقادهم أن من يكتمها فإنه آثمٌ قلبه .

(ح) والذين يحافظون على صلواتهم بإحسان الوضوء لها ، والمبادرة إلى إقامتها فى أوقاتها ، وأداء أركانها وسننها .

هؤلاء الأصنافُ الثمانية ، يجازيهم الله يوم القيامة على أعمالهم ، بإدخالهم دار الكرامة ، التى حسنت مُسْتَقَرًّا ومُقاما .

(٣)

من الآية ٣٦ من سورة المعارج إلى آخر السورة

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ، عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ؟ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ؟ -١-. كَلاَّ ! إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ -٢- . فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ ، وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ -٣- . فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ، حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ، يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً ، كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ، خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ، ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
قِبَلَكَ	نحوك وجِهَتك .
مُهْطِعِينَ	مسرعين ، مُديمى النظر إليك .
عِزِين	جماعات ، جمع عِزَه .

الألفاظ	شرحها
كلاَّ	ليس الأمر كما زعموا .
مما يعلمون	من شىء حقير ، وهو النطفة .
لا أقسم	لا هنا : زائدة .
المشارق والمغارب	مشارق الكواكب ومغاربها .
نُبدل خيراً منهم	نأتى بدلهم بخير منهم .
بمسبوقين	بمغلوبين ، أو بعاجزين .
ذَرْهم	اتركهم .
يخُوضوا	يتحادثوا فى الباطل .
الأجداث	القبور .
نُصُب	شىء منصوب للعبادة .
يُوفضون	يُسرعون .
خاشعة	ذليلة .
ترهقهم	تلحقهم وتغشاهم .
ذلك اليوم	ذلك يوم القيامة .

مجمل المعنى

١ — عجباً لهؤلاء الكفار المكذبين المعاندين ، يسرعون إلى مجالسك جماعات ، شاخصين إليك ، متزاحمين حوالَيْك ، عن يمينك وشِمالك ، ليعيبوك ويسخروا منك ! فما شأنهم بمجالسك يا محمد ؟ فهل يطمع طامعٌ منهم أن ينعم بدخول الجنة ، وهو لم يسع لها سعيها ؟ بل كانوا كلما سمعوا ما أعد الله للمؤمنين من صنوف النعيم ، يهزُّون رءوسهم استهزاء به ، ويقولون : لئن دخل أصحاب محمد الجنة ، لندخلنها قبلهم .

٢ — لن يطمع أحد منهم أن ينعم بالجنة ، بل لن يستطيع أحدٌ منهم أن يُفلْت من العذاب ، وسيعرف حقيقةَ أمره يوم القيامة ؛ فلا يُطغِه جاهٌ أو مالٌ ، وهو يعلم أنا خلقناه من ماء حقير ، ثم جعلنا هذا الماء علَقةً ، ثم جعلنا العلقة مضغة . فليس لهم فضلٌ يستحقون به دخول الجنة ، وإنما يطمع فى الجنة المؤمنون الصالحون ، وليس للمكبِّين على الكفر والفسوق والعصيان إلا جهنم ، وبئس المصير ! .

٣ — ثم أقسم جل شأنه بمالك الملك ، ومسيِّر الكواكب فى أفلاكها ، أن القادر على أن يجعل من النطفة إنساناً ، قادرٌ على أن يهلك الكفرة ، عقاباً لهم على كفرهم ، ويأتى بعدهم بخلق آخر ليسوا على شاكلتهم ، وأنه إذا اقتضت مشيئته ذلك ، فلن يعجز عنه ، ولن يغلبه غالب .

٤ — ثم أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بالثبات والصبر ، وأن يدعهم يتحدثون ما طاب لهم الحديث . فى الباطل والكذب ، وأن يتركهم يلعبون فى دنياهم كما يشاءون ، وأن يخلِّيهم وشأنهم ، ويشتغل بما أمِرَ به ، وألا يضيقَ صدره بكفرهم ، حتى يلقَوْا يومهم الذى توعدهم اللهُ بالعذاب فيه . فيومئذ يعلمون أنهم كانوا على باطل ، يوم يخرجون من قبورهم مسرعين إلى موقف العرض والحساب ، كإسراعهم فى الدنيا حين كانوا يخرجون من مساكنهم أيام أعيادهم ومواسمهم ، إلى حيث نصبوا أصنامهم . ليقدموا إليها قرابينهم ؛ فى ذلك اليوم : يوم العرض والحساب ، تكون رءوسهم منكَّسة . وأبصارهم ذليلةً كليلةً ، لما يتوقعونه من عذاب الله . وعلى وجوههم مظاهر الذِّلة والمهانة . ويقال لهم : هذا هو اليومُ الذى توعَّدكُم به الرسولُ فى الدنيا ، فكذبتموه وآذيتُموهُ ، ها هو ذا قد تحقَّقَ . فذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذِّبون .

سورة نوح

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٨ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السابعة

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ : أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ —١— . قَالَ : يَا قَوْمِ ، إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ : أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ، يَغْفِرْ لَكُم مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ، لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ —٢— . قَالَ : رَبِّ ، إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ، جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ، وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ، وَأَصَرُّوا ، وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا —٣— .

شَرْحُ الأَلْفَاظ

الألفاظ	شرحها
أنذر قومك	حذّرْهمْ عاقبة كفرهم .
عذابٌ أليمٌ	عذاب مؤلم .
نذير	مُبلغٌ ومحذّرٌ ومخوف .
مبين	موضح رسالتى لكم .
اتقوه	اجعلوا إيمانكم وقايةً لكم من عذابه .
من ذنوبكم	ما سلف من ذنوبكم قبل الإيمان .
أجل مسمى	وقت قدره الله .
جاء	جاء وقته .
لا يؤخرُ	ينفذ طبقاً لمشيئة الله .
لو كنتم تعلمون	ليتكم تستعملون عقولكم .
ليلا ونهاراً	فى جميع الأوقات .
فراراً	هرباً منى ، وإعراضاً عن الإيمان والطاعة .
جعلوا أصابعهم فى آذانهم	سدوا آذانهم حتى لا يسمعوا قولى .
استغشوا ثيابهم	غطوا رءوسهم بثيابهم حتى لا يرونى .
أصروا	ثبتوا على الكفر . وعولوا على التمادى فيه .
استكبروا	تكبروا عن اتباعى .

مجمل المعنى

١ — بين الله فى هذه السورة ما وقع لسيدنا نوح مع قومه ، ليتأسى النبى صلى الله عليه وسلم بما وقع للأنبياء من قبله ، فيصبر على أذى قومه ، وعنادهم ؛ فذكر أنه أرسل نوحاً إلى قومه ، وكانوا يعبدون الأصنام ، وأنه كلفه أن

يحذرهم عاقبة كفرهم ، من قبل أن يحل بهم عذابُ الله الشديد .

٢ — فقال لهم نوح : يا قوم ، إنى رسولُ الله إليكم ، أرسلنى إليكم لأطلبَ منكم أن تعبدوا الله وحده ، وتتقوه ، وتطيعونى ، ليغفر لكم ما تقدمَ من ذنوبكم قبل إيمانكم ، ويؤخر عذابكم الذى توعدكم به ، فيُطيل بقاءكم إلى أقصى أجل قدّرَه لكم ؛ يريد أنّ اللهَ قدرَ زمناً لهلاكهم إن أصروا على الكفر ، كخمسين سنة مثلا ، وقدر زمناً آخر لموتهم إن آمنوا ، كمائة سنة مثلا ، وأن الوقت الذى قدره اللهُ إذا انقضى فى إحدى الحالتين لا يؤخرُ ، وود لو تدبروا فى أمورهم ، وفكروا فيما قاله لهم ، وعلموا ما يترتب على إيمانهم أو كفرهم من العواقب ، فسارعوا إلى الإيمان وأطاعوه .

٣ — ولكنهم مع هذا الأسلوب اللين ، والموعظة الحسنة ، لم يبالوا بدعوته ، فناجى ربه عارضاً شكواه ، مُظهراً أسفه ، مصوّراً ما جرى بينه وبين قومه أبلغ تصوير ، بعد ما بذل فى الدعوة كل جهد ، وتجاوز فى الإنذار كل حد ، قائلا : رب ، إنى دعوت قومى إلى الإيمان بوحدانيتك ، ونبذ عبادة الأصنام فى غير توان ولا فتور ، مستغرقاً فى الدعوة كل أوقاتى ، فلم يزدهم ما دعوتهم إليه من التوحيد ، إلا تمرداً وعصياناً ؛ وإنى كلما دعوتهم ، لتتجاوز عما سلف من سيئاتهم ، وضعوا أطراف أصابعهم فى آذانهم ، كراهة أن يستمعوا دعوتى ، وغطّوا رءوسهم بثيابهم ، كراهة أن يروا وجهى ، وأصروا على إعراضهم ، وتكبروا عن اتباعى وطاعتى ، مُفرطين فى تعاظمهم ، مُغالين فى تمردهم .

(٢)

من الآية الثامنة إلى الآية العشرين من سورة نوح

ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ، ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ ، وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ، فَقُلْتُ : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ، إِنه كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا —١— . مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ؟ —٢— . أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّٰهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ؟ وَاللّٰهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ، وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا —٣— . وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
جهاراً	بأعلى صوتى .
استغفروا ربكم	اطلبوا منه الصفح عما فرط منكم .
السماء	المطر .

شرحها	الألفاظ
يتبع بعضه بعضاً .	مدراراً
يعطكم ويُعنكم .	يُمددكم
بساتين .	جنات
تخافون .	ترجون
توقيراً وتعظيما .	وقارا
حالات مختلفة : نُطفة ، فعلقة ، فمضغة ، فعظاماً ولحماً .	أطواراً
ما ارتفع من الفضاء الذى تسبح فيه الكواكب فى مداراتها .	سموات
طبقات فى العلو والارتفاع ، بعضها فوق بعض .	طباقاً
فى السموات .	فيهن
مثل السراج فى إزالة الظلمة .	سراجاً
أنشأكم .	أنبتكم
يُقبركم فى الأرض بعد الموت .	يُعيدكم فيها
يبعثكم بعد الموت .	يخرجكم
كالبساط ، وقد بسطها الله للخلائق يتنقلون فيها .	بساطا
لتقطعوا وتسيروا .	لتسلكوا
طرقاً .	سُبلا
جمع فج ، وأصله : الطريق الواسع بين الجبلين .	فجاجاً

مجمل المعنى

١ — استمر نوح فى مناجاة ربه فقال: ربّ، إنى لم أكتف بالنصح لهم فى مجالس خاصة ، بل دعوتهم مرةً بعد أخرى ، على وجوه مختلفة ، ووسائل متنوعة ، جاهرتهم بالدعوة تارة ، ثم جمعت بين الإعلان والإسرار تارة أخرى ، أعلنُ حين يَصلحُ الإعلانُ ، وأسر حين أتوقع نفع الإسرار ، فقلت لهم : استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصى ، فإنه يقبلُ التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات ، فإن فعلتم ذلك يَسرَ لكم الرزق ، وعجل لكم الخير ، فينزل عليكم المطر الكثير الذى يُخصب أرضكم بعد جدبها ، ويكثر خيركم ، ويرزقكم أموالا تُنمى ثروتكم ، وبنين يشدون أزركم ، وبساتين تُرفه عيشكم ، وأنهاراً تروى أرضكم ، وبهذا يصلح شأنكم ، وينتظم أمركم ، وتتوافر سعادتكم وهناءتكم .

٢ — على أن نوحاً مع عناد قومه ، وتكذيبهم إياه ، أخذ يخاطبهم بأسلوب آخر ، يستدل به على وحدانية الله وقدرته ، ليحرك عواطفهم نحو المنعم القادر ، فقال لهم : ما لكم لا تخافون عظمة الله ، وقدرته على أخذكم بالعقوبة ؟ ولماذا لا تَرهبون جانبه ، فتصدقوا برسالتى ؟ فأى عذر لكم فى موقفكم هذا ، وأنتم ترون مظاهر قدرته فى أنفسكم ؟ فقد خلقكم على أحوال مختلفة ، فكنتم فى بطون أمهاتكم نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ولحماً ، ثم صرتم بشراً سويًّا . فتقصيركم عن تعظيمه والإيمان به ، لا يصدر من عاقل .

٣ — وبعد أن بين قدرة الله فى أنفسهم ، أراد أن يوجه أنظارهم إلى قدرة الله فى الآفاق ، فقال لهم : ألم تروا دلائل قدرة الله واضحة أمامكم ، فقد

خلق الكواكب السبع السيارة بعضها فوق بعض ، وجعل القمرَ فى حيز إحدى الطبقات ، ينير لكم ليلا ، وجعل الشمس سراج النهار ، لتكشف عنكم ظلمة الليل ؛ وأنشأكم إنشاء من الأرض ، بأن خلق آدم من تراب ، وغذاكم من النبات المتولد من الأرض ، وجعل فيها أرزاقكم وأقواتكم ، ثم يعيدكم فيها بالدفن فى القبور بعد الموت ، ثم يبعثكم يوم البعث والحشر بعثاً لا ريب فيه ، للعرض والحساب ، والثواب والعقاب .

٤ — وقد خلق اللهُ لكم الأرض ممهدة سهلة ، تمشون عليها كأنكم تمشون على بساط فى منازلكم ، لتقطعوا منها طُرقاً واسعة سهلة ، لا تجدون مشقةً فى قطعها فى سبيل تحصيل رزقكم ، وبلوغ مآربكم .

(٣)

من الآية ٢١ من سورة نوح ، إلى آخر السورة

قَالَ نُوحٌ : رَبِّ ، إِنَّهُمْ عَصَوْنِى ، وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا —١— . وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ، وقَالُوا : لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ، وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ؛ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا —٢— . مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا —٣— وَقَالَ نُوحٌ : رَبِّ ، لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا —٤— . رَبِّ ، اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ ، وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا —٥— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً	واتبعوا رؤساءهم ـ المعتزين بكثرة أموالهم وأولادهم ، الذين لا يزيدهم اعتزازهم بهم إلا وبالا وضلالا ، وغدراً ولؤماً .

الألفاظ	شرحها
مكروا	دبروا تدبيراً سيئاً .
كبَّارا	عظيما جداً ، وهو : تكذيبهم نوحاً ، وإيذاؤه هو ومن معه .
لا تذرُن آلهتكم	لا تتركن أصنامكم .
مما خطيئاتهم	أصلها : من ْما ، وما : زائدة ، أى بسبب خطيئاتهم .
أغرقوا	أغرقهم الله بالطوفان .
دياراً	مقيما فى أى دار .
فاجراً	مقيما على المعاصى والمحرمات .
لمن دخل بيتى	لأولادى وأزواجهم .
تباراً	هلاكاً .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ — لما لم تنجح دعوة سيدنا نوح إلى قومه ، بعد أن بين لهم الدلائل الواضحة على وحدانية الله وقدرته ، ولم يُثمر فيهم نصحٌ ولا موعظةٌ ، وانصرفوا عن سماع دعوته إلى سماع تغرير رؤسائهم وأغنيائهم ، الذين كانوا على جانب كبير من المال والولد ، ناجى ربه مبيناً استهتارهم به ، وعنادهم إياه ، فقال يشكو إلى ربه : رب ، إن قومى لم يبالوا دعوتى ، واتبعوا رؤساءهم وأثرياءهم ، الذين أبطرتهم نعمك عليهم ، من الأموال والأولاد ، فلم يشكروها ، بل اتخذوا من أموالهم وعصبيتهم قوة يقاومون بها دعوتى ، وتوسلوا بهذا إلى إضلال قومهم ، والتلاعب بعقولهم ، فازدادوا بذلك على كفرهم ضلالا على ضلال .

٢ — كما أن هؤلاء الرؤساء والأغنياء ، دبروا أسوأ تدبير ، وهو إيذائى أنا ومن اتبعنى ، وقالوا لمن دونهم من أتباعهم : لا تتركن عبادة أصنامكم ، وبخاصة أعظمها شأناً ، وأعلاها منزلة ، وهى : وَدٌّ وسُوَاعُ ويغوثُ ويعوق ونسرٌ ، وقد أضل هؤلاء الرؤساء خلقاً كثيراً ، ضلالا لا رجاء بعده فى إيمان هؤلاء القوم ، بما توافر لديهم من الجاه والمال ؛ فأسألك يا رب ، ألا تزيد هؤلاء الطغاة إلا إمعاناً فى الضلال ، ليستحقوا شديد عذابك ، فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم ، بعدولهم عن الصراط المستقيم .

٣ — وهؤلاء الكفار ، من أجل خطيئاتهم بإصرارهم على الكفر ، على الرغم من نصحهم وإرشادهم ، أغرقهم الله بالطوفان ، وسيعاقبهم حتما بإدخالهم النار ، فلا يجدون لهم فيها أنصاراً غير الله الذى كفروا به ، يمنعون عنهم العذاب ؛ وحينئذ يظهر عجز الأصنام التى كانوا يعبدونها عن دفع العذاب عنهم .

٤ — ولما انقضى الطوفانُ ، ورأى نوح جُثث الكافرين من قومه ، وكان قد لاقى منهم العنت والهوان ، دعا على من سار سيرة قومه من الأمم ، فسأل الله ألا يترك على الأرض واحداً من الكفار الذين يُشبهون قومه ، لأنه إن تركهم فى ضلالهم ، أضلوا غيرهم عن الحق ، ونشروا آثامهم ، وعظم فسادُهم . وانتقل فسادُ أخلاقهم إلى ذريتهم بالوراثة ، فلا يلدون إلا من كان مثلهم ، فى فجورهم وكفرهم .

٥ — ثم سأل نوح ربه ، أن يغفر له ما ربما بدر منه ، مما لا يرضيه ، ويغفرَ لوالديه المؤمنين به . ولأولاده الذين آمنوا برسالته وأسرهم ، ولكل من آمن به من ذكر أو أنثى ، فإن عاد أحد المؤمنين الذين نجوا من الغرق إلى العصيان والظلم ، وعاثَ فى الأرض فساداً ، فقد سأل اللهَ أن يُعامله كما عامل قومه ، بأن يُنكل به تنكيلا ؛ يحذرُ نوح بهذا من آمن به — وقد كانوا حديثى عهد بالكفر — بطش الله بمن خالف أمره ، ونبذ العملَ بشرائعه .

سورة الجنِّ

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٨ آية

بِسْمِ اللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الخامسة

قُلْ : أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ -١-. فَقَالُوا : إِنَّا
سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ، فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ
بِرَبِّنَا أَحَدًا -٢-. وَأَنَّهُ — تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا — مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا،
وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا ، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ
الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا -٣-.

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أوحي إليّ	أعلمني الله خُفية، وألهمني .
نفرٌ	جماعة بين الثلاثة والعشرة .
عجباً	عجيباً ، من حسن نظمه ، وبلاغة أسلوبه .

الألفاظ	شرحها
يهدى إلى الرشد	يدعو إلى الصواب ، والإيمان والتوحيد .
فآمنا به	فصدقنا أنه من عند الله ، واهتدينا به .
جد ربنا	عظمة الله جل جلاله ، أو ربنا العظيم .
صاحبةً	زوجة .
سفيهنا	إبليس .
شططاً	قولا بعيداً عن الحق ، مجاوزاً للصواب .

مجمل المعنى

١ — الجن : عالمٌ مخلوقٌ من نار ، مستتر عن الحواس ، غير مَرئى للناس ، تُبعثُ إليهم الرسلُ كما تُبعثُ إلى الإنس ، وهمْ مثلهم سواء ، يُثابُ مُؤمنهم ، ويعاقب كافرهم ؛ وقد أمر الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى الإسلام ، وأن يقرأ عليهم القرآن ، فلما دَعاهم : منهم من آمن به فاستحق الثواب ، ومنهم من كفر به فحق عليه العقاب .

٢ — وقد صرفَ الله إلى سيدنا محمد جماعة من نصارى الجن ، فلما سمعوا منه القرآن ، أخذهم العجب بفصاحة كلامه ، وحسن معانيه ، ودعوته إلى توحيد الله وعبادته ، فآمنوا به وصدقوه ، ولم يُشركوا بعبادة ربهم أحداً .

٣ — وقد آمن الجنّ أن الله العظيم منزهٌ عن أن يتخذ له زوجة ، أو أن يكون له ولدٌ ، وأن ما كان يُوسوسُ به إليهم سفيههم إبليس ، من أن لله صاحبة وولداً ، بعيدٌ عن الحق ، مجاوزٌ للصواب ، وأنهم ما كانوا يظنون أن أحداً من إنس أو جن ، تبلغ به الجرأة إلى حدّ أن يفترى على الله الكذب ، فينسبَ إليه الزوجة والولد ! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً ! .

(٢)

من الآية السادسة إلى الآية العاشرة من سورة الجن

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا —١—. وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا —٢—. وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ، فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ، فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا —٣—. وَأَنَّا لَا نَدْرِي: أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا؟ —٤—.

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يعوذون	يعتصمون ويستجيرون، ويطلبون النجاة.
رَهقاً	طغياناً وإثماً، أو ذلة وخوفاً.
لمسنا السماء	طلبنا بلوغ السماء، واستماع أخبارها.
فوجدناها ملئتْ حرساً شديداً	صادفناها مملوءة بملائكة أشداء، تمنعنا من استراق السمع.
شهباً	كواكب محرقة.
مقاعد للسمع	مواضع كنا نقعد فيها لاستراق السمع.

الألفاظ	شرحها
فمن يستمع	فمن يُرد الاستماع .
شهاباً	شعلة من نار ساطعة .
رَصَداً	يَرصُدُه ويرقبه ، لينقض عليه .
شرّ	عذاب .
رَشداً	خيراً ورحمة .

مجمل المعنى

١ – كان الرجلُ من العرب قبلَ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا نزل بواد أو مكان قفر ، أو أراد المبيت فيه ، نادى بأعلى صوته : يا عزيز هذا الوادى ، إنى أعوذ بك من سفهاء قومك ، اعتقاداً منه أن كبيرَ الجنّ فى هذا الوادى يحميه من سفهائهم ، وكان ذلك داعياً إلى طغيان الجن على الإنس ، واستخفافهم بهم ، حتى قالوا : لقد صرنا سادة الإنس ، كما زاد الجنُّ الإنسَ خطيئة وإثماً ، لأن الإنسَ استعاذت بهم ، وطلبوا العون والنجاة منهم ؛ والاستعاذة بغير الله كفرٌ وبهتان ! وقد توهم بعضُ الناس أن الجن يتمثلون فى صور الإنسان أو الحيوان ، أو يلابسون أرواح الرجال والنساء ، أو يصيبونهم بأمراض ، أو يطلعون على الغيب ، وكل ذلك لم يرد فى القرآن أو السنة ، وهو وَهمٌ باطل ، واعتقاد فاسدٌ .

٢ – وقد خاطب الله قريشاً تبكيتاً لهم ، لما تباطئوا عن الإيمان بدعوة محمد ، بأن الجن ظنوا أولَ الأمر كما ظننتم أنتم ، أن اللهَ لن يبعث إلى الخلق رسولا يهديهم إلى الحق والخير ، ولكنهم لما سمعوا القرآن آمنوا به ، وكنتم

أنتم أحقّ من الجن بالإيمان والتصديق ، لأنكم قومُ النبى وعشيرته .

٣ — وكانت مردةُ الجن قبل مبعث الرسول ، يصعدون إلى السماء ، ويقعدون فى مواضع منها يسمعون أخبارها ، ثم ينقلونها إلى الكهان والدجالين ، مشوبة بالأكاذيب ، فلما بُعث محمد ، عزل الجنّ عن استماع أخبار السماء ، وازداد حرسها بملائكة أشداء ، سدوا عليهم جميع منافذها ، وحالوا بينهم وبينها ، فإذا اجترأ أحدهم أن يستمع ، وجد شهاباً من الكواكب يَرصده ، فينقض عليه ويحرقه .

٤ — ولما حيل بين الجن وبين أخبار السماء ، وبعث الله محمداً هدايةً للخلق أجمعين ، تساءل الجنّ : لسنا ندرى : أشر أريد بأهل الأرض بإرسال محمد إليهم — لأنهم إن كذبوه َهلكوا كما هلكت الأمم الذين من قبلهم ، لتكذيبهم رسلهم — أم أراد الله أن يُؤمن قومه فيصيبهم الخير ، وينالهم من الله رحمته ورضوانه ؟ .

(٣)

من الآية ١١ إلى الآية ١٥ من سورة الجن

وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ، كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا —١—.
وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ، وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا —٢—
وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ، فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ
بَخْسًا وَلَا رَهَقًا —٣—. وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ، فَمَنْ أَسْلَمَ
فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ومنادون ذلك	ومنا غير الصالحين ، أو الكافرون .
كنا طرائق	كنا مذاهب متفرقة ، وأدياناً مختلفة ، جمع طريقة ، وهى : المذهب .
قددا	جمع قدّة . وأصلها : القطعة التى تقطع من السير ؛ وقدداً : متفرقة .
وأنا ظننا	وأنا علمنا وأيقنا .
لن نعجزَ الله	لن نفوته ونفلت من سلطانه .
الهدى	القرآن .

الألفاظ	شرحها
بخساً	نقصاً فى الجزاء .
رَهقاً	ظُلماً ، وأن يكلف ما لا يطيق .
القاسطون	الجائرون . الحائدون عن سبيل الهدى .
تحروا رشدا	قصدوا طريق الحق وتوخَّوْه .
حَطباً	وقوداً .

مُجْملُ الْمَعْنَى

١ ـ يَحكى الجنّ عن أنفسهم : أننا قبل أن نسمع القرآن ، كنا فى حالة من الفوضى ، كان منا المؤمنون الصالحون ، والمؤمنون غير الصالحين ، كما كان منا الكافرون ، وكانت مذاهبنا وأدياننا مختلفة .

٢ ـ ولقد أيقنا أن قدرةَ الله فوق كل قدرة ، وعلمنا أننا لن نستطيع أن نُفلت منه أينما ذهبنا فى الأرض ، أو فررنا هاربين إلى السماء .

٣ ـ ولما سمعنا القرآن آمنا به ، وصدقناه ، لأن المؤمن الذى يعمل عملا صالحاً ، لا يبخس اللهُ عمله ، ولا ينقص من حسناته شيئاً ، ولا يظلمه مثقال ذرة .

٤ ـ وبعد أن سمعنا القرآن ، كان منا من آمن واهتدى ، ومنا من شقىَ وكفر ؛ فأما الذين اهتدوا وآمنوا ، فقد سلكوا سبيل الرشاد ، وأما الذين ضلوا وكفروا ، فمأواهم جهنمُ وبئس المهاد !

(٤)

من الآية ١٦ إلى الآية ٢٣ من سورة الجن

وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ، لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ، وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا —١— . وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ، فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا —٢— . وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ، كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا —٢— . قُلْ : إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي ، وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ، قُلْ : إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ، قُلْ : إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ، إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
استقاموا على الطريقة	اتبعوا طريق الإسلام .
غدقا	كثيراً نافعاً .
لنفتنهم فيه	لنختبرهم : أيشكرون أم يجحدون؟ .

الألفاظ	شرحها
يعرض عن ذكر ربه	يترك طاعة الله والعمل بكتابه .
يسلكه	يُدخله .
صَعدا	شاقًّا .
المساجد لله	بيوت العبادة مختصة به .
قام عبدَ الله	عزم ، محمد صلى الله عليه وسلم .
يدعوه	يعبد ربه وحده ، ويقرأ القرآن .
كادوا	كاد الكفار .
لبدا	جماعات ، من تلبد الشىء على الشىء : أى تجمع ، ومفرده : لبدة .
أدعو ربى	أعبد ربى .
لا أملك لكم ضرًّا ولا رَشدا	لا أستطيع أن أدفع عنكم شرًّا ، أو أسوق لكم نفعاً .
لن يجيرنى من الله أحدٌ	لا يمنع عنى عذابه أحد إن عصيته .
ملتحدا	ملتجأ ألجأ إليه .
إلا بلاغاً من الله	لا أملك إلا أن أبلغكم عن الله ما أرسلنى به .
من يعص الله ورسوله	من لم يعتقد بوحدانية الله ، ولم يصدق برسالة نبيه .
خالدين فيها أبدا	مقيمين فيها دائماً .

مجمل المعنى

١ — إن الجن والإنس لو آمنوا بالله وأطاعوه ، وسع عليهم فى الرزق ، وفتح عليهم أبواب الخير ، امتحاناً لهم ، وليعلم مقدار شكرهم له ، على إحسانه إليهم جزاء إيمانهم وطاعتهم ، أو جحودهم آلاءه ! فإن ظلوا مستمسكين

بالإيمان : يفعلون الحسنات ، ويتركون السيئات ، شكراً لله على ما آتاهم من فضله ، زادهم نعمة ، وأولاهم إحساناً ، وإن فتنهم المال ، وأبطرتهم النعمة ، فاجترحوا السيئات ، وارتكبوا المحرمات ، وغرقوا فى اللذات ، نزع الله عنهم فضله ، وسلبهم نعمه ، وبدلهم بالغنى فقرا ، وبالسعادة شقاء ، وأعد لهم فى الآخرة أشد العذاب ، وأشق العقاب ؛ والضمير فى قوله : « استقاموا » ، يعود على من لم يؤمنوا من الجن والإنس .

٢ — إن بيوت العبادة التى يبنيها أهلُ الملل من يهود ونصارى ومسلمين ، خاصة لله ، يجبُ أن تُفرَد لعبادته وحده ، وأن يقتصر فيها على ذكره وطاعته ، فينبغى ألا يعبد فيها أحدٌ سواه ، أو يوضع فيها صنم أو وثن ، أو تتخذ للهو والتجارة ، والبيع والشراء ، أو تستخدم طريقاً أو مجلساً ، أو يجعل فيها لغير الله نصيبٌ .

٣ — لما قام محمدٌ يدعو إلى عبادة الله وحده ، وترْك عبادة الأصنام ، تألب عليه كفار مكة من قريش ، وتظاهروا عليه ، وكادوا من فرط تجمعهم وتعاونهم ، يكونون كخيوط الشعر أو الصوف التى تلبدت ، وتراكب بعضها فوق بعض ؛ فأمره اللهُ أن يُبلغَ قومه ، أنه لم يأت أمراً مُنكراً ، يستوجب تألبهم عليه ، وإعراضهم عنه ، ونفورهم منه ، وأنه إنما يعبدُ ربه ، الذى خلقه وسوَّاهُ ، وأسبغَ عليه آلاءَه ، فهو حقيقٌ ألا يشرك به أحداً ، وأن يَخصه بعبادته ،

٤ — كما أمر اللهُ رسوله ، أن يبلغ من تكالَبُوا على أذاه ، وتمادَوْا فى طغيانهم وعنادهم ، أنه بشرٌ مثلهم ، خصه الله بالرسالة ، وأنه لا يقصد من دعوته بسط نفوذه عليهم ، أو أن يبدلَ قضاءَ الله فيهم ، من خير أو شر ، ومَن نفع أو ضر ، وأنه إن خالف أمر الله ، أو أهملَ تبليغ دعوته ،

فلن يستطيع أحدٌ غيره أن يرُدَّ عنه عقابه ، أو يمنع عنه عذابه ، ولن يجد — إن أراد الهربَ من عقابه — ملاذاً يَلتجىء إليه ، أو عاصما يعتصم به ، ولن يجد غير الله وليًّا ولا نصيراً ، وكل ما يملكهُ هو أن يبلغَ الجن والإنس ما أمره الله أن يُبلغه لهم ، فإن أطاعوا أعد لهم ثواباً عظيما ، وإن عصوا أعد لهم عذاباً أليماً فى نار جهنم ، يقيمون فيها أبداً .

(٥)

من الآية ٢٤ من سورة الجن إلى آخر السورة

حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُون ، فَسَيَعْلَمُونَ : مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا ، وَأَقَلُّ عَدَدًا —١— . قُلْ : إِنْ أَدْرِى : أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ ، أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَدًا ؟ —٢— . عَالِمُ الْغَيْبِ ، فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ، فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا —٣— . لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ ، وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ، وَأَحْصَى كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا —٤— .

شَرْحُ الأَلْفاظ

الألفاظ	شرحها
ما يوعدون	ما يُنذرون من العذاب .
ناصراً	عوناً وحامياً .
إن أدرى	ما أدرى .
أمداً	غاية وأجلا .
الغيب	ما لا يستطاع الاهتداء إليه بالحواس أو بالفراسة .
فلا يظهر	فلا يطلع .
يسلك	يُقيم ويبث .
رَصداً	حُراساً وحفظة .

مجمل المعنى

١ ــ لا يزالُ الكفارُ فى تكذيبهم ، حتى يأتى يومُ الحساب ، ويروا ما يحل بهم من العذاب ، وحينئذ يعلمون: أيهم أضعف ناصراً وأقل عدداً ؟: آلخالق سبحانه وتعالى وَهو مالك الملك ؟ أم المخلوق وَقد فرّ من حوله أخوه وأمه وأبوه ، ووقف أمام ربه يقول : « ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه » ؟.

٢ ــ وإن الحساب ونزول العذاب ، آتيان لا ريب ، لأن اللهَ أوعدَ الكفار بذلك ، لكن وقت الوعيد والحساب لا يعلمه إلا الله ، وَلم يُطلع عليه نبيه ، فلا يدرى إن كان يحلّ فى أجل قريب أو بعيد .

٣ ــ وعلم الساعة من الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، ولا يطلع عليه أحداً من عباده ، من إنس أو جن أو كاهن ، إلا من ارتضى من رسله ، واصطفى من أنبيائه ، فإنه أودعهم ما شاء من غيبه ، بطريق الوحى إليهم ، وَجعله معجزة لهم ، ودلالةً صادقةً على نبوتهم ، وأقام حول كل منهم حفظة من الملائكة ، يحفظونه من الشياطين ، فلا تسترق ما أوحى الله به .

٤ ــ ذلك ليعلم الجن أنهم لن يستطيعوا أن يسترقوا السمع ، أو يعرفوا من أمر الغيب شيئاً ، وأن الرسل قد أبلغوا ما أنزل إليهم من الوحى ، وأن علم الله محيط بما عند الملائكة والرسل ، لأنه من وحيه إليهم ، فلا يفرّطون فى إبلاغه ، أو يزيدون أو ينقصون منه ، وأنه على علم بعدد كل شىء ، ولا يقع فى ملكه صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

سُورة المزَّمِّل

نزلت بمكة ، ما عدا الآيات ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، فقد نزلت بالمدينة ،
وآياتها ٢٠ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

(١)

من الآية الأولى إلى الآية التاسعة

يٰأَيُّهَا المُزَّمِّلُ ، قُمِ اللَّيْلَ —١— . إِلَّا قَليلًا : نِصْفَهُ ، أَو انقُصْ ،
مِنْهُ قَلِيلًا ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ —٢— . وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ؛ إِنَّا
سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا —٣— . إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا ،
وَأَقْوَمُ قِيلًا —٤— . إِنَّ لَكَ فِى النَّهارِ سَبْحًا طَوِيلًا ، وَاذكُرِ اسْمَ
رَبِّكَ ، وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ، رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا
هُوَ ، فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا —٥— .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
المتلفف فى ثيابه ، وأصلها : المتزمل .	المزمل
تهجد فيه وتعبد .	قم الليل
قم ثلثى الليل ، أو نصفه أو ثلثه .	نصفه أو انقص منه
واقرأه فى مهل وتؤدة ، وتبيين حروف ، وتدبر معان .	ورتل القرآن ترتيلا
قرآنا يثقل العملُ بشرائعه ، وتكاليفه الشاقة .	قولا ثقيلا
قيام الليل فى ساعاته وأوقاته ، قياماً يتجدد و يتكرر .	ناشئةَ الليل
أثقل على المتعبد من ساعات النهار ، وأوقاته أكثر موافقة للعبادة من أوقات النهار .	أشد وطأ
وأشد قولا ، وأشد استقامة على الصواب ، لحضور القلب . وهدوء الأصوات فيه .	وأقوم قيلا
فراغاً طويلا تتصرف فيه فى حوائجك ، وتتقلب فى مهماتك .	سبحاً طويلا
اقصد بعملك وجه الله ، ودم على تسبيحه وعبادته .	واذكر اسم ربك
وانقطع إليه وحده بالعبادة ، ولا تشغل قلبك بغيره .	وتبتل إليه تبتيلا
فاجعل كل أمورك موكولة إليه .	فاتخذه وكيلا

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ — لما نزل الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو يتعبد فى غار حِراء ، ورأى جبريل أول مرة ، خاف وفزع ، ورجع إلى بيته يرتعد ، وقال لزوجه خديجة : « زملونى زملونى » ، فلففته فى كساء ، فخاطبه الله بالحالة التى كان عليها ، تأنيساً له ، وتلطفاً معه ، ليشعره أنه غير عاتب عليه ، فقال : « يأيها المزمل قم الليل . . » .

٢ — وقد فرض اللهُ بهذه الآيات الكريمة على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قيام ثلثى الليل ، أو نصفه ، أو ثلثه على الأقل ، للتهجد والتعبد ، فشق ذلك عليهم ، لأن بعضهم كان لا يدرى : متى ينتهى الوقت المفروض لعبادة الليل ؟ فيمسى قائماً يصلى إلى الصباح ، مخافة أن يُخطىء ، حتى ورمت أقدامهم ، وامتُقعت ألوانهم ، فرحمهم الله وخفف عنهم ، فلم يجعل قيامَ الليل فرضاً عليهم ، بل جعله تطوعاً منهم ، يثيبهم عليه إذا قاموا به ، ولا يعاقبهم عليه إذا تركوه ، وأنزل الله فى أول سورة « طه » قوله تعالى : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى » .

٣ — وقد أمره اللهُ تعالى أن يقرأ القرآن فى تؤدة وتمهل ، وتبيين حروف ، وتدبر معان ، حتى يستفيد بتلاوته القارئ ، وتبلغ عظاته وأحكامه قلب السامع ؛ ذلك لأن القرآنَ الذى أنزله الله على نبيه ثقيلُ الوطأة ، بما تضمن من شرائعَ وأحكام ، وفروض وحدود ، وحلال وحرام ، وتكاليف شاقة ، فينبغى أن يُقرأ بأناة وبيان ، حتى تُفهم معانيه ، وتدرك مراميه .

٤ — وقد رغَّبنا الله تعالى فى قيام الليل والتعبد فيه ، لأن أوقاته أكثرُ موافقة

للعبادة من أوقات النهار ، والقراءة فيها أقوم ، وأكثر استقامة على الصواب من أوقات النهار ، لهدوء الأصوات ، وسكون الحركات ، وحضور القلب ، وصفاء النفس فى الليل ، فلا يُشغَل فيه بال المتعبد بشئون الحياة ، ولا يضطرب عليه ما يقرؤه فيه ! هذا إلى أن أوقات النهار أنسبُ للتصرف فى الحوائج ، والتقلب فى المهمات ، والسعى فى طلب العيش ، من أوقات الليل .

٥ — ومع أن أوقات الليل هى أنسب الأوقات للعبادة ، والقراءة والتهجد ، فيجب ألا يفرغ قلب الإنسانِ من ذكرِ الله فى ليل أو نهار ، وألا يغفل عن ذكر الله ، وتسبيحه وتمجيده ، فإن ذلك يوجهه دائماً إلى خير العمل ، ويجنبه الخطل والزلل ، لأن الله مالك الملك . بيده الخير والشر ، وهو الكفيل بأن نكل إليه أمورنا ، وتدبير شئون حياتنا ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

(٢)

من الآية ١٠ إلى الآية ١٤ من سورة المزمل

وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ، وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا -١- . وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ ، وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ، إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيماً ، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ، وَعَذَاباً أَلِيماً ، يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ، وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلًا -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
واهجرهم هجراً جميلا	وتجنب الكافرين ، وغض الطرف عنهم ، وكِل أمرهم إلى الله .
ذرنى والمكذبين	دعنى وإياهم ، لأنتقم لك منهم .
أولى النعمة	أولى الغنى والترف ، ورفاهة العيش .
ومهلهم قليلا	وأمهلهم فى ضلالهم مُدة حياتهم .
أنكالا	قيوداً ثقالا وأغلالا ، واحدها : نِكْل .
وجحيما	وناراً شديدة الاتقاد .
ذا غصة	غير سائغ ، يقف بالحلق ، فلا ينزل ولا يخرج .
ترجف الأرض	تتحرك وتضطرب بمن عليها .
كثيباً	رَملا متجمعاً .
مهيلا	رخو البناء ، يزل تحت الأقدام .

١ — كان كفار قريش يقابلون دعوة النبى إلى دين الحق ، بتكذيب واستهزاء وسخرية ، وكان المسلمون فى أول دعوة النبى قلة ، وكان الكفارُ كثرةً ، فأمره الله أن يصبر على أذاهم وتكذيبهم ، وأن يتجنبهم ولا يتعرض لهم ، وأن يكل لله أمرهم ، فلما قويت شوكة المسلمين ، وكثر عددهم ، أمر بقتالهم ، وقتلهم إن تعرضوا له ، أو قاوموا دعوته .

٢ — وقد هدد الله هؤلاء الكفار المكذبين ، الذين أبطرهم المالُ والترف واللذة ، بأنه أمهلهم مدة حياتهم ، يخوضون ويلعبون ، ويقولون ما يشاءون ، وأعد لهم يوم الحساب قيوداً ثقيلة وأغلالا ، وناراً موقدة ، وطعاماً ينشب فى حلوقهم فلا يسيغونه ، وأنواعاً أخرى من العذاب ، لا يعرف كنهها إلا اللهُ ، فى يوم شديد الهول ، تضطرب الأرض فيه اضطراباً شديداً ، وتهتز الجبالُ وتتحرك ، حتى تتفتت ، وتصير كثيباً من رمل متجمع ، ينهار من تحت أقدامهم فتزِلّ ، ولا يعرفون كيف يستقرون ، فالنارُ والعذاب من فوقهم ، والانهيار والاضطراب من تحت أرجلهم .

(٣)

من الآية ١٥ إلى الآية ١٩ من سورة المزمل

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ، كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ، فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا —١— فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ ، يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ؟ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ، كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا —٢— . إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إنا أرسلنا إليكم رسولا	إنا أرسلنا إليكم يأهل مكة محمداً رسولا .
شاهداً عليكم	يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم .
كما أرسلنا إلى فرعون رسولا	هو موسى عليه السلام ، أرسله الله إلى فرعون .
فعصى فرعونُ الرسول	كذبه فرعون ولم يؤمن به .
أخذناه	أهلكناه .
أخذاً وبيلا	إهلاكاً فيه شدة وعنف ، بإغراقه فى البحر .
فكيف تتقون إن كفرتم يوماً	فكيف تقون أنفسكم من عذاب الله يوم القيامة ، إن بقيتم على الكفر ؟ .

الألفاظ	شرحها
يجعل الولدان شيباً	يشيب فيه الصبيان من الهول والفزع .
السماء منفطرٌ به	السماء متشققة متصدعة فى هذا اليوم لشدته، ولم يقل منفطرة ، لأن السماء تذكر وتؤنث .
كان وعده مفعولا	كان وعد الله بالقيامة حاصلا لا شك فيه .
تذكرةٌ	موعظة .
اتخذ إلى ربه سبيلا	تقرب إليه بسلوك سبيل التقوى .

مجمل المعنى

١ ــ بعد أن ذكر اللهُ أحوالَ يوم القيامة فى الآيات السابقة، ذكّر المكذبين بأهوال الدنيا ، وما أصاب أمثالهم ممن كذبوا رسلهم ، فبين أن محمداً صلى الله عليه وسلم نشأ بين قومه فى مكة ، كما نشأ موسى بين فرعون وقومه فى مصر ، فلما أرسل الله محمداً إلى قومه ، سخروا منه وكذبوه ، كما سخر فرعونُ وقومه بموسى وكذبوه، حينما أرسله اللهُ إليهم ؛ وقد هدد اللهُ كفار قريش بأن محمداً هو الذى سيشهد يوم القيامة على الكافرين المكذبين ، كما ذكّرهم بأن فرعون لما كذب موسى وعصاه ، وسخر منه، انتقم اللهُ منه انتقاماً شديداً ، بأن أهلكه فى بحر القُلزُم ، وأذاقه عذاباً وبيلا .

٢ ــ وقد وبخ الله الكفارَ لبقائهم على الكفر ، بأنهم لن يستطيعوا أن يحموا أنفسهم من أهوال يوم القيامة ، ذلك اليوم الذى يشتد فيه الكرب ، وتشيب فيه نواصى الأطفال ، وتتصدع من شدته السماء ، ويكون ما وعد

الله به من الحساب والجزاء حاصلا لا ريب فيه ، لأنه وَعدٌ من الله ، والله لا يخلف الميعاد .

٣ — وتذكير الكفار بما أصاب فرعون من سوء العاقبة فى الدنيا ، وبما أعد لهم من عذاب أليم فى الآخرة ، إنما هو للعظة والذكرى ، وتنبيه من الله إلى أنه واسع المغفرة أيضاً ، فمن أراد أن يسلك السبيل إلى رضاه ورحمته ، فليبادر إلى الإيمان به ، وليأخذ الطريق إلى طاعته .

(٤)

من الآية العشرون من سورة المزمل ، وهى آخر السورة

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ، وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ، وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ، وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ -١- . عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ، عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى ، وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ ، يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ ، وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ -٢- . وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا -٣- . وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ، وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تقومُ	تتعبد وتتهجد .
أدنى	أقل .
ونصفه وثلثهُ	وتتعبد نصفه وثلثه .

الألفاظ	شرحها
وطائفة من الذين معك	ويقوم هذا المقدار جماعة من أصحابك .
والله يقدّرُ الليلَ والنهارَ	والله وحده يعلم مقادير الليل والنهار على حقيقتها .
لن تحصوه	لن تعرفوا حقيقته .
فتاب عليكم	فأعفاكم من فرض قيام الليل ، تيسيراً عليكم .
فاقرءوا ما تيسر من القرآن	فصلوا ما تيسر عليكم ؛ والصلاة تسمى قرآناً ، قال تعالى : « وقرآن الفجر » : أى صلاته .
يضربون فى الأرض	يسافرون ويتنقلون فى الأرض .
يبتغون من فضل الله	يطلبون العلم أو كسب المال من التجارة .
يقاتلون فى سبيل الله	يجاهدون لنشر دين الله .
وأقرضوا الله قرضاً حسناً	وأنفقوا طيب المال فى الخير مرضاة لله .
تجدوه عند الله هو خيراً	تجدوا ثوابه عند الله يوم القيامة خيراً مما تركتم فى الدنيا .

مجمل المعنى

١ — هذه الآيات لها اتصالٌ بما تقدم أول السورة ، فإنه لما فرضَ اللهُ على النبى وأصحابه القيام بالطاعات والعبادات ، ثُلثى الليل أو نصفه أو ثلثه ، كان بعضهم لا يعرف الوقت المفروض على التحديد ، فمنهم من ينقصه فيقع فى الإثم ، ومنهم من يزيد عليه فتلحقه مشقةٌ ، لأنهم لا يعرفون الأوقات على حقائقها ، وإنما كانوا يحسبونها بالظن والتخمين ، فيخطئون فيها ! والله سبحانه وتعالى هو الذى يُقدر أوقات الليل والنهار على حقيقتها ، وقد أعفاهم من فرض قيام الليل عليهم ، وجعل ما تيسر

عليهم منه سُنة مستحبة ، فمن شاء قام به فيثاب ، ومن شاء تركه ولا عقاب عليه .

٢ — وقد بين الله سبحانه سبب تخفيف قيام الليل على عباده ، حتى يدركوا مقدار رحمته وفضله عليهم ، بأن منهم المرضى والشيوخ والنساء ، الذين يتعذر عليهم قيام معظم الليل ، ومنهم المسافرون فى التجارة أو طلب العلم ، ومنهم المجاهدون فى سبيل الله ، وهؤلاء يشق عليهم مع ذلك قيامُ الليل ، مع الأعباء التى يقومون بها نهاراً ! وقد سوى اللهُ بين درجة المجاهدين فى سبيله ، والساعين لكسب المال الحلال ، حثًّا للناس على العمل وطلب الرزق من أشرف الوجوه .

٣ — وقد أمر الله تعالى بوجوب إقامة الصلوات الخمس فى أوقاتها ، وأداء الزكاة المفروضة ، والتصدق بأطيب الصدقات ، وإنفاق خير المال فى نواحى البر والخير ، لوجه الله تعالى .

٤ — وإن الذين يفعلون الخير ، سيجدون خيراً منه عند الله يوم القيامة : ثواباً مُضاعفاً . وأجراً عظيما ! هذا إلى أنه يغفرُ لهم ذنوبهم إن استغفروه ، ويستر عيوبهم . ويشملهم برحمته الواسعة ، ويخفف عنهم الجهد والمشقة ، ويدخر لهم السعادة الأبدية فى دار الرحمة والرضوان .

سورة المدَّثِّر

نزلت بمكة ، وآياتها ٥٦ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية العاشرة

يٰأَيُّهَا المُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ -١- . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ -٢- . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ -٣- . فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ، فَذٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المدثر	المتلفف فى الدثار : وهو الثوب الذى فوق الشعار ، والشعار : الثوبُ الذى يلى الجسد .
قم فأنذر	انهض من مضجعك فى عزم وتصميم ، وبلغ الناسَ رسالتك ، وحذرهم عذاب الله إن لم يؤمنوا به .

الألفاظ	شرحها
وربك فكبر	وعظم سيدك ، واختصه بالتكبير والتعظيم .
وثيابك فطهر	وطهر نفسك من الصفات المذمومة ، كالجزع وقلة الصبر ؛ والمراد : لا تلبس ثيابك على نفس آثمة
والرجز فاهجر	الرجز : العذاب ، أى داوم على ترك ما يسبب العذاب .
ولا تمنن تستكثر	ولا تمنن مستكثراً ، أى لا تعط عطاء تقدر فى نفسك أنه كثيرٌ .
ولربك فاصبر	واصبر لأجل رضا ربك على مشقات النبوة ، وطاعة الله ، وأذى الكفار .
نقر فى الناقور	نُفخ فى الصور يوم القيامة .
فذلك يومئذ يوم عسير	فذلك اليوم — وهو يوم القيامة — يوم شديد .
غير يسير	غير سهل ولا لين.

مجمل المعنى

١ — كان الوليد بن المغيرة وبعضُ كفار قريش ، لما ضاقت بهم الحيلُ من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من نشر دعوته ، أمروا عبيدهم وصبيانهم أن يتحرشوا به . فصاروا ينادون فى مكة : إن محمداً لساحرٌ ، فاغتمّ الرسولُ ، ورجع إلى داره حزيناً ، وتلفف بثوبه . مفكراً فى أمره مع قومه . الذين قابلوا دعوته بالسخرية والاستهزاء . فأمره الله ألا يدع إنذارهم ، وإن أسمعوه ما يؤذيه ، وخاطبه بقوله : « يأيها المدثر قم » ، وذلك ليستشعر العطف واللطف من هذا الخطاب الرقيق اللين ، وليستنهضه إلى دعوة

قريش ، واحتمال ما يسمعه من سفهائهم ، وأن يقوم فى عزم وجدّ ، ليدعو الناس إلى دين الله ، ويخوفهم عذابه ، إن لم يسارعوا إلى الطاعة والإيمان .

٢ — وأمره أن يختص اللهَ جلّ شأنه بالتعظيم والتكبير والتقديس ، وألا يخشى أحداً غيره ، وألا يعبد ربًّا سواه ، وأن يداوم على تطهير نفسه من الآثام ، ويصون نفسه مما شاع بين العرب من ذميم الأخلاق ، وأن يدع ما يستوجب عذاب الله ، وأن يجعل ما يقوم من خير وطاعة ، خالصاً لوجه الله ، لا ينتظر عليه أجراً ، ولا يتوقع عليه ثواباً ، ولا يستكثر ما يعطيه فى سبيل الله ؛ وليس المراد بهذا : أنه كان متصفاً بهذه العيوب ، وإنما المراد : أن من كان مثله طاهراً من كل شائبة ، منزهاً من كل عيب ، لابد أن يبلغ مراده ، وينالَ من حسن العاقبة أوفى نصيب .

٣ — واعلم يا محمد أن الله هو ربك وخالقك ، وسيدك ومالك أمرك ، فتحمّل بصبر ما ألقى عليك من أعباء النبوة ، وتكاليف العبادة ، وما يصيبك من أذى الكفار ، ابتغاء وجه الله ، وقصد مرضاته .

٤ — ولن يذهب بصبرك ما ينالك من أذى الكفار ، فسيبعثون يوم القيامة للحساب ، وإنه ليوم عليهم عسير شديدٌ ، لا يعقبه يسر ، يلقَوْن فيه عاقبة تكذيبهم عذاباً أليماً ، وتلقى فيه عاقبة صبرك عليهم نعيما مقيما .

(٢)

من الآية ١١ إلى الآية ٣٠ من سورة المدثر

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ، وَبَنِينَ شُهُودًا ، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ، كَلَّا ! إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ، سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا —١— . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقُتِلَ ، كَيْفَ قَدَّرَ ! ثُمَّ قُتِلَ ، كَيْفَ قَدَّرَ ! ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، فَقَالَ : إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ، إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ —٢— . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ؟ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ، لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ذرني	أمرٌ للتهديد ، والمعنى : دعني واتركني ، وكِلْ أمر الوليد بن المغيرة إليَّ .
وَحيدا	مفرداً حين ولادته ، لا مال له ولا ولد .

الألفاظ	شرحها
ممدودا	مبسوطاً ، كثيراً .
بنين شُهودا	أبناء حاضرين معه فى كل مجتمع ، يعتز بهم .
ومهدت له تمهيدا	وهيأت له نعمتَىِ المال والجاه .
كَلَّاَ	لن يكون له ما يريد .
عنيدا	معانداً للنبى ، منكراً لما جاء به ، مجاهراً بعداوته .
سأرهقه صعودا	سأذيقه وأحمله عذاباً شاقا .
فكر	جعل يُقلب وجوه الرأى فيما يصف به الرسول .
وقدر	وهيأ فى نفسه ما يقوله .
قتل	لُعن .
كيف قدر !	كيف استطاع أن يهيئ فى نفسه ما يوافق غرض قريش ؟! .
عبس	قطّب وجهه .
بسر	كلح وجهه ، وتغير لونه ، وهو أشد من العبوس .
أدبر	أعرض عن الحق ، وتراجع عنه .
واستكبر	تعاظم عن أن يؤمن .
إن هذا إلا سحر	ما هذا الذى يقوله محمد إلا خديعة ، وإظهارُ الباطل فى صورة الحق .
يؤثر	يُروى وينقل عن غيره .
إن هذا إلا قول البشر	ما كلام محمد إلا ككلام من مارسوا السحر من الناس .
سأصليه سقر	سأدخله سقر كى يصلى حرها ؛ وسقر : اسم من أسماء جَهنم .

الألفاظ	شرحها
وما أدراك ما سقر	كلمة تفظيع ، أي : وما أعلمك أى شيء هى ؟
لا تبقى ولا تذر	تأتى على كل شيء .
لوّاحة للبشر	مسوِّدة للجلود ، مُحرقة لها ،والبشر : جمع بشرة ، وهى ظاهر الجلد .
عليها تسعة عشر	يقوم على جهنم تسعة عشر ملكاً ، هم الخزنة والرؤساء والنقباء .

الوليد بن المغيرة

ا — كان من صناديد قريش وزعمائها ، وأشدهم خصومة للنبى عليه الصلاة والسلام ، وأعظمهم معارضة لدينه : أبو لهب ،وأبو جهل ، وأبو سفيان ، والوليد بن المغيرة ،وكان الوليد بن المغيرة ، أكثرهم مالا ، وأعظمهم جاهاً ، فكانت بساتينه الممتدة ُبين مكة والطائف ،لا ينقطع ثمرها صيفاً ولا شتاء ، وكان له من الأنعام والجوارى والأموال ، ما لايعرف له عدّ ، ولا يبلغه حصر ، وكان له أولاد عشرة ، يزينون مجلسه ، ويلتفون حوله ، فيزيدونه وجاهة وجاهاً ، وكانوا دائماً يحضرون مجلسه ، لاتضطرهم حاجة العيش إلى الرحلة ، أو السعى وراء الرزق .

ب — ضاق هؤلاء الزعماء ومن إليهم ذرعاً بمحمد، ورأوا أن دعوته تصادف إذعاناً وقبولا من كثير من العرب ،ورأوا أن موسم الحج قد قرب ، وأن محمداً سيجتمع بالوافدين إلى مكة ، من أنحاء الجزيرة العربية ، وسيعرض عليهم الدخول فى دينه ، فاجتمعوا وتشاوروا فيما يفعلون ، ليحبطوا

دعوته ، ويصرفوا النبي عنه ، واختلفوا فيما يقولون فيه ، فقام رجل منهم ، وقال : شاعرٌ ، وقال ثان : كاهنٌ ، وقال ثالثٌ : مجنون ، وقال رابع : كذاب ! كل هذا والوليد يسمع ولا يتكلم ، فقالوا له : مالك يا أبا عبد شمس لا تتكلم ؟ فقال : لقد سمعت محمداً يقرأ كلاماً ما هو كلام إنس ، ولا كلامُ جن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطُلاوة ، وإنه ليعلو وما يُعلى عليه ، وما يقول هذا بشرٌ ! فعرا الحاضرين دهشةٌ وذهول ، وقالوا : لقد صبأ الوليد ، وترك دين آبائه ، ولتصبأن معه قريش كلها ، ولتتبعن دين محمد معه ؛ فغضب الوليد وترك الجمع ، وذهب إلى داره ؛ فحزنت قريش حزناً شديداً ، فقال لهم ابن أخيه أبو جهل : لا تحزنوا ، فأنا أعرف تكبر الوليد واستعلاءه ، وسأرجع به إليكم ، يشير عليكم بما تفعلون .

ج- ذهب أبو جهل إلى دار الوليد ، وجلس كئيباً حزيناً ، فقال له الوليد : مالي أراك حزيناً ؟ ! فقال أبو جهل : - يريد إثارته - ومالي لا أحزن ، وهذه قريش يجمعون لك مالا يقدمونه لك ، ويزعمون أنك زَينت كلام محمد ، لتكسب عنده جاها ، وتنالَ منه طعاماً ؟ فغضب الوليد وتكبر ، وقال : أنا أحتاج إلى كِسر محمد ، وأنتم تعلمون قدر مالي ؟ مالي حاجة إلى المال ، قم بنا لنعود إلى مجتمع قريش .

د - عاد أبو جهل بالوليد ، ففرحت به قريش ، فقال لهم : يا معشر قريش أنتم تريدون أن تقولوا : إن محمداً مجنون ، فهل رأيتموه يُخيف أحداً ؟ وتريدون أن تقولوا : إنه شاعر ، فهل رأيتموه نطق بشعر قط ؟ وتريدون أن تقولوا : إنه كاهنٌ ، فهل رأيتموه تكهن ؟ ولقد رأينا للكهنة أسجاعاً ، فهل رأيتموه كذلك ؟ وتريدون أن تقولوا : إنه كذاب ، فهل جربتم عليه

كذباً قط ؟ فقالوا جميعاً : اللهم لا ، ثم قالوا : فماذا نقول عنه إذن يا أبا عبد شمس ؟ ففكر الوليد طويلا فيما يقول لهم عن محمد، ليشيعوه بين العرب ، ثم دار بعينيه فيهم ، ايعرف استعدادهم اتقبل كلامه ، ثم هيأ ما دبره من الكلام فى نفسه ، ثم كلح لونه، وأربدّ وجهه، وقطّب جبينه ، وقال لهم : قولوا : إنه ساحر ، أما رأيتموه يُفرقُ بين الرجل وأهله ، وولده ومواليه! فصاحت قريش : مَـرْحَى مرحى يا أبا عبد شمس ! ، وارتج النادى فرحاً ، وخرجوا مُعجَبين بفطنته ، وانطلقوا يُحدثون كل من يلقونه ، بأن محمداً ساحرٌ ! فاغتمّ لذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، وحزن لما يقولونه عنه كذباً وافتراء ، ورجع إلى بيته مغتمّا، كما تقدم فى أول السورة .

مجمل المعنى

١ — خفف الله الضيق عن نبيه ، وطلب منه أن يَدعَ شأنَ الوليد ، وألا يغتم بما افترى عليه ، فقد كان الوليدُ فى أول أمره وحيداً لا مال له ولا ولد ، ثم منّ اللهُ عليه بنعمة المال والولد ، حتى صار يُزهى بهما بين قريش ، وسينتقم الله وحده منه . جزاء كفره وجحوده ! لقد بسط الله له فى الجاه والرياسة ، والترف والنعيم ، بل إنه لتمتد مطامعه إلى أن يزيده اللهُ من نعمه ، ويسبغ عليه من فضله . ولكن لن يكون لهذا الجاحد شىء من ذلك ، ولن يجمع اللهُ له بين الكفر والمزيد من النعيم ، وسيبتليه بنقص من الأموال والثمرات حتى يموت ، لأنه كافرٌ بالله ، جاحدٌ لنعمه ، معاند لنبيه ، وسيضاعف له العذاب يوم القيامة فى نار جهنم .

٢ — ذلك لأنه هو الذى فكر ودبر أمر الكيد لمحمد ، وولى عن الحق تكبراً واستعلاء ، وقال فى جرأة وقحة ، بل فى افتراء واختلاق : إن ما جاء به محمد ليس قرآناً من عند الله ، وإنما هو سحر مفترى ، وإفك مزخرفٌ . ألبسه محمد ثوب الحق ، ليخدع الناس به ، ويجتذب القلوب إليه .

٣ — وليعذبنه اللهُ على تكبره وجحوده ، وكذبه وافترائه ، فى نار تسوّدُ وجهه ، وتشوى لحمه ، وتذيب شحمه ، وتحرق عظمه ، فلا تبقى منه ولا تذر ، عليها تسعة عشر من ملائكة غلاظ شداد ، يقومون على أمر جهنم ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

(٣)

الآية ٣١ من سورة المدثر

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً —١— . وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا —٢— . لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ —٣— . وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا —٤— . وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ : مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ؟ —٥— . كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ —٦— . وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ، وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ —٧— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أصحاب النار	خزنة جهنم .
عدتهم	عددهم تسعة عشر .
فتنة	امتحاناً واختباراً .
ليستيقن	ليوقن .
ولا يرتاب	ولا يشك .

شرحها	الألفاظ
اليهود والنصارى .	الذين أوتوا الكتاب
فى قلوبهم نفاق أو كفر .	فى قلوبهم مَرضٌ
قالوا فى استغراب وإنكار : أى شىء أراد الله بهذا العدد العجيب ؟	ماذا أراد الله بهذا مثلا
إشارة إلى امتحان الكفار والمنافقين وارتيابهم ، واستيقان الكتابيين والمسلمين وإيمانهم	كذلك
يوضح للناس طريقى الخير والشر ، ولكل فريق أن يختار لنفسه ما يلائم استعداده .	يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء
وما سقر التى سبق وصفها .	وما هى
عظة .	ذكرى
للخلق .	للبشر

مجمل المعنى

١ — لقد جعل اللهُ خزنة جهنم والموكلين بتعذيب أهلها ملائكة ، لأنهم أشدّ خلق الله بأساً ، وأقواهم بطشاً ، ولأنهم جنسٌ غير جنس البشر ، فلا ترقُّ لهم قلوبهم ، وهم يقومون بتعذيبهم .

٢ — وجعل الله عدد النقباء والرؤساء الذين يقومون على سقر ، تسعة عشرَ ملكاً ، وهو عدد ينقص واحداً من عقد العشرين ، ليتحقق بامتحان الكفار أنهم لا يريدون إلا العناد ، فقد اتخذوا هذا العددَ سخرية بمحمد والقرآن ! فقد روى أنه لما نزلت هذه الآية ، قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم ! أسمع ابن أبى كبشة : « يريد محمداً صلى الله عليه

وسلم ، وكان المشركون يقولون للرسول : ابن أبى كبشة ؛ وهى كنية جده لأمه : وهب بن عبد مناف ، لشبهه به» أن يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر ، وأنتم الدّهم : أى العدد الكثير ، والشجعان ، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ؟ فقال أبو الأشد ابن كلدة : لا يهولنكم التسعة عشر ، أنا أدفع بمنكبى الأيمن عشرة من الملائكة ، وبمنكبى الأيسر التسعة ، ثم تمرون إلى الجنة ! يقولها مستهزئاً .

٣ — أما الذين أوتو الكتاب من اليهود والنصارى ، فإنهم استيقنوا هذا العدد من الملائكة ، حينما ورد فى القرآن ، لأنه موافق لما قرءوه فى التوراة والإنجيل.

٤ — وأما المؤمنون المصدقون بكتاب الله ، فقد زادوا إيماناً على إيمانهم ، وتصديقاً على تصديقهم ، لأنهم يعتقدون أن القرآن حقٌّ من عند الله لا ريب فيه ، هدى للمتقين .

٥ — ولقد اقتضت حكمةُ الله أن تكون آياته اطمئناناً لقلوب الذين هداهم الله إلى الإسلام ، ومن شرح صدورهم له من أهل الكتاب ، وغيرهم من المؤمنين الصادقين ! أما الذين فى قلوبهم زَيغٌ والكافرون ، فإنهم لما سمعوا هذا العددَ قابلوه هازئين ساخرين ، وقالوا عنه متعجبين ، أى شىء أراد اللهُ بهذا العدد العجيب ، والمثل الغريب ؟ ! فلم لم يكونوا عشرين مثلا ؟ !

٦ — وبمثل هذه الآيات ، يمتحن اللهُ عباده ، ويخضعهم فيما يقولون أو يفعلون لمشيئته ؛ فالذين استحبوا العمى على الهدى ، يسرعون إلى الشرّ والفساد ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، يهديهم إلى الإيمان والرشاد .

٧ — وإن الكفار قد غرهم أن لله تسعة عشر ملكا ، يقومون على تعذيبهم فى نار جهنم ، وقالوا : ما أهونه عدداً ، وأضعفه قوة ! ولو علموا أن جنودَ الله من ملائكته لا يعلمها غيره ، وأن سقر التى سبق ذكرها ، وعدد ملائكتها ، والآيات الناطقة بأحوالها ، ما هى إلا عظة وعبرة للناس ؛ حتى يبتعدوا عما يؤديهم إليها ، وسيعلمون أمرها يوم يبعثون .

(٤)

من الآية ٣٢ إلى الآية ٤٧ من سورة المدثر

كَلَّا ! وَالْقَمَرِ ، وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ، وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ —١— .
إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ، نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ، لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ
أَوْ يَتَأَخَّرَ —٢— . كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ، إِلَّا أَصْحَابَ
الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ ، يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ : مَا سَلَكَكُمْ فِي
سَقَرَ ؟ ! قَالُوا : لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ
الْمِسْكِينَ ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ
الدِّينِ ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ —٣— .

شَرْحُ الأَلْفاظ

الألفاظ	شرحها
كلا	حقًا .
والقمر	أقسم بالقمر .
أدبر	ولى وذهب .
أسفرَ	أضاء وأشرق .

الألفاظ	شرحها
إنها لإحدى الكبر	إن سقر لأعظم البلايا والدواهى ، والكبر : جمع الكبرى ، مؤنث الأكبر .
نذيراً للبشر	مخوفاً للناس .
لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر	لمن شاء منكم أن يتقدم إلى الخير والطاعة ، أو يتأخر إلى الشر والمعصية .
رهينةٌ	مرتهنة بكسبها ، مأخوذة بعملها .
أصحاب اليمين	المسلمون السعداء ، الذين فكوا رقابهم بالإيمان والطاعة ، كما يُخلص الراهن رَهنهُ بأداء ما عليه من الحق .
يتساءلون	يسألون غيرهم ، أو يسألُ بعضهم بعضاً .
عن المجرمين	عن المشركين .
ما سلككم فى سقر	ما أدخلكم جهنم ؟
المصلين	الذين يعبدون الله وحده .
كنا نخوض مع الخائضين	كنا نخالط أهل الباطل ، ونشاركهم فى الكذب والبهتان ، والغيبة والنميمة .
يوم الدين	يوم الحساب .
اليقين	الموت.

مجمل المعنى

١ — أقسم الله سبحانه بالقمر ، وبالليل إذا أدبر ! وبالصبح إذا أسفر ، على أن سقر داهية كبرى ، ومصيبة عُظمَى ؛ تنتظر الكافرين ، وتحذر المعاندين ! وإنما أقسم الله بهذه الثلاثة ، لأنها تدل على كمال قدرته ، وتمام حكمته ، وإبداء الخلق وإعادته ، كما هو مشاهد فى اختلاف النهار والليل فى نظام محكم . وفى ظهور الضياء فى الشمس ، والنور فى القمر ؛ أقسم بالقمر لأنه آية الليل ، وفيه من الدلائل الباهرة على قدرة الله تعالى وحكمته ، وعلمه ، وعنايته بخلقه ، ما هو معلوم بالمشاهدة ؛ فمن تأمل القمر وهو يسير دائباً لا يفتُر ، يبدو هلالا ثم يصير بدراً ، ويأفل تارة ، ويظهر أخرى — علم قطعاً أنه مخلوق مُسخر بأمر خالق ماهر مدبر ، وأقسم بالليل فى إدباره ، وبالصبح فى إسفاره ، لأن من تأمل حال الليل إذا عسعس ، فهدأت الحركات ، وسكنت الأصوات ، ونامت العيون ، ومن تأمل حال الصبح إذا تنفس ، فهزم جيوش الظلام بنفسه ، وأضاء أفق العالم بقبسه ، علم أنهما آيتان شاهدتان بوحدانية خالقهما ، وكمال قدرته .

٢ — ولما أقسم الله للعباد بآياته الثلاث على سقر ، خوفهم بأنها كبرى الدواهى ، وأنها نذير لمن شاء أن يتقدم إلى الخير والطاعة ، أو يتأخر إلى الشر والمعصية ؛ فمن تقدم إلى الطاعة والإيمان ، جوزى بثواب لا ينقطع ، ومن تأخر عن الطاعة والإيمان ، عوقب عقاباً سرمدياً دائماً .

٣ — ولما أقام الحجة على الكافرين . وخوفهم عذاب يوم الدين ، ارتهن كل نفس بما كسبت ، وآخذها بما ارتكبت ، واستثنى من ذلك من قَبِلَ هداه ،

واتبع رضاه ، وهم أصحاب اليمين ، الذين آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين ، وسلكوا سبيل المتقين ، وتمتعوا بنعيم الجنات ؛ فهؤلاء يتساءلون عن المجرمين ، الذين يذكرون أنهم كذبوا الرسول ، وأعرضوا عن اتباعه ، قائلين لهم : ما أدى بكم إلى سوء المصير ؟ فيجيبونهم : بأنهم لم يكونوا ممن أذعنوا للحق ، بأن يعبدوا الله وحده ، وينبذوا عبادة الأصنام ، ولا ممن يُطعمون المسكين ، وكانوا يخالطون أهل الباطل فى باطلهم ، ويشاركونهم فى الكذب والزور والبهتان ، ولا يصدقون بيوم القيامة : يوم الجزاء والحساب ، حتى جاءهم الموت ، فقالوا : ياليتنا اتخذنا مع الرسول سبيلا .

(٥)

من الآية ٤٨ من سورة المدثر إلى آخر السورة

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ –١– . فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ؟ ! كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ؟ –٢– . بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً –٣– . كَلَّا ! بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ –٤– . كَلَّا ! إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ، فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ –٥– . وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ، هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ –٦– .

شَرْحُ الْأَلْفَاظ

الألفاظ	شرحها
فما تنفعهم شفاعة الشافعين	لا تقبل فى الكافرين شفاعةُ الشافعين من النبيين والصالحين ، لأنها للمؤمنين دون الكافرين .
التذكرة	الموعظة
معرضين	مولّين ومنصرفين .
كأنهم حُمرٌ	كأن الكفار فى إعراضهم عن الموعظة ، وفرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم ، حمر الوحش .
مستنفرةٌ	نافرة وفارّة .

الألفاظ	شرحها
قسورة	القسورة : الرماة والصيادون ، مفردها قَسور ، وقيل : القسور : الأسد .
صحفاً منشرة	كتباً مبسوطة أمام أنظارهم ، تقرأ وتنشر .
كلا	ليرتدعوا من هذا الظن الفاسد !.
كلا إنه تذكرةٌ	حقـًّا ، إن القرآن موعظة وذكرى .
فمن شاء ذكره	فمن أراد ذكره اتعظ واعتبر .

مُجْمَلُ المَعْنَى

١ — إن الكفار أصحاب الشمال ، الذين استبدلوا بالإخلاص شركا ، وبالإحسان والإنفاق فى سبيل الله إساءة وشحًّا ، وبالكلام النافع خوضاً فى الباطل ، وبالإيمان بيوم الحساب عناداً وتكذيباً ، إنهم لاتنفعهم شفاعة الشافعين ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، لأن الشفاعة إنما تنفع المؤمنين لا الكافرين .

٢ — وليس لهم أن يطمعوا فى شفاعة ، بعد أن أنذرهم النبى فولوا وأعرضوا ، فما لهم بعد أن عرفوا أن كل إنسان مرتهن بعمله ، وأنه لاشافع يشفع لهم يوم القيامة ، مالهم نفروا من دعوته ، كما تنفر الُحمرُ الوحشية ، وتفر أمام الرماة والصيادين والأسود ؟ !

٣ — بل كانوا يلقون دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنذارهم بعذاب الله إن لم يؤمنوا ، بسخرية واستهزاء ، بل بما هو أعجب وأغرب ، إذ يطلبون

إلى النبى أن يأتى كلا منهم بكتاب خاص به من عند الله بدل القرآن ، تنشر فيه براءته ، وأمنه من النار ، بل كانوا يُمعنون فى الجحود والإنكار ، فيقولون له : لن نؤمن لك حتى ترقى إلى السماء ، « ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه » ، قال ابن عباس : كانوا يقولون : إن كان محمد صادقاً ، فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار .

٤ — وان يُحقق اللهُ لهم ما يتمنون من هذا الاقتراح الفاسد ، لأنهم معاندون جاحدون ، ومهما جاءتهم البينات فإنهم لا يصدقون ؛ ولا يخافون يوم الحساب والعذاب .

٥ — وقد جعل الله القرآن عظة وذكرى للناس ، فمن شاء تذكر وآمن ، ومن شاء أعرض وكفر ؛ ومقتضى التوحيد والربوبية ، أن يبين الله لعباده الخير والشر ، حتى يعملوا الخير ، ويجتنبوا الشر ، كل على حسب ما شاء ، بعد أن بين الله لهم سبيل الهدى والضلال ، والحق والباطل ، وأن مصايرهم على حسب مشيئة ربهم ، وحكمة خالقهم .

٦ — والله عظمت نعمته ، وجلت قدرته ، أهل لأن يخافه عبيده ؛ وأهل لأن يشملهم فضله ، وأن يتقوه خشية وخوفاً ، وأن يرجوه مغفرة وفضلا ، فهم إذ يخافونه ويُنيبُون إليه ، يستحقون غُفرانه ، « قل : يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيمُ » ؛ وإذ يعصونه يستحقون عذابه ، « إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً » .

سورة القيامة

نزلت بمكة ، وآياتها ٤٠ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٥

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ، أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ؟ ! بَلَى ! قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ —١— . بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ، يَسْأَلُ : أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؟ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ : أَيْنَ الْمَفَرُّ ؟ ! كَلَّا ! لَا وَزَرَ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ، يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ، بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ، وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ —٢— .

شَرْحُ الألْفاظ

شرحها	الألفاظ
الضمير الحى ، الذى يؤنب صاحبه .	النفس اللوامة
يتمادى فى ارتكاب الذنوب .	يفجرَ
طيلة حياته المستقبلة .	أمامه
زاغ يوم القيامة ، ودهش حتى لا يرى .	بَرِقَ البصرُ
أين طريق النجاة .	أين المفرّ ؟
الملجأ .	المستقرّ
عمل فى حياته من حسن الأعمال وسيئها .	قدم
شاهدٌ وحجةٌ ، وبينةٌ من أمره .	بصيرة
البنان : أطراف الأصابع .	بنانه
متى ؟ ! والاستفهامُ بها يكونُ فى موضع التهويل.	أيان ؟ !
ذهب ضوءه .	خسف القمرُ
لا حصن ولا ملجأ .	لا وزرَ
يُكشف له عن حاله ، فيزن أموره بنفسه .	ينبأ
وترك من آثار يقتدى الناسُ بها فى خير أو شر .	وأخرَ
حججه للدفاع عن نفسه ، جمع معذرة .	معاذيره

مجمل المعنى

١ — افتتح الله هذه السورة بتحقيق أمر البعث ، مؤكداً له بالقسم المنفى ، وقد سبق لنا شرحُ شبيهه ، وكأن الأمر لا يحتاج إلى قَسَم ، واقد جاء القسم

هنا بما عظم خطره ، وجل شأنه ، وهو يومُ القيامة ، والنفسُ الحيرةُ الحساسة ، التى تحاسب صاحبها على كل صغيرة وكبيرة ، فتدفعهُ إلى الخير دائماً ، ورُتبتُها فوق النفس المطمئنة ، التى وعدها الله بدخول الجنة ؛ فالقسم هنا لتقرير هذا اليوم ، وتأكيد حدوثه ، على رغم إنكار الكافر لقدرة الله تعالى على إعادة خلق الإنسان ، وجمع أجزائه بعد فنائها ، مع أن قدرة الله لا يقف أمامها مستحيل ؛ وإعادة الإنسان على ما كان عليه سهل ميسور ، بل هو قادر على ما هو أعظمُ من إعادة خلقه ، فإن أطراف أصابعه التى تختلف بصماتها فى كل فرد عن الآخر ، منذ خلق الله الإنسان إلى الآن ، وإلى أن يرث اللهُ الأرض وما عليها ، أكثر دلالة على القدرة الإلهية ، من إعادة الموتى إلى الحياة .

٢ — وفى ذلك أكبر دليل على عظمة هذه القدرة الإلهية ! . فالكافر المنكرُ لا يطلب الحقّ والمعرفة ، وإنما يدفعه إلى ذلك التكذيب ، إنه يريد أن يركب رأسه ، ويمعن فى شهواته المحرمة ، متمادياً فى ذلك طوال حياته ، فإذا لامه لائمٌ ، أو وعظه واعظٌ ، سأله ساخراً مُنكراً : متى يأتى هذا اليوم ؟ وسوف يأتى نتيجة إنكاره وسخريته ، متى حل ذلك اليوم ، فيرى الهول مجسما حين يضطرب أمرُ العالم ، فيخسف القمر ، ويذهبُ نوره ، ويصطدم بالشمس لضعف ما كان بينهما من تماسك ، فتكون نهاية العالم فى الدنيا ، عند ذلك يعمى بصره ، ويبحثُ عن الخلاص ، وطريق النجاة ، والحصن الذى يحميه ، فإذا هو فى يوم الحساب أمام الله تعالى . وإذا أعماله تنكشف أمامه . فيحكم على نفسه ، وتشهدُ عليه أعضاؤه ، فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، فيبرئها مما ارتكبت فى الدنيا . مهما التمس لنفسه من الأعذار .

(٢)

من الآية ١٦ إلى الآية ٢٥ من سورة القيامة

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ —١— . كَلَّا ! بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ، وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ؛ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ، تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ —٢— .

شَرْحُ الْأَلْفَاظ

الألفاظ	شرحها
لا تحرك به	لا تتعجل فى تحريك لسانك ، مردداً ما يبلغك جبريل إياه .
بيانه	إظهاره حتى تحفظه عن ظهر قلب .
ناضرةٌ	حسنة جميلة .
باسرةٌ	عابسة كالحة .
تظنّ	تتوقعُ .
قرآنه	قراءة جبريل .
العاجلة	الدنيا الفانية .
ناظرة	متطلعة إلى ثوابه ، منتظرة .

الألفاظ	شرحها
يفعل بها	ينزل بها .
فاقرة	داهية تقصم العمود الفقرى .

مُجْمَلُ ٱلْمَعْنَى

١ - حينما كان جبريل عليه السلام يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم الآيات ، كان النبى لشدة حرصه على ما يتلقاه ، يُحرّك لسانه وشفتيه ، متعجلا فى حفظ ما يبلّغه واستظهاره ، خشية أن ينساهُ ، وكان ذلك يشق عليه ، فنهاه الله عن ذلك ، وذكر لهُ أن جبريل سيقرئه ما يوحيه إليه حتى لا ينسى ، وطلب منه ألا يعجل بالقراءة ، من قبل أن يفضى إليه ما يبلغه جبريل إياه ، وبين له أن الله سيوفقه لقراءته ودراسته ، حتى يحفظه عن ظهر قلب فلا ينساه ، بل إن حكمة الله اقتضت أن يجمع القرآن فى صدر النبى ويثبته فيه ؛ من أجل هذا يجب على النبى حين يَسمعُ القرآن من جبريل ، أن يُنصت حتى يَفرغ ، وألا يجعل قراءته مقارنة لقراءة جبريل ، فإذا فرغ جبريل ردد فى نفسه ما سمع ؛ فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، إذا نزل عليه جبريلُ بالوحى ، أطرق وأصغى ، فإذا رَدّدَهُ فى نفسه ، وجده منقوشاً فى صدره .

٢ - وبعد أن أتم الوحى ما أبلغه إلى الرسول من تعليم وإرشاد ، عاد إلى الحديث عما يتصل بما بدأ به هذه السورة ، فبين أن هؤء المكذبين قومٌ يحبون الدنيا الفانية ، لما فيها من اللذائذ العاجلة الفاتنة ، ويتركون الآخرة الباقية ، بالإعراض عن الأعمال التى تؤدى إليها ، حيث يكون الناسُ فيها فريقين :

فالمؤمنون المصدقون، تكون وُجوههم مُشرقة مستبشرة ، يبدو عليها البهجة والسرور ، وتتطلع إلى ثواب الله ، وجزائه فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ، يتمتعون فيها بالنعيم المقيم ؛ والكفار المكذبون ، تكونُ وجوههم عابسة كالحة . حائلة اللون ، يتوقعون أن تنزلَ بهم داهية تزلزلُ أقدامهم ، وتقصم ظهورهم ، لما كسبوه من الخطيئات ، واقترفوا من السيئات .

(٣)

من الآية ٢٦ من سورة القيامة ، إلى آخر السورة

كَلَّا ! إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ، وَقِيلَ : مَنْ رَاقٍ ، وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ، وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ، فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ، وَلَـٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى –١– . أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى –٢– . أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ؟ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ : الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ؟ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ؟ –٣– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
التراقى	جمع ترقوة ، وهى عظمة عند النحر .
راق	يُعوِّذ المريض بكلمات سحرية أو دينية .
ظن أنه	تأكد أن الأمر الذى نزل به .
الفراق	الموت الذى يفارق فيه الدنيا .
التفَّت الساق بالساق	اشتد الأمر والهول .

الألفاظ	شرحها
المساق	سوقك وجرك إلى ربك للحساب .
تولى	أعرض ونأى .
يتمطى	يتكبر ويتبختر ، ويتباهى بعناده وكفره .
أولى لك	أحق وأجدر بك .
سدى	هملا بدون تكليف وشرع .
نطفة	جزء قليل من السائل الحقير .
يمنى	يُراق .
علقة	قطعة دم متجمدة .
سوّى	جعلها جميلة متناسبة الأجزاء .

مجمل المعنى

١ — ارتدعوا أيها المعاندون عن تفضيل الدنيا على الآخرة ، واذكروا ما ينزلُ بكم من فادح الهول عند الموت ؛ إنكم إذا أشرفتم على الموت ، فصَعدت الروح ، وبلغتْ عظمَتى الترقوة ، فضاقت أنفاسكم ، وجحظت عيونكم ، وقال أهلوكم : أين المنقذ الذى يرقِى رقى ويعوّذُ المرضَى ، بعد أن استفحل الداء ، وعز الدواء ؟ عند ذلك يعلم المحتضر أنه الموتُ الذى كان يخشاه ، ولا فائدة ترجى من طب الأطباء ، أو رُقَى المشعوذين ، ويشتد الخطبُ عند نزوع الرّوح ، ويفدح الأمر ، ثم يدفع إلى الآخرة عند الله للحساب ، وليس له من عمل يؤجر عليه ، فلا هو صدّق بكتب الله ورسله ، وعمل صالحاً ينفعه فى الآخرة ، ولا هو صلى صلاةً تُكتبُ فى حسناته ، ولا هو استغفر ، ولكنه كذب بالله ، وأعرض عن طاعته ، ثم عاد إلى

أهله وعشيرته يتبختر فى مشيته ، تباهياً بما فعل ، وكأنه لم يفعل شيئاً من المعاصى .

٢ — وكان أبو جهل ونظراؤه يغشون مجلس الرسول ، ويسمعون القرآن ، ثم يخرجون مكذبين ساخرين مستهزئين ، ويذهبون إلى عشيرتهم مباهين بما فعلوا مع الرسول ، وما قالوه فى حضرته من ألفاظ السباب والسخرية ، لينالوا إعجاب قريش بهم ، ورضاهم عنهم ! وحدّث أن رسول الله قابل يوماً أبا جهل ، فأخذ بمجامع ثيابه وقال له : «أولى لك فأولى» ، يريد تهديد أبى جهل ، فيقول : قاربك ماتكره يا أبا جهل ، فالأجدر بك أن تؤمن ، قبل أن يحل بك سخط الله وعذابه ، وكررها رسول الله للتهديد والوعيد ، فقال أبو جهل : أتهددنى يا محمد ؟ إنك لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيئاً ، وإنى لأعز أهل هذا الوادى ، ثم انسلّ ذاهباً ، فأنزل اللهُ على رسوله ما قاله لأبى جهل ؛ وقد ظل أبو جهل على كفره ، حتى قُتل فى وقعة بدر .

٣ — أيظن هؤلاء أن الله يَترك الإنسان يعيث فساداً فى الأرض ، بدون شريعة تهديه ، كالبهائم المرسلة ، ولا يحاسبه يوم القيامة على إحسانه أو سيئاته ؟ ! أليس الله قادراً على إعادة خلقه مرة أخرى يوم البعث ؟ وقد سبق أن خلقه من ماء مهين حقير ، تحول قطعة من الدم ، ثم صورهُ وسواه جنيناً ، فكان إنساناً ذكراً أو أنثى ، أليس الذى فعل ذلك أول مرة ، قادراً على إعادته ، وإحياء الموتى يوم القيامة ؟ ! بل إعادة الخلق أيسر وأسهلُ ، ففكروا واتعظوا ، واعملوا لآخرتكم يا أولى الألباب ، لعلكم تُرحمون .

سورة الإنسان

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٣١ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الثالثة

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ، لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ، فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ : إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
هلْ	قد .
نطفة	قليل من السائل .
أمشاج	أخلاط من العناصر المختلفة ، والطبائع المتباينة ، مفردها : مَشِيج .
نبتليه	نختبره ونمتحنه .
سميعاً بصيراً	ذا سمع وذا بصر ، أو ذا عقل وإدراك .
هديناه السبيل	أريناه أنواع الطرق المختلفة ، ودللناه على خيرها وشرها .
شاكراً	مُقدراً لنعمتنا عليه .
كفوراً	جاحداً للنعمة ، حائداً عن طريق الهداية والرشاد .

مجمل المعنى

قد أتى على كل إنسان ، وعلى الجنس البشرى عامة قبل خلقه ، وقتٌ من الزمان ، لم يكن له فى الحياة ذكر ولا مكان ، ثم خلقه اللهُ من مويهة صغيرة تافهة ، اجتمعت فيها عناصر شتى مختلفة ، وامتزجت تلك العناصرُ بعضها ببعض ، تحملُ فى جواهرها طبائعه التى يرثها عن آبائه ، ويورّثها من بعده أعقابه ، فتتوزع بين أفرادهم ، على تفاوت بينهم فى ذلك : من حيث القوة والضعف ، والقلة والكثرة ؛ ولذلك اختلفت طبائع الناس ، وتنوعت أفكارهم ومشاربهم ؛ ولقد خص الله الإنسان بنعمة العقل والإدراك ، ومنحه السمع والبصر ، لكى يختبره ويمتحنه ، بعد أن أنزل عليه الشرائع ، تبين له الخير والشر ، وتهديه سواء السبيل ، وهو بعد ذلك : إما أن يكون شاكراً لنعمة الله ، فيسلك طريق الخير ، ويستحق رضاه ، فيحظى بثوابه ؛ أو منكراً جاحداً لأنعمه ، فيخالف أمره ، وينهج سبل الشر ، فيستحق سخطه وعذابه .

(٢)

من الآية ٤ إلى الآية ٢٢ من سورة الإنسان

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا —١— . إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ، كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّٰهِ ، يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا —٢— . يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ، وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ، وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ — عَلَى حُبِّهِ — مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّٰهِ ، لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ، إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ، فَوَقَاهُمُ اللّٰهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا —٣— . وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ، مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ، وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ، وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا —٤— . وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ ، وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ، وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا ، كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ، عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ، إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ،

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ، رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيرًا ، عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ، وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ، وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُورًا ، إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ، وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا —٥— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أعتدنا	أعددنا وهيأنا .
أغلالا	أطواقاً من حديد ، والمفرد : غُل .
سعيراً	ناراً موقدة .
الأبرار	الأخيار الصادقين الأتقياء .
مزاجها كافورا	شرابها ممزوج بالكافور الطيب الرائحة .
يفجرونها تفجيرا	يُخرجون ماءها حيث شاءوا فى سهولة .
النذر	كل فعل أوجبه الإنسان على نفسه .
مستطيرا	منتشراً فاشياً .
على حبه	مع حاجتهم إليه ، وحبهم له .
قمطريرا	شديداً مظلماً .
وقاهم	حفظهم .
لقّاهم	أعطاهم .
نضرةً	بشاشة وبهجة وحسنا .

شرحها	الألفاظ
جالسين فى الجنة ، وهى حال من : « هم » فى جزاهم .	متكئين فيها
الأسرَّة ، المفرد : أريكة .	الأرائك
حرًّا شديداً .	شمساً
برداً شديداً .	زمهريرا
قريبة .	دانية
تدلت عناقيدها ، وصارت سهلة التناول .	ذللت قطوفها
أوعية رقيقة ، لها بياض الفضة وصفاء الزجاج ، وهى جمع قارورة .	قوارير
قدرها الغلمان على قدر حاجة الطاعمين والشاربين .	قدروها تقديرا
سُميت كذلك ، لأن ماءها يسهل شربه .	سلسبيلا
لا يموتون ولا يهرَمون .	مخلدون
أينما وقع نظرُك هناك فى الجنة .	وإذا رأيتَ ثَمّ
رأيت نعيما لا يحده وصف ، وملكاً واسعاً تستوعب به النفس كل هناءتها ومسرتها .	نعيما وملكاً كبيراً
فوق أجسام أهل الجنة .	عاليهم
نسيج من حرير رقيق .	سندس
نسيج من حرير سميك .	إستبرق
ألبسوا الحلىّ .	حُلُّوا
شراباً نقيًّا من كل شائبة .	شراباً طهوراً

مجمل المعنى

١ — بين اللهُ ما أعده للكافرين من أدوات التعذيب ، فالسلاسل تقيد أرجلهم وأيديهم ، والأطواق توضع فى أعناقهم ، والنار الموقدة تتسلط على أجسامهم ، فيكون عذابهم أليماً .

٢ — وبيَّن ما أعد للأخيار من عباده الصالحين ، من شراب طهور ، له رائحة الكافور الطيبة ، وبرده وعذوبته ، وهذا الشراب يخرج من عين يتفجر ماؤها دائماً ، فيتناولونه متى أرادوا ، وكيفما شاءوا . والكافورُ : نبتٌ يستحسنه العرب ، لطيب شذاه .

٣ — إيثار

مرض الحسن والحسين ابنا علىّ رضى الله عنهم أجمعين ، فعادَهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه جماعة من أصحابه ، فقالوا لعلىّ : يا أبا الحسن ، لو نذرت على ولديك ! فنذر علىّ وفاطمةُ رضى الله عنهما وجاريتهما فِضة ، صوم ثلاثة أيام إن برئا . فشفيا وما معهم شىء ، فاقترض علىّ ثلاثة أصُوع من شعير ، طحنت فاطمة صاعاً ، واختبزت خمسة أقراص على عددهم . فوضعوها بين أيديهم ليُفطروا ، فوقف عليهم مسكين . فآثروه بها ، وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء ، وأصبحوا صياماً ؛ فلما أمسَوا ووضعوا الطعام ، وقف عليهم يتيم ، فأعطوه طعامهم ، ثم وقف عليهم فى الثالثة أسير ، ففعلوا مثل ذلك ! فنزل سيدنا جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات : « يوفون بالنذر ... » ، ثم قال : خذها يا محمد ، هنَّأك اللهُ فى أهل بيتك ؛ ولقد استحق هؤلاء الأبرار تكريم الله لهم ، لأنهم يتصفون بثلاث خصال :

ا — أنهم يوفون بالنذر ، فإذا نذروا لله صوماً أو صلاة أو صدقة ، صاموا وصلوا وتصدقوا .

ب — وخوفهم الله وعذابه يوم القيامة ، وهو اليوم الذى يشتد حره ، وتعم ظلمته .

ج — والرحمة ، وهى من أخص أخلاق الأبرار ، فهم يعطفون على الضعفاء والمساكين ، فيقدمون لهم الطعام حتى فى أوقات الشدة والفقر ، ويؤثرونهم على أنفسهم ، ويخصون بكرمهم المساكين واليتامى وأسرى الحرب ، يفعلون ذلك لوجه الله ، لا انتظاراً لمكافأة أو أجر ، ولكنهم يخافون ذلك اليوم الشديد : يوم القيامة ، ولذلك يدخلهم الله الجنة ، فتفيض وجوههم بشاشة وسروراً .

٤ — يكافىء الله المؤمنين الذين صبروا على أداء الواجبات ، واجتناب المحرمات ، بأن يدخلهم الجنة ، فيلبسوا فيها حريراً ، ويجلسوا على الأسرّة ، ويتمتعوا بجو جميل معتدل سَجْسَج ، لا هو حارّ لافح ، ولا بارد قارس ، فى ضوء ليس صادراً عن شمس ولا قمر ، بين أشجار كثيفة تظلهم ، وتتهدل الثمار من أغصانها ، فتكون قريبة منهم ، سهلة القطف والتناول .

٥ — ويقوم على خدمتهم صبيان ، كأنهم فى جمالهم ، وصفاء ألوانهم ، وإشراق وجوههم ، اللآلىء الساطعة ، يطوفون عليهم حاملين الطعام ، فى صحاف من الفضة ، والشرابَ فى أكواب شفيفة رقيقة ، فتقرّ أعينهم ، وشرابهم من أعين فى الجنة تسمى السلسبيل ، يجدون لمائها طعم الزنجبيل ، ورائحته وعذوبته ، ويلبسون ثياباً خضراً من الحرير ، رقيقة وسميكة ، ويتحلون بأساور من الفضة ، فيجمُل منظرهم ، وتتم متعتهم ، جزاء إيمانهم فى الدنيا ! والمراد بهذا كله : أنهم يتمتعون فى الجنة بكل نواحى المتعة ،

من الطعام الهنيء ، والشراب المرىء ، واللباس القشيب ، والراحة التامة ، والمنظر الجميل ، ويقال لهم حين تمتعهم بهذه الصنوف من النعيم : إن هذا جزاء ما قدمتموه ، من عمل صالح فى الدنيا ، وإن سعيكم الحميد فى الدنيا ، من العمل بأوامر الله ، واجتناب نواهيه ، استحققتم عليه هذا التكريم .

والمراد من كل ما تقدم : تصوير ما يلقاه الكفار من العذاب الأليم ، وما يلقاه المؤمنون من النعيم المقيم ، فى صورة ما اعتدنا أن نراه فى الدنيا .

تواضع الرسول

دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو راقد على حصير من جريد ، وقد أثر فى جنبه ! فبكى عمر ، فقال له النبى : ما يبكيك؟ قال : ذكرتُ كسرى وملكه ، وهُرْمُز وملكه ، وصاحب الحبشة وملكه ، وأنت رسول الله صلى الله عليك وسلم ، ترقد على حصير من جريد ؟ ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ فأنزل الله تعالى : « وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكاً كبيراً » .

(٣)

من الآية ٢٣ من سورة الإنسان ، إلى آخر السورة

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ، فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ، وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ، وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ، إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ، وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ، نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ، وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا —١— إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ ، سَبِيلًا ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ، وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا —٢— .

شَرْحُ الأَلْفاظ

الألفاظ	شرحها
اصبر لحكم ربك	تجمل بالصبر، لتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم .
آثماً	منغمساً فى المعاصى ، كعتبة بن ربيعة .
كفورا	جاحداً للنعمة ، كالوليد بن المغيرة .
بكرة	قبل الظهر .
أصيلا	بعد العصر .

الألفاظ	شرحها
وسبحه ليلا طويلا	ونزه الله عن كل ما لا يليق به ، واذكره بالليل إلا قليلا : نصفه ، أو انقص منه ، أو زد عليه .
العاجلة	الدنيا وشهواتها .
يذرون	يتركون .
ثقيلا	شديداً .
شددنا أسرهم	جمّلنا خلقهم وأحكمناه .
تذكرة	عظة يتذكر بها الغافل .
سبيلا	طريقاً .
والظالمين .	ويعذب الظالمين .

مجمل المعنى

١ — بلغ النبى أن أبا جهل يقول : لئن رأيت محمداً يُصلى لأطأن عنقه ، فكان النبى عليه السلام يتألم من ذلك ، ومن حال الكافرين وعنادهم ، فيتمنى لهم الهداية ، أو يُعجل الله لهم العذاب ، حتى يكونوا عبرة لغيرهم ، فأخبره الله : أن هذا الدّين ديننا ، وهذا القرآنُ كلامنا ، ولله الأمر والحكم ، فلا تحزن يا محمد ، واصبر لحكم ربك ، حتى يقضى الله بينك وبين الكفار ، ولا تستمع إلى ما يمنّيك به عُتبة بن ربيعة ، بقوله : ارجع عن هذا الأمر ، وأزوجك ابنتى ، فإنى من أجمل قريش ولداً ! ولا إلى ما يمنيك به الوليد بن المغيرة ، بقوله : ارجع عن هذا الأمر ، وأنا أعطيك من المال حتى ترضى ؛ فسينصرك الله عليهم ، ثم أرشده إلى ما يجب عليه ، ليسير المؤمنون على نهجه ، فأمره بذكر الله ، والخشوع له ، وعبادته وتسبيحه حصة طويلة من الليل بقلبه ولسانه ، لا تقل عن الثلث

ولا تزيد على الثلثين ، (تراجع الصفحة ٨١ من تفسير هذا الجزء) ، فإن فعلت وفعل المؤمنون ذلك أدوا واجبهم ، وضمنوا الثواب ! أما هؤلاء الكافرون ، فإنهم فضلوا اللذة العاجلة فى الدنيا ، على متاع الآخرة ، غير منتبهين إلى يوم الهول ، والعذاب الثقيل ، مع أن الله تفضل عليهم بنعمة الخلق والوجود ، وصورهم فأحسن صورهم ، ولو أراد البطش بهم لفعل ، وأتى بخلق جديد غيرهم ، يعمر الدنيا بعدهم .

٢ — هذه السورة جاءت عبرة وعظة وتذكرة ، لما اشتملت عليه من المعانى الجليلة ، والأدلة المقنعة ، وهى :

(ا) تذكير الإنسان بالبعث ، وبأن الله الذى خلقه أولا ، ومتعه بنعمه ، قادرٌ على أن يُعيد خلقه ، ويبعثه بعد الموت .

(ب) وتخويف المكذبين بما أعده الله لهم ولأمثالهم ، من الأغلال والسعير .

(ج) وترغيبهم فى الإيمان ، بما هيأه للمؤمنين من وسائل الغبطة والسعادة فى الآخرة .

فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ، ويتبع سبيل الهدى ، فيعبد الله ، ويعمل صالحاً ؛ وسبيل النجاة ممهد لمن أراد أن يسلكه ! غير أن العناد والجهل يحولان بين الكافرين ، وبين نور الهدى والحق ، فلا يشاءون التحول عن غيهم ، والله عليم بأحوال خلقه ، حكيم فيما يرسمه لهم من السنن ! ثم بين عاقبة الفريقين : فالمؤمنون يُدخلهم جنة الخلد ، والظالمون يُعذبهم بنار جهنم ، وبئس المصير !.

سُورة المرسَلات

نزلت بمكة، إلا الآية ٤٨ فقد نزلت بالمدينة ، وآياتها ٥٠ آية

بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٩

وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً ، فالْعاصِفَاتِ عَصْفاً ، وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ، فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً ، فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ، عُذْرًا أَوْ نُذْرًا —١— . إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ، فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ، وَإِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ، وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ، لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ؟ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ؟ ! —٢— . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ! —٣— . أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ، ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ؟ كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ! —٤— .

شَرْحُ الألْفاظ

الألفاظ	شرحها
والمرسلات عُرفاً	أقسم بالرياح الهادئة التى يرسلها الله إرسالا متتابعاً.
العاصفات	الرّياح التى تهب بشدة .
الناشرات	الرياح التى تنشر السحب فى السماء .
الفارقات	الرياح المتغيرة فى اتجاهاتها ، فتفرق هذه السحب وتوزعها .
الملقيات	المنزلات .
ذكراً	أثراً قوياً فى حياة الناس وأرزاقهم .
عُذراً	رفعاً للوم المعتذرين .
نُذراً	إنذاراً وتخويفاً .
ما توعدون	يوم القيامة والحساب .
لواقعٌ	لنازل ، وحاصل لا ريب به .
طُمستْ	ذهب ضوءُها .
فُرجت	حدث تشقق فيها ، وفروج بين أجزائها .
نُسفت	تطايرت أجزاؤها ، وتبعثرت ذراتها .
أقّتت	بلغوا الوقت الذى كانوا ينتظرونه .
لأى يوم أجلت	لأى يوم أخرت الأمور الخاصة بأقوام الرسل ، وهى عذاب المكذبين ، وجزاء المؤمنين ؟
يوم الفصل	يوم القيامة الذى يحاسب فيه الناس ، وهو يوم القضاء الفصل .
ما أدراك	ما أعلمك ؟
الأولين	الأمم السابقة ، كقوم عاد وثمود .
الآخرين	الأمم المتأخرة ، التى جاءت بعد السابقة .

مجمل المعنى

١ — أقسم اللهُ بالرياح على اختلاف أنواعها ، الهادية منها والعاصفة ، والتى تحيد عن طريقها ، وتغير اتجاهها ، لما لهذه الرياح من أثر بين فى حياة الناس وأرزاقهم ، فهى تُثير السحاب ، وتنشره فى الجهات المختلفة بتغير اتجاهها ، ثم تُفرق بين أجزائه ، فتتساقط مطراً يحيى الأرض ، ويمحو القحط ، ويصيب منه الناسُ الرزق ، فمنهم من يُقدر هذه النعمة فيؤمن بالله ، ويشكرُ فضله ، ويعتذر عما فرط منه ، ويتوب إلى الله ويستغفره عند مشاهدته آثار رحمته ، ويعملُ من الصالحات ما يرفعُ عنه العذاب ، ويكفّر عن سيئاته ؛ ومنهم من تزيده النعمة عتوًّا وطغياناً ، وتكبراً وضلالا ، فيكون ذلك الخيرُ الهابط عليه من السماء سبباً فى غضب الله ، ونذيراً بعذابه يوم القيامة ، الذى ليس فيه شك ! وأقسم الله هنا لايقاظ الفكر ، وتنبيه الشعور ، حتى يتعظ الناس ، ويتأكدوا أنهم سيحاسبون ، فيثابون أو يعذبون يوم القيامة .

٢ — إذا جاء يوم القيامة ، اضطرب نظامُ العالم ، وانتثرت الكواكب ، وذهب ضوءها ، وتشققت السماء ، وتفرقت أجزاؤها ، ودكت الجبالُ ، وتبعثرت ذراتها ، فكانت نهاية العالم الدنيوى على هذه الصورة المخيفة المفزعة ؛ هذا ما يكونُ من شأن الأرض والسماء ، أما الإنسان فإن أمره سيكون أعظم ، حتى الرسل أنفسهم ، فإنهم يغشون ذلك الموقف الرهيب الذى كانوا ينتظرونه ، فيشهدون على أممهم ، ويبرئون أنفسهم من تبعة التفريط فى

تبليغهم ، أو التقصير فى إنذارهم بهول هذا اليوم : يوم القضاء الفاصل الذى يُحاسب الناسُ فيه على أعمالهم .

٣ — والعذاب الشديدُ لأولئك الذين كذبوا بهذا اليوم ، ولم يتزودوا فى دنياهم له بالعمل الصالح .

٤ — بعد أن أكد الخبر بحدوث يوم القيامة ، وخوف المكذبين عذابه ، عاد فحذرهم بطش الله بأسلوب آخر ، فصور لهم حال الأمم الغابرة التى كذبت رُسلها ، وقد أهلكها الله جيلا بعد جيل ، فهذه أغرقها ، وتلك سلط عليها ريحاً صرصراً عاتية ، وأخرى دمدم عليهم ، وهدم ديارهم ؛ وكذلك يفعل الله بمن كذب وتكبر ، وعصى وتجبر ، فالويل لمن لا يصغى لصوت الحق .

(٢)

من الآية ٢٠ إلى الآية ٤٠ من سورة المرسلات

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ؟ فَقَدَرْنَا ، فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ! وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ! —١— . أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ، أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ، وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ، وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ؟ ! وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ! —٢— اِنطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ، اِنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ، لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ، إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ، كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ! —٣— . هٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ! هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ، جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ! —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألم نخلقكم	تذكير للمكذبين بقدرة الله .
ماء مهين	ماء حقير .
قرار مكين	مكان مصون يستقر فيه ، « وهو الرحم » .
قدر معلوم	زمن معين ، وهو وقت الولادة .
قدرنا	قدرنا وهيأنا هذا الماء ، فتطور إلى جنين بترتيب عجيب .
كفاتا	نَضُمّ إليها ، ونَحمل على ظهرها ، والكَفت : الضم والجمع ، فالأحياء يسكنون فى المنازل على ظهرها ، والأموات يُدفنون فى القبور .
رَواسى	جبالا ثوابت .
شامخات	عاليات .
فراتاً	عَذباً سائغاً .
ثلاث شعب	ثلاثة فروع .
لا ظليل	لا يُظل من تحته ، ولا يقيه لفح الحر .
يُغنى	يُبعد .
شرر	ما يتطاير من النار أثناء تلهبها .
كالقصر	فى حجم القصر .
جمالةٌ	فى حجم الجمل ، والجمالة : جمع جمل .
لا ينطقون	لا يتكلمون ولا يعتذرون .
كيد	الكيد : المكر وتدبير الحيلة .
فكيدون	فاحتالوا للنجاة من عذاب الله فى الآخرة .

مجمل المعنى

١ — إذا كنتم تُنكرون قدرة الله على بعثكم ، وفضله عليكم ، فإليكم دليلا آخر على قدرته ، فقد أنشأكم من ماء حقير ، وهيأ له قراراً مصوناً فى الرحم ، فتطور فى مدة معينة ، حتى صار جنيناً بترتيب عجيب محكم ، وكان تقديرنا على هذا النحو منة منّا ونعمة ؛ فالويل للمكذبين يوم القيامة !.

٢ — وهذه الأرض ، انظروا إليها ، فقد ضمت جميع الأحياء والأموات ، وكفل الله لكم فيها الراحة والنعمة ، بأن ثبتها بالجبال الشامخة التى حفظت توازنها ، وهطلت الأمطار فوقها ، فكان فيها الماء العذب السائغ الذى تشربونه ، وتُروون به أرضكم ! أليس الذى يفعل ذلك كله ، قادراً على أن يحيي الموتى ؟ ، ويل لمن جحدوا نعمتى ! .

٣ — اذهبوا أيها الكفار المكابرون لتلقوا العذاب الذى كذبتم به فى الدنيا ، فذوقوا فى الآخرة نار جهنم ، لعلكم تجدون ظلا ظليلا يحميكم من سعيرها ! سيكون لكم هذا الظل ، ولكنه ظل جهنمى ، غير ظليل ولا واق من السعير ، بل سيزيد فى عذابكم بشعبه الثلاث :

ا — الشعبة الأولى تغشاكم بدخانها ، فتحبس أنفاسكم ، وتخرس ألسنتكم .

ب — والثانية تكويكم بحرها .

ج — والثالثة ترميكم بشرر مختلف الأشكال والأحجام ، بعضه فى حجم القصر ، وبعضه فى حجم الجمل ، وتتبابع نحوكم ، كأنها قافلة مقبلة عليكم .

وإن َهولَ هذا اليوم وعذابه ، وظلاله الجهنمية ، يُخرسُ ألسنة المكذبين ، فلا ينطقون بكلمة ، ولن يُسمح لهم بالاعتذار فيعتذروا ؛ والويل لهم حينذاك ! .

٤ - حينئذ تعلمون أن وعد الله حق ، وترون إخوانكم المكذبين من الأولين والآخرين ، يقاسون ما يقاسون ، فتحاولون الخروج من هذا العذاب ، فيقال لكم : لقد كنتم تمكرون فى الدنيا ، وتفعلون الأفاعيل ؛ فافعلوا اليوم ما كنتم تفعلون ، واحتالوا على الخلاص إن قدرتم ، فلن تستطيعوا أن تدفعوا العذاب الواقعَ بكم أيها المكذبون ؛ والويل لكم ! .

(٣)

من الآية ٤١ من سورة المرسلات ، إلى آخر السورة

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ، وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ؛ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ! —١— . كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا ، إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ !—٢—. وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ : ارْكَعُوا ، لَا يَرْكَعُونَ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ! ، فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ؟ ! —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المتقين	المؤمنين المصدقين ، الذين يخشون ربهم بالغيب .
يشتهون	يُحبون .
هنيئاً	هانئين متمتعين .
كلوا وتمتعوا قليلا	المراد : التهديد والوعيد ، أى : تمتعوا بمتع الدنيا الزائلة زمناً قليلا .
مجرمون	مذنبون .
اركعوا	اخشعوا إلى الله وتواضعوا ، ودعوا هذا الاستكبار .

مجمل المعنى

١ — أما المتقون الذين آمنوا بالله ، وصدقوا الرسل ، فسيدخلون الجنة ، ويتمتعون فيها بصنوف المسرات والمتع : ظلال ممدودة عليهم ، ومياه من عيون جارية عذبة سائغة ، وفواكه شهية ، ويشنف آذانهم صوتٌ ملائكىّ رخيم ، يهنئهم بمُقامهم فى الجنة ، ويرحب بهم جزاء إيمانهم وإحسانهم فى الدنيا ! وجنات الخلد فيها أكثر من هذا : فيها ما لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ،ولكن صورها الله لنا بصورة ما نعرفه من مُتع الحياة : فالعين تسعد بالمنظر الجميل ، والنفسُ ترتاح إلى الظلّ الظليل ، والذوقُ يتمتعُ بالماء العذب ، والطعام الشهى ، والأذن تشنف بالصوت الرخيم .

٢ — هدد الله المكذبين بالعذاب ، وحقرهم ، وحقر دنياهم الفانية ، التى شغلتهم ملاذهم فيها عن التفكير فى مصيرهم .

٣ — إن العذاب الذى ينتظركم أيها المجرمون ، سيكون شديداً ، جزاء كبركم ، وعنادكم ، وعدم خضوعكم لله ، وجزاء تكذيبكم بالقرآن الكريم ؛ وإن أمركم لعجيب ، فإذا كان هذا حالكم مع القرآن ، الذى بلغ الغاية فى متانة اللفظ ، وإصابة المعنى ، المؤسس على الحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون ؟ « ويلٌ لكل أفاك أثيم ، يسمع آيات الله تتلى عليه ، ثم يُصر مستكبراً كأن لم يسمعها » .

فهرست الجزء التاسع والعشرين من تفسير القرآن الكريم

الرقم	أسماء السور	أرقام الآيات فى المصاحف	أرقام الصفحات
١	الملك	من ١ — ١١	من ٣ — ٧
٢	»	» ١٢ — ٢٤	» ٨ — ١٢
٣	»	» ٢٥ إلى آخر السورة	» ١٣ — ١٥
١	القلم	» ١ — ١٦	» ١٦ — ١٩
٢	»	» ١٧ — ٣٣	» ٢٠ — ٢٣
٣	»	» ٣٤ — ٤٧	» ٢٤ — ٢٨
٤	»	» ٤٨ إلى آخر السورة	» ٢٩ — ٣١
١	الحاقة	» ١ — ١٢	» ٣٢ — ٣٥
٢	»	» ١٣ — ٢٤	» ٣٦ — ٣٩
٣	»	» ٢٥ — ٣٧	» ٤٠ — ٤٢
٤	»	» ٣٨ إلى آخر السورة	» ٤٣ — ٤٦
١	المعارج	» ١ — ١٨	» ٤٧ — ٥٠
٢	»	» ١٩ — ٣٥	» ٥١ — ٥٤
٣	»	» ٣٦ إلى آخر السورة	» ٥٥ — ٥٧
١	نوح	» ١ — ٧	» ٥٨ — ٦٠
٢	»	» ٨ — ٢٠	» ٦١ — ٦٤
٣	»	» ٢١ إلى آخر السورة	» ٦٥ — ٦٧
١	الجن	» ١ — ٥	» ٦٨ — ٦٩
٢	»	» ٦ — ١٠	» ٧٠ — ٧٢
٣	»	» ١١ — ١٥	» ٧٣ — ٧٤
٤	»	» ١٦ — ٢٣	» ٧٥ — ٧٨
٥	»	» ٢٤ إلى آخر السورة	» ٧٩ — ٨٠
١	المزمل	» ١ — ٩	» ٨١ — ٨٤
٢	»	» ١٠ — ١٤	» ٨٥ — ٨٦
٣	»	» ١٥ — ١٩	» ٨٧ — ٨٩
٤	»	» ٢٠ إلى آخر السورة	» ٩٠ — ٩٢

الرقم	أسماء السور	أرقام الآيات فى المصاحف	أرقام الصفحات
١	المدثر	من ١ – ١٠	من ٩٣ – ٩٥
٢	»	» ١١ – ٣٠	» ٩٦ – ١٠١
٣	»	» ٣١	» ١٠٢ – ١٠٤
٤	»	» ٣٢ – ٤٧	» ١٠٥ – ١٠٨
٥	»	» ٤٨ إلى آخر السورة	» ١٠٩ – ١١١
١	القيامة	» ١ – ١٥	» ١١٢ – ١١٤
٢	»	» ١٦ – ٢٥	» ١١٥ – ١١٧
٣	»	» ٢٦ إلى آخر السورة	» ١١٨ – ١٢٠
١	الإنسان	» ١ – ٣	» ١٢١ – ١٢٢
٢	»	» ٤ – ٢٢	» ١٢٣ – ١٢٨
٣	»	» ٢٣ إلى آخر السورة	» ١٢٩ – ١٣١
١	المرسلات	» ١ – ١٩	» ١٣٢ – ١٣٥
٢	»	» ٢٠ – ٤٠	» ١٣٦ – ١٣٩
٣	»	» ٤١ إلى آخر السورة	» ١٤٠ – ١٤١

تفسير القرآن الكريم

الجزء الثلاثون

(جزء عمّ)

تأليف

محمود محمد حمزة
المفتش بالتعليم الثانوى والفنى (سابقاً)
والأستاذ بدار العلوم (سابقاً)

حسن علوان
المراقب بوزارة التربية والتعليم

محمد أحمد برانق
المفتش العام بالتعليم الإعدادى

الطبعة الخامسة



ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ ، والصّلاةُ والسلامُ على سيد المرسلين وَبعدُ :

فلا يخفى على أهل الضّاد ، ما للقرآن الكريم ، منْ أثر عظيم ، فى تقويم اللسان ، وتهذيب البيان ، ولهذا اتجهت الرّغبةُ ، إلى أخذ الناشئين وهم فى سنّ صغيرَة ، بحفظ جزء منه ، وتفهمه ، لكىْ يَدرُجوا على النطق الصّحيح ، ويألفوا البيانَ الفصيحَ ، ويجتنوا المعانىَ الشريفةَ ، ولكن الناشئينَ لا يبلغونَ هذه الغايات إذا طُلبَ إليهم استظهارُ القرآن ، قبلَ أنْ تُذللَ لهمْ بعضُ أساليبه ، التى ترْتفعُ على أفهامهمْ ، وتوضّحَ لهمُ المعانىَ التى تَدقّ على إدراكهمْ ، ويشرَحَ لهمْ صَعبُ الكلام شرحاً هوَ إلى أذهانهمْ أقربُ ، وفى تصَوّرهم أدخل .

فوَضَعْنا هذا الكتابَ ، تَيسيراً لتحقيق الغايات العظيمة من حفظ القرآن الكريم .

وقدْ بذلنا الجهدَ فى الرّجوع إلى المشهور منْ كتب التفسير ، واستشارة المعجمات اللغوية ، ومناقشة الآراء الشخصية والمأثورة ، واستخلاص أليقها ، وأقربها اتصالا بأمور الحياة ، ونظريات العلوم ؛ وإنا لنظنّ —ولا ندّعى العصْمةَ من الخطأ— أننا يسرْنا كل ما يَعرضُ للناشئ من صُعوبة فى اللفظ والمعنى والأسلوب .

ونرْجو بعد هذا أن نكونَ قدْ حققنا بعض ما نصْبو إليه ، من خدمة القرآن الكريم ، وأبنائنا الناشئين .

المؤلفون

تراجع الخطبة التى فى صدر تفسير الجزء الأول ، ونرجو أن يراعى فى هذا الجزء والأجزاء التى تليه ، أن الأرقام التى فى صدر مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها فى المصاحف ، وأن الأرقام التى تخللت مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها فى مجمل المعنى .

سُورَةُ النَّبَإِ

نزلت بمكة ، وآياتها أربعون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٦

عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ! عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ؛ كَلاَّ ، سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلاَّ ، سَيَعْلَمُونَ –١– أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرضَ مِهَادًا ، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً ، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً ، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَادًا ، وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً ، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتاً ، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً ! ؟ –٢–

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
عم يَتساءلونَ ؟	عنْ أى شىء يَسأل بعضُهمْ بعضاً ؟
النبإ العظيم	خبر يومِ البعث
مختلفونَ	يُنكرُهُ بعضُهمْ ، وبعضُهمْ يترددُ فى تصْديقه .
مهاداً	فراشاً .
أزْواجاً	ذكراً وأنثى من كل حىّ .

الألفاظ	شرحها
سُباتاً	راحةً .
لباساً	ستراً .
معاشاً	وقتاً للسعى لطلب العيش .
سبعاً شِداداً	سبع سمٰوات متماسكة .
سراجاً وهّاجاً	شمساً مُضيئةً متلألئة .
المعصرات	السحب .
ماءً ثجّاجاً	ماءً مُنصبّاً بشدة .
وجنات ألفافاً	وحدائقَ مُلتفة الأشجار .

مجمل المعنى

١ — يَسألُ بَعضُ الكفار بَعضاً عنْ يَوْمِ القيامة ، فينكرُهُ بعضُهم ، ولكنّ اللهَ يُؤكدُ لهم أنه آت ، وأنّ الذى بدأ الخلقَ قادرٌ على إعادته .

٢ — منَ الأدلة على قُدرَة الله ، أنهُ خلق الأرْضَ ، وهيأها لننتفعَ بها ، وجعلَ مخلوقاتِه ذكراً وأنثى منْ جَميع الأحياء ، ليتمّ العُمرانُ ، وخلقَ الليلَ لننامَ فيه ، والنهارَ لنسعى فيه ، وخلقَ السموَاتِ والشمسَ المضيئة ، وأنزلَ الماءَ منَ السحاب ، فارْتوَتْ به الأرْضُ ، فأنبتت الزّرْع .

(٢)

من الآية ١٧ إلى الآية ٣٠ من سورة النبإ

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً . يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ، وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ، وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً . إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً ، لِلطَّاغِينَ مَآباً ، لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً ، إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً ، جَزَاءً وِفَاقاً . إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً ، وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً ، فَذُوقُوا ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يومَ الفصل	يومَ القيامة .
ميقاتاً	موْعداً للحساب .
يُنفخُ فى الصور	يُنفَخُ فى البوق ، والمرادُ : إعلان الناس بيوم البعث .

الألفاظ	شرحها
أفواجاً	جماعات .
فُتحت السماء	اختلّ نظامُها ، لضَعف ما بينَ كواكبها من تماسك .
فكانتْ أبواباً	تشقّقتْ من اختلال نظام كواكبها .
سُيِّرت الجبال	تناثرَتْ أجزاؤها .
سَراباً	مثل الغبار المتطاير كأنهُ ماءٌ .
مِرصاداً	مكاناً مُعدّاً للكفار يَنتظرهمْ .
للطاغينَ	للمجاوزينَ الحد فى العصيان .
مآباً	مرْجعاً .
لابثينَ	مقيمينَ .
أحقاباً	أزمنةً طويلة .
بَرْداً	نوْماً .
حَميماً	ماءً حارّاً .
غَسّاقاً	صَديداً .
جزَاءً وِفاقاً	جزَاء موافقاً لأعمالهمْ
كذّابا	تكذيبا
أحصيناه كتاباً	حصرْناهُ فى كتاب .

مجمل المعنى

فى يوْم القيامة تُبدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْض والسمواتُ ، ويحاسبُ الناس ، فيدخلُ الكافرُونَ جهنمَ المعدّةَ لهمْ ، يُعذّبونَ فيها دائماً ، ويلاقونَ ألواناً منَ العذاب ، جزاءً لهمْ على عصْيانهمْ ، وتكذيبهمْ رُسلَ الله .

(٣)

من الآية ٣١ من سورة النبإ ، إلى آخر السورة

إن لِلمُتَّقِينَ مَفازًا ، حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً ، وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً ، وَكأساً دِهَاقاً ، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّاباً ، جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً : رَبِّ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ ، لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً ، —١— يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالملائِكَةُ صَفًّا ، لا يَتَكلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَاباً —٢— ذٰلِكَ اليَوْمُ الْحَقُّ ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً . إِنَّا أَنْذَرْنا كُمْ عَذَاباً قَرِيباً ، يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، وَيَقُولُ الْكَافِرُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ! —٣—

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرحها
مفازاً	فوْزاً بالنعيم .
كواعب	فتياتٍ حسناوَات .
أتراباً	منْ سنّ واحدَة .
د هاقاً	مملوءةً .
لَغْواً	كلاماً باطلا .
عطاءً حساباً	عطاءً كافياً على قدْر أعمالهم .
لا يملكون منه خِطاباً	لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يعترضَ على ما يفعلُ .
الرُّوحُ	جبريلُ عليه السلامُ
صَفّاً	مصطفِّينَ .
وقال صَواباً	وقالَ قولا صَواباً : كطلب الشفاعة لمن ارْتضى اللهُ منَ الخلق .
مآباً	مرْجعاً .
أنذَرْناكمْ	حذَّرْناكمْ .
كنتُ تراباً	لمْ أُخلَقْ .

مجمل المعنى

١ — أما المتقون فيدخلونَ الجنةَ ، ويتمتعونَ بما فيها منْ خيرات ، مكافأةً لهُم على حسن إيمانهمْ .

٢ — وَيومَ القيامة يقفُ الملائكة ، مصْطفينَ أمامَ الله صَامتين ، لا ينطقُ أحدٌ منهمْ ، إلا من استحقّ أن يكونَ شفيعاً عند الله .

٣ — وَهوَ يَوْمُ سعادة للمؤمنينَ ، وَيوْمُ شقاء للكافرينَ ، وقد حذّرَ اللهُ العصاةَ أنْ يستمرّوا فى عصْيانهمْ ، وإلا نزَلَ بهمْ عذابٌ أليمٌ ، يتمنونَ معهُ أنهمْ لم يخلقوا .

سورة النَّازِعات

نزلت بمكة ، وآياتها ٤٦ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

من الآية الأولى إلى الآية ١٤

(١)

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً ، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً ، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ، فالسَّابِقَاتِ سَبْقاً ، فالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ ، قُلوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ، أَبْصَارُها خَاشِعَةٌ ، يَقُولُونَ : أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ !؟ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً !؟ قالوا : تِلْكَ إِذَنْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ، فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ .

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرْحها
النازعات	الكواكب الجاريات على حسب السير المقدر لها، أو التى تخرج عن دوائرها، فترى شهباً ساقطة .
غرْقاً	غائبةً فى أفق الغرب بعدَ ظهورها، أو مغرقة فى سيرها .
الناشطات نشطاً	الكواكب التى تتنقلُ منْ برْج إلى برج بسرْعة .
السابحات سبحاً	الكواكب تسبحُ فى الفضاء .
السابقات سبقاً	الكواكب يَسبقُ بعضها بَعضاً فى سيرها وإتمام دورتها
المدَبِّرات أمراً	الكواكب المؤدية إلى اختلاف الليل والنهار، والفصول وغَيرها، بسبب حركَتها .
ترجُفُ الراجفةُ	تتحرك الأرضُ بشدة يوْمَ القيامة .
تتبعها الرادفةُ	تتبعها السماء، فتنشق وتسقطُ الكواكبُ .
وَاجفةٌ	مضْطرَبةٌ خائفةٌ قلقةٌ .
خاشعةٌ	ذليلةٌ من الخوف .
الحافرَة	الحياة، يقال: رجع فلان فى حافرته: أى رجع من حيث جاء
كرَّةٌ خاسرَةٌ	رَجعةٌ ذاتُ خسران .
زجرَةٌ وَاحدَةٌ	صَيحةٌ وَاحدةٌ
بالساهرة	بوجه الأرض التى كانوا يسهرون عليها، بعد أن كانوا فى جوفها

مجمل المعنى

يُؤكدُ اللهُ سبحانهُ وتعالى أنّ يومَ القيامة آت حتما ، ويصفُ بعضَ أحواله وأهواله ، فيذكرُ أنّ الكافرينَ عندَ البعث يفزعون ، ويعجبونَ منْ عوْدتهمْ إلى الحياة ، بعدَ أن بَلِيتْ أجسامُهمْ ، ويقولونَ : إنها الحياةُ تعودُ علينا بالخسران : لأننا كنا نكذِّبُ بها ؛ ثمّ لا يلبثونَ أنْ يسمعوا صَيحةً ، فإذا همْ على وَجه الأرْض ، بعدَ أنْ كانوا فى بطنها .

(٢)

من الآية ٥ إلى ٣٣ من سورة النازعات

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ؟ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى : اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ، إِنَّهُ طَغَى ، فَقُلْ : هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ؟ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ؟ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ، فَكَذَّبَ وَعَصَى ، ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ، فَحَشَرَ فَنَادَى ، فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ؛ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى —١— . أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ؟ بَنَاهَا ، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ، وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ، وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ —٢— .

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرْحها
الوادى المقدس	الوادى المطهّر ، وهوَ بِطُور سيناء .
طُوَى	اسم الوادى .
طغى	تجاوزَ الحد فى تعديه على بنى إسرائيل .
تزَكّى	تتطهرَ منَ الرذائل .
فتخشى	فتخافَ الله ، وتتركَ المعاصىَ .
الآية الكبرى	انقلابَ العَصَا حيّةً .
أدْبرَ يسعى	أعرضَ عنهُ ، ودبّرَ المكايد .
فحشرَ فنادى	فجمعَ السحرةَ والجنودَ ، وقامَ فيهمْ خطيباً .
نكالَ الآخرَة والأولى	أغرقهُ فى الدنيا ، وسيعذبهُ فى الآخرة .
عبرةً	موْعظة .
أشد خلْقاً	أصْعبُ إيجاداً .
رَفعَ سمْكها	جعلها مُرْتفعة .
سوّاها	خلقها خاليةً من العيوب .
أغطشَ	أظلمَ .
أخرجَ ضُحاها	أظهرَ ضَوْء شمسها .
دَحاها	بسطها ومهّدها للسكنى بها .
مرْعاها	نباتها يأكلُ منهُ الناسُ والحيوان .

الألفاظ	شرْحها
أرْساها	ثبّتها على وَجه الأرْض .
متاعاً لكمْ	لأجل أنْ تتمتعوا .
أنعامكم	حيواناتكمْ منْ إبل وَبقر وغنم .

مُجملُ المعنى

١ — أرادَ اللهُ أنْ يهوّنَ على سيدنا مُحمد صَلى اللهُ عليه وَسلمَ احتمالَ أذى قومه، وتكذيبهمْ إياهُ، واستهزائهمْ بما يذكرهُ منْ أحوَال يوْم القيامة، فأنبأهُ أنّ موسَى أرْسلهُ اللهُ إلى فرْعونَ، وهوَ أشدّ منْ قريش بطشاً، فتمرّدَ على موسى، فأراه بعضَ المعجزات، فكذبهُ وادّعى الألوهيةَ، فعاقبهُ اللهُ فى الدنيا بالإغراق، وفى الآخرَة بالإحراق .

٢ — وليسَ بعثُ الناس أحياء بعدَ الموْت، منَ الأمور الصعبة على الله، لأنّ البعثَ أسْهلُ منْ خلق السموات والأرض، والنهار والليل، والماء، والنبات، والجبالِ؛ وقدْ خلقَ اللهُ ذلكَ كلهُ ليتمتعَ به الناسُ والأنعام .

(٣)

من الآية ٣٤ من سورة النازعات ، إلى آخر السورة

فَإِذَا جَاءَتْ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى ، يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَى ، وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ؛ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ؛ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى –١– يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ : أَيَّانَ مُرْسَاهَا ؟ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ! إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ؛ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا . كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا –٢– .

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرْحها
الطامّةُ الكبرَى	الداهيةُ العظيمةُ ، وهيَ يوْمُ القيامة .
ما سعى	ماعَمِلهُ منْ خير وشرّ .
برِّزَتِ الجحيمُ	أظهرَتْ جهَنمُ .
آثرَ الحياةَ الدنيا	فضّل ملاذّ الدنيا .
المأوَى	المرْجعُ والمستقر .

شرْحها	الألفاظُ
خشيَ قيامهُ بينَ يديه يوم القيامة .	خافَ مقامَ ربه
اتباع الشهوات .	الهوَى
القيامة .	الساعة
متى قيامها ؟	أيانَ مُرْساها ؟
لا تعلمها أنتَ ولاَ غيرُك .	فيمَ أنتَ منْ ذكرْاها ؛
لا يعلمُ وقتها إلا اللهُ .	إلى ربكَ منتهاها
محَذِّرُ ومخوِّفُ .	منذرُ
لمْ يمكثوا فى قبورهم .	لمْ يلبثوا

مُجملُ المعنى

١ — إذا جاءَ يوْمُ القيامة ، يتذكرُ كلّ إنسان ما عمله فى الدنيا منْ خير أوْ شرّ ، ويجازَى عليه : فأما منْ عصَى اللهَ ، وفضّل شهوات نفسه على رضا الله ، فمصيرُهُ النارُ ؛ وأما منْ أطاعَ الله ، وابتعدَ عن الشرور والآثام ، فجزاؤهُ الجنةُ .

٢ — يسألُ الناسُ النبيّ صَلى الله عليه وسلم ، عنْ موْعد يوْم القيامة ، ولكنّ الله قدْ انفردَ وحده بعلمه ، وعملُ النبيّ هوَ إنذارُ الكافرينَ ،

وتبشيرُ المؤمنينَ ، فإذا بُعثَ الناسُ للحساب ، ظنّ الكافرونَ أنهم لمْ يقيموا في قبورهم إلا وقتاً قصيراً .

سُورَةُ عَبَسَ

نزلت بمكة ، وآياتها ٤٢ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

من الآية الأولى إلى الآية ٢٣

(١)

عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ، ومَا يُدْرِيكَ ؟ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ، فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ، ومَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ، وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ، وهُوَ يَخْشَى ، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى —١— . كَلَّا ! إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ، فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ، فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ، بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ —٢— . قُتِلَ الْإِنْسَانُ ، مَا أَكْفَرَهُ ! مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ؟ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ، كَلَّا ! لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرْحها
عبسَ وتولَى	قطَّبَ وجههُ وأعرَضَ .
الأعْمى	عبدُ الله ابنُ أم مكتوم .
وَما يُدْرِيكَ ؟	وما يعرفكَ ؟
يزّكى	يتطهرُ منَ الذنوب بما يَسمعُ منك .
يذّكرُ	يتعظُ .
استغنى	كانَ غنياً بماله وقوّته .
تصَدّى	تتعرضُ لهُ ، وتُقبلُ عليه .
وما عليكَ	ليسَ عليكَ بأسٌ أوْ ملامةٌ .
ألا يزّكى	ألا يسلْمَ الكافرُ .
يسعى	يسرعُ إلى التعلم والمعرفة .
يخشى	يخافُ اللهَ .
تَلَهى	تتشاغلُ .
كلاّ	لا تعدْ إلى مثل هذا .
إنها	إن القرْآنَ الكريم ، والمرادُ : سوَرُهُ وآياته .
تذكرةٌ	موْعظةٌ .
ذَكرَهُ	حفظه واتعظَ به .
مكرّمة	معظمة عندَ الله .
مرْفوّعة	رَفيعة المنزلة .

الألفاظُ	شرْحها
سَفَرَة	ملائكة تكونُ رُسلاً بينَ الله ورُسله .
بَرَرَة	مطيعينَ .
قتلَ الإنسانُ	لُعنَ وقُبِّحَ .
نطفة	ماء يسير مَهين .
فقدّرَه	فسوّاهُ وهيّأهُ .
السبيلَ يسَّرَهُ	بيّنَ لهُ طريقَ الخير والشر .
أقبرهُ	جعلَ لهُ قبراً يُدْفنُ فيه .
أنشرَهُ	بعثه وأحياه .
لَمَّا يَقض ما أمرَهُ	لمْ يفعلْ ما أمرَ الله به .

مجمل المعنى

١ — جلسَ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم يوْماً بمكةَ ، وعندهُ بعضُ عظماء قريش ، يدعوهمْ إلى الإسلام ؛ فجاءهُ رجلٌ فقيرٌ أعْمى ، وهو عبد الله ابن أم مكتوم ، وقالَ له : يا رَسولَ الله ، علمنى مما علمك الله ، وكرّرَ ذلكَ ، لعدَمِ رؤيته ما كانَ يفعله النبيّ ، فكرِهَ الرّسولُ منْ ذلكَ الرّجل أنْ يقاطعه ، فعبسَ وأعرَضَ عنهُ ، فعاتبَ اللهُ نبيّهُ على إعراضه عنْ رجل جاءَهُ مستفيداً ، وإقباله على غيره ، وبيّنَ لهُ أنهُ ليسَ عليه لوْمٌ فيمنْ بَقِيَ على كفره ، فينبغى ألا يبعثه الحِرْصُ على إسلامه ، إلى الإعراض عمنْ أسلم .

٢ — يقولُ اللهُ سبحانهُ وتعالى : إنّ آيات القرآن الكريم كلها مواعظُ بيّنةٌ ظاهرةٌ ، يفهمها ذوو العقول السليمة ، وهى مدوّنةٌ فى صُحف مرْفوعة القدر ، لا يمسّها إلا المطهّرُون ، تنزلُ بها الملائكةُ الأبرارُ على خير رسله ، فسواءٌ أآمنَ بها الكفار أمْ لمْ يؤمنوا ، فلا تلتفتْ إليهمْ ؛ وما عليك إلا البلاغ ، فلا تشغلْ نفسكَ بهمْ ، ولا تعرضْ عمنْ آمنَ بالله ، وصَدقَ برسالتكَ .

٣ — لعنَ اللهُ سبحانهُ وتعالى الإنسانَ الكافرَ ! فما أشدّ جحوده ! ألا يذكرُ أنّ اللهَ تعالى أوْجدهُ منْ ماء سائل حقير ، وجعله خلقاً مستوياً ، وبيّنَ لهُ طريقَ الخير وطريقَ الشرّ ، ثم أماتهُ بعدَ ذلكَ ، وأمر أن يتخذ له قبر يوارى فيه جسده تكريماً له ، ثمّ هوَ بعدَ ذلكَ يبعثهُ فى الوقت الذى يريدهُ ؟ أليسَ ذلك كلهُ كافياً لإيمانه ؟

(٢)

من الآية ٢٤ من سورة عبس إلى آخر السورة

فَلْيَنظُرِ الإنْسانُ إلى طَعامِهِ ، أَنَّا صَبَبْنا الْماءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنا الأرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنا فِيها ، حَبًّا ، وعِنَبًا ، وقَضْبًا ، وزَيْتونًا ، ونَخْلاً ، وحَدائِقَ غُلْبًا ، وفاكِهَةً ، وأَبًّا — مَتاعًا لَكُمْ ولِأنْعامِكُمْ -١- . فَإِذا جاءَتِ الصّاخَّةُ ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وأُمِّهِ وأَبِيهِ ، وصاحِبَتِهِ ، وبَنِيهِ ؛ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ، ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ؛ ووُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ ، تَرْهَقُها قَتَرَةٌ ؛ أُولٰئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرْحها
فلينظر	فليتأملْ .
صَبينا الماء صباً	أنزلناه منَ السحاب .
شققنا الأرض	جعلنا النباتَ يشق الأرضَ .
َقضْباً	نباتاً ُقطعَ فأكلَ طريًّا .

الألفاظُ	شرْحها
غُلباً	ملتفةَ الأشجار كثيرتَها .
أبًّا	مَرْعى تأكله البهائم .
الصّاخّةُ	الصيحة الشديدة التى تصم الآذان يوم القيامةُ .
صاحبته	زوْجته .
شأنٌ يُغنيه	حالٌ يَشْغَلُه عنْ غيره .
مسفرَةٌ	متهللةٌ .
عليها غبرَةٌ	يعلوها الغبار .
ترْهَقها قترةٌ	يعلوها سوادٌ .
الفجرَةُ	الذينَ يخرُجونَ عنْ حدود الدين .

مجمل المعنى

١ — إذا لمْ يلتفت الإنسانُ إلى ما فى نفسه ، ليعرفَ قدرةَ الله ، فليتأملْ فى أقرَبِ الأشياء إليه ، وهوَ طعامهُ الذى عليه قِوامُ حياته — يجدْ أنّ اللهَ أنزلَ الماءَ منَ السّماء ، فأرْوَى الأرْضَ ، فأنبتتْ أنواعَ الطعام ، ليستمتعَ به هوَ والحيوانُ الذى ينتفعُ به : كالحبّ والفاكهة والزيتون والمرْعى .

٢ — إذا جاءَ يوْمُ القيامة ذهَلَ كلّ إنسان عنْ أقرَب الناس إليه ،

وشُغلَ بنفسه ، وصارَ الناس قسمين : قسماً مسرُوراً مبتهجاً ، وهمُ المؤمنونَ ؛ وقسماً كئيباً حزيناً ، وهمُ الكافرُونَ .

سُورةُ التَّكْوِير

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٩ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرتْ ، وإِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ ، وَإِذا العِشارُ عُطِّلَتْ ، وإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ ، وإِذا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، وإِذا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ، وإِذَا الْمَوْءودَةُ سُئِلَتْ : بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ؟ وإذا الصُّحُفُ نشِرَتْ ، وإِذا السَّماءُ كُشِطَتْ ، وإذا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وإذا الجَنَّة أُزْلِفَتْ — عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ —١— . فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ، واللَّيْلِ إذا عَسْعَسَ ، والصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ ، إِنَّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ، ومَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ، ولَقَدْ رَآهُ بالْأُفُقِ الْمُبِينِ ، ومَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بضَنِينٍ ، ومَا هُوَ بقَوْلِ شَيْطَانٍ

رَجِيمٍ —٢— . فأينَ تَذْهَبُونَ ؟ إنْ هُوَ إلّا ذِكْرٌ لِلعالَمِينَ ، لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ ، وَمَا تَشَاءُونَ إلّا أنْ يَشَاءَ اللّٰهُ رَبُّ الْعالَمِينَ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرْحها
كُوِرَتْ	غارَتْ وَذهبَ ضَوْءها .
انكدَرَتْ	أظلمتْ .
سُيِّرَتْ	سارَتْ فى الجو سيرَ السحاب .
العِشَارُ عُطلتْ	السحبُ لمْ تمطرْ .
حُشِرَتْ	ماتتْ .
سُجِّرَتْ	تفجرتْ ، وفاضت .
النفوسُ زُوِّجتْ	عادت الأرْوَاحُ إلى الأجسام .
المَوْءودَةُ	المدْفونَة حيةً ، وكانَ العرَبُ يئدُون بناتِهِم خشيةَ الفقر والعار .
الصحفُ	المكتوبُ فيها الأعمال .
كُشِطتْ	أزيلتْ .
سُعِّرتْ	أوقدَتْ نارُها بشدة .

الألفاظ	شرحها
أزلفتْ	قُرِّبتْ .
أحضرَتْ	عَمِلتْ .
لا أقسمُ	أقسمُ قسماً مؤكداً .
الخنّس	الكواكب التى تختفى عَن البصر نهاراً .
الكُنّس	الكواكب التى تظهر للعين ليلا .
عسعس	أقبلَ ظلامهُ .
تنفس	ظهرَ .
رَسول	هوَ جبريلُ عليه السلامُ .
مَكين	صاحب مكانة ومنزلة .
مطاع ثمّ	مطاع بينَ الملائكة .
أمين	محافظ على الوَحى .
صاحبكمْ	النبىّ صلى اللهُ عليه وَسلم .
الغيب	ما يوحى إليه .
ضَنين	بَخيل : لاَ ينتقصُ شيئاً منهُ .
وَلقدْ رآهُ	رأى مُحَمدٌ جبريلَ عليهما السلامُ .
بالأفق المبين	رُؤيةَ عين .
رَجيم	ملعون .
أينَ تذهبونَ ؟	كيف تَضلونَ بعدَ ظهور الحق ؟
إنْ هوَ إلا ذكرٌ	ليسَ القرآنُ إلا عظةً .
يستقيمَ	يتبعَ الحق .

مجمل المعنى

١ — إذا اختلَّ نظامُ الكوْن، فذهبَ ضوْء الشمس، وأظلمت النجومُ، وانقطعَ المطرُ، وماتت الوحوشُ، وتفجرَت البحارُ، وعادت الأرواح إلى الأجسام، وسئلت الموءُودةُ عن سْبب قتلها، ونُشرَتْ صحائفُ الأعمال، ووقفت الخلائقُ أمامَ أمرين: إما النار الموقدة للعصاة، وإما الجنة الدانية للمطيعين، إذا حصَلَ ذلكَ كلهُ، يتذكرُ كلّ إنسان ما قدمَ من ْخير وشرّ في الدنيا.

٢ — يؤكدُ اللهُ سبحانهُ وتعالى، أنْ القرآنَ قوْلُ جبريلَ عن الله، واللهُ أمرَهُ بتبليغه إلى نبيّه. وليسَ محمدٌ مجنوناً كما يدّعى الكفارُ، لكنهُ رسولُ الله، جاءَهُ جبريلُ بالوحى. فلم يبخلْ به عليكم، وبلّغهُ إليكمْ.

٣ — إذا ظهرَ لكمُ طريقُ الخير، وطريقُ الشرّ، فالذى يريدُ لنفسه الخيرَ يسلكُ طريقَ الخير، ويوفقهُ اللهُ إليه.

سُورَةُ الانفِطارِ

نزلت بمكة وآياتها ١٩ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إذَا السَّماءُ انفَطَرَتْ ، وَإذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ، وَإذا
الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ، وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ، عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ —١— . يٰأَيُّها الْإِنْسَانُ ، ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ، الَّذِى
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فعَدَلَكَ ، فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا شاءَ رَكَّبَكَ ؟ كَلَّا !
بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ، وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ، كِرَامًا كَاتِبِينَ ،
يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ —٢— . إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى
جَحِيمٍ ، يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّين ، وَمَا هُمْ عَنْها بِغائِبِين ؛ وَما
أَدْراكَ مَا يومُ الدِّينِ ؟ ثُمَّ مَا أَدْراكَ ما يَومُ الدِّينِ ؟ يَوْمَ
لَا تَمْلِكُ نَفسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
انفطرَتْ	انشقتْ ، فاختل نظامها .
انتثرَتْ	تساقطتْ لزَوال التماسك بينها .
فُجِّرَتْ	اختلطَ بعضها ببعض .
بُعثِرَتْ	أخرِجَ موتاها .
قَدَّمتْ	عَملتْ من طاعة .
أخرَتْ	تركتْ منْ طاعة .
ما غرك بربِّكَ ؟	أى شيء خدعكَ ، فكفرْتَ بربك ؟ .
فسوّاكَ	فجعلكَ حسنَ الصورة ، سالمَ الأعضاء .
فعدلكَ	فصيركَ معتدلا ، متناسبَ الخلق .
فى أى صُورةٍ ما	فى أعجب صُورَة وأتقنها .
بالدِّين	بالجزاء والحساب .
لحافظينَ	ملائكةً يحفظونَ أقوالكم وأعمالكمْ .
الأبرارَ	المؤمنينَ .
الفجارَ	الكفارَ .
لفى جحيم	لفى دار عذاب .
يَصْلَوْنها	يُقاسُونَ عذابها .
يوم الدِّين	يوم الحساب والجزاء .

الألفاظ	شرْحها
وما هُمْ عنها بغائبين	لا يخرُجونَ منها .
وَما أدراكَ ؟	أى شيء أعلمكَ ؟
وَالأمرُ	وَالحكمُ .

مجمل المعنى

١ — عند ما يجيءُ يوْمُ القيامة تتشققُ السّماءُ ، وتتساقطُ الكواكبُ ، وتختلطُ مياهُ البحار ، بزوال الحواجز الأرضيّة ، وتخرُجُ الموتى منَ القبور ، ليحاسبوا على أعمالهم فى الدنيا ، فيعرفُ كل منهمْ ما عمِلَ منْ طاعة ، وما ارتكب منْ معصية .

٢ — منَ الحمق أنْ يغترّ الإنسانُ بكرَم ربّه ، فيترُكَ طاعتهُ وهوَ الذى خلقهُ فى صُورة حسنة ، وقامة معتدلة ؛ وإنّ الذى وهبَ لكَ النعمَ السابقةَ ، لا يستحقّ أنْ تتركَ طاعتهُ ، أوْ تنكرَ يومَ الجزاء الذى يحاسبك فيه على أعمالك ، وقدْ وكّلَ بكَ ملائكةً أطهاراً أمناءَ ، يحصُونَ عليكَ جميعَ أعمال الخير والشرّ .

٣ — ولقدْ أعدّ اللهُ لعباده المؤمنينَ داراً يتنعمون فيها . وأعدّ للكفار دارَ عذاب يشقَوْنَ فيها يوْمَ القيامة ، ولا يخرجونَ منها أبداً ؛ وإنّ يوْمَ الحساب يوْمٌ شديدُ الهوْل ، لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يدفعَ عنْ أحد فيه شرّاً ، فاللهُ سبحانهُ وتعالى هوَ الذى يحكم فى عباده بما يشاءُ .

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

نزلت بمكة وآياتها ٣٦ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٧ من سورة المطففين

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ؟ —١— كَلَّا ! إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ؟ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ : الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ، وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، كَلَّا ! بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ —٢— . كَلَّا ! إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ، ثُمَّ يُقَالُ : هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
وَيلٌ	عذابٌ شديدٌ .
للمطففين	للذينَ يظلمونَ الناسَ فى الكيل والوزن .
اكتالوا على الناس	أخذوا منَ الناس بالكيل .
يستوْفونَ	يأخذُونَ الكيل وافياً .
كالوُهمْ	أعطَوْهمْ شيئاً بالكيل .
وزَنوُهمْ	أعطوْهم شيئاً بالوزن .
يُخسرُونَ	ينقصونَ الكيلَ والوزن .
ألا يظن ؟	ألا يعلمُ .
مبعوثُونَ	محاسبونَ .
ليوم عَظيم	فى يوْم القيامة .
يقومُ الناسُ	يقومونَ من قبورهم .
كلاّ	حقاً .
كتاب الفُجاَّر	صحف أعمال الفجار ، جمعُ فاجر ، وهو العاصى .
سِجِّينٍ	منزلة منحطةٍ .
مرْقومٌ	واضحُ الكتابة .
أثيم	مذنب .
أساطيرُ الأولين	أقاصيصُ مكذوبةٌ .

الألفاظ	شرْحها
رَانَ على قُلوبهمْ	غلبَ عليها .
لمَحْجوبونَ	لممنوعُونَ من رُؤية الله .
لصالو الجحيم	لداخلونَ النارَ ، وَمُقاسونَ حرّها .

مجمل المعنى

١ — إنّ عذابَ الله يقعُ على الذينَ إذا كانَ لهم شيْءٌ عندَ أحد استوفوه كاملا ، وإذا كانَ لأحد شَيْءٌ عندهمْ أعطوْهُ ناقصاً ، ولوْ كانوا يظنون أنهمْ مبعوثونَ ومحاسبونَ على ما يعملونَ ، ما فعلوا ذلكَ .

٢ — إنّ الذينَ يعصُونَ اللهَ ، نرَى يوْم القيامة صُحفَ أعمالهمُ الخبيثة فى منزلة منحطة ،لا تساوى عند الله شيئاً ، وهؤلاء لهمُ العذاب فى الآخرَة ، بسبب عصْيانهم وتكذيبهمْ ، وادعائهمْ أنّ القرآنَ أقاصيصُ وضَعها السابقونَ ، معَ أنهُ هوَ الحقّ ، ولم يدركوهُ لأنّ الكفرَ أضلّهمْ عنْ معرفته .

٣ — هؤلاء الكافرُون يُحجبونَ عنْ رحمة الله ، ويدخلونَ النارَ يقاسونَ حرّها وشدّتها ، ويقالُ لهمْ : هذا هوَ العذابُ الذى كنتمْ لا تصَدقون بوقوعه وأنتمْ فى الدنيا .

(٢)

من الآية ١٨ من سورة المطففين إلى آخر السورة

كَلّا ! إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ، وَما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ ؟
كِتابٌ مَرْقُومٌ ، يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ . إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ ،
عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ،
يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ، خِتامُهُ مِسْكٌ ، وَفِي ذٰلِكَ
فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ ؛ وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ : عَيْناً يَشْرَبُ بِها
الْمُقَرَّبُونَ —١— . إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
يَضْحَكُونَ ، وَإِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى
أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ، وَإِذَا رَأَوْهُمْ قالُوا : إِنَّ هٰؤُلاءِ
لَضالُّونَ ، وَما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِينَ —٢— . فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا
مِنَ الْكُفّارِ يَضْحَكُونَ ، عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ ، هَلْ ثُوِّبَ
الْكُفّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ ؟ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الأبرار	المطيعينَ .
عِلِّيِّين	منزلة رَفيعة .
وما أدْراكَ ؟	وما أعلمكَ ؟ .
يشهدُهُ المقربونَ	يراهُ الملائكةُ .
الأرائك	مقاعد منجَّدة ، ذات مُتكآت .
نَضرةَ النعيم	بهجةَ التمتع وحسنهُ .
من رَحيق	من شراب خالص لا غش فيه .
مختوم	لهُ ختامٌ ، أىْ عاقبةٌ .
ختامه مسكٌ	عاقبتهُ رَائحةُ المسك .
ومزاجُه	ما يخلطُ به ذلكَ الشرابُ .
من تسنيم عيناً	منْ عين مُرْتفعة يتدفق منها الماء بسهولة .
يشرَبُ بها	يشرَبُ منها .
أجرَموا	كفروا .
من الذينَ آمنوا يضحكون	يستهزئونَ بالمؤمنين .
يتغامزُونَ	يشيرُونَ إليهم استهزاءً .
انقلبوا فكهينَ	رَجعوا ضاحكينَ ساخرينَ من المؤمنين .
ضالّونَ	منحرفُونَ عن الحق .
حافظينَ	شاهدينَ بهدايتهمْ أوْ ضَلالهم .
ثُوّبَ	جُوزىَ .

مجمل المعنى

١ - إنّ الذينَ آمنوا وعملوا الصّالحات ، لا يضيعُ عملُ عامل منهم ، بلْ هوَ محفوظٌ فى كتاب رَفيع المنزلة ، يراهُ المقرّبونَ إلى الله، وهؤلاء يدخلونَ الجنةَ ، ويتمتعونَ بنعيمها ورَاحتِها : يجلسونَ على مقاعدَ منجّدة ذات متكآت ، فى مقاصيرَ مزينة ، وينظرُون ما أمامهمْ من أنواع الجمال ، ويضحكونَ ويستبشرُونَ ويشرَبونَ شراباً خالصاً ، تفوحُ منهُ رائحةُ المسك بعدَ شربه ؛ ومنْ يـرِد مزْجهُ يمزُجهُ بماء يأتى منْ عين عالية يشربُ منها الأبرارُ ، يخرج من صنابير أو نحوها .

٢ - إنّ الكفارَ كانوا يسخرُونَ منَ المؤمنينَ فى الدنيا ، وإذا مرّوا بهمْ أشارُوا إليهم استهزاء ، وإذا رَجعوا إلى أهلهمُ الكفار ، رَجعوا ضاحكينَ منَ المؤمنينَ،ورَموْهمْ بالضلال ، والانحراف عن الحقّ ، معَ أنهمْ غيرُ مكلّفين هدايتـهَم ْأوْ ضَلالهمْ ، أوْ مراقبَـتهمْ .

٣ - وفى يوْم القيامة تنعكسُ القضية ، ويسخرُ المؤمنونَ منَ الكافرينَ ، الذينَ يعاقَبونَ بكفرهمْ ، ويدخلونَ النارَ .

سُورَةُ الاِنْشِقَاقِ

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٥ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّماءِ انْشَقَّتْ ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ ، وَإِذا الْأَرْضُ
مُدَّتْ ، وَأَلْقَتْ ما فِيها وَتَخَلَّتْ ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ .
يٰأَيُّها الْإِنْسَانُ ، إِنَّكَ كادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا ، فَمُلاقِيهِ : فَأَمَّا
مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيراً ،
وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَرَاءَ
ظَهْرِهِ ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ، وَيَصْلٰى سَعِيرًا ، إِنَّهُ كانَ فِي
أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ، بَلَى ، إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ
بَصِيرًا —١—. فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ، وَاللَّيْلِ وما وَسَقَ ، وَالْقَمَرِ إِذا
اتَّسَقَ ، لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ، فَما لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ؟ وَإِذا
قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ !؟ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُكَذِّبُونَ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ،
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ —٢—.

شرح الألفاظ

شرْحها	الألفاظُ
استمعتْ ، فأطاعتْ وانقادَتْ .	أذنتْ
كان انقيادها أمْراً لازماً .	حُقّتْ
نُسِفتْ جبالها ، فانبسطَ سطحها .	الأرضُ مُدّت
أخرَجتْ ما فى باطنها من أموات ونيران ومَعادنَ .	ألقتْ ما فيها
لمْ يبقَ فى باطنها شىء .	وتخلّتْ
مُجِدّ فى طلب الدنيا .	كادحٌ
تقدمَ بصحيفة أعماله الطيبة .	أوتىَ كتابهُ بيمينه
ليّناً سهلا .	يسيراً
يرْجعُ .	ينقلبُ
فريق المؤمنينَ .	أهله
تقدمَ بصحيفة أعماله السيئة .	أوتىَ كتابهُ وراء ظهره
يتمنى الموتَ فراراً منْ موقفه .	يدْعو ثُبوراً
ناراً مستعرَةً .	سعيراً
أهل الدنيا .	أهله
لنْ يرْجعَ حيًّا للحساب .	لنْ يحورَ

شرحها	الألفاظُ
عالماً .	بصيراً
الحمرَة التى تظهرُ فى الأفق الغرْبىّ ، بعُيد الغروب .	الشفق
جمعَ كل المخلوقات تحتَ ظلمته .	وسقَ
تمّ وكمل .	اتسقَ
لتقاسُنّ .	لترْكبُنّ
حالةً بعدَ حالة ، وشدّةً بعدَ شدة .	طبقاً عنْ طبق
فلماذا لا يؤمن الكافرونَ ، وقدْ علموا أنّ آخرتهم سيئة ؟	فمالهم لا يؤمنون ؟
يخضعونَ .	يسجدون
يجمعونَ فى صُدُورهمْ منَ الكفر والتكذيب .	يوعون
فأنذرهمْ .	فبشرْهُمْ
مقطوع .	ممنون

مجمل المعنى

١ — حينما ينتهى أمرُ الدنيا ، ويأتى أمرُ الآخرَة ، يختلّ نظام الكوْن ، ثمّ يُبعثُ الناسُ ، وقدْ تقدّمَ كلّ منهمْ بما عمله فى الدنيا منْ خير وشرّ : فأما المؤمنُ فإنهُ يحاسبُ حساباً يسيراً ، ويدخلُ الجنة ، وأما الكافرُ فإنهُ يحاسبُ حساباً عسيراً ، ويدخلُ النارَ ، بعدَ أنْ كانَ متمتعاً بلذات الدنيا ، ظاناً أنهُ لنْ يبعثَ بعدَ الموت للحساب .

٢ — يؤكدُ الله سبحانهُ وتعالى للكافرينَ أنهم سيبعثونَ بعدَ الموت ، فلماذا لا يؤمنونَ ؟ ولماذا لا يخضعونَ لأوامر القرآن ونواهيه؟ مثلُ هؤلاء لهمْ فى الآخرَة عذابٌ عظيمٌ ، أما المؤمنونَ فلهمْ ثوابٌ دائمٌ . ونعيمٌ مقيمٌ .

سُورَةُ الْبُرُوجِ

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٢ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّماءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ، وَشاهِدٍ ومَشْهُودٍ —١—.
قُتِلَ أصْحابُ الْأُخْدُودِ : النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْها
قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ
إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ، الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، وَاللهُ عَلَى كلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ —٢—. إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ، فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ ،
وَلَهُمْ عَذابُ الْحَرِيقِ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الْأَنْهارُ ، ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ —٣—.
إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ، إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ —٤—. وَهُوَ الْغَفُورُ

الْوَدُودُ ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ، فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ —٥— . هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ : فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ؟ —٦— . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ ، وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ، بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ، فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ —٧— .

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرْحها
البرْوج	منازل الكواكب والشمس والقمر .
اليوم الموْعود	يوْم القيامة .
شاهد	الله .
مشهود	الإنسان الذى تشْهدُ عليه جوارحهُ يوْمَ القيامة .
قُتلَ	لُعنَ .
الأخدُود	الشق فى الأرْض ، وأصحاب الأخدود : قوم باليمن ، كانوا ذوى بأس وقوة .
النار	أصحاب النار .
شهودٌ	حضُورٌ .
ومَا نَقموا منهم	ومَا عابوا وَأنكروا عليهمْ .
فتنوا المؤمنينَ	اختبرُوهمْ بالإحراق .

الألفاظ	شرحها
بطشَ ربِّكَ	أخذَهُ الكفار بشدة .
يبدئ ويُعيدُ	يخلقُ الخلقَ ثُم يبعثهم .
الوَدُودُ	المحب لمنْ أطاع .
ذُو العرْش	صاحبُ السلطان والملك .
مُحيطٌ	عليمٌ بكل شىء .
مجيد	عظيم .
محْفوظٌ	لا يحصُلُ فيه تغييرٌ ولا تبديلٌ .

مجمل المعنى

١ — يؤكد الله سبحانهُ وتعالى، أنَّ بعض المؤمنينَ منَ الأمم السابقة، ابتلاهمُ اللهُ ببطش أعدائهمْ وإيذائهم، حتى حفرُوا لهمْ فى الأرْض حُفراً، وملئوها نيراناً، وألقوهمْ فيها، فانتقمَ اللهُ للمؤمنينَ، لأنهمْ صَبرُوا على أذى أعدائهمْ، فعلى المؤمنينَ أنْ يصْبرُوا على أذَى الكفار، فإنَّ اللهَ سينتقمُ لهمْ، كما انتقمَ منْ أصْحاب الأخدود .

٢ — أصْحابُ الأخدود قومٌ قساةٌ كافرُونَ، عاشوا قبلَ الإسلام، وغاظهمْ إيمانُ قوْمٍ مؤمنينَ، فحملوهم على الكفر، فأبوْا، فشقوا لهمْ أخدوداً، وأضرَموا فيه ناراً شديدةً، ثم جاءُوا بالمؤمنينَ واحداً بعدَ واحد،

وألقَوْهمْ فى النار ، وقعدوا على جوانبها ، ينظرونَ إلى المؤمنينَ وهم يحترقونَ ، ولا ذنبَ لهمْ إلا أنهمْ آمنوا بالله .

٣ — هؤلاء الكفارُ الذينَ عذّبوا المؤمنينَ والمؤمنات ، لنْ يُفلْتوا منْ عذاب الله ، وسيأخذهمْ اللهُ بعملهم أخذاً شديداً ، والمؤمنونَ والمؤمناتُ يدخلونَ الجنةَ .

٤ — يتهدّدُ اللهُ سبحانهُ الكافرينَ ، بأنّ عقابهُ يوْمَ القيامة سيكونُ شديداً ، لأنه قادرٌ ، ودليلُ قدرته أنهُ يخلقُ الناسَ أولا ، ثم يعيدُهمْ ثانياً .

٥ — يغفر اللهُ للتائب ذنبهُ ، ويحبّ مَنْ يخلصُ لهُ الطاعةَ ، وهوَ صاحبُ العظمة والسلطان ، يفعلُ ما يشاءُ .

٦ — هلْ بلغكَ يا محمدُ حديثُ الأمم الطاغية : مثل فرْعوْنَ وقوْمه ، وثمودَ وقبيلته ؟ لقدْ أخذهمُ اللهُ بذنوبهمْ ، فأغرَقَ فرْعوْنَ وقوْمهُ ، وأهلكَ ثمودَ .

٧ — فالكافرُونَ الذينَ يكذبونَ الأنبياء ، لنْ يجدوا لهمْ يوْمَ القيامة مهرَباً منْ عذاب الله ، فلا يحزُنكَ تكذيبُ قوْمكَ لكَ ، ولما جئتَ به منَ القرآن ، فإنهُ كتابٌ رَفيعُ المنزلة ، لا يأتيه الباطلُ ، ولا يدانيه الخطأ .

سُورَةُ الطَّارِق

نزلت بمكة ، وآياتها ١٧ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّماءِ ، والطَّارِقِ ، وَما أَدْرَاكَ ما الطَّارِقُ ؟ : النَّجْمُ الثَّاقِبُ ،
إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ —١— . فَلْيَنْظُرِ الْإنْسَانُ مِمَّ خلِقَ ؟ :
خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ ، إنَّهُ
عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ ، فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا
نَاصِرٍ —٢— وَالسَّماءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصدْعِ ، إنَّهُ
لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَما هُوَ بِالْهَزْلِ —٣—. إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ،
وَأَكِيدُ كَيْدًا ، فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ : أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا —٤—

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرْحها
الطارق	النجم .
الثاقب	المضيء .

شرْحها	الألفاظ
ما كل نفس .	إنْ كُلُّ نَفس
إلا عليها .	لَمَّا عليها
رَقيبٌ ، وُهوَ اللهُ .	حافظٌ
منْ أىّ شىء خُلقَ ؟	ممّ خُلقَ ؟
منصبّ .	دافق
ظهر الرجل ، أو ما يقال : له سلسلة الظهر .	الصلب
عظام الصدر من المرأة ، حيثُ تكونُ القلادةُ .	الترَائب
بعثه بعدَ مَوْته .	رجعه
تختبرُ وتُكشف .	تُبلى
الضمائرُ .	السرائرُ
ليس للإنسان قُوةٌ .	فما له من قوة
المطر يرجعُ إلى الأرْض ، بعدَ أن يخرجَ منها بخاراً .	الرجع
التى تنشق فيخرجُ النباتُ .	ذات الصدْع
قول يفصل بينَ الحق والباطل .	قوْلٌ فصْلٌ
باللعب والباطل .	بالهزْل
يدبرونَ المكايد .	يكيدُونَ

الألفاظ	شرحها
وأكيدُ	وأدبّرُ .
مهّلْ	لا تستعجلْ .
رُويداً	إمهالاً يسيراً .

مُجملُ المعنى

١ — يؤكدُ اللهُ سبحانهُ وتعالى أن كلَّ نفس عليها رَقيبٌ فى الدنيا . يرَاقبُ أعمالها وأرْزاقها وآجالها ، وهو اللهُ سبحانهُ وتعالى .

٢ — إنْ كنتم لا تصدقونَ أنَّ قدرَةَ الله تحيطُ بكمْ وبأعمالكمْ ، فتأملوا قدرَتهُ فى خلقكم ، فإنهُ أوجدكمْ منْ ماء ، وأنشأكمْ خلقاً كاملاً عاقلاً ، مدركاً قادراً ؛ ومنْ كانَ قادراً على خلقكم ، فإنهُ أقدرُ على إعادتكمْ بعدَ الموْت ، ليحاسبكمْ على أعمالكمْ ، فى يوْم لا يستطيعُ أحدٌ منكمْ أنْ يدفعَ فيه عنْ نفسه ، ولا أنْ يجدَ أحداً يدفعُ عنهُ .

٣ — يؤكدُ اللهُ سبحانهُ وتعالى أن ما جاءَ به محمدٌ ، هوَ القوْلُ الحقّ الذى لا شكَّ فيه .

٤ — إنَّ الذينَ لا يصدقونكَ يا محمدُ ، ويحاولونَ أنْ يخدعوا الناسَ ،

ويريدون بك السوء ، لن ينالوا منك ما يبتغون ، فدعهم يدبروا المكايد ، فإن الله سيبطل تدبيرهم ، ويرد كيدهم إلى نحورهم ، فتمهل عليهم قليلا ، ولا تستعجل عقاب الله لهم ، فإنه لا بد أن يحل بهم .

سُورَةُ الأَعْلٰى

نزلت بمكة ، وآياتها ١٩ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلٰى ، الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى ، والَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى ، والذى أَخْرَجَ الْمَرْعَى ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى —١— . سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ، إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ ، إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى —٢— . وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ، فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ، سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ، وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ، الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ، ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى —٣— . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، والآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، إِنَّ هٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى : صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سبّح اسمَ ربّك	مجّد ونزّهْ ربّكَ العظيمَ عمّا لا يليقُ به .
فسوّى	أوْجدَ العالمَ فى أبهى صورة ، وأتمّ خلق .
قدَّرَ	قدرَ لكل حيّ ما يُصلحهُ .
فهدَى	فعرَّفهُ طريقَ ما يصلحهُ .
أخرَجَ المرْعى	أنبتَ النباتَ .
غُثاء	باليًا هشيما .
أحوَى	مخضرًّا يميلُ إلى السواد .
سنقرئكَ	سيقرأ جبريلُ عليكَ القرْآن مرّات .
فلا تَنسى	لتأمن النسيانَ .
الجهرَ	الإعلانَ .
يخفى	يستترُ فى الضمائر .
ونُيسِّرُكَ لليسرَى	ونُوفّقكَ لعمل الخير .
ذكِّرْ	أبلغهمْ رسالتكَ .
يخشَى	يخافُ اللهَ .
ويتجنبها الأشقى	ولا يتعظُ الشقى الكافرُ .
النارَ الكبرَى	نارَ الآخرَة .

الألفاظ	شرحها
وَلا يحيا	وَلا يحيا حياةً طيبة .
وَذَكرَ اسمَ ربه فصَلى	وذكر صفات الله فخشعَ .
تؤثرُونَ	تفضلونَ .
الصحف الأولى	الكتب المنزلة قبلَ القرْآن .

مُجمل المعنى

١ — يجبُ علينا أن نعظمَ اللهَ ونمجدَهُ ، لأنَّ لهُ نعماً كثيرَةً علينا ، فهوَ الذى أوجدَ العالَم فى أحسن صُورة ، وأتم خلْق ، ويسَّرَ لكل حىّ ما يُصْلحهُ ، وبَيَّنَ لهُ طريقَ الخير وطريقَ الشرّ ، وأخرجَ لهُ النباتَ لينتفعَ به ، ثمّ حَوَّل ذلكَ النباتَ بالجفاف واليبوسة وتغيير اللونْ ، وكذلك الدنيا بعد نضارتها وازدهارها تزول وتفنى ، فلا يغتر الكافر بما يناله منها

٢ — وعدَ اللهُ نبيهُ أنهُ سينزّلُ عليه القرآن ، ليقرأهُ ويحفظهُ ، فلا ينسى شيئاً منه ، إلا إذا أراد الله ذلكَ ، فاللهُ يعلم ما ظهرَ من أحوال الناس وماخفى منها ، وهو الذى يهدى إلى عمل الخير .

٣ — ليسَ على النبىّ إلا أنْ يبلغَ الناس رسالته ، ويذكّرَهمْ

واجبهمْ لله ، فلا يحزُنه انصرافُ بعض الناس عنْ دعوتَه : فأما الذينَ يخافونَ الله ، فإنهمْ يؤمنونَ به ، ويصدقونَ برسالته ، وأما منْ غلب عليهم الشقاء ، فإنهمْ يكذبونَ برسالته ، ولا يصدقونَ دعوته ، فيدخلون النار فى الآخرَة ، ولا يموتون فيها فيستريحوا . ولا يحيون حياةً سعيدةً فيهنئوا ،

٤ — إنّ الذين لا يؤمنونَ إيماناً صادقاً ، يتغلغل فى صدورهم ، وتطمئن به قلوبهمْ . يفضلونَ الدنيا على الآخرَة ، مع أن الآخرة أفضَلُ منَ الدنيا ، وهذا شَىْءٌ بيّنه الله تعالى فى الكتب ، التى نزّلها على إبراهيمَ وموسَى .

سُورَة الغاشِيَة

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٦ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ ، تَصْلَى نارًا حَامِيَةً ، تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِنْ جُوعٍ ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ، فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ، فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ،

وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ —١— . أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ؟ !—٢— فَذَكِّرْ ، إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ، فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ . إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
الغاشية	القيامة .
خاشعةٌ	ذليلةٌ .
عاملةٌ ناصبةٌ	عَملتْ فى الدنيا ما أتعبها فى الآخرَة .
تصْلى	تقاسى وتذوقُ .
عين آنية	ينبوع ماء شديد الحرارَة .
ضريع	طعام رَدىء شائك ، غير مفيد .
ناعمةٌ	ذاتُ بهجة وَجمال .
لاغيةً	أحاديثَ لا فائدةَ فيها ، أوْ تؤذى سمْعكَ .
عينٌ جارِيةٌ	ينبوعُ ماء جار .

الألفاظ	شرْحها
نمارقُ	مـخـدّ اتٌ .
وزَرابىُّ مبثوثة	وبُسطٌ مفرُوشةٌ لها خـمَـلُ ، وهى الطنافس .
نصبتْ	أقيمتْ .
سطحتْ	مهدَتْ .
بمصيطر	بمتسلط .
تولّى وكفرَ	أعرَض وأنكرَ الحق .
إيابهمْ	رُجوعَهمْ .

مجمل المعنى

١ — هلْ سمعتَ قصّة ذلكَ اليوْم العظيم ؟ : يوْم القيامة الذى ينقسمُ فيه الناسُ قسمين : —

(ا) قسما ذليلا ، تعباً بما عملَ فى الدنيا ، ويعذبُ بسببه فى نارشديدة ، وإذا عطشَ لا يجدُ إلا ماءً حارًّا لا يطفىءُ ظمأ ، وإذا جاعَ لا يجدُ طعاماً يسمّنهُ أوْ يغنيه ، وهؤلاء همُ الكافرُونَ .

(ب) وقسما يظهرُ على وجهه البشرُ ، مطمئناً إلى حاله ، يدخلُ الجنة ، فلا يسمعُ كلاماً يؤذى سمعهُ ، وتتوافرُ لهُ أسبابُ النعيم : مياهٌ جاريةٌ ،

وسرُرٌ عاليةٌ ، وأكوابٌ على حافَةِ الماء ، ومِخَدّاتٌ وطنافس ، وهؤلاء هم المؤمنونَ .

٢ — إنّ الذى لا يؤمنُ بالله ، وينكرُ نعمتهُ عليه ، يجبُ أنْ ينظرَ إلى ما بينَ يديه منَ المخلوقات : كالإبل وخلقها ، والسماء ورَفعها ، والجبال وإقامتها ، والأرْض وبسطها ، ليعلم كمالَ قدرَة الله .

٣ — ذكّر الناسَ يا محمدُ ، ووجّهْ نظرَهمْ إلى ما يغفُلونَ عنهُ ، فأنتَ غيرُ مالك قلوبَهمْ ، ولكنكَ داعيهمْ إلى الإيمان ، واللهُ هوَ المتسلطُ عليهم ، فالذى لا يؤمنُ يعذبهُ فى الآخرَة ، ولا مفرّ لهُ منْ ذلك ؛ لأنّ مرجعهُ إلى الله وحده ، فيحاسبهُ .

سُورَةُ الفَجْر

نزلت بمكة ، وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

والْفَجْرِ ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَاللَّيْلِ إِذا يَسْرِ ، هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ ؟ —١— . أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ؟ وثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ؟ وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ ؟ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ

رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ –٢– فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا
مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ ، فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ، فَيَقُولُ : رَبِّى أَكْرَمَنِ .
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ، فَيَقُولُ : رَبِّى أَهَانَنِ –٣– .
كَلَّا ! بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ
الْمِسْكِينِ ، وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا
جَمًّا –٤– كَلَّا ! إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ
صَفًّا صَفًّا ، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ، يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ ،
وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ؟ يَقُولُ : يَا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ، فَيَوْمَئِذٍ
لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ، وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ، يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ
الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ؛ فَادْخُلِى فِى
عِبَادِى ، وَادْخُلِى جَنَّتِى –٥– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الفجر	فجر يوم الأضحى .
ليال عشر	من أول شهر ذى الحجة ، إلى نهاية يوم الأضحى ، وهى الأيام التى تقام فيها مناسك الحج .

الألفاظ	شرْحها
الشفع وَالوتر	مناسك الحج . يُؤدى بعضُها زوجاً ، وبعضُها فرْداً .
يسر	يسرى : يجىء ويقبل .
حجر	عقل .
بعاد إرَمَ	عاد : قبيلة منَ العرَب القُدَامى ، مسكنُها جنوبى جزيرة العرَب . وإرم : لقب القبيلة .
ذات العماد	صاحبة القوّة .
مثلها	مثلُ عاد فى قوّتها .
ثمودَ	قبيلة منَ العرب ، كانَ مسكنُها بَين الحجاز والشام .
جابوا الصخر	قطعوهُ ونَحتوهُ .
بالوَاد	بالوادى الذى كانوا يُقيمونَ فيه .
فرْعوْنَ	ملك مصرَ الذى كانَ فى زمن سيدنا مُوسى .
الأوْتاد	الأبنية العظيمة .
طغوْا	تجاوزُوا الحد فى الظلم .
فصَبّ عليهمْ	أنزَلَ عليهمْ .
سوْطَ عذاب	عذاباً شديداً .
بالمرْصاد	رَقيبٌ على عباده .
ابتلاهُ	اختبرَهُ بالغنى والفقر .
قدَرَ عليه رزقهُ	ضيّقَ عليه رزقهُ .
لا تكرمونَ اليتيمَ	لا تحسنونَ إليه .
ولا تحاضُّونَ	ولا يحث بعضكمْ بعضاً . وأصلها : تتحاضون .

الألفاظ	شرْحها
التراثَ	الميراثَ .
لمًّا	شديداً .
جَمًّا	كثيراً .
دُكَّت الأرْضُ	دقتْ جبالها ومرْتفعاتها ؛ حتى استوَتْ مع وَجه الأرض .
جاء ربَك	ظهرَ سلطانهُ وَعظمتهُ .
صَفًّا صَفًّا	صُفوفاً مُتتابعةً .
وَجيء يوْمئذ بجهنمَ	أُظهرَتْ للكافرين .
يتذَكرُ	يتنبهُ وتزُولُ عنهُ الغفلةُ .
وَأنى لهُ الذكرى ؟	ولا تنفعهَ الموعظةُ فى هذا الوَقت .
قدمْتُ لحياتى	عَملتُ عَملا طيباً .
عذاَبهُ	عذاَبَ الله .
لا يوثقُ	لا يَشُدُ وَيَرْبِطُ .
المطمئنةُ	المؤمنة .

مُجملُ المعنى

١ — يؤكدُ اللهُ سبحانهُ وتعالى أنّ الكافرينَ سيعذبونَ .

٢ — ألستَ تذكرُ يا محمدُ ما فعلَ اللهُ بقبيلة عاد . الملقبة بإرم ؛ التى كذبت نبيّها هوداً ، وكانوا فى زمنهمْ أقوَى الناس وأشدّهمْ ؟وكذلك َمافعل َبقبيلة ثمود ، التى كذبتْ نبيّها صالحاً ، وكانوا ممتازينَ بالقوّة ، فاتخذوا من َالجبال بيوتاً ؟

وكذلكَ ما فعلَ بفرْعوْنَ صاحب الجاه والعظمة ، وقدْ كذبَ نبيهُ موسى ؟ هؤلاء جميعاً طغَوْا وبغوْا ، وأفسدُوا وكذبوا أنبياءهمْ ، فعذبهمُ اللهُ وأهلكهمْ .

٣ — الإنسانُ إذا اختبرَهُ اللهُ ، فيسرَ لهُ رزقهُ ، ووسعَ عليه — ظنّ أنهُ ميزهُ عنْ غيره منْ خلقه بالنعيم ، وإذا ضَيّقَ اللهُ عليه رزقهُ غضبَ ، وظنّ أنه أهانهُ ، وليسَ الغنى والفقرُ دليلَ الكرامة أو الإهانة عندَ الله ، ولكنهُ يجازِى كلّ إنسان بعمله .

٤ — إذا كانَ الإنسانُ يظنّ أنّ الغنى والثروَةَ مَظْهَرُ كرامته عندَ الله ، ودليلُ إحسانه إليه ، وأنّ مظهرَ تحقيره وإهانته عندهُ الفقرُ والحاجةُ ، فما لهذا الإنسان لا يعطفُ على اليتيم ، ولا يطعمُ المسكينَ ! بلْ إنّ طمعهُ يحملهُ على الاستيلاء على حقوق اليتامى ، ويبلغُ به حبّ المال درجةً عظيمة ، تمنعهُ من السخاء والإحسان .

٥ — فى يوْم القيامة يستوى عالى الأرْض وسافلها ، وتصْطفّ الملائكةُ ، وتظهرُ جهنمُ ، كلُّ ذلك بأمر الله ، وحينئذ يتذكرُ الأنسانُ ما فعلهُ فى دنياهُ ، حيثُ لا تنفعهُ الذكرَى ، فيندمُ ندماً شديداً ، لأنهُ لمْ يقدّمْ فى الدنيا عملا ينفعهُ فى الآخرَة ، ويومئذ يتولى اللهُ عذابهُ فلا يعذّب كعذاب الله أحد ، ولا يوثق كوثاق الله أحد ، وأما المؤمنونَ إيماناً صحيحاً ، فهمْ إلى ربهمْ راجعونَ ، وفى جنته خالدون .

سُورَةُ الْبَلَدِ

نزلت بمكة ، وآياتها عشرون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ ، وأَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ ، وَوَالِدٍ
وَمَا وَلَدَ ، لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى كَبَدٍ —١—. أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ
عَلَيْهِ أَحَدٌ ؟ يَقُولُ : أَهْلَكْتُ مالًا لُبَدًا ، أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ
أَحَدٌ ؟ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ، وَلِسانًا وَشَفَتَيْنِ ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ؟ —١— .
فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ، وَما أَدْراكَ ما الْعَقَبَةُ ؟ فَكُّ رَقَبَةٍ ، أَوْ إِطْعَامٌ
فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ، يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ ؛
ثُمَّ كانَ مِنَ الذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ، وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ،
أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنا هُمْ أَصْحابُ
الْمَشْأَمَةِ ، عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
البلد	مكةَ .
حلٌّ	مقيمٌ .
والد وَما وَلدَ	آدَم وَذريته .
كبد	تعب وَمشقة .
أهلكتُ مالا	أنفقتهُ فى غير وجهه .
لُبَـدًا	كثيراً .
النجدَين	طريقى الخير والشر.
اقتحمَ	دخلَ بشدة .
العقبةَ	الأمرَ الشاق .
فكّ رَقبة	إعتاق عبد .
مسغبة	مجَاعة .
مقرَبة	قرابة .
متربَة	شدة فقر
تواصَوْا	أوْصَى بعضهم بَعضاً .
المرْحَمة	الرحمة .
أصْحابُ الميمنة	السعداء ، من اليُمن وهو البركة .
أصْحابُ المشأمَة	الأشقياء ، من الشؤم .
مؤصَدَةٌ	محيطةٌ مغلقة عليهم .

مُجْملُ المعنى

١ — يقسمُ اللهُ بمكةَ : البلدِ الحرام ، وبآدمَ وذريته ، أنّ الإنسان مخلوقٌ فى تعب ومشقة ، لأنه يقاسى فى الدنيا أحوالها ، وفى الآخرَة أهوالها .

٢ — هلْ يظنّ الإنسانُ المغرُورُ بقوّته ، أنه لا يقدرُ أحدٌ عليه ، فيضيّعُ مالهُ الكثير كلهُ ، فى غير وُجوه الخير ، كأنهُ يظنّ أنّ اللهَ لا يطلعُ عليه ، وهوَ الذى خلقَ لهُ ما يتمتعُ به ، منْ بصر ونطق ، وعقل يميزُ به الخيرَ منَ الشرّ .

٣ — لوْ تبصرَ الإنسانُ فيما وهبَ لهُ اللهُ ، لوجبَ عليه أنْ يسارعَ إلى عمل الخير : فيحرّرَ العبيدَ ، ويعطفَ على اليتيم ، وبخاصّة إذا كانتْ تربْطهُ به قرابةٌ ، ويطعم المسكينَ ، ثمّ هو معَ ذلكَ يستمسكُ بالإيمان ، والصّبر والرحمة ، والدعوَة إلى هذه الفضَائل ، ومنْ يفعلْ ذلكَ فى الدنيا فهوَ السعيدُ فى الآخرَة ، ومن لمَ يفعلهُ فهوَ فى نار جهنمَ ، يلقى فيها أشدّ العذاب .

سُورَةُ الشَّمْس

نزلت بمكة ، وآياتها ١٥ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاها ، وَالْقمَرِ إذَا تَلَاهاَ ، وَالنَّهارِ إذا جَلَّاهَا ،
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهاَ ، وَالسَّماء وَمَا بنَاهاَ ، وَالأرْضِ وَمَا طَحاهاَ ،
وَنفْسٍ وَمَا سَوَّاهاَ ، فَألْهَمَهَا فُجُورَها وتَقْوَاهاَ ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ
زَكَّاهاَ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهاَ —١— . كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهاَ ،
إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهاَ ، فقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ : نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهاَ —٢— .
فَكَذَّبُوهُ فعَقَرُوهاَ ، فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ ، فَسَوَّاهاَ ،
وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهاَ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
ضُحاها	ضيائها إذا أشرَقتْ .
تلاها	تبعها فى الضياء والنور .
جـَلاَّها	أظهرها .
يغشاها	يستُرها فتُظلمُ الآفاق .

الألفاظ	شرحها
السماء	الكوْن الذى فيه الشمسُ والقمرُ وسائر الكواكب .
طحاها	بسطها ومهّدها .
سوّاها	خلقها فى أحسن صُورَة .
ألهمها	أعلمها وأشعرَها .
فُجورَها	معصيتها .
تقواها	طاعتها .
أفلحَ	فازَ .
زَكّاها	نمّاها وطهّرها بالطاعة .
خابَ	خسِرَ .
دَسّاها	أفسدها بالمعصية .
ثمودُ	قبيلةٌ منَ العرب القُدامى .
بطَغوَاها	بطغيانها ومجَاوزَتها الحد فى العصيان .
انبعث	أسرَعَ .
أشقاها	الرجلُ الذى عقرَ الناقة .
رَسول الله	صَالحٌ عليه السلامُ .
ناقةَ الله	احذَرُوا ناقة الله فلا تمسوها بسوء .
سُقياها	شرْبها فى اليوم المعد لها .
فعقرُوها	فذَبحوها .
فدَمْدَمَ	فأهلكهمُ اللهُ بصَاعقة ، دَمَّرتْ بيوتهمْ .
بذنبهمْ	بتكذيبهمْ رَسولهُمْ ، وعقرهمُ الناقة .
فسوّاها	جعلَ الهلاكَ سواء بينهم ، فلمْ يُفلتْ منهمْ أحدٌ . والضميرُ لقبيلة ثمود .

الألفاظ	شرحها
ولا يخافُ عقباها	لا يبالى اللهُ عاقبةَ أعْماله كما يبالى الناسُ ، لأنهُ حرٌّ التصرف فى ملكه .

مُجملُ المعنى

١ — يُقسمُ اللهُ بمخلوقاته الدالة على قدرته : وهىَ الشمسُ والقمر وضياؤهما ، والنهار والليلُ ، وسائرُ ما فى الكوْن منْ كواكب ، والنفوسُ التى خلقها فى أحسن صُورَة ، ومنحها العقولَ التى تميز الخيرَ منَ الشرّ — يقسم أنّ المفلحَ الناجى منْ عقاب الله ، هوَ منْ طهَّرَ نفسهُ بالطاعات ، وأنّ الخاسرَ منْ أفسدَها بالمعاصى .

٢ — كانتْ ثمودُ قبيلةً منْ قبائل العرَب الأولين . فبعثَ اللهُ لهدايتهمْ نبيًّا منهمْ ، وهوَ صَالحٌ عليه السلامُ ؛ ولما طلبَ منهُ قوْمهُ أنْ يأتيهمْ بدليل يدلّ على صدقه ، قالَ لهمْ : هذه الناقةُ هىَ البيِّنةُ الدالةُ على أنى نبىٌّ مرْسلٌ لهدايتكمْ منْ عند الله ، فاجعلوا لها نصيباً منَ الماء تشربهُ فى وقت معلوم ، ولكمْ أنتمُ نصيبٌ آخر منهُ ، واحذرُوا أنْ تمسوها بسوء ، فيأخذكمْ عذابٌ أليمٌ .

٣ – ولكنّ القومَ لم يصدقوا صالحاً وخالفوه ، وترصدوا الناقة ، وأسرع إليها أشقاهم فذبحها ، فأهلكهم الله جميعاً بعصيانهم وذنوبهم .

سُورَةُ اللَّيْـــل

نزلت بمكة ، وآياتها ٢١ آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى ، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ، إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى –١– فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ، وماَ يُغْنِى عَنْهُ مالُهُ إِذَا تَرَدَّى –٢– . إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ، وإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ؛ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ، لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ، الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى ،

وسَيُجَنَّبُها الأَتْقَى : الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى ، وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ، إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ، وَلَسَوْفَ يَرْضَى –٣– .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
يغشى	يخفى بظلمته ضوْء النهار .
تجلّى	ظهرَ .
وما خلَقَ	وَخلْقِ .
سعيكمْ	عَملكمْ .
لشتّى	لمختلفٌ .
بالُحسنى	بأنّ الخصالَ الطيبةَ أحسنُ منْ غيرها .
فسنيسرُهُ لليسرَى	فسنهيئهُ لدُخول الجنة .
فسنيسرُهُ للعسرَى	فسنهيئهُ لدُخول النار .
ترَدّى	سقطَ فهلكَ .
أنذرْتكمْ	خوفتكمْ وحذرْتكمْ .
تلظّى	تتلهبُ .
لا يَصْلاها	لا يُقاسى عذابها .

الألفاظ	شرْحها
يتزَكى	يقصدُ وجهَ الله .
تُجزَى	يكافأ بها .
ابتغاء	طلب .

مُجملُ المعنى

١ — يقسمُ اللهُ بالليل إذا أظلمَ ، وبالنهار إذا ظهرَ ، وبخلقه أصْنافَ الذكور ، وأصْنافَ الإناث ، التى يتوقف عليها وجودُ الكائنات الحية ، أنّ عملَ الناس فى الحياة مُختلفٌ : فمنهمُ الطائعُ ، ومنهمُ العاصى ، ومنهمُ المحسنُ ، ومنهمُ المسىءُ .

٢ — فالناسُ صنفان : صنفٌ محسنٌ ، ينفقُ مالهُ فى سبيله الخير ، ويفعلُ ما أمرَ اللهُ به ، ويجتنبُ ما نهى عنهُ ، ويتصفُ بالصّفات الحميدَة ، فيهيئه اللهُ للخير ، ويدخلهُ الجنةَ ؛ وصنفٌ يبخلُ بماله على الناس ، ويستغنى به . فيتركُ عبادة ربَه ، ولا ينكفّ عما نهى عنهُ ، ولا يتصفُ إلا بالصّفات الذميمة ، فيهيئه اللهُ للشرّ ، ويدخله النارَ فيعذبُ فيها ، ولا ينفعهُ مالهُ إذا ماتَ ، وصارت جهنمُ مأواه .

٣ — ولقد لطفَ اللهُ بعباده ، فوهبَ لهم عقولا يميزون بها الخير منَ الشرّ ، وبيّنَ لهمْ طريقَ الضّلال وطريق الهدى ، وجعلَ التصرّفَ فى أمور الدنيا والآخرَة لحكمته وقدرَته ، وخوّفَ العصاةَ العذابَ فى ناره الشديدة ، وأبعدَ

عنها الأتقياءَ الصّالحينَ ، الذين ينفقونَ أموالهمْ ، يرْجونَ بها ثوابَ الله ، لأنه لا يكافئ بثوابه إلا المخلصينَ ،الذينَ يقصدونَ بأعمالهمُ الطيبة وجهَ الله ورضاه .

سُورَةُ الضُّحا

نزلت بمكة ، وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَا ، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ، وَمَا قَلَى ، وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى —١— . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى ؟ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى ؟ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ؟ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
الضحا	الوقتُ الذى ترْتفعُ فيه الشمسُ أوّلَ النهار .
سَجَى	أظلمَ وسكنَ .

شرحها	الألفاظ
تركَكَ .	ودَّعكَ
أبغضَ وكره .	قَلى
نهايةُ الأمر .	الآخرَةُ
بدايته .	الأولى
أسكنَ ورَعى .	آوى
غيرَ مهتد .	ضالاً
فقيراً .	عائلا
لا تَظلمهُ فى ماله .	لا تَقهرْ
لا تزْجرْ .	لا تَنهرْ

مجمل المعنى

١ — انقطعَ الوَحىُ عن النبىّ صَلى اللهُ عليه وسلمَ مدةً ، فاستوْلى على نفسه قلقٌ وهمّ ، لشدّة اشتياقه إلى الوحى ، فأقسمَ اللهُ بالليل والنهار ، أنهُ ما تركَ نبيّهُ ولا جفاهُ ، منْ وقت وُجوده فى الدنيا ، وأنّ الوحىَ سيتواردُ نزُولهُ عليه ، فتكونُ نهايتهُ خيراً منْ بدايته ، وستتوالى عليه نعمُ الله : منْ قرآن ، وهدًى للناس ، ورَفع ذكر ، وإعلاء كلمة ، حتى يرْضَى .

٢ — ثمّ ذكرَ نعمهُ عليه ، بأنْ آواهْ ، وتولاهُ بعطفه وهوَ يتيمٌ ، وهداهُ وهوَ حائرٌ فى أمر قوْمه ، لعدم استجابتهمْ لدعوته ، فوفقهم اللهُ بعدَ ذلكَ إلى الإسلام ، ودخلوا فى دين الله أفواجاً ، وأغناهُ بعدَ فقر .

٣ — ولقدْ أمرَ اللهُ نبيَّهُ أنْ يقابلَ هذه النعمَ بمايليق بها منَ الشكر : فيرعى اليتيمَ ، ويحافظَ على ماله ، ويحسنَ لقاءَ منْ قصدَهُ ليطلبَ منهُ علما أو مالا أو مساعدةً ، وأنْ يتحدّثَ بنعم الله عليه فى الدين والدنيا ليظهرَها ، اعترافاً بفضْل الله عليه .

سُورَة الانشِرَاحِ

نزلت بمكة ، وآياتها ثمانى آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لكَ صَدْرَكَ ؟ وَوَضَعْنا عنْكَ وِزْرَكَ الّذِى أَنْقَضَ
ظَهْرَكَ ، وَرَفَعْنَا لكَ ذِكْرَكَ ؟ —١— . فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ،
إنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً —٢— . فإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ ، وَإِلَى رَبِّكَ
فارْغَبْ —٣— .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
نوَسعه ، ونُذْهب الضيقَ عنهُ .	نشرحْ لكَ صدْرَك
حملكَ الثقيلَ .	وزْرَك
أثقلهُ .	أنقضَ ظهرَكَ
الصعوبة والشدة .	العسر
التسهيل .	اليسر
اتعب .	انصَبْ
ارْفعْ إليه طلبكَ .	ارْغبْ

مجمل المعنى

١ — كانَ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم يشعرُ بضيق الصّدْر ، وانقباض النفس ، لإعراض قريش عنْ إجابة دعوَته ، ولِحِرْصه على هداية قوْمه ، فلما دخلَ الناسُ فى دينه أفوَاجاً ، سُرّتْ نفسهُ ، وانشرحَ صَدرُهُ ، فذكّرَهُ اللهُ بنعمته عليه ، فقال : قدْ أذهبنا عنكَ ضيقَ الصّدْر ، وما كنتَ تشعرُ به من هم ثقيل عليك .

٢ — وفى بلوغ النبيّ غايتهُ بعدَ ضيق نفسه ، أوْضَحُ دليل على أنّ

الإنسانَ يجبُ أنْ يتذرّعَ بالصّبر ، لينجحَ فى عمله ، فإن الضّيقَ يأتى بعدَهُ الفرجُ ، واليأسَ يكونُ بعدَهُ الرّجاءُ .

٣ — فإذا فرَغَ الإنسانُ منْ عملٍ وصَله بآخرَ ، وتعبَ فيه ، حتى يحصُلَ على غايته ، ويطلب منَ الله التوفيقَ والنجاحَ فى عمله .

سُورَةُ التِّين

نزلت بمكة ، وآياتها ثمانى آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ، وَطُورِ سِينِينَ ، وَهٰذا الْبَلَدِ الْأَمِينِ —١— .
لَقَدْ خلقنْا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ —٢— . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ
سَافِلِينَ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ ، فَلَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ —٣— . فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ؟ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ
الْحَاكِمِينَ ؟ —٤— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
التين والزيتون	المرادُ بهما : موْضعان فى بلاد الشام .
طور سينينَ	الجبل الذى بِشبه جزيرة سيْناء .

الألفاظ	شرْحها
البلد الأمين	مكةَ .
أحسن تقويم	أجمل صُورَة ، وأحسن شكل .
أسفلَ سافلينَ	جعلناهُ منْ أهل النار ، الذينَ هُمْ أسفلُ من كل سافل .
ممنون	مقطوع وَمنقوص .
الدّين	الجزاء .

مجمل المعنى

١ — أقسَمَ اللهُ بهذه الأماكن العظيمة ، التى كانتْ مهبطَ الوَحْى على عيسَى وموسَى ومحمد ، عليهمُ الصّلاةُ والسلام ، وكانتْ مبعثَ الرّسالة والهدايةَ لبنى الإنسان ، ففى الشام ظهرَ السيدُ المسيحُ ، وعلى الطور فى سيناءَ كلمَ اللهُ سيدنا موسَى ، وفى مكةَ بعثَ اللهُ محمداً صَلى اللهُ عليه وسلمَ .

٢ — أقسَمَ اللهُ بهذه الأماكن المقدسة ، أنهُ خلقَ الإنسانَ فى أحسن صُورَة ، وخصّهُ دونَ سائر الحيوان بالعقل والتفكير .

٣ — وكانَ الناسُ فى إجابة الأنبياء فريقين : فمنهمْ منْ جحدَ نعمةَ

اللهِ فلمْ يتبعْ رسالةَ أنبيائه ، فجعلَ النارَ جزاءه ، ومنهمْ من اتبعَ رسالةَ أنبيائه ، وعملَ الطيبات ، فجعلَ جزاءهُ النعيمَ الدائمَ .

٤ — فمن يقدر على تكذيبك بيوم الجزاء ، بعد ما ظهر للناس من قدرة الله ؟ ، وهوَ الذى خلقهمْ ، فأحسنَ خلقهمْ ، وهلْ هناك منْ ينكرُ قدرتهُ ، وحكمتهُ فى خلقه وتدبيره ؟ !

سُورَةُ الْعَلَق

نزلت بمكة ، وآياتها ١٩ آية ، وهى أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اِقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ —١— .
كَلَّا ! إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ، إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى —٢— .
أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ؟ ! أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ،
أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ؟ ! أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ؟ ! أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ
يَرَى ؟ —٣— . كَلَّا ! لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ،
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ، كَلَّا ! لَا تُطِعْهُ ، وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ —٤— .

شرح الألفاظ

شرْحها	الألفاظ
دم جامد .	عَلَق
الزائدُ فى الإكرام .	الأكرَمُ
ليجاوزُ الحدّ فى العصيان .	لَيطغى
المرْجعَ .	الرُّجعى
أعرَضَ عن العمل الطيب .	توَلى
لنجذبنهُ بشدة .	لنسفعن
شعر مقدّم الرأس .	الناصية
أهلَ مجلسه .	ناديهُ
هُمْ جنودٌ أشداء ، يدفعون المجرمينَ إلى النار .	الزبانيةَ
وتقربْ إلى ربك بالعبادة .	وَاقترِبْ

مجمل المعنى

١ – اتلُ ما أوحى إليك من الكتاب يا مُحمدُ ، وإنْ كنت أمياًّ ، فإنّ الذى خلقَ جميعَ الكائنات ، وخلقَ الإنسانَ العاقلَ منْ دم جامد ، وزادَ فى التفضّل عليه ، فعلمَ بالقلم – وهوَ آلةٌ صمّاءُ – قادرٌ على أنْ يعينكَ على حفظ القرآن .

٢ — وإذا كانَ اللهُ قدْ تفضّلَ على الإنسان فخلقهُ وعلّمهُ ، فليرتدعْ عن ضَلاله وغرُوره، ولا يخرُجْ عنْ حدود الله إنْ رَأى نفسهُ غنيًّا بالمال والقوّة ؛ ألا يعلمُ أنّ ثرْوتهُ وحياتهُ زائلةٌ ، وأنّ مرْجعهُ إلى الله ، يحاسبه على ما قدّمتْ يداه ؟

٣ — ما أشنعَ أنْ يجترئ مثلُ هذا الإنسان ، فينهى عبداً منْ عبيد الله عن الصّلاة والخضوع لهُ ! أما كان الأحقّ بمثل هذا العاصى أنْ يؤدىَ حقوقَ الله ، ويأمرَ بطاعته ، اعترافاً بنعمه عليه ؟ ألا يرَى أنّ منْ يكذّبُ النبيّينَ، وَيعرضُ عنْ صالح الأعمال ، ستكونُ عاقبته سيئةً ؟ هلْ يجهلُ أنّ اللهَ عالمٌ بأمره ، مطلعٌ على أعماله ؟

٤ — ليرتدعْ هذا المغرُورُ عن طغيانه ، فأقسمُ لئنْ لمْ يرْجعْ لنأخذنّهُ أخذَ عزيز مقتدر ،ولنذيقنهُ عذاباً شديداً ،ولَنُذِلّنّ صاحبَ هذه الناصية الكاذبَ بغرُوره ، الخاطئ بطغيانه ، فلنْ ينفعهُ أعوانهُ الذينَ يشدّونَ أزرَهُ ويناصرُونهُ ، حينَ ندعو لهُ جنوداً أشدّاءَ ، يجرُّونهُ على وجهه إلى النار ،وإياكَ أنْ تسمعَ لقوْله فى نهيه لكَ عن الصّلاة ،فداومْ عليها، وتقرّبْ إلى الله بطاعته .

سُورَةُ الْقَدْرِ

نزلت بمكة ، وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ؛ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أنزلناه	ابتدأنا إنزالَ القرآن الكريم على محمد .
ليلة القدر	ليلة الشرف ، بإنزال الوَحى على مُحمد فى رمضان .
ما أدراكَ ؟	ما الذى أعلمكَ ؟
تنزلُ الملائكة	تمثلتْ للنبىِّ الملائكة فرآهم فيها ، وأصلها : تتنزل .
الرُّوحُ	هوَ جبريلُ المرسَلُ بالوَحى .
أمر	حكم فيه نَفعٌ للناس .
سلامٌ هىَ	هىَ سالمةٌ منَ الشر والأذى .

مُجْملُ الْمعْنى

بدأ اللهُ سبحانهُ وتعالى نزولَ القرآن الكريم ، على سيدنا محمد صَلى الله عليه وسلمَ ، فى ليلة سَماها ليلةَ القدْر ، من ليالى شَهر رَمضانَ ، وهيَ ليلةٌ عظيمة الشرف ، فضّلها اللهُ ، وجعلها خيراً منْ ألف شَهر ، لأنهُ اختارَ فيها سيدَ المرْسلينَ ، لهداية الناس أجْمعين ؛ وأنزَلَ عليه الملائكةَ المكرّمينَ ، ومعهمْ جبريلُ الأمينُ ، يحملُ رسالةَ الله الى النبىّ محمد صَلىالله عليه وسلم ، وأوامرَهُ التى فيها هدايةٌ للناس ونورٌ ، ولفضْلها وعظم قدْرها ، جعلها اللهُ أمناً وسلاماً للناس ، منْ مبدئها حتى طلوع الفجر ؛ والتعبير بالمضارع فى قوله : « تنزّلُ الملائكة » ، يشير إلى أن ما ابتدأ فيها يستمر فى مستقبل الزمان .

سُورةُ الْبيِّنَةِ

نزلت بالمدينة ، وآياتها ثمانى آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ والْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ، رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً ، فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ —١— . وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلّا مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ —٢— وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، وذٰلِكَ دِينُ

الْقَيِّمَةِ -٣- . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ . إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ، جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
كفرُوا	جحدُوا دينَ الله .
أهل الكتاب	اليهود والنصارى .
المشركين	الذينَ يَعبدُونَ الأوْثانَ .
منفكين	راجعينَ عَما هُمْ فيه .
البيِّنةُ	الحُجَّةُ والدليلُ الواضحُ .
رسولٌ منَ الله	مُحمدٌ صَلى اللهُ عليه وسلمَ .
صُحفاً	قرْآناً .
مطهَّرَة	نقيةٌ منَ البِدَع والباطل .

الألفاظ	شرْحها
قيِّمةٌ	مستقيمةٌ على الَحق .
حنفاء	مائلينَ عن الضلال إلى الهدَى .
القيِّمة	الأمة المستقيمة على الحق .
خالدينَ فيها أبدًا	لا يخرُجونَ منها أبداً .
البريَّة	الخلق .
عَدْن	إقامة .

مجملُ المعنى

١ — إنَّ الذينَ جحدوا عبادةَ الله ، وخالفوا دينهُ من اليهود والنصَارَى وعبدَة الأوْثان — لمَ يرْجعوا عنْ ضَلالهمْ حتى جاءَهمْ بالهدى مُحمدٌ صَلى اللهُ عليه وسلم ، فقرأ عليهمْ قرآناً منزهاً عن الباطل والخرافات والبدع ، لأنَّ جميعَ سوره مشتملةٌ على الهدى والحقِّ .

٢ — وليسَ عجيباً أن يجحدَ كثيرٌ منَ اليهود والنصَارَى دينَ محمد ، وهوَ الدِّينُ الحقُّ ؛ فإنَّ أنبياءَهمْ قدْ جاءوهمْ بدين منْ عند الله ، مشتمل

على الخير والسعادة لهمْ ، فتفرّقوا فيه شيعاً ومذاهبَ ، وأخذَ بعضُها يُبْطلُ بعضاً ، حتى ضاعتْ حقيقةُ دينهمُ الذى جاءَتْ به أنبياؤهمْ .

٣ — ولمْ يأمر اللهُ اليهودَ والنصارَى أنْ يختلفوا فى الدين على حسب أهوائهمْ . ولكنْ أمرهمْ أنْ يُخْلصُوا الدينَ لهُ ، فلا يشركوا بعبادته أحداً ، وأن يقيموا صَلاتهُ خاشعينَ لله خاضعينَ ، وأنْ يؤدوا الزكاةَ للفقراء والمساكين وسائر المستحقينَ .

٤ — إنّ الذينَ يجحدونَ دينَ الله ، جزاؤهمْ يوْمَ القيامة عذابٌ دائمٌ فى نار جهنمَ ، لأنهمْ شرّ الخلق . أما الذينَ يُصَدّقونَ بدين الله ، ويعملونَ بما جاءَ به ، فهمْ خيرُ الخلق . ولذلكَ أعدّ اللهُ لهمْ خيراً عميما ، ونعيما مقيما ، فى جنات يشملهمْ فيها الرّضا ، لأنهمْ خافوا ربّهمْ ، وأطاعوهُ فأحسنَ جزاءهمُ .

سُورَةُ الزَّلْزَلة

نزلت بالمدينة ، وآياتها ثمانى آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَها ، وَقَالَ الْإِنْسَانُ : مَا لَهَا ؟ —١— يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ، بِأَنَّ رَبَّكَ

أَوْحَى لَهَا -٢- يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ : فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا ، يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا ، يَرَهُ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
زلزلت	اهتزت اهتزَازاً عنيفاً .
أثقالها	المعادنَ والنيرانَ والأمواتَ التى فى جوفها .
ما لها ؟	ما الذى حدَثَ لها ؟
يومئذ	فى ذلكَ الوَقت .
أوْحى لها	أمرَها .
يصْدُرُ الناسُ	يخرُجونَ بعد بعثِهم .
أشتاتاً	متفرقينَ مختلفينَ .
لِيُرَوا أعمالهم	ليريَهُمُ اللهُ جزاء أعمالهمْ .
مثقال	مقدارَ .
ذرة	الواحدةُ منَ الهباء الذى يُرَى فى ضَوْء الشمس ، إذا دخلتْ منْ نافذة ، أو الجُزَىءُ الذى لا يتجزأ
خيراً	من الخير .

مُجملُ المعنى

١ — حينما ينتهى أمرُ الدنيا ، ويأتى أمرُ الآخرَة — تهتزّ الأرْضُ اهتزازاً عنيفاً ، وتتشقق ، فيخرجُ منْ جوْفها ما فيه منْ كنوز ومعادن ، ونيران وأموات ، ويحصُل الدّهَشُ ، لما وقعَ بها منَ انقلاب وخراب .

٢ — حينئذ يتساءَلُ الناسُ ذاهلينَ : ما الذى حدَثَ للأرْض ، حتى وقعَ فيها ما لمْ نرَهُ منْ قبلُ ؟ فيدلّ ما هىَ عليه منَ الثورَة والعنف والتصدّع ، على أنّ اللهَ أمرَها بذلكَ ، وتحدثك الأرضُ أحاديثها بأن الله قال لها : كونى خرابا .

٣ — ثمّ يخرُجُ الموتى منْ قبورهمْ متفرّقينَ ، فيريهمُ اللهُ جزَاءَ أعمالهمْ فى الدنيا ، فمنْ عملَ خيراً ولوْ يسيراً كوفئ عليه ، ومن ارتكبَ شرًّا ولوْ قليلاً عوقبَ عليه .

سُورَةُ الْعادِياتِ

نزلت بمكة ، وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعادِيَاتِ ضَبْحاً ، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً ، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً ، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ، إِنَّ الإنْسَانَ لِرَبِّهِ

لَكَنُودٌ ، وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ —١— .
أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ! —٢— . إِنَّ
رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ —٣— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
العاديات	الخيل التى تجرى مسرعةً فى الغزْو .
ضَبحاً	مخرجةً من أفوَاهها — وهىَ تتنفسُ — صوْتاً صادراً منْ جوفها .
الموريات قدْحاً	الخيل التى تخرجُ النار بحوَافرها وهىَ تعدو ، ضَاربة الحجارةَ بحوافرها ، فتخرجُ شرَراً .
المغيرات	الخيل التى تهجمُ على العدو .
أثرْنَ	هجنَ وَحركنَ فى عدْوهن .
نقعاً	غباراً .
فوَسطنَ به	فدخلت الخيلُ بالغبار وسطَ الأعداء .
جمعاً	جماعةَ الأعداء .
كنودٌ	كافرٌ بنعمة ربَه ، جاحدٌ لها .

الألفاظ	شرحها
الخير	المال .
لشديدٌ	لشديدُ الحب لهُ ، فلذلكَ يبخلُ به .
بُعثر	أخرجَ وبُعثَ .
حُصِّل ما فى الصدور	ظهرَت أسرارُ الصدور من خير وشرّ .
خبيرٌ	عليمٌ بحال الناس .

مجمل المعنى

١ — يُقسمُ اللهُ بالخيل التى تجرى مسرعةً لغزْو الأعداء ، فتخرجُ منْ أفواهها زفيراً عالياً ، وتضربُ الأرْضَ بحوافرها ، فتخرجُ ناراً منْ شدّة عَدْوها ، وتفاجئ الأعداءَ بالهجوم عليهمْ صَباحاً وهمْ غافلونَ ، فتثيرُ الغبارَ ، وتدخلُ وسطَ الأعداء بغبارها ، فتشتتهم وتهزمهمْ — يقسمُ اللهُ أنّ الإنسانَ معَ توالى نعم الله عليه ، كافرٌ بهذه النعم ؛ وأنهُ ليشهدُ على نفسه بكفرانه نعمَ الله ، لمنعه الخيرَ عن عباده ، وأنهُ ليُحبّ المالَ حبّاً جمّاً ، فيجدّ فى طلبه وتحصيله ، ويبخلُ به بخلاً شديداً على المحتاجينَ .

٢ — ألاَ يعلمُ ذلكَ الجحودُ البخيلُ أنّ عاقبتهُ سيئةٌ يومَ القيامة ، حينَ يخرُجُ الناسُ من قبورهم للحساب ، ويظهرُ ما تكنهُ صُدورُهم .

٣ — إنّ اللهَ سبحانهُ وتعالى ليجازى يومئذ كلّ امرئ بماقدّمت يداهُ ، من خير أوْ شرّ ، لأنهُ عالمٌ بأحوالهمْ ، مطلعٌ على خفايا صُدُورهمْ .

سُورَةُ القارعة

نزلت بمكة ، وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الْقارِعَةُ ، مَا القَارِعةُ ؟ وَمَا أَدْرَاكَ مَاالْقارِعةُ —١— . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَراشِ المَبْثُوثِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كالْعِهْنِ المَنْفُوشِ —٢— . فَأَمَّا مَنْ ثقُلَتْ مَوازِينُهُ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ؟ نارٌ حَامِيَةٌ —٣— .

الألفاظ	شرْحها
القارعةُ	القيامةُ .
ما القارعة ؟	أى شىء هى ؟
وما أدْراكَ ما القارعَةُ ؟	وَأى وَصْف يحيطكَ علماً بها ؟
الفَراشِ	ما يتهافتُ فى ضَوْء السِّراج .
المبثوث	المنتشر .
العِهنْ المنفوش	الصوف الذى نُفش .
ثقلتْ موازينهُ	زادَتْ حسناته بالفضائل والأعمال الصالحة .
فى عيشة راضية	فى حياة تمتع ولذة .
خفتْ موازينهُ	نقصتْ حسناته لقلة فضائله ، وَكثْرة رَذائله .
أمُّهُ هاويةٌ	مقرهُ جهنمُ ، يأوى إليها كما يأوى الولد إلى أمه .
ما أدراكَ ماهيهْ ؟	أى شىء يعلمكَ مقدارَ هوْل جهنم وَشدتها ؟
حاميةٌ	ملتهبةٌ .

مُجمل المعنى

١ — إنَّ القيامةَ شديدةُ الهوْل ، تقرع قلوب الناس بشدتها ، ولا يحيطُ علمُ الإنسان بوصْفها ، لشدة ما فيها منَ الفزع .

٢ — إنها ستكونُ فى يوْم يُرَى فيه الناس حَيارَى ، فى اضْطراب وضَعف وذلة ، كأنهمُ البَعُوضُ المنتشرُ ، الذى يترامى على المصباح فى غير نظام ،

وترَى فى هذا اليوْم الجبال الرّاسخةَ قدْ تفتتتْ ، فأصْبحتْ كالصّوف المنفوش ، الذى تتطايرُ شعراتُـهُ فى الهواء .

٣ — وفى هذا اليوْم ، ترَى الذينَ قدّموا الأعمالَ الصّالحةَ فى الدنيا راضينَ متمتّعينَ ، وترَى الذينَ اكتسبوا السيئات والرذائلَ يُرْمَوْنَ فى حفرَة سحيقة ، ومهواة بعيدة القرار ، أتدرى ما تكونُ هذه الحفرَةُ ؟ هىَ نارٌ ملتهبةٌ ، يذوقونَ فيها جزاءَ ما كانوا يعملونَ .

سُورَةُ التَّكاثُرِ

نزلت بمكة ، وآياتها ثمانى آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ -١- . كَلَّا ! سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا ! سَوْفَ تَعلَمُونَ -٢- . كَلَّا ! لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِينِ -٣- لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ؛ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ -٤-.
ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ -٥-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألهاكم	شغلكم .
التكاثر	التفاخر بكثرة الأموال والأولاد .
كلا	ارتدعوا وكفوا عن هذا العمل .
علم اليقين	العلم المبنى على الحقيقة .
الجحيم	جهنم .
لترونها عين اليقين	لترونها رؤية حقيقية تشاهد بالعين ، وتدرك بالحواس .
النعيم	التمتع بالملاذ : من مأكل ومشرب ، ومال وجاه .

مجمل المعنى

١ — شغلكم التفاخر بكثرة الأموال والأولاد ، عن السعى فى صالح الأعمال ، حتى انقضت أعماركم فى هذا الباطل ، فمتم وأصبحتم من أهل القبور .

٢ — فارْدَعوا أنفسكمْ عن التشاغل بهذا الفخر الكاذب ، فإنكمْ لوْ تعلمونَ حقيقةَ ما يجلبهُ عليكم منَ الشقاق فى الدنيا . وغضَب الله فى الآخرَة — لا متنعتمْ عنْ هذا التكاثر ، وانصرفتمْ إلى عمل ما تَصْلحُ به أحوالُ دينكمْ ودنياكمْ .

٣ — ارتدعوا ، فإنكم لو فكرتم فى عاقبة ما أنتم فيه من اللهو بالتفاخر والتكاثر ، لعلمتم أنه وهم باطل ، وظل زائل ؛ والجدير بأن يسمى علما : هو اليقين بالبعث والجزاء ، فهو الذى يدفعكم إلى ما يصلح ظواهركم وسرائركم ، وينأى بكم عما يؤدّى إلى سوء العاقبة ؛ وجواب لو محذوف .

٤ — إن دار العذاب حق لا ريب فيها ، ولَتَروُنَّها بأعينكم رؤية حقيقية ، ولَتشاهدنَّها بحواسكم مشاهدة يقينية . فاجعلوا صورها ماثلة فى أذهانكم ، لعلها تدفعكم إلى ما هو خير لكم .

٥ — ويسألُ اللهُ عبادهُ يوْمَ القيامة عنْ نعيم الدنيا . منْ أموال وأوْلاد وطيبات منَ الرّزْق ، فإنْ لمْ يكونوا أدّوْا حقوقَ الله فيها ، وعملوا بأحكامه فى التمتع بها ، عاقبهمْ أشدّ العقاب .

سُورَةُ الْعَصْرِ

نزلت بمكة ، وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ —١— . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ —٢— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
العصر	الدهر .
خُسر	ضَلال وهلاك .
آمنوا	اعتقدُوا بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوْم الآخر .
الصالحات	الأعْمال التى تنفعُ الإنسانَ والأهلَ والوطنَ ، ولا تضر أحداً .
تواصَوْا	وصّى بعضُهمْ بعضاً .
الحَق	الخير كله .
الصبر	قوة النفس على احتمال المشقة فى العمل الصالح ، ومنعها منَ الشر .

مُجمل المعنى

١ — يُقسمُ اللهُ بالدهر ، وهوَ زَمنُ مرُور الليل والنهار على أكمل ترْتيب ونظام ، وهو وقتُ الضّوْء والظلام ، والحرّ والبرْد ، وفيه تقعُ أعمالُ

الإنسان من خير وشرّ — أنّ الإنسانَ ضالٌّ خاسرٌ ، لميله إلى الشرّ ، واتباعه هوَى نفسه ، وليس لهذا الدهرْ دخلٌ فى ضلاله وخسرانه .

٢ — ولا ينجو من هذا الضّلال والهلاك إلا الذين يصدقون بالله ، ويؤمنون بكتبه ورسله ، ويعملون الأعمال الصّالحة التى تنفعهم ولا تضرّ غيرهم ، ويدعو بعضُهم بعضاً إلى اتباع الحقّ ، وعمل الخير ، وإلى تعويد النفس تحمل المشقات فى عمل الطيبات ، واحتمال المكرُوه فى منعها من الشّهوات والسيئات .

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

نزلت بمكة ، وآياتها تسع آيات

بِسْمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ، الَّذِى جَمَعَ مالًا وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ —١— . كَلَّا ! لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَة ؟ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ، إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ، فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ —٢— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
ويلٌ	هلاكٌ وَعذابٌ .
هُمَزة لُمَزَة	عيَّاب يطعن في أعراض الناس ، مشّاء بالنميمة بينهم .
وعدّده	عدّه مرة بعد أخرى ، تلذذا بإحصائه .
أخلده	حفظ له حياته ، فهو لا يفارقها إلى حياة أخرى .
كلاّ	ليسَ الأمرُ كما يَظن .
ليُنبذنّ	ليُرْمين .
الحُطمة	النار الشديدة .
وما أدْراكَ ما الحُطمةُ ؟	لا يمكنكَ أنْ تتصوّر شدّةَ هذه النار .
تطلعُ على الأفئدة	تصلُ إلى القلوب .
مؤصَدَةٌ	مطبِقةٌ مغلَقةٌ .
عَمَد ممددَة	أعْمدة طويلة .

مُجمل المعنى

١ — أعدّ اللهُ العذاب للعيّابين ، الذين يكثرُون الطعن في أعراض الناس ، ويتغامزُون عليهمْ ، ويمشون بينهم بالنميمة ، تحقيراً لهمْ ؛ لقدْ

اغترَّ هؤلاء بأموالهمْ ، حتى أصْبحوا يعملون عمل منْ يظنّ أنهُ لايموتُ ، وأنهم لا يعاقبون على أعمالهم السيئة .

٢ — ليس الأمرُ كما ظنوا ، إنهمْ سيُرْمون محتقرين فى نار شديدة ، تحرق أجسامهمْ ، وتصل إلى قلوبهمْ ، وموضع شعورهمْ باحتقار الناس ؛ وستُطبِق عليهمْ هذه النار ، ويشدّون إلى أعمدة طويلة ، لا يقدرون معها أنْ يتحركوا ، حتى يذوقوا أشدّ العذاب .

سُورَةُ الْفِيل

نزلت بمكة ، وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ ربُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيـــلِ ؟ ! أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ؟ ! وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيـــلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ !

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
كيدَهُمْ	مكرهم وَخداعهمْ .
تضْليل	تضييع وَإبطال .
أبابيل	جماعات متفرقةً .
سجِّيل	طين متحجر .
كعصْف	كورق زَرْع .
مأكول	اكلَ ما فيه منْ حبّ .

قصة أصْحاب الفيل

١ — كان على اليمن ملكٌ يسمى أبرَهةَ ، قدْ بنى بمدينة صَنعاءَ كنيسةً عظيمةً ، وزَينها بالحجارة المنقوشة بالذهب ، وأرادَ أن يهدمَ الكعبةَ ، ليصرفَ الناسَ عن الحجّ إليها ،ويرغبهمْ فى الحجّ إلى كنيسته ، فجهزَ جيشاً كبيراً ، وسارَ به إلى مكة ليهدمَ فيها الكعبةَ ، وكانَ معه فيلٌ قوىّ عظيمٌ .

٢ — فلما قربَ الجيشُ منْ مكةَ ، أمرَ أبرَهةُ أنْ تنهبَ أموال العرَب وإبلها ، وكانَ فيها إبل عبد المطلب بن هاشم جد النبى ، وهو يومئذ سيدُ قريش .

٣ — بعدَ ذلكَ ذهبَ عبدُ المطلب إلى أبرَهةَ ، فلما دخل عليه ، رآهُ أبرَهةُ وسيما جَميلا ، عليه الهيبةُ والوقارُ ، فأكرَمهُ وأجلسهُ بجواره ، وسألهُ عنْ حاجته .

٤ — فقالَ عبد المطلب : حاجتى أن يرُدّ علىّ الملكُ إبلى ، فقال لهُ أبرَهةُ : أتكلمنى فى الإبل ، وتترُك الكعبةَ ، وقدْ جئتُ لهدمها ؟ فقال عبد المطلب : أنا ربّ الإبل ، وإنّ للبيت ربًّا يحميه ؛ فردّ عليه أبرهةُ الإبلَ ، وعزَمَ على هدم الكعبة .

٥ — وفى الصّباح وجه أبرهةُ الجيش نحوَ الكعبة ، وأمامهُ الفيلُ ، فلما قرُبَ منها ، رَجعَ الفيلُ خائفاً مذعوراً ، وحاول الجندُ أنْ يوجهوهُ نحوَ الكعبة فما استطاعوا .

٦ — ثمّ أرْسلَ اللهُ عليهمْ جماعات منَ الطير ، تحملُ أحجاراً صَغيرةً ، فيها جراثيمُ الُجدَرىّ والحصبة ، فأخذتْ تلقيها على أبرهةَ وجنوده ، حتى أهلكتهمْ ، ونجى اللهُ البيتَ الحرامَ منْ شرّ أعدائه الظالمينَ .

مُجمل المعنى

قدْ علمت يا محمد حال أصْحاب الفيل ، الذين جاءوا من اليمن إلى مكة لهدم الكعبة ، وهيَ بيت الله الحرام ، فأبطل الله كيدهم ، وقلبه شرًّا عليهم ، فأرْسل عليهمْ جماعات منَ الطير ، تحمل فى مناقيرها ومخالبها أحجاراً صَغيرةً صُلْبةً ، أخذتْ ترميها على رءوسهمْ ، حتى أهلكتهم ، وتركتْ أجسامهمْ خاوية ، كالحبّ الذى يؤكل ويبقى قشره .

سُورَةُ قُرَيْشٍ

نزلت بمكة ، وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ، إِيلَافِهِمْ ؛ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ —١— . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ ، الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ —٢— .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
الإيلافُ	المعاهدةُ والمصالحة .
قرَيش	قبيلة النبيّ صلى اللهُ عليه وسَلم .
رحلةَ	سفرَ .
البيت	الكعبة .
آمنهم	نجّاهُمْ وَسلّمهمْ .

قصة الإيلاف

١ — كانَ عبدُ منافٍ زَعيمَ قريش، وكانَ لهُ أرْبعةُ أوْلاد عظماء، همْ : هاشمٌ أبو عبد المطلب جدّ النبيّ صَلى اللهُ عليه وسلمَ، وعبدُ شمس، والمطلبُ، ونوفلٌ ؛ وقدْ عقد كلّ واحد منْ هؤلاء الإخوة إيلافاً — أىْ معاهدةَ تجارة — معَ مملكة منَ الممالك التى حوْلَ جزيرة العرَب ؛ فعقدَ هاشمٌ معاهدتهُ معَ ملك الرّوم، وعقدَ عبدُ شمس معاهدتهُ معَ ملك الحبشة، وعقدَ المطلبُ معاهدتهُ معَ ملك اليمن، وعقد نوْفلٌ معاهدتهُ معَ ملك الفرس .

٢ — ولقدْ أصْبحَ لقرَيش بفضْل هذه المعاهدات ، التى عقدها الإخوَةُ الأربعةُ — حرّيةُ التجارة ، والسفر إلى هذه البلاد صَيفاً وشتاءً ، فكانوا يسافرُون آمنينَ ، ويعودون رابحين .

مجمل المعنى

١ — إن إيلاف قريش منْ نعم الله الجليلة عليهم ، لأنهُ نجاهمْ منَ الخوْف ، والأذى الذى يتعرّض لهُ المسافر فى رحلاته إلى بلد بعيد ، وكفاهمْ شرّ الجوع والقحط فى جزيرة العرَب ، لما كانوا يجنونهُ منْ ربح وافر من هذا السفر ، فى رحلتيهم صيفاً وشتاء

٢ — وإذا كان اللهُ تعالى قد أنعمَ على قريش بنعمة الأمن والسلامة ، وكفاهمْ شرّ الجوع — فقدْ وجبَ عليهم أن يعبدوهُ ، وهوَ ربّ الكعبة التى يقدسونها ، وأنْ يتركوا عبادة الأوْثان ، لأنها لا تذهبُ الخوفَ ، ولا تمنعُ الجوعَ ، بلْ هىَ لا تضرّ ولا تنفعُ .

سُورَةُ الْماعُونِ

ثلاث الآيات الأولى مكية ، والبقية مدنية ، وآياتها سبع آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ؟ فَذٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ،
وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ : الَّذِينَ هُمْ عَنْ
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ .

شَرْحُ الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
أرأَيتَ ؟	هلْ عرَفتَ ؟
الدين	الجزاء والحساب .
يدُع اليتيمَ	يدفعهُ ويزجرُهُ زَجراً عنيفاً .
لا يحض	لا يحث الناسَ .
وَيلٌ	هلاكٌ وَعذابٌ .
ساهونَ	غافلونَ لاهونَ .
يُراءونَ	يظهرُونَ غيرَ ما يخفونَ .
الماعونَ	الشيء النافعَ .

مجمل المعنى

هلْ عرَفتَ الذى لا يصَدِّقُ بحساب الله وجزائه يوْمَ القيامة ، فلا يتبعُ ما أمرَ اللهُ به ، ولايجتنب ما نهى عنهُ ؟ إنهُ كلّ إنسان اتصفَ بإحدى الصّفات الآتية : —

١ — منْ يزجرُ اليتيمَ والضَعيفَ ، إذا جاءهُ طالباً منهُ شيئاً .

٢ — ومنْ لا يطعمُ الفقراءَ والمساكينَ ، ولا يحثّ الناسَ على إطعامهمْ .

٣ — ومنْ يصَلى بلسانه وأعضائه ، وقلبهُ ساه لاه عما يقولُ ويفعلُ .

٤ — ومنْ يظهرُونَ للناس الخيرَ ، ويضْمرُون الشرَّ ، ويمنعونَ عنهم كلّ ما فيه منفعةٌ لهمْ .

سُورَةُ الكَوْثَرِ

نزلت بمكة ، وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ .

شرح الألفاظ

شرْحها	الألفاظ
خيرَ الدنيا وَالآخرة .	الكوْثرَ
اجعلْ صلاتكَ لله .	فصلّ لربك
واذْبحْ .	وَانحرْ
مبغضَكَ ، الكارهَ لكَ .	شانئكَ
المقطوعُ الذى لا يبقى أثرُهُ ، وَلايحسن ذكرُهُ .	الأبترُ

مجمل المعنى

قدْ أعطيناكَ يا مُحمدُ الخيرَ الكثيرَ ،منْ نبوّة ودين ، وعلم وهدًى ، وكثّرنا منْ آمنَ برسالتك، فاشكر اللهَ على هذه النعم بإدامة الصّلاة ، ونحر الذبائح ، وإطعام الفقراء من لحومها ، وسيبقى دائماً ذكرُكَ الحسنُ ، وآثارُكَ الطيبةُ ، أما الذينَ يكرَهونكَ فسيذهبُ ذكرُهمْ ، وينمحى أثرُهمْ .

سُورةُ الكافِرُونَ

نزلت بمكة ، وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ : يٰأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الكافرُونَ	المعاندونَ الجاحدونَ .
لا أعبدُ ما تعبدونَ	لا أعبدُ آلهتكمْ التى تعبدونها .
وَلاأنتمْ عابدونَ ما أعبدُ	لستمْ بعابدينَ إلهى .
وَلاأنا عابدٌ ما عبدْتُم	لا أعبدُ عبادَتكمْ المؤسسةَ علىَ الشرْك بالله .
وَلاأنتمْ عابدونَ ما أعبدُ	ولا تَعبدونَ عبادتى المبنيةَ على وَحدانية الله .
لكمْ دينكمْ وَلىَ دين	لَكمْ عبادتكمْ وَلى عبادتى .

مُجْمل المعنى

قلْ يا مُحمدُ لهؤلاء المعاندين الجاحدين، الذين يعبدون الأصْنام، ويدّعون أنها شفعاء لهمْ عندَ الله : إنّ الإله الذى تزعمونَ أنكمْ تعبدونه، ويظهر فى صورَة أمامكم، ليسَ كالإله الذى أعبده، لأنّ إلهى لا يتصف بصفة المخلوقات، وعبادتى خالصَة لله وحده، فهىَ تخالف عبادتكم التى يخالطها الإشراكُ بالله، فدينكم مُختصّ بكم، ودينى خاصّ بى، ولا علاقة بينهما.

سُورةُ النَّصْر

نزلت بمنى فى حجة الوداع، وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فى دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً.

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نصرُ الله	تغلُّبُ دين الله.
الفتحُ	فتحُ قلوب الناس لقبول الإسلام.

الألفاظ	شرحها
دين الله	الدين الإسلامى .
أفواجاً	جماعات .
فسبحْ بحمد رَبكَ	اذْكرْ ربكَ الذى حققَ وعْدَهُ بنصركَ ، واشكرْهُ على هداية الناس لدين الإسلام .
استغفرْهُ	اسأله الصفحَ عنكَ وعنْ أصْحابكَ ، الذين قَلِقتْ نفوسهمْ لتأخر انتصارهمْ .
تواباً	كثير القبول للتوبة منْ عباده .

مجمل المعنى

إذا تحققَ ما وعدكَ اللهُ به منَ النصر على الأعداء ، وتغلبَ حقكَ على باطلهم . وانفتحتْ قلوبُ الناس لقبول الدعوة إلى الإسلام ، فدخلوا فيه جماعات كثيرةً — فاذكر الله الذى حققَ ما وعدك منَ النصر ، واحمده على هداية الناس لدينه ، واطلبْ منه الصّفح عما حدثَ بنفوس بعضكمْ ، منَ القلق عند تأخر النصر ، والله عظيم المغفرة ، يقبل التوبةَ منْ عباده .

سُورَةُ اللَّهَبِ (أَوِ الْمَسَدِ)

نزلت بمكة ، وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَى ناراً ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ؛ فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ .

شَرْحُ الألْفاظ

الألفاظُ	شرْحها
تبَّتْ يدَا أبى لهب	دُعاءٌ على أبى لهب ، بهلاك نفسه وَخسرانه .
وَتبَّ	وَهوَ قدْ هلكَ وخسرَ بالفعل .
ما أغنى عنهُ مالهُ	لمْ يفدْهُ مالهُ شيئاً .
وَما كسَبَ	وَما عَملَ فى مُعاداة النبىّ .
سَيصْلى ناراً ذاتَ لهب	سيحترقُ بنار شديدة .
حَمّالةَ الحطب	الساعيةَ فى الفساد بينَ الناس .
جيدها	عنقها .
مسد	ليف .

قصة أبى لهب

١ - أبو لهب : هوَ عبد العزَّى بنُ عبد المطلب ، وكان عمّ النبيّ صَلى الله عليه وسلمَ ، وأشدّ الناس عداوةً وإيذاءً له .

٢ - وكانَ إذا ذهبَ النبيّ إلى قبائل العرَب ، ليدعوَهمْ إلى الإسلام ، سارَ وراءَه ، وهزئ به ، وكذبَه .

٣ - وكانَ لأبى لهب امرأةٌ تسمى أمّ جميل - وهى أخت أبى سفيان بن حرب - تسعى بالنميمة والفساد بين النبيّ وبينَ القبائل ، حتّى لا يصَدقوه إذا دعاهمْ إلى الإسلام ، فأهلكَ الله أبا لهب وزوجته ، وجعلهما عبرةً لكلّ منْ يعادى النبيّ ، أوْ يحاربُ دينَه .

مجمل المعنى

اللهمّ أهلكْ أبا لهب ، وقدْ هلكَ بالفعل ، ولمْ يغن عنهُ مالهُ وإيذاؤهُ النبيّ شيئاً ، وسيحرقهُ اللهُ بنار شديدة ، ويحرقُ معهُ امرأتهُ الواشيةَ النمامة ، التى كانتْ توقدُ نارَ الفتن بَينَ النبيّ وبينَ العرَب ، فكانتْ كأنها تحملُ الحطبَ وتشدّهُ إلى عنقها بحبل من الليف الخشن ، - والعرب تسمى من يسعى بالنميمة بحامل الحطب - فيعودُ عليها وَبَالُ سوء فعلها .

سُورَةُ الْإِخْلاص

نزلت بمكة ، وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ : هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
اللهُ	الإله الذى تعبدُهُ .
أحدٌ	وَاحدٌ لا رَبَّ غيرُهُ .
الصمدُ	السيدُ الذى يقصدُهُ الخلقُ فى حوائجهم .
لم يلد	ليسَ لهُ ابنٌ وَلا بنتٌ .
لم يولد	ليسَ لهُ أبٌ ولا أم .
كُفُواً	مكافئاً وَمماثلا .

مجمل المعنى

بلغ الناسَ يا مُحمدُ ، أنَّ الإلهَ الذى تعبدهُ ، واحدٌ لا شريكَ لهُ ، وهوَ ربُّ الخلق كلهمْ ، يحتاجونَ إليه ، ويقصدونهُ فى كلِّ مطالبهم ، وَهو

لا يحتاجُ إلى أحد ، ولا يطلبُ المساعدةَ منْ أحد ، وليسَ لهُ ابنٌ ولا بنتٌ ، وليسَ له أبٌ ولا أمّ ، ولا يماثله أحدٌ فى الوجود .

سُورَةُ الْفَلَقِ

نزلت بمكة ، وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قلْ : أَعُوذُ بِربِّ الْفَلَقِ ، مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ ، وَمِنْ شَرِّ غاسقٍ إِذَا وَقَبَ ، وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِى الْعُقَدِ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرْحها
أعوذ	أعتصمُ وأستجيرُ .
برب	بمرَبى وَمُصْلح .
الفلق	جميع المخلوقات .
من شر ما خلق	منْ أذَى مخلوقاته .
غاسق إذا وقب	ليل إذا دَخلَ ظلامُهُ .
النفاثات فى العقد	منْ يخدَعونَ الناس بالحيل فيضرونهم (١) ،
حاسد إذا حسد	مَن يسرهُ زَوال النعم عن الناس ، ويحاولُ إزالتها

(١) والنفاثات : جمع نفاثة ، والتاء لتأكيد المبالغة .

مجمل المعنى

يأمرنا الله أنْ نلجأ إليه ، ونستجيرَ به ، لأنه ربّ الخلق أجمعينَ ، ليحفظنا منَ شرّ مخلوقاته : منَ الإنس والجنّ ، والسباع والحشرات ، والنار وغيرها ، وأنْ ينجينا منَ الأذى الذى يَقع فى الليل المظلم ، لأنّ الشرّ يكثر فيه ؛ وأنْ يمنعنا منْ شرّ النفوس التى تخدع الناسَ بالحيل والسحر ، فتؤثر فيها بالمرض أو الخسارة ، وأنْ يبعدَ عنا شرّ كلّ حاسد ، يحسدُ الناسَ على ما آتاهمُ اللهُ منْ نعمه ، ويحاولُ السعىَ فى إزالتها .

سُورَةُ النَّاسِ

نزلت بمكة ، وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ : أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلٰهِ النَّاسِ ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
رَبّ الناس	مُربيهمْ ومصْلحهم .
مَلِك الناس	مالكهمْ ومدبر أمرهمْ .
إله الناس	معبودهمْ .
الوَسواس الخناس	الشهوات المكنونة فى النفس .
يوَسوسُ فى صدور الناس	يحدثهمْ بعمل الشر .
من الجنَّة والناس	منْ جهة الجنة ، ومنْ جهة الناس .

مجمل المعنى

نلجأ إلى الله رَبنا ، ومالك أمرنا ومعبودنا ، أنْ يحفظنا منَ الشّهوات المستكنة فى نفوسنا ، التى تحدثنا بعمل الشرّ ، وذلك بأنّ نظنّ أنّ الجنّ يضرّونَ وينفعونَ ، ونتوهمَ أنّ الناسَ يعلمونَ الغيبَ بالتنجيم والكهانة فنصدقهم ؛ وهذا شرّ نستعيذُ بالله منهُ ، لأنّ اللهَ وحدَهُ هوَ الذى يضرّ وينفع .

فهـــــرس

الصفحة	السورة	الصفحة	السورة
٣	مقدمة	٦١	سورة الشمس
٥	سورة النبأ	٦٤	« الليل
٥	الدرس الأول	٦٧	« الضحا
٧	« الثانى	٦٩	« الانشراح
٩	« الثالث	٧١	« التين
١١	سورة النازعات	٧٣	« العلق
١١	الدرس الأول	٧٦	« القدر
١٣	« الثانى	٧٧	« البيّنة
١٦	« الثالث	٨٠	« الزلزلة
١٨	سورة عبس	٨٢	« العاديات
١٨	الدرس الأول	٨٥	« القارعة
٢٢	« الثانى	٨٧	« التكاثر
٢٤	سورة التكوير	٨٩	« العصر
٢٨	سورة الانفطار	٩١	« الهُمَزة
٣١	« المطففين	٩٣	« الفيل
٣١	الدرس الأول	٩٦	« قريش
٣٤	« الثانى	٩٩	« الماعون
٣٧	سورة الانشقاق	١٠٠	« الكوثر
٤٠	« البروج	١٠٢	« الكافرون
٤٤	« الطارق	١٠٣	« النصر
٤٧	« الأعلى	١٠٥	« اللهب
٥٠	« الغاشية	١٠٧	« الإخلاص
٥٣	« الفجر	١٠٨	« الفلق
٥٨	« البلد	١٠٩	« الناس